آصف شوكت

الثّورات السّوريّة

١٩١٨ - ١٩٢١

في المنطقتين
السّاحليّة والشّماليّة الغربيّة
دراسة تحليلية : سياسيّة وعسكريّة

AL AOUS
PUBLISHERS

الثّورات السّوريّة

قنوع

١٩١٨ - ١٩٢١

في المنطقتين
السّاحليّة والشماليّة الغربيّة

دراسة تحليليّة: سياسيّة وعسكريّة

آصف شوكت



الأوس للنشر

الجمهورية العربية السورية

دمشق - مـزة اوتوستـراد

ص . ب : ٣٦١٢٠

هاتـف : ٤٢،٤٣،٤٤ - ٦١١٣٢٤٤١ ١١ (٠)٩٦٣+

فـاكس : ٦١١٣٢٤٤٥ ١١ (٠)٩٦٣+

بريد إلكتروني : info@alaous.com

www.alaous.com

الطبعــة الأولى : ١٠٠٠ نسخة ٢٠٠٢

التنضيد و الإخراج : القسم الفني في الأوس للنشر
فرز الألوان و التحضير الطباعي : دار أمية
لوحة الغلاف : الفنان أحمد معلا
الطباعة : مطابع الف باء - الأديب

تقديم

الدكتور نقولا زيادة

(١)

يوضح هذا الكتاب مرحلة من مراحل الحياة السياسية في تاريخ سورية كان، حتى هذا الوقت، معروفاً نُتَفاً وروايات وأقاصيص، فجاء المؤلف فوضعه على نحو واضح: واضح من حيث مقدماته، واضح من حيث مجرياته، واضح من حيث التعليل، وواضح من حيث الأسلوب.

فقد كان المعروف عن ثورتي ١٩١٨ـــ١٩٢١ في المنطقتين الساحلية والشمالية الغربية من قبلُ كتابات قديمة هي جماع أخبار وأحاديث تنوقلت محلياً وانتشرت قطرياً وعربياً (ص٧)، فجاء المؤلف فنفض الغبار عن هذا القديم وأخذ منه ما يفيد، وعاد الى الأرشيف الفرنسي الذي لم يكن قد عولج بما فيه الكفاية، وعاد إلى مذكرتين لم تنشرا هما اللتان خلفهما إبراهيم الشغوري ويوسف السعدون اللذان عملا إلى جانب إبراهيم هنانو في المنطقة الشمالية الغربية ـــ جمع هذا كله ولم يكتفِ بأن غَرْبَله بل إنه نخّله. وبذلك أخرج لنا هذه الدراسة الشاملة والواضحة لهاتين الثورتين المجيدتين.

أقول شاملة لأن المؤلف لم يكتفِ بأن تتبع أحداث الثورتين في الميادين المختلفة، ولم يتوقف عند المعارك والبطولات، بل تابع المساعدات والمعونات التي وصلت الى الثوار المجاهدين ومصادرها -مادية كانت أم معنوية. ولعل ما هو أهم حتى من هذين الأمرين من الناحية التاريخية والسياسية هو أنه وضع هاتين الثورتين في مكانهما الصحيح بالنسبة للسياسة الدولية التي كانت تعمل ـــ سراً وجهاراً ـــ في سبيل تطبيع المنطقة للمخططات والمطامع الأجنبية.

وأقول واضحة لأن التخطيط للموضوع جاء تاماً، ومعالجته جاءت ناضجة، ولغة الكتاب صحيحة بينة لا تترك مجالاً للبس أو تعقيد.



وبعد ما الذي نجده في هذا الكتاب!

التعارض بين مفهومين يتعلقان بالوضع العام في سورية: المفهوم الفرنسي الذي يدَّعي أن له دوراً هاماً في التاريخ يجب على الشعب الفرنسي ـــ عبر دولته ـــ القيام به. وهو هذا، على كل، لباس للغاية الأصلية من وجود فرنسة في المنطقة وهو الاستيلاء عليها؛ والمفهوم الوطني القائم على العروبة قومية والاستقلال واقعاً (ص٥)، وتفصيل هذه الناحية يجده القارئ في الصفحات ١٤-٢٢.

وأشار المؤلف في المقدمة (ص٦) إلى أنه اتضح أن الشعب مصمم على المقاومة. وقصة ثورة المنطقتين بتفاصيلها من حيث التطوع للقتال والتبرع للمقاتلين الذي استمر حتى لم يعد عند القوم ما يمكن أن يقدموه.

وهناك الدور الذي قامت به الحكومة السورية قبل ميسلون (١٩٢٠) من حيث الدعم المادي والمعنوي، مع أنها هي نفسها كانت تواجه صعوبات جمة. هذه القصة بتفاصيلها واردة في الفصلين الثاني والثالث.

وفي زوايا هذين الفصلين يجد القارئ تفسير الموقف التركي الذي كان مؤيداً للثورة في سبيل مصلحة تركية، فلما حصلت تركية على ما أرادت، تبدل موقفها تماماً.

وخشي المؤلف من أن يقرأ المرء الفصول الأولى ويظل يضرب أخماساً في أسداس حول أمور أساسية مرت في البحث، لكنها لم تؤسس لها في نفس القارئ المعنى العام للثورة من حيث الدوافع والعناصر المرتبطة بالثورات ودلالتها وتنظيم الثورات وتسليحها ـــ مادياً وقيادياً وميدانياً ـــ وأساليب القتال والمواجهة. فخص بهذه كلها الصفحات ١٧٥-٢٣١. وهناك مرحلة خاتمة الثورة في المنطقتين (ص٢٣١-٢٣٨) ويجملها بالأمور التالية:

١. كانت الضائقة التي نزلت بالمنطقة كبيرة إلى حد أنها بلغت الحد الذي لا يحتمل (ص٢٣١)، وانغلقت أبواب تزويد الثوار بالسلاح والعتاد (ص٢٣١). وكان الخصم يزداد قوة ومساعدة وبذلك تمكن من تنظيم القضاء على الثورة وقد بلغت الغاية في الضعف (ص٢٣١-٢٣٢).

٢. موقف الأتراك من إنهاء حالة الحرب مع فرنسة (ص٢٣٢).

٣. اضطرار الشيخ صالح العلي إلى الاستسلام بسبب ما ذكر قبلاً (ص٢٣٣).

٤. والأمر نفسه يقال حول ثورة هنانو (ص٢٣٤) ويقابل المؤلف المواقف التي أبدتها المقاومة المسلحة بالمعارضة السياسية التي أبدتها القوى المدنية (ص٢٣٧).

٥. مع أن الثوار فقدوا الكثير من عديدهم، فإن خسائر الجيش الفرنسي لم تكن طفيفة على ما يظهر من الجدول الوارد في الصفحة ٢٩٠، فليُرجع إليه.

(٣)

الأحداث وما يتبعها من تفسير وتوضيح جميعها موثقة توثيقاً جيداً ودقيقاً، بحيث لا يمكن الحصول على إشارة أوضح.

وإلى ذلك هناك ثبت بالمراجع والمصادر، وهذه الأخيرة هي وثائق فرنسية في أكثرها (ص٢٤١-٢٤٤).

وثمة ملاحق تشغل الصفحات ٢٤٧-٢٩١، وهي صور لوثائق رسمية استعملت في النص. ولا يجوز أن تفوتني الإشارة إلى الخرائط المتعددة التي رسمت للبلاد والمعارك.

وبعد فإنني إذ أهنئ المؤلف على عمله، أود أن أشير هنا إلى أنني سعدت أن قرأت هذا العمل فاتضح لي تاريخ فترة هامة من تاريخنا، وسعدت أيضاً لأن هذا الكتاب سينفع القراء فيصيبهم ما أصابني من الفائدة، وعندئذ ينضمون إلي في الإفادة من هذا الكتاب.

المقدمة

لم تسفر الحرب العالمية الأولى وخروج العثمانيين من الأراضي العربية عن تحقيق تطلعات الحركة العربية في الاستقلال والوحدة. فقد وثق العرب بوعود الحلفاء، بريطانيا بالذات، التي خذلتهم تنفيذاً لاتفاقها مع فرنسا على تقسيم البلاد المنفصلة عن الدولة العثمانية السابقة.

وفشل مؤتمر السلم في تحقيق الآمال القومية العربية التي دخل العرب من أجلها الحرب. بل عمد إلى توزيع الانتداب (الصيغة المقنّعة للاستعمار) على الشعوب الصغيرة (بمن فيهم العرب) مخالفاً بذلك مبدأ حق تقرير المصير.

ولم تقف خيبة أمل العرب السوريين العاملين في سبيل الاستقلال والوحدة عند حد احتلال الأجنبي لبلادهم واقتسامها بين الانتدابين الفرنسي والبريطاني بل ازدادت بإيجاد كيانات سياسية مصطنعة ضربت الحد الأدنى من الوحدة الذي التقى عنده القوميون العرب، والمقتصر على وحدة سورية بمناطقها الثلاث الشرقية والغربية والجنوبية.

وقد وضع الفرنسيون، منذ أن وطئت أقدامهم الساحل السوري إثر انتهاء الحرب، تقسيمات وتشكيلات توافقت مع مخططات الحلفاء خلال الحرب (على قاعدة فرّق تسد)، وحوّلتها فيما بعد (في أعقاب ميسلون) إلى دويلات صغيرة وضعيفة غير قادرة على البقاء. وواجهت فرنسا منذ مطلع احتلالها لسورية معضلة رئيسية: هي هذا التعارض بين مفهوم فرنسا في الانتداب بحجة أن لديها (عملاً عظيما) له قيمته لابد من انجازه، وحقاً تاريخياً لا يجب أن ينازع عليه، وبين المفهوم العربي القومي في الاستقلال والوحدة. ولم تتوقف أساليب المعارضة الوطنية على اتباع الطرق السياسية والمظاهرات ورفع مذكرات احتجاج إلى الهيئات الدولية، بل تحولت في العديد من المناطق

الريفية إلى حركات شعبية ثورية، وكانت المقاومة المسلحة للاحتلال التي ابدتها تلك المناطق، رغم افتقارها إلى المال والعتاد والسلاح، ضد المحتلين هي الطريقة الوحيدة والأمثل للدفاع عن الوطن.

كان من أهم تلك الثورات، وفي الفترة من ١٩١٨ ــ ١٩٢١، وهي مدار هذا البحث اثنتان : اشتعلت الأولى في المنطقة الساحلية كلها يقودها الشيخ صالح العلي بإيمان راسخ واخلاص متفان، وتولى قيادة الثانية ابراهيم هنانو، فألهبت المنطقة الشمالية والشمالية الغربية في سورية وأفهمت هاتان الثورتان المحتلين، بلغة السلاح التي لا يحسنون غيرها، أن الشعب مصمم على المقاومة، وأنه إذا لم يستطع الثوار اجلاءهم فسيكتفون على الأقل بإثارة متاعب جدية، تجعل مهمة فرنسا في بسط السيطرة، بوصفها الشرط الأول لتوطيد الانتداب، مهمة شائكة لم يكن من السهل تجاوزها.

ولم تنته الأعمال الثورية دفعة واحدة في جميع الأماكن وكانت الكتائب التي تحتفظ بمقادير أكثر من الذخيرة والعتاد تقاتل بضراوة يائسة إلى النهاية. فقد آلى الثوار على أنفسهم ألا يتركوا الساحة وفي أيديهم سلاح وذخيرة، فاضطُروا للتوقف مستسلمين. ولم تكن الجولة التي خسر فيها الثوار المعركة نتيجة ضعف بل نتيجة للتفاوت الهائل بين الثوار والفرنسيين المحتلين في السلاح والعتاد والامداد، إلا أنها أوقعت قبل تفككها، خسائر جسيمة في صفوف القوات العسكرية الفرنسية (بلغت أكثر من ٦٠٠٠ بين ضابط وصف ضابط ومجند وميلشيات على الأقل خلال ثمانية أشهر من خريف ١٩١٩ إلى مطلع صيف ١٩٢٠).

لقد عززت الثورتان مظاهر الوحدة والتكامل، وغلّبتها على مظاهر التفكك فناهضت خطط المستعمرين، وكانت تجربة رائدة ضد المحتل الفرنسي ومدرسةً لنضال لم يتوقف. صحيح أن الاستعمار الفرنسي بدا وكأنه انتصر في سورية ولبنان، كما انتصر الاستعمار البريطاني في فلسطين والعراق، وحُوّل الشعب عن جهوده من أجل العمل المثمر إلى مقاومة الانتداب، إلا أن السنوات التي تلت قد أثبتت أن فرنسا قد أخطأت في تقديرها لقوة العامل القومي العربي، الذي رغم ضعفه واخطائه سيتحدى القوة الفرنسية خلال عهد الانتداب كله، وهذا ما خلق هوةً شاسعة بين فرنسا والسوريين لم تستطع سنواتُ الانتداب المليئةُ بالمصاعبِ أن تردمها. وإذا كان النضال المسلح قد توقف، في أواخر العشرينيات فإن النضال السياسي حَلَّ محله ولم يكن أقلَّ ضراوة منه، إلى أن انتهى الأمرُ بتحقيق الاستقلال. إن ضراوة النضال المسلح والسياسي لم يتح لفرنسا إمكان استغلال سورية على النحو الذي فعلته في مناطق سيطرتها الأخرى.

إن هدف هذا البحث هو القيام بدراسة تفصيلية لثورتي الساحل والشمال والشمال الغربي في سورية، وهي دراسة تتبع مجراهما العسكري وموقف القوات الفرنسية منهما، مع إلقاء الضوء على الجانب التحليلي لطبيعة الثورتين ودوافعهما ومقوماتهما وأساليبهما وطرق الدعم لهما. وتشير الدراسة إلى أن تطورات الثورتين جعلت من المتعذّر فصلَ وقائعهما ومعالجتهما كلاً على حدة وكأنهما حدثان منفصلان. لذا سعت هذه الدراسة إلى دمج مسار الثورتين معاً تأكيداً لما تميزتا به من التكامل والتعاون. يضاف إلى ذلك أن المستعمر الفرنسي كان يعتبرهما عملاً موحداً يقاوم الوجود الفرنسي، وكانت الخطط التي ترسم، في باريس أو على الأرض، لا تفرق بينهما إلا في تفاصيل المواجهة الناجمة عن بعض الاختلاف في طبيعة الأرض وطرق الامداد وحجم القوات.

ومن الجدير بالذكر أن ثورتي الشيخ صالح العلي وابراهيم هنانو كانتا موضوعاً دسماً لعدة مؤلفات تناولت مجرياتهما (كلّ على حدة) بالتفصيل. وكانت مصادر تلك المؤلفات في الغالب أخباراً وأحاديث تناقلها المعاصرون أو سجلت في أوراقهم، ولم تعتمد على الوثائق الفرنسية. وعمدت الدراسة الحالية إلى استقاء المعلومات من تلك المراجع المعروفة (ثمة قائمة بها في ثبت المراجع). هذا بالإضافة إلى اعتمادها على مذكّرات غير منشورة لشخصيتين شاركتا عملياً في ثورة هنانو هما (الشغوري والسعدون)، كما عملت على اجراء مقابلات شخصية مع أقرباء الثوار على جبهة الجبال الساحلية. ولابد من التنويه إلى أهمية مقالين وضعهما الدكتور عبد الكريم رافق كان لهما عون خاص لإنجاز هذه الدراسة، والمقالان يعتمدان بشكل رئيسي على وثائق فرنسية وأمريكية وبريطانية، وهما:

١- "الاقتصاد والمجتمع والسلطة السياسية في سورية ١٩١٨ ـــ ١٩٢٥"، وهو بحث بالانجليزية ألقي في الندوة الدولية حول "الشرق الأوسط في فترة ما بين الحربين ـــ تفاعل التطور السياسي والاقتصادي والثقافي" التي نظمها معهد التاريخ الأوروبي في باد هومبورغ بألمانيا في آب ١٩٨٤ (وترجم البحث ونشر بالألمانية).

٢- "من تاريخ سورية الحديث: العلاقات السورية ـــ التركية ١٩١٨ ـــ ١٩٢٦"، مجلة دراسات تاريخية، العددان التاسع عشر والعشرون، نيسان ـــ تموز ١٩٨٥، ص٥٦ـــ١٠٥.

وقد تزودت الدراسة الحالية بشكل رئيسي بعدد كبير من الوثائق الفرنسية غير المنشورة، وهذه الوثائق مستمدة من ثلاثة سبل:

آ ــ دراسة وضعها جنرال فرنسي Général (GR) du Hays لصالح وزارة الدفاع بعنوان:

Les Armées Françaises au Levant (1919 – 1939), L'Occupation Française en Syrie et Cilicie sous le Commandement Britanique (November 1918 – November 1919), Tom 1. Le Temps des Combats (1920 – 1921), Tom 2. Ministere de la Défense, Etat-Major de l'Armée de Terre, Service Historique, Château de Vincennes, 1978-1979.

وتضم هذه الدراسة بمجموعها خمسةَ أجزاء كل جزء يعالج فترة من وجود الجيوش الفرنسية في الشــرق بين عامي ١٩١٩ ــ ١٩٣٩. واعتمدت الدراسة المذكورة على محفوظات الأرشيف التاريخي لجــيش البر l'Armée de Terre وهذه المحفوظات تشمل أوامر وتقارير وبيانات واستخبارات بالإضافة إلى محفــوظات وزارة الخارجــية الفرنسية، نظراً لعدم إمكان إغفال الأحداث والقرارات ذات الصفة السياســية بســبب نــتائجها على الوضع العام في المشرق وبالتالي على وضع الجيوش، وقد استفادت الدراســة الحالية إلى حد كبير من الجزأين الأول والثاني من هذه الدراسة التي وضعها الجنرال du Hays واللــذين يعالجــان العمليات العسكرية على المسرح الشرقي حيث المصالح الفرنسية في الفترة موضوع البحث.

ب ــ الوثائق الفرنسية المتعلقة بفترة الدراسة والموجودة في محفوظات التاريخ لجيش البر بعنوان:

Service Historique de l'Armée de Terre, Archives Chateau de Vincennes

ج ــ مجمــوعة متفــرقة من وثائق وزارة الخارجية الفرنسية الخاصة بسورية ولبنان خلال الأعوام ١٩١٨ــ١٩٢٩ والمحفوظة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق وهي بعنوان:

Documents Français des Affaires Etrangères concernat le Levant: Syrie –Liban durant les anées 1918-1929.

واعــتمدت الدراســة الحالية على عدد محدود من الوثائق البريطانية والوثائق الأمريكية خاصة تلك التي اعتمدتها بعض المراجع التي استخدمتها في الدراسة الحالية.

قســمت الدراسة الحالية إلى أربعة فصول مع مقدمة وخاتمة: قدم الفصل الأول مدخلاً تاريخياً، تناول ملامح من عهد حكومة دمشق العربية، دون الدخول في التفاصيل، مع التركيز بوجه خاص على

مصاعب هذه الحكومة وعلاقاتها "بالمنطقة الغربية" الساحلية التي بدأت فرنسا باحتلالها وانتهى الأمر إلى القضاء على هذه الحكومة.

وتناول الفصل الثاني العمليات الثورية على كلا الجبهتين الساحلية والشمالية والشمالية الغربية منذ تفجرهما لمواجهة تلك العمليات، وقد قسم الفصل إلى عناوين وفقاً للتسلسل الزمني، وكان الفصل الثالث استكمالاً للفصل الثاني، استعرض أحداث الثورتين منذ ميسلون حتى اضمحلالهما، واتبع الفصل الأسلوب السابق نفسه. وجاء الفصل الرابع حصيلة تحليلية للوقائع التفصيلية التاريخية وذلك باستعراض القضـايا العامـة المشتركة التي تخص الثورتين: الدوافع والتمويل والتنظيم وأساليب الثوار والفرنسيين ومصادر الدعم من خارج إطار المنطقتين (حكومة دمشق والدعم التركي وملابساته). وانتهت الدراسة بخاتمـة أو على الأصح برؤية تقويمية، تتبعت نهاية قائدي الثورتين مع محاولة لوضع الثورتين في إطارهما الموضوعي وتتبع أسباب تراجعهما وما أسهمتا به في حركة النضال الثوري القومي العربي.

ألحقت الدراسة بمجموعة وثائقية انتقيت من المجموعة الكاملة للوثائق التي استخدمت في الرسالة والتي تشكل إضافاتٍ ضروريةً لدراسة توثيقية عن مرحلة متميزة من نضال سورية.

وتأمـل هذه الدراسة أن تكون اسهاماً متواضعاً في مجال البحث التاريخي المتقصي الذي يسعى إلى الكشف عن جوانب من تاريخنا العربي الحديث.

وأخـيراً، لا يسـعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني على مواصلة هذا البحث، وأخص بالشكر أساتذة قسم التاريخ الكرام الذين زودوني بالآراء والملاحظات العلمية القيّمة وقدموا لي المـراجع المختصـة. كما أسجل شكري العميق للعاملين في المكتبات العامة ودور الأرشيف، وأخص مكتـبة الأسـد الوطنـية، ودار الوثائق التاريخية بدمشق، ومكتبة جامعة دمشق، ودار أرشيف وزارتي الخارجـية والدفاع الفرنسيتين ومكتب المحفوظات البريطاني، لما قدّموه لي من مساعدات قيمة بتزويدي بوثائق أغنت موضوع بحثي وأظهرته إلى الوجود.

آصف شوكت

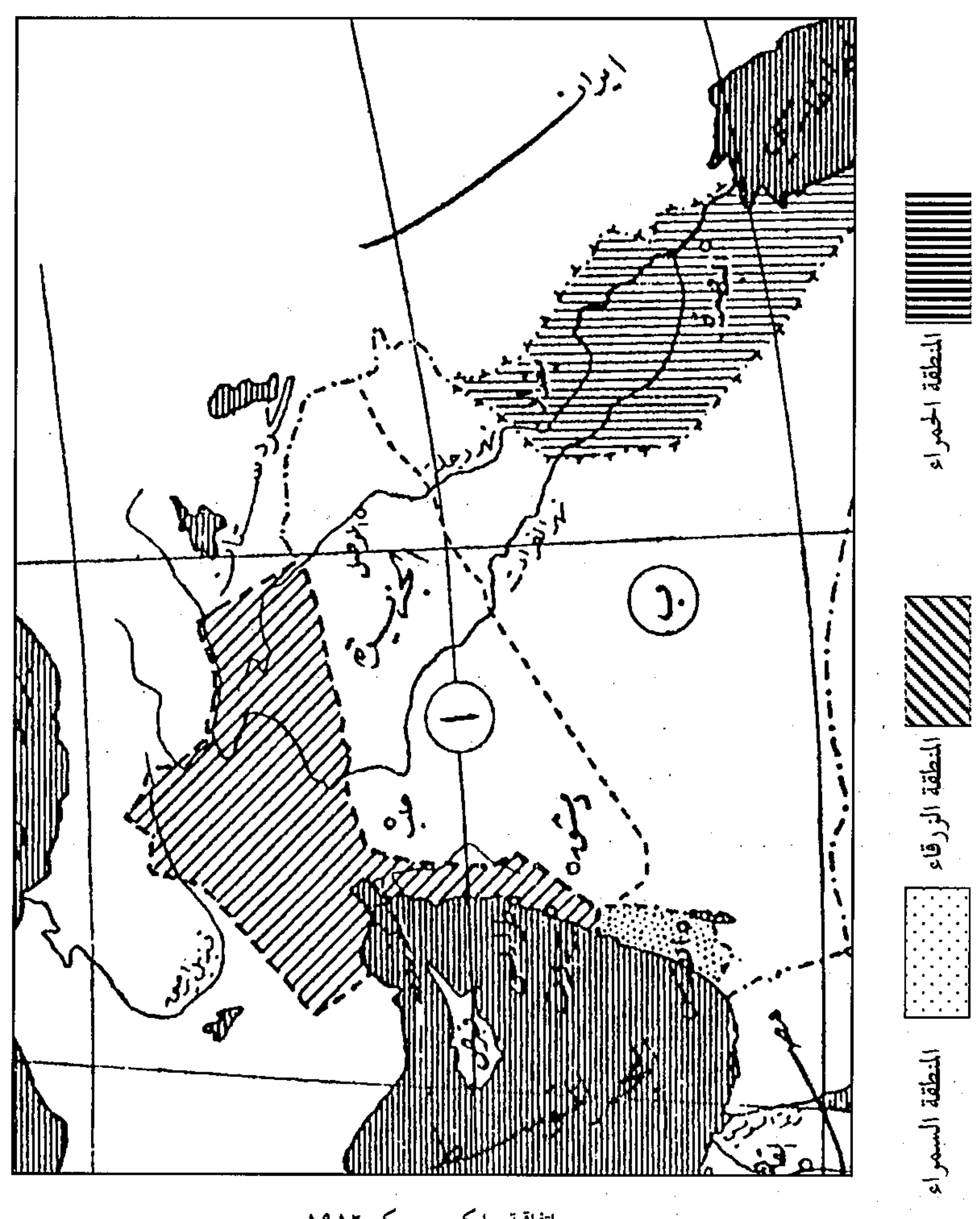


الفصل الأول

دخلت قوات الثورة العربية[1] دمشق، في ٣٠ أيلول ١٩١٨، وأقامت حكومة عربية، في قلب عاصمة العرب التاريخية حررت العرب من السيطرة العثمانية.

ومــع أن جزءاً كبيراً من حوادث الثورة العربية جرى وراء الحدود السورية[2] إلا أن السوريين قــد لعبوا دوراً كبيراً في أحداث الثورة، ضباطاً وجنوداً وموظفين ومثقفين وأعياناً[3]. وشاركت القبائل في باديــة الشــام بالــثورة، كمــا قام سوريو المهجر في مصر والأمريكتين بنشاط كبير للدعاية لها في الصــحافة، وقدموا لها المساعدات المالية ورغم معارضة عدد من السوريين لزعامة الشريف حسين، إما بدافــع الــولاء للدولــة العثمانية[4]، أو حرصاً على مصالحهم الشخصية التي هددها الثورة العربية، أو اعتــراض قلة على فكرة الدولة الواحدة التي دعت لها الثورة العربية[5]، إلا أن الرأي الغالب في سورية كــان مــع الثورة، واعتبر السوريون رفع الثورة شعاري الوحدة والاستقلال لكونهما الرابطة التي تجمع العرب بغض النظر عن الفروق الاجتماعية والدينية، تعبيراً عن إحساس العرب بشخصيتهم المتميزة.

وكانــت سياسة التتريك، وتزايد الوعي القومي العربي، وقيام الحرب العالمية الأولى، قد خلقت الظــروف الملائمــة لقيام الثورة العربية، ووجدت بريطانيا في القطيعة بين العرب والأتراك، واستعداد العــرب للثورة، فرصة ثمينة لكسب العرب إلى جانبها. ووجد القوميون العرب في الشريف حسين، وفي موقــع بــلاده ومكانته المؤهلات الكافية ليوكلوا إليه قيادة الثورة (كما كانت له أسبابه الخاصة أيضاً للقيام بالثورة)، بشروط حدّدوها له بشكل واضح، وخوّلوه التفاوض مع بريطانيا على أساسها. وهكذا جُــرّ العرب إلى الدخول في حرب إلى جانب الحلفاء، بعد أن تلقوا وعوداً غامضة من بريطانية تضمن حقوقهم بعد الحرب، دون أن ينظموا علاقتهم معها بمعاهدة رسمية تتقيد بالشروط التي رسمها القوميون العــرب[6]. ولم تمــنع هذه الوعود بريطانيا من الاتفاق مع حليفتها فرنسا لاقتسام بلاد الشام والعراق (اتفاقية سايكس ــ بيكو) ولا من تبني المشروع الصهيوني (تصريح بلفور).



اتفاقية سايكس ـــ بيكو ١٩١٦

وتبددت، إلى حين، الشكوك والمخاوف التي أثارتها في نفوس العرب، معاهدة سايكس ـــ بيكو وتصـــريح بلفـــور وذلك بعد صدور تصريحات جديدة كانت ترافق زحف القوات العربية والحليفة في ســـورية، وهي تؤكد احترام الحكومة البريطانية وعودها نصاً وروحاً بعد الحرب(٧). وكانت النقطة التي أنعشت آمال العرب وقوّت ثقتهم بالمستقبل، هي المادة الثانية من مبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون، التي

أعلنت أن الشعوب تملك حرية تقرير مصيرها، وأنه لن يفرض على أي شعب من الشعوب نوع من الحكم إلا برضاه واختياره[٨].

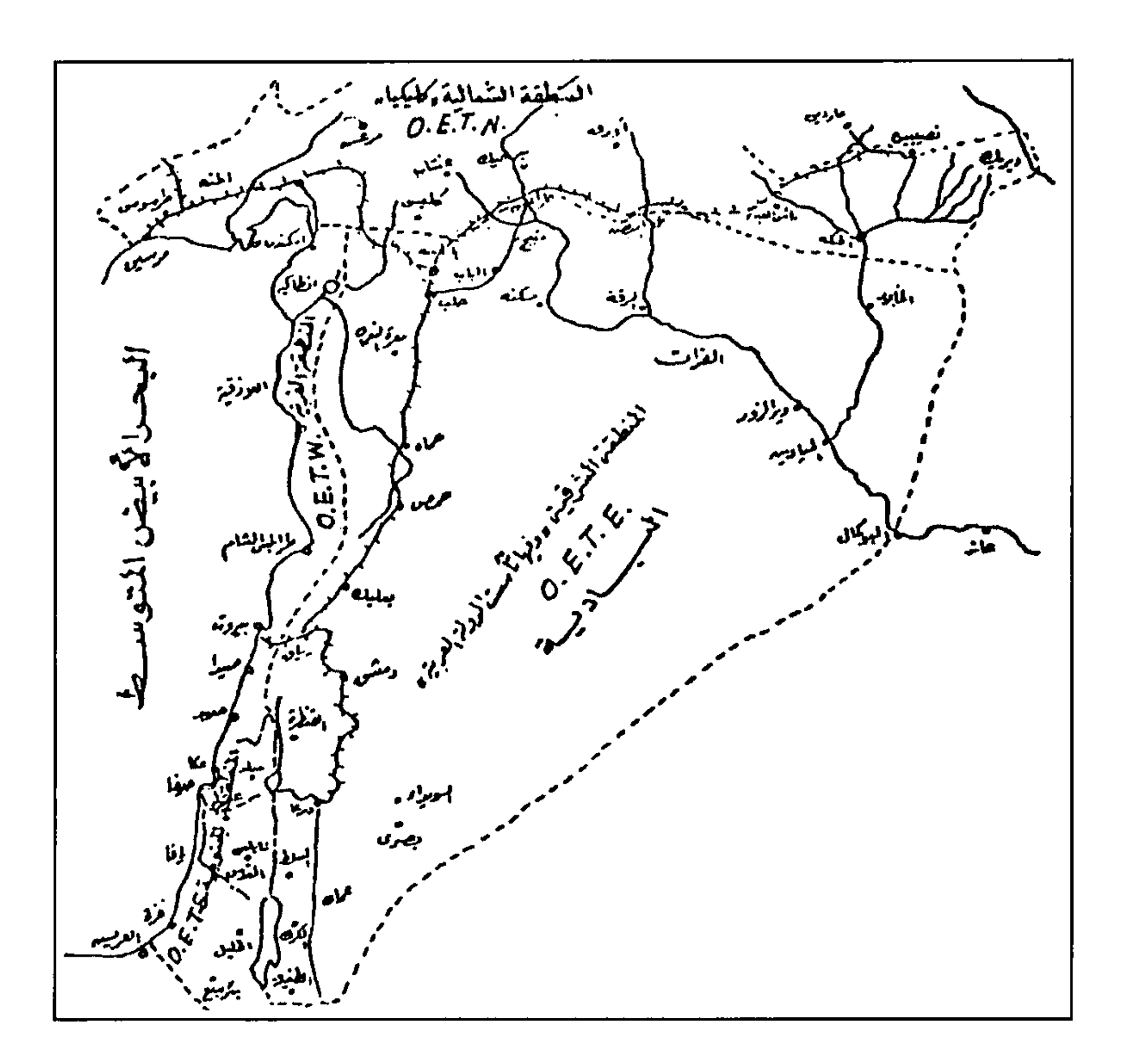
وكان قيام الحكومة العربية في دمشق بعد نهاية الحرب حدثاً عظيماً، في الجزء الآسيوي من الوطن العربي، منذ أن دخلت جيوش سليم الأول هذه البلاد في مطلع القرن السادس عشر[٩]. ورغم نقص الإمكانات والخبرة فقد جاهد القائمون على الحكم لإثبات جدارتهم بإنشاء حكومة عربية مستقلة، لها صفة الدولة الحديثة، وتجسد اليقظة القومية العربية، ولكن هذه الحكومة جابهت مصاعب شتى أحبطت مساعيها الخيرة[١٠].

أ ـ الصعوبات التي واجهت حكومة دمشق العربية:

١ـ عدم تحديد الرقعة الجغرافية للحكومة وغموض صلاحياتها:

منذ مطلع تشرين الأول ١٩١٨، أعلنت حكومة عسكرية في دمشق تستمد سلطتها من الشريف حسين، وكانت بأمرة الأمير فيصل القائد العام للقوات العربية[١١]. وفي ٣ تشرين الأول ١٩١٨ قام الجنرال اللنبي (القائد العام لقوات الحلفاء) بعد قدومه إلى دمشق، بتثبيت الإجراءات لإدارة المناطق المحررة من الحكم العثماني. أو ما عرف بـ (أراضي العدو المحتلة) (Occupied Enemy Territories) واقتضت هذه الإجراءات أن يتولى القائد العام للقوات الحليفة المسؤولية الكاملة إلى أن يتم عقد التسوية النهائية في مؤتمر الصلح في باريس.

ووفقاً لهذه الإجراءات قسمت سورية إلى ثلاث مناطق: إدارة عسكرية عربية في المنطقة الشرقية التي تمتد من العقبة حتى دمشق[١٢] ويعمل الحكام العسكريون والموظفون المدنيون من العرب تحت إدارة فيصل، وهو المسؤول أمام اللنبي عن طريق ضابط ارتباط بريطاني في دمشق، يعين إلى جانبه ضابط ارتباط فرنسي للمشورة[١٣]. أما المنطقة غرب الأردن (فلسطين) فتوضع تحت الإدارة العسكرية البريطانية المباشرة. كما يعهد إلى الفرنسيين بإدارة المنطقة الغربية (جنوب صور إلى ما وراء إنطاكية واسكندرون بما فيها لبنان ولواء طرابلس واللاذقية وجبال اللاذقية)[١٤] ويتم ذلك تحت قيادة اللنبي. ولما احتج فيصل على هذه الإجراءات، أكد اللنبي أنها مؤقتة إلى أن تتم التسوية النهائية، وأن الحلفاء ملزمون بالوصول إلى تسوية تطابق رغبات الشعوب التي يعنيها الأمر[١٥].



توزيع المناطق الإدارية العسكرية في سورية ١٩١٨

وثـــبّت اللـــنبي هذه الإجراءات في تقريره الذي رفعه إلى وزارة الحربية في ٣ تشرين الأول ١٩١٨، حـــول تنظيم الإدارة العسكرية في أراضي العدو المحتلة في سورية بتقسيمها إلى ثلاث مناطق إدارية تحت إشرافه: الجنوبـــية (O.E.T.S) تحت الإدارة البريطانية، الشرقية (O.E.T.E) وتتبع الإدارة العربية، والغربية (O.E.T.W) وهي تحت الإدارة الفرنسية. وتتوافق هذه التقسيمات إلى حد بعيد مع بنود اتفاق سايكس ـــ بيكو.

وكانت الحكومة البريطانية تعتقد، حسب زعمها، أن هذا التقسيم قد أرضى المطالب الفرنسية، وحقق في الوقت نفسه التزاماتها للعرب، وستؤكد ذلك في مباحثات مؤتمر السلم[١٦].



مظاهرات حلب تأييداً لحكومة دمشق العربية، ٢٦ تشرين الأول/اكتوبر ١٩١٨

واجه الفرنسيون منذ بداية إدارتهم للمنطقة الغربية، وخاصة المناطق الواقعة وراء الشريط الساحلي في جبال اللاذقية ولبنان الجنوبي، مصاعب بالغة. كما اتهم الفرنسيون حلفاءهم البريطانيين أنهم يؤيدون نشاط الحكومة العربية المعادية لفرنسا، وكانوا يعتقدون أن البريطانيين يزاحمونهم على حقهم في سورية. وظن العرب، أن البريطانيين بسكوتهم أحياناً عن نشاطهم ضد السلطات الفرنسية في المنطقة الغربية، إنما يعطفون على قضيتهم(١٧).

كان وضع الجيش والحكومة في المنطقة الشرقية في ظل الإدارة العربية، من أغرب الأوضاع: فالجيش من الوجهة القانونية ما يزال جزءاً من جيوش الحلفاء، تابعاً لقيادة اللنبي الذي يمكنه أن يفرض سلطة عليا على الفرنسيين والعرب معاً(١٨). ويعتبر فيصل، بصفته قائداً لقوة حليفة، مسؤولاً في الأمور العسكرية تجاه اللنبي. وما تزال الحكومة العربية من الواجهة القانونية حكومة عسكرية، تدير البلاد وفقاً للقواعد المقررة لإدارة أراضي العدو المحتلة، وترجع في شؤونها العليا السياسية والمالية وغيرها إلى مقر القيادة العامة(١٩). فكان غريباً أن يعتبر الجيش العربي من الجيوش المحتلة، وأن تعتبر سورية من بلاد



في حلب، قوات فيصل أمام فندق بارون، ٧ تشرين الأول ١٩١٨

العدو المحتلة بالنسبة لحكومة وطنية[٢٠]. ويبدو التناقض في تعيين رضا الركابي[٢١]، فقد قام قائد القوات الحليفة اللنبي بتعيينه حاكماً عسكرياً، في حين أعلن فيصل باسم والده إلى الشعب السوري في ٥ تشرين الأول ١٩١٨ (قيام حكومة دستورية عربية مستقلة باسم الحسين شاملة جميع البلاد السورية)[٢٢]. ويبدو أن الحسين لم يكن إلا مظهـــراً غامضاً من مظاهر السيادة على هذه الحكومة، رغم أن السلطات الفرنسية كانت تصر دوماً على إطلاق اسم (الإدارة الشريفية) على الإدارة العربية.

ولكن الإدارة العربية في المنطقة الشرقية كانت تتجاهل تبعيتها للقائد العام، وتهدف إلى إرساء قواعد حكــومة قومية في منطقة عربية حدودها سورية بأكملها (بلاد الشام) رغم كل مخططات الساسة في أوروبا. وسعى فيصل ومستشاروه بذلك إلى إحداث أمر واقع اعتبروه شيئاً طبيعياً ومعقولاً، فموقف فيصل كعربي ليس كموقف باقي قادة الحلفاء. وفي حين احترم البريطانيون المشاعر العربية للاستقلال (على الأقل علناً) في منطقة الإدارة الشـــرقية إلى أن يصـــدر قـــرار مؤتمر السلم، عمدوا إلى قمع كل محاولة عربية للإشراف على المنطقة الساحلية (الغربية).

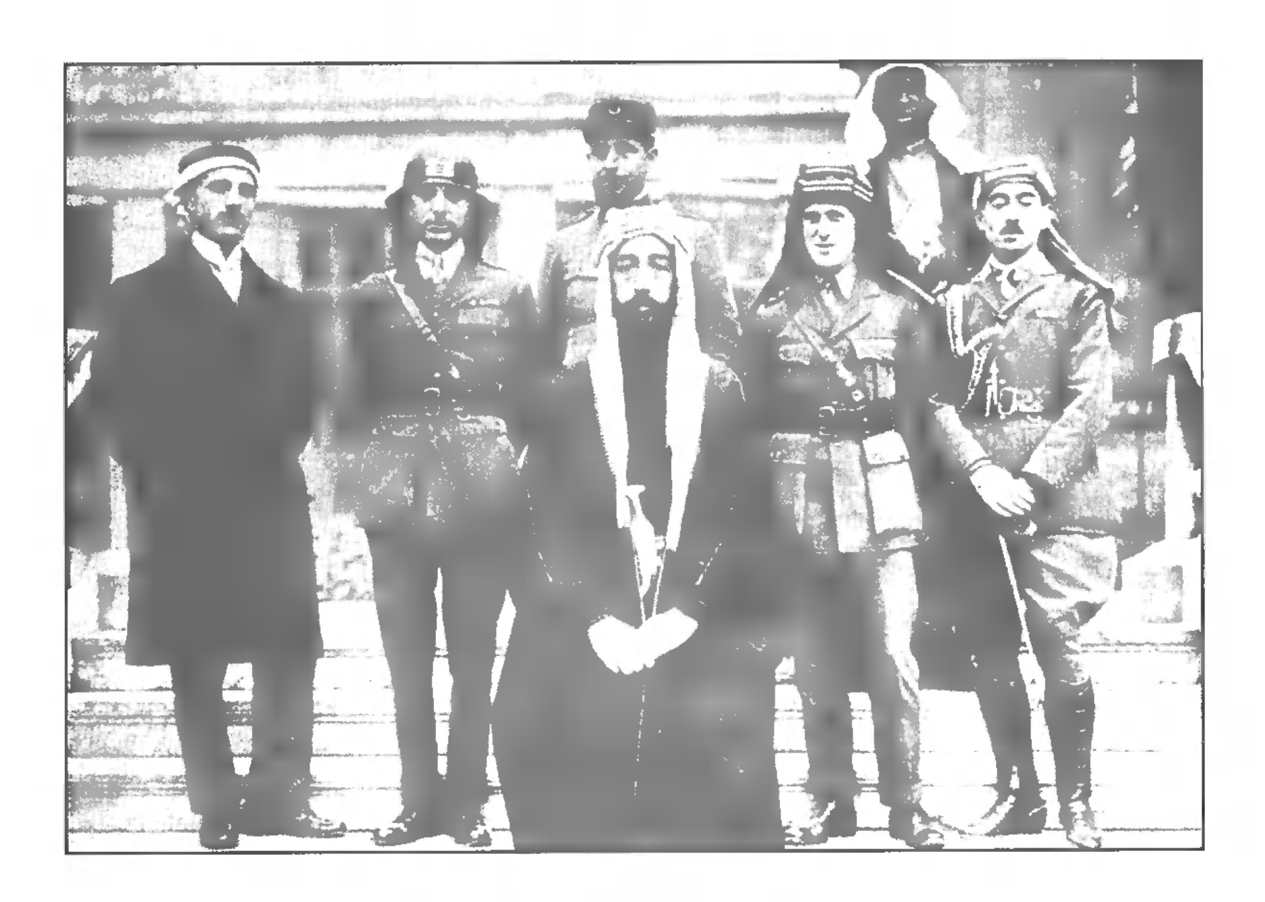
كمـــا أن السلطات العسكرية البريطانية، التي كانت هي المرجع الأعلى في البلاد، كانت تعرقل تشـــكيلات الدولـــة وتحول دون تنظيم الأمور بحرية، كما كانت تشرف أحياناً على الصحافة والبريد وعقد الاجتماعات العامة والسفر(٢٣).

٢ــ الظروف الخارجية:

إن ضـــغط الظـــروف الخارجية التي واجهتها الحكومة العربية، حال دون التفرغ لتوطيد أسس الدولـــة الجديدة، وأصبح جزءاً كبير من التطورات الداخلية صدى للأحداث الدولية التي كانت تجري وقائعهـــا بعيداً عن المسرح العربي في الجلسات السرية والعلنية لمؤتمر السلم. وقد توضحت خلال هذه الجلســـات مساوئ السياسة المتناقضة التي اتبعتها الدولة الحليفة تجاه الشرق العربي في أثناء الحرب، كما امـــتلأت بالمناورات واختلاف وجهات النظر، ولعبت فيها عوامل خفية قررت مصير أجزاء كثيرة من المشرق العربي خلال السنوات المقبلة(٢٤).

وكـــان العرب كسائر الشعوب الضعيفة، يتطلعون إلى قرار مؤتمر السلم من أجل تحقيق المبادئ الســـامية الـــتي عرضها الرئيس الأمريكي ويلسون على العالم خلال الحرب: حول تطبيق العدالة وروح الدبلوماســـية المفتوحة والمساواة بين الأمم ومبدأ رضى المحكومين كقاعدة أساسية لتشكيل أي حكومة وحـــق تقرير المصير كمبدأ إلزامي في المنازعات الإقليمية والدعوة إلى خلق منظمة دولية تمنع الحرب في المستقبل(٢٥). وأربكت سياسة ويلسون الجديدة دول العالم القديم، التي تمت محادثاتها حول التسوية، قبل دخول الولايات المتحدة الحرب، على شكل معاهدات سرية(٢٦). ورغم اختلاف الأوضاع بعد الحرب، إلا أن الإدعاءات التي قدمتها الدول الكبرى إلى مؤتمر السلم كانت إدعاءات المعاهدات السرية نفسها، مع فرق في الشكل وليس في المحتوى. وأثبتت مبادئ ويلسون أنها أحسن وسيلة للدعاية في أثناء الحرب، إلا أنها عديمة الجدوى لإرساء قواعد السلم(٢٧).

وعـــانى العرب أسوأ معاناة من المخطط الجديد للسياسة الدولية في فترة ما بعد الحرب: فكانت القضايا المتعلقة بمصير الدولة العثمانية أهم المشاكل المعقدة أمام المؤتمر. ونظراً لأن للدول الكبرى مصالح في أجزاء مختلفة منها فقد اختلفت آراؤها حول مصير تلك الدولة النهائي. ومن الطبيعي أن يتأخر تقرير مصـــير البلاد العربية التي كانت تعد جزءاً من الدولة العثمانية. وكان الهلال الخصيب (سورية والعراق)



الوفد العربي ـــ برئاسة الأمير فيصل ـــ إلى مؤتمر باريس ١٩١٩

أو على الأصح سورية، موضوع مشاحنات مؤتمر باريس، ومثّلث قمة المساومات والمتناقضات، بينما ظلت الجزيرة العربية، باستثناء بعض المصالح المحدودة، خارج نطاق المؤتمر[٢٨].

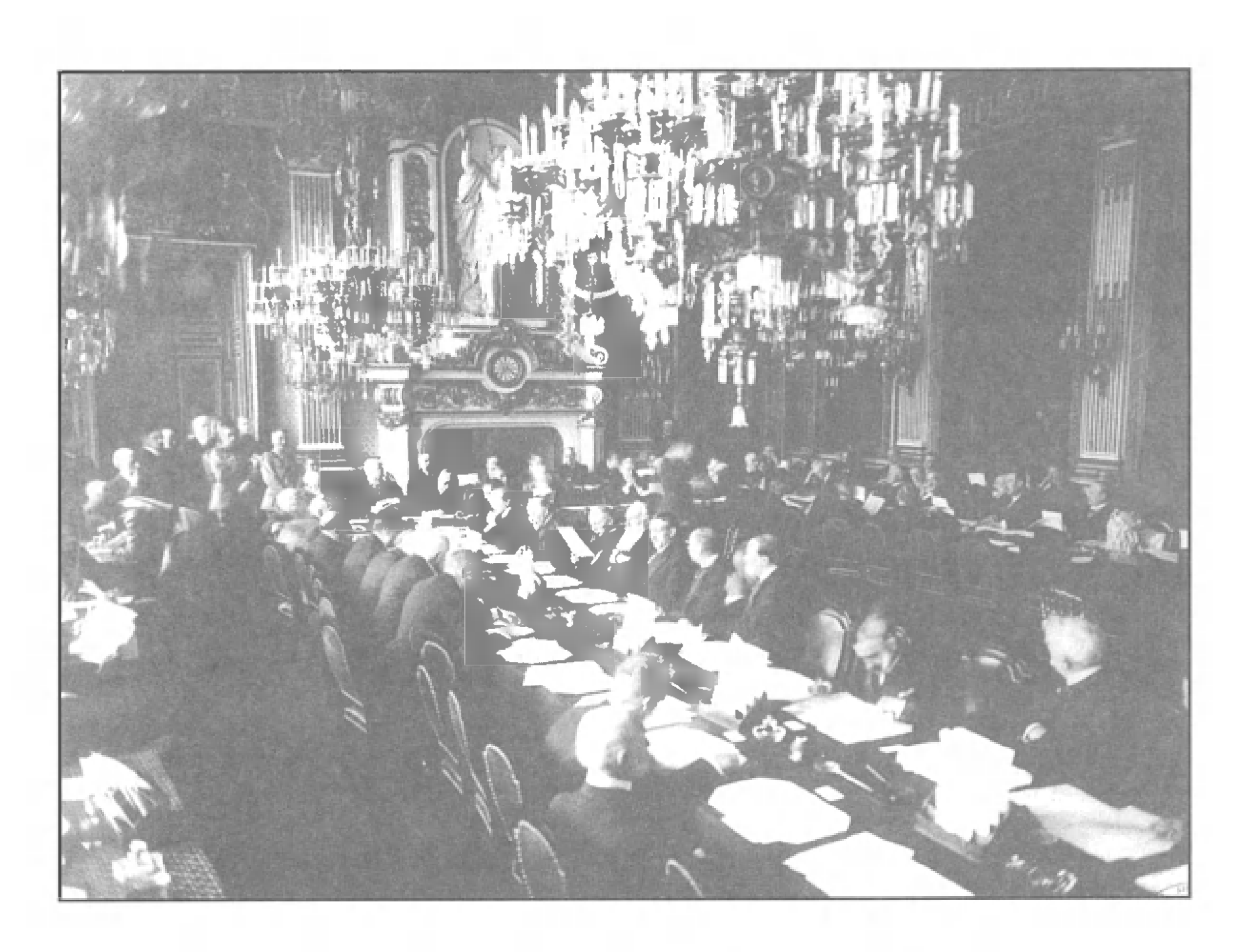
وكان الوفد العربي، المرافق لفيصل، هو الوفد الوحيد الذي يمثل القضية العربية في مؤتمر السلم، واعُتبر فيصل من قبل المؤتمر ممثلاً لمملكة الحجاز وليس للبلاد العربية. وأصر الحسين على أن يكون فيصل ممثلاً للحكومة العربية، التي تعني الحجاز والحكومة التي أقيمت باسمه في دمشق، وأي حكومة محتملة ستقام في العراق، وكان الأمل يحدو فيصلاً أن يخرج من المؤتمر ممثلاً لملك العرب[٢٩]. وكانت تعليمات الحسين إلى فيصل تنص على التمسك بالعهود البريطانية حسب تفسير الحسين لها، والمطالبة بالاستقلال لجميع البلاد العربية في المشرق، مع التحفظات التي قبلها مكماهون (ولم يزود فيصل بهذه العهود باعتبار أن نصوصها في وزارة الخارجية البريطانية)[٣٠]. وأثار عرض المطالب العربية أمام مؤتمر السلم في مذكرتي فيصل ١٩١٩/١/١ وفي ١٩١٩/١/٢٩ وفي خطابه في ١٩١٩/٢/٦)[٣١] عدة عوامل متناقضة: العرب يتمسكون بحقهم الطبيعي بالاستقلال والوحدة ويحتجون على المعاهدات السرية

وتصـــريح بلفور، يحركهم الدافع القومي الذي توضح قبل الحرب ودُعّم بانتصار القوات العربية ووعود الحلفــاء أثــناء الحـــرب. وفرنسا تتمسك بنصوص اتفاقية سايكس بيكو، مع تغيير في التوزيع دون أن تتخلـــى عن مبدأ الاتفاقية(٣٢). وكان مطلبها الفعلي الذي أعلنته مراراً منذ بداية الهدنة هو إطلاق يدها في ســـورية، على الأقل في النصف الشمالي منها، دون الارتباط بالوعود التي أعطتها حليفتها للحسين، مع التمسك بما يسمى (حقوق) فرنسا التقليدية ومصالحها في الشرق القائمة على أساس امتيازات دينية وأعمال ثقافية واقتصادية(٣٣).

ووقفـــت بـــريطانية أمـــام تعهـــداتها المتناقضة، وكان همّها قبل كل شيء المصلحة البريطانية، واعتـــبرت مؤتمر السلم تبريراً لتأخير بحث القضية العربية والتنصل من المسؤولية(٣٤). وخاصة أنه لم يكن لهـــا مصـــالح سياسية مباشرة مع سورية باستثناء فلسطين. ووجدت بريطانيا أن دعوة العرب إلى مؤتمر الســـلم يقّـــوي مـــوقفها أمـــام فرنسا من جهة، ويخفّف من شعور العرب بمسؤوليتها عن عدم وفائها بالتزاماتها(٣٥). ولو أجبرتها الظروف أن تختار بين فرنسا والعرب لاختارت الأولى. كما أن مصلحتها قد اتفقت مع الحركة الصهيونية، التي وقفت كطرف آخر يعارض تحقيق المطالب العربية في مؤتمر السلم(٣٦). ومع ذلك فقد اعتبر العرب الحكومة البريطانية صديقتهم الوحيدة في تلك الفترة ومنها يستمدون النصح والمشورة(٣٧).

وقد انقضت شهور من المداولات منذ افتتاح مؤتمر السلم في مطلع كانون الثاني ١٩١٩، دون أن يتوصـــل الحلفـــاء إلى حل لمشكلات مصير الدولة العثمانية، بما فيها البلاد العربية. هذا رغم وجود اتفاق عام داخل أوساط المؤتمر بأن الدولة العثمانية يجب أن تجزّأ وفقاً لبنود الاتفاقات السرية، مع تغيير ظاهري، وخاصة بعد إقرار مبدأ الانتداب الذي هو صيغة مهذبة اخترعت تطبيقاً لمبدأ حق تقرير المصير في ميثاق عصبة الأمم(٣٨).

وبـــناءً علـــى اقتراح ويلسون، اتخذ مؤتمر السلم قراراً في ٢٥ آذار ١٩١٩ بإرسال لجنة تحقيق دولية (اقتصرت فيما بعد على الأعضاء الأمريكيين فقط برئاسة كنغ وكراين)(٣٩) لمعرفة رغبات السكان في منطقة (الشرق الأدنى)، وتكوين رأي حول تقسيم المنطقة وتوزيع الانتدابات فيها. ولا يشير اقتراح ويلســـون إلى حـــل واضح نظراً لأن الأوضاع التي اكتسبتها الدول الكبرى أصبح من الصعب تغييرها. فـــتعطلت اللجنة، قبل أن تباشر مهامها. وقد كشف تقرير اللجنة بدقة معقولة الرغبات الحقيقية، لجميع الفئات في المنطقة. وجرى ذلك بشكل موضوعي ودقيق في منطقة مليئة بالتوتر. وأوصت اللجنة بوحدة



افتتاح مؤتمر السلم في باريس ــ ١٨ كانون الثاني/يناير ١٩١٩

سورية كلها تحت حكم دستوري برئاسة فيصل، على أن يعهد للولايات المتحدة أو بريطانيا بالانتداب (بمعنى المساعدة في الشؤون الاقتصادية والمالية التي لا تتنافى مع الاستقلال المطلق)، كما أكدت اللجنة خطورة الحركة الصهيونية، وأبدت اللجنة اهتماماً كبيراً بقوة في الحركة القومية العربية ورأت أن فرض أي انتداب فرنسي قد يؤدي إلى متاعب ومصاعب كبيرة[٤٠].

لم ينشر تقرير لجنة كنغ-كراين في حينه واختفى في ملفات وزارة الخارجية الأمريكية حتى عام ١٩٢٢، ونشر بعد أن فقد أي تأثير له في تسوية القضايا التي عالجتها اللجنة[٤١]. وبذلك أثبتت هذه المحاولة التي قام بها مؤتمر السلم للتعرف على رغبات السكان عدم جدواها في التأثير على مجرى السياسة. واختفت الولايات المتحدة كعامل هام في تسيير السياسة العالمية، وتركت حرية العمل للحكومتين الفرنسية والبريطانية اللتين وجدتا من الضروري التوصل إلى تفاهم حول تقسيم الأجزاء العربية من الامبراطورية العثمانية السابقة[٤٢].

ومع أن الصلح مع تركيا لم يعقد بعد، ومع أن شرعية فصل المناطق العربية عن الدولة العثمانية، لا يصـــح إلى بعد عقد المعاهدة، ومع أن نظام الانتداب لم يعرض على عصبة الأمم للمصادقة عليه، فقد قـــرر مجلس الحلفاء الأعلى في الاجتماع الثاني لمؤتمر السلم في سان ريمو (ايطاليا) في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ تقســم المـــناطق العربية بشكل نهائي[٤٣] ومكنت قرارات سان ريمو الحكومتين البريطانية والفرنسية أن تـــتجاوزا نصـــوص اتفاقـــية ســـايكس بيكو ١٩١٦، فقد بسطت انتدابها فوق العراق وشرق الأردن وفلســطين. ومـــع أن فرنســـا اعتبرت هذه القرارات أنها أقل من سيطرة كاملة كانت تتوقعها، إلا أنه حسب تفسير فرنسا لالتزامات الانتداب، فقد أطلقت يدها في القسم الشمالي من سورية بأكمله.

٣ـــ عدم الاستقرار الداخلي:

إن أهـــم عامـــل مـــن عوامل عدم الاستقرار الداخلي في الحكومة العربية، هو التأخير في تقرير مصير ســـورية المعروض أمام مؤتمر السلم، فكانت مسائل السياسية الخارجية تشغل اهتمام المسؤولين السوريين على حســـاب بعض القضايا الإدارية الداخلية. ومنذ عودة فيصل الأولى من أوروبا ١٩١٩ كان عليه أن يواجه القلق السياسي المتزايد على مصير البلاد، فسعى إلى التوفيق بين المطالب القومية الملحّة وميله هو إلى الاعتدال.

وتـــولى فيصـــل بنفسه قيادة الحملة السياسية للإعداد للجنة التحقيق الدولية (الأمريكية) حتى تـــواجه تلك اللجنة برغبة عامة في المنطقة التي يديرها. وكان السوريون بالفعل يعلقون أهمية كبرى على إرســـال اللجنة ويرون أنها ستقرر مصير البلاد وتلقى فيصل تفويضاً من وفود أعيان البلاد لإدارة سياسة الـــبلاد الداخلـــية والخارجـــية وذلك في بهو دار الحكومة بدمشق في ٥ أيار ١٩١٩، وقد عاهدهم على الاســـتقلال كمـــا أخذ الموافقة على عقد مجلس منتخب لوضع القوانين في سورية[٤٤]. وقد جرى انتخاب أعضـــاء المؤتمر السوري (اللذين يمثلون المناطق الثلاث التي قسمت إليها بلاد الشام) وذلك في حزيران ١٩١٩ وطالـــب أعضاؤه باستقلال (سورية بكاملها)، ورفضوا مطالب الصهيونية في فلسطين، وأبلغوا قراراتهم هذه إلى لجنة (كنغ ـــ كراين) الأمريكية.

وفي صـــيف ١٩١٩، وبعـــد رحيل اللجنة الأمريكية، كان المؤتمر السوري والأحزاب والجيش والـــبلاد بوجه عام في حالة قلق وعدم استقرار، بسبب التأخر في الوصول إلى تسوية حول تقرير مصير الـــبلاد. ونظّـــم الأهالي المظاهرات تعزيزاً لمطالبهم، التي تؤكد مبادئ الحلفاء والرئيس ويلسون بتطبيق مبادئ الاستقلال. وقرر الشعب التطوع في الجيش وبدأت الحركات الثورية على حدود المنطقة الغربية[٤٥].

ووجـــه اللـــنبي تحذيراً إلى فيصل بسبب تزايد مظاهرات الشوارع وحوادث الحدود[٤٦]. واستمرت حـــركة التجنـــيد والـــتطوع خلال غياب فيصل في أوروبا في خريف ١٩١٩[٤٧]. وتأسست لجان لقيد المتطوعين وإجراء التدريبات العسكرية تولاها ضباط استقالوا من الجيش النظامي. وتكررت المظاهرات الســـلمية وبرقيات الاحتجاج على أي اتفاق يخالف (تصويت الأمة بضرورة المحافظة على وحدة البلاد واستقلالها)[٤٨].

وفي ظـــروف هذه الأزمة، وكمظهر للنشاط الشعبي، ولدت فكرة اللجنة الوطنية العليا لتهيئة المقاومـــة ضـــد الفرنسيين وتنظيم المتطوعين وجمع التبرعات للمجهود الحربي ومساعدة الحكومة بمهمة الـــدفاع. وبـــدأت اللجنة عقد اجتماعات شعبية في أحياء دمشق، تولاها زعماء من الأحزاب الوطنية، ووضعوا ميثاق اللجنة الذي يرفض أي اتفاق يحد من سيادة الأمة ويفقدها الاستقلال. وأسست اللجنة فـــروعاً لهـــا في كل البلاد السورية (مدناً وقرى) وأصبحت موضع ثقة الناس، وكان وجودها مفيداً في الضغط على المترددين في ضرورة الدفاع[٤٩].

ووجـــدت المعارضة الوطنية تعبيراً لها في المؤتمر السوري، بصفته ممثلاً لإرادة الأمة، واتخذ هذا قـــراراً في ٢٤ تشـــرين الـــثاني ١٩١٩ يقضي بالدفاع عن وحدة البلاد (المعرضة للتقسيم والاستقلال المعـــرض للضياع)[٥٠]، وأيدت جميع الصحف والأحزاب والنوادي والجمعيات قرار المؤتمر في الدفاع. وأخـــذت المعارضة تلح باتباع أسلوب أكثر عنفاً وحزماً نحو فرنسا[٥١] وبعد أن اضطرت الحكومة إلى تعلـــيق جلسات المؤتمر السوري[٥٢] استمرت المعارضة ضد الحكومة والمسؤولين خارج المؤتمر، واستمر تشـــكيل لجـــان الدفاع في المدن الرئيسية، والدعوة للمطالبة بنظام التجنيد الإجباري لإيجاد قوة دفاعية كافية لمساعدة الثورة الوطنية على حدود المنطقة الغربية[٥٣]. واضطرت حكومة الركابي في كانون الأول ١٩١٩ إلى الاســـتقالة وفســـحت المجال لحكومة (دفاعية) تميل للعمل ضد فرنسا، وبدا لبعضهم أن ما حدث لم يكن سوى انقلاب مقنّع جرت أحداثه في أثناء غياب فيصل[٥٤].

ووجهـــت الحكـــومة الجديـــدة بياناً إلى الشعب، بأنها ستبذل الجهود لتوطيد الأمن العام، وأدركـــت وجـــوب توســـيع الجيش النظامي وتقويته من أجل تنظيم الدفاع الوطني فأصدرت نظام التجنـــيد الإجباري[٥٥]. وكان إصداره دليلاً على استمرار روح المقاومة للاحتلال الفرنسي، إلا أنه لم يقدّر لهذا القانون النجاح بسبب الحصار الذي فرض على سورية الداخلية من قبل السلطات الفرنسية، فمـــنعت وصول الأسلحة والذخائر، كما امتنعت بريطانيا عن إمداد الجيش بالخبرة والمال[٥٦]. ولم يحل

هذا الوضع دون قيام ثورة مسلحة ضد القوات الفرنسية على حدود المنطقة الغربية. وكانت الثورة تلقى دعـــم المسؤولين في الحكومة العربية دون أن يعلن عن ذلك رسمياً، وكذلك كانت اللجنة الوطنية العليا وجمعية العربية الفتاة تساندان الأعمال الثورية في مناطق الحدود. واشتدت تلك الأعمال منذ أواخر عام ١٩١٩ وظـــل بعضـــها متفجراً إلى ما بعد ميسلون. واستخدم رجال الحركة الوطنية اسلوباً آخر هو التعاون مع الأتراك في الشمال وسيلة لمقاومة العدو المشترك(٥٧).

وبلغـــت المـــواجهة بـــين الأماني الوطنية والمخططات الأجنبية مداها بعد عودة فيصل والوفد المفاوض من أوروبا في مطلع عام ١٩٢٠. وكانت ضرورات الوضع الدولي قد أجبرت المفاوضين على اتخاذ مواقف المهادنة مع فرنسا، في حين كانت المعارضة الداخلية ترفض قبول أي تسوية. واضطر فيصل أن يخفـــي عن الرأي العام نتائج محادثاته مع الحكومة الفرنسية واتفاقه مع كليمانصو وأن يكتفي بإشارة مقتضـــبة لها(٥٨). وكان في نيته العمل على تهيئة أذهان من حوله من الزعماء الذين عهدوا إليه بالحصول على الاستقلال التام كي يقرّوا ما اتفق عليه مع كليمانصو(٥٩). وحاول أن يقنع بعض المقرّبين في الهيئة العامة لجمعية العربية الفتاة بأن مقاومة فرنسا بالقوة متعذرة، وأنه لابد من التذرع بالصبر والواقعية، وأنه (في يـــوم ما وبطريقة ما ستنفذ الوعود التي قدمت للعرب وستحترم حقوقهم الشرعية)(٦٠). وكان ردهم أنـــه خـــير للبلاد أن ترد عدوان فرنسا، وحتى بريطانيا، بالقوة وبقدر المستطاع، من أن تخضع لشروط اتفاق فيصل مع كليمانصو(٦١).

رأى بعضـــهم في وجهـــة نظر فيصل ما يبررها، وخاصة بعد تخلي بريطانيا عن العرب، ورأوا أن الـــتفاهم مـــع فرنسا هو خير وسيلة لضمان الاستقلال، وأن نصوص الاتفاقية مع كليمانصو ليست شديدة علـــى أمـــة ضعيفة(٦٢)، إلا أن السواد الأعظم من الناس في الأوساط الوطنية، رأى في الاتفاقية هزيمة للآمال القومية. ولم يستطع فيصل أن يقنع تلك الأوساط بأن ترتيباته مع كليمانصو كانت أمراً آخر غير التفريط في حـــق الـــبلاد في الوحدة والاستقلال(٦٣). وخرج الموقف من يد فيصل، ونظر الكثيرون إلى سياسته نظرة شك وعدم ثقة، كما أصبح بعض المسؤولين من أعوانه موضع شبهة أمام الرأي العام(٦٤). ولما وجد أنه لا يســـتطيع إقـــناع أعوانه قبول سياسة التسوية التي أعلنها، دون المخاطرة بزعامته وشعبيته، خاصة أن الوفـــود العديـــدة التي كانت تأتيه طالبت بما وعد به، وهو أن الاستقلال يؤخذ ولا يعطى(٦٥)، قرر أن يسير في الخط الموافق لاتجاه المعارضة، رغم إدراكه صعوبة الموقف، فاتفق مع الحكومة على تقوية وسائل الدفاع بالتشديد على نظام التجنيد الاجباري(٦٦)، وزيادة الأعمال الثورية على الحدود الغربية.

ومــع أن فيصلاً كان يفضل أن يعود إلى أوروبا، لعرض المسألة من جديد على بساط البحث، إلا أنــه لم يعــد بإمكانه أن يقنع الرأي العام بالانتظار لفترة أطول حتى يصدر قرار مؤتمر السلم، كما أصــبح مــن الصعب ضبط الشعور القومي المتزايد بعد أن نشطت دعاية قوية ضد الحلفاء، وخاصة مع وصــول أخــبار متضاربة عن مصير البلاد[٦٧]. ووافق فيصل على اقتراح مستشاريه وأصدقائه بضرورة وضــع الحلفــاء أمــام الأمر الواقع بإعلان استقلال سورية المتحدة بجميع مناطقها[٦٨]. وقد تم اعلان استقلال سورية بكاملها من قبل المؤتمر السوري في ٨ آذار ١٩٢٠ وانتخاب فيصل ملكاً عليها. وكان هــذا القرار تعبيراً عن الإرادة الشعبية بعد سنة ونصف من الانتظار تحت الاحتلال الأجنبي والإدارات العسكرية.

وبذلت الحكومة العربية كل جهدها وضمن إمكاناتها للمحافظة على الصلات الودية مع جميع الحلفاء، إلا أنها لم تحصل على الاعتراف باستقلالها من هؤلاء، إلا بشرط أن تقبل بالانتداب، ولا يمكنها أن تقــبل بالانــتداب دون أن تتخلى عن الاستقلال وعن ثلثي سكانها[٦٩]. وكان قرار سان ريمو، مع رفض الاعتراف بحكومة دمشق، هزيمة للعناصر المعتدلة التي ترغب في التعاون مع بريطانيا أو فرنسا. ولم يعــد فيصــل بعــد إعلان الاستقلال حراً في قبول المساعدة الفرنسية، دون تفويض رسمي من المؤتمر الســوري. واتخذت الوزارة الجديدة برئاسة هاشم الأتاسي، في مطلع أيار ١٩٢٠ إجراءات رفعت من دعمها الشعبي: فأقدمت على اتخاذ التدابير الدفاعية الفعالة، وأضافت إلى قانون التجنيد الإجباري بعض المواد التي تضمنت توسيع نطاق التجنيد، وسنّت قانوناً لعقد قرض وطني[٧٠].

وفي مطلــع تموز ١٩٢٠، بدا واضحاً أن فرنسا قد قررت بسط حكمها على سورية الداخلية ووضــع حــد للحكومة فيها، أو ما تسميه (الحكم الشريفي)، بالقوة. وضعفت كل آمال التسوية مع الســلطات الفرنســية بالمــنطقة الغربية بعد زيادة التوتر على الحدود. وصدر في ١٤ تموز إنذار غورو (المفــوض الســامي الجديد والقائد العام للقوات الفرنسية في الشرق)، للملك فيصل، بقبول الانتداب الفرنسي، واتخاذ الاجراءات الكفيلة بتطبيق ذلك.

وســواء اتخــذ قرار المقاومة بموافقة فيصل أو عدم موافقته فذلك ليس واضحاً. ولكنها كانت مسألة شرف وطني بالنسبة للعسكريين، مع حماس مندفع بالنسبة للمدنيين، بعد أن ظلت الحكومة تعتقد بإمكــان تجــنب الحرب، على أمل أن تكسبها هذه السياسة عطف أوروبا. وقام يوسف العظمة (وزير

الحـــربية) بجمع ما أمكن جمعه من قوى لدعم الجبهة العسكرية في ميسلون، وكان يسعى لجعل الصدام مشـــرّفاً قدر الامكان. ومع أنه يصعب أن يسمى الاصطدام بين الفرقة الثالثة الفرنسية، بكل تجهيزاتها، ومجمـــوعة قليلة من الجيش النظامي وعدد أكبر من المدنيين المسلحين غير المدربين وغير المجهزين، معركة بـــالمعنى الدقيق، إلا أن القوات العربية قاتلت بشجاعة، وأوقعت خسائر كبيرة في صفوف العدو اعترف بهـــا الجنـــرال غورو في برقيته إلى فرنسا في ٢٤ تموز ١٩٢٠[٧١]. فقد ذكر على وجه التقريب ضحايا الفرنســـيين بمائـــة وخمسين رجلاً، كما اعترف بضراوة المقاتلين العرب الذين استمروا في القتال حتى الســـاعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ٢٤ تموز والواقع أن نتيجة المعركة كانت معروفة ومحسومة ســـلفاً، ولكن خاضها العظمة، مع رفاقه، دفاعاً عن شرفهم العسكري وشرف بلادهم، فانتهت حياته وحياة الدولة التي تولوا الدفاع عنها في ٢٤ تموز ١٩٢٠[٧٢].

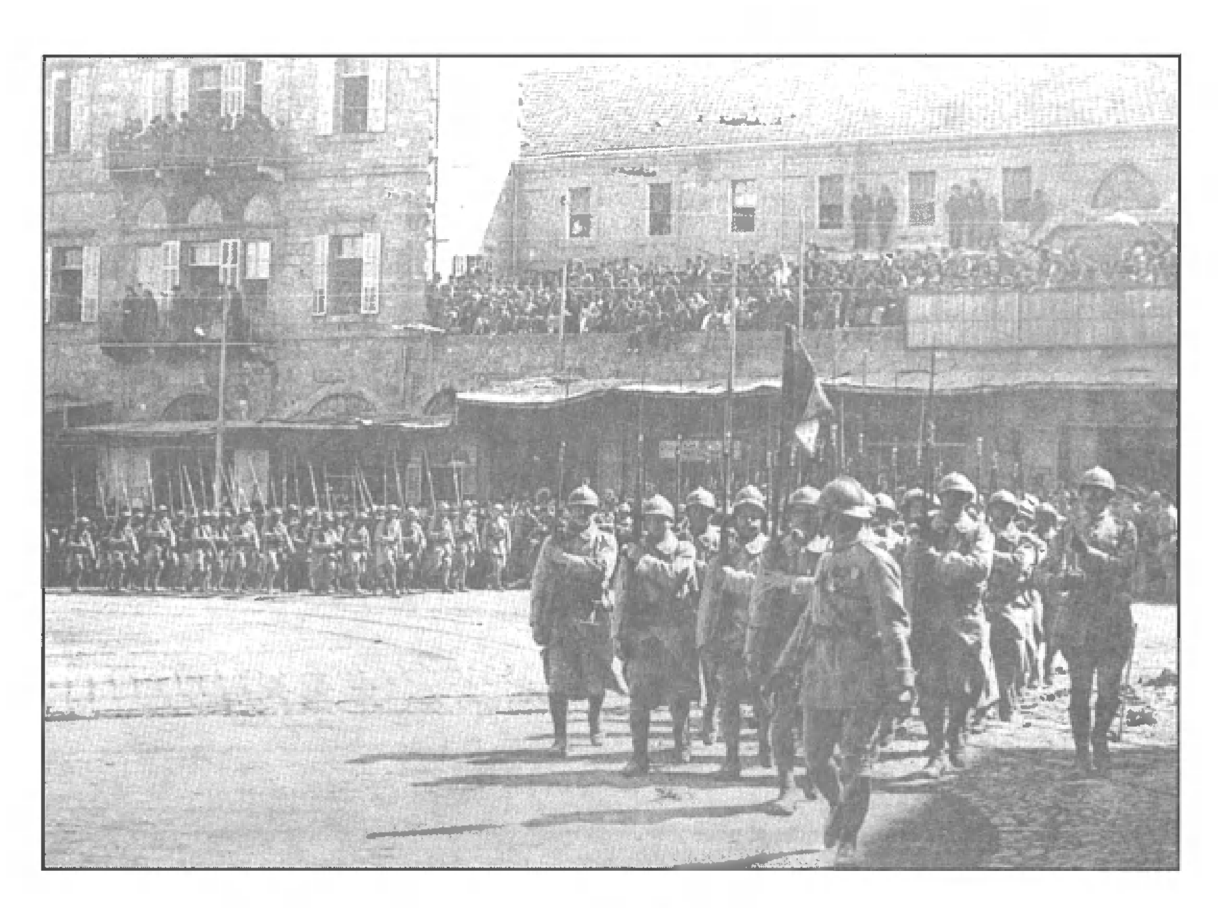
ب ـ الإدارة العسكرية الفرنسية في الساحل السوري وعلاقتها بحكومة دمشق العربية:

كانـــت الخطوط الرئيسية للتنظيم الإداري العسكري التي وضعها اللنبي في ٣ تشرين الأول عام ١٩١٨ في دمشـــق، والـــتي ثبتت من قبل وزارة الحربية البريطانية في ٢٣ تشرين الأول، قد وضعت في لـــندن قبل الهدنة، وباتفاق مع فرنسا، في ٣٠ أيلول ١٩١٨ لحماية مصالح فرنسا التي خولتها لها اتفاقية ســـايكس بيكو في المنطقة (أي الشريط الساحلي من شمال فلسطين حتى كيليكية). وطبقاً لهذا الاتفاق الـــبريطاني ـــ الفرنسي كان سيتم تعيين مستشار فرنسي في الشؤون السياسية والإدارية في هذه المنطقة، يقـــوم بمهمة الوسيط بين القيادة العليا والحكومة العربية المزمع انشاؤها في المنطقة الداخلية، على أن يبلّغ اللنبي، القائد العام، ذلك المستشار الفرنسي، خلاصة القرارات والتدابير ذات الطابع العسكري[٧٣].

ولم يشـــر اللنبي، في اجتماعه مع فيصل في ٣ تشرين أول ١٩١٩ إلى هذا الاتفاق، بل أكد عـــدم الاعتـــراف بـــأي ادعاء فرنسي في الشرق، مضيفاً أن وجود القوات الفرنسية ليس مبنياً على ترتيبات سابقة بل لتدابير عسكرية[٧٤].

وفي حـــين احترم اللنبي المشاعر العربية للاستقلال، على الأقل علناً، في منطقة الإدارة الشرقية، عمد إلى قمع كل محاولة عربية للإشراف على المنطقة الساحلية.

وكان اللنبي يقصد بذلك الإدارات والحكومات العربية المؤقتة التي استلمت مسؤوليات الحكم من القوات التركية المنسحبة قبل وصول القوات العربية (قوات التحرير)[٧٥]، ورفعت الأعلام العربية واعتبرت



القوات الفرنسية في بيروت، ١٨ مارس ١٩١٩

نفسها جزءاً من الحكومة العربية الواحدة. وشكلت هيئات مسؤولة مؤقتة لتأمين راحة السكان ومنع الفوضى، إلى حين وصول القوات العربية. وفي حماه، مثلاً، تشكلت هيئة إدارية مؤقتة برئاسة بدر الدين الكيلاني وعضوية بعض أعيان حماه[٧٦]. وفي حلب رفع العلم العربي قبل أن يغادرها مصطفى كمال (القائد العسكري التركي) إلى خارج حلب. وشكل إبراهيم هنانو على رأس عدد من الرجال حكومةً وجيشاً في شمال سورية وجعل مركزها كفر تخاريم (مسقط رأسه)، ووضع هنانو نفسه تحت تصرف قائد القوة العربية الشريف ناصر، الذي التقاه في مطلع تشرين الثاني ١٩١٨ في قضاء المعرّة، وفوّضه هذا بتحرير منطقتي انطاكية وحارم وتشكيل إدارة محلية فيهما مركزها الريحانية، والعمل على تأمين الأمن وتثبيت النظام[٧٧]. وفي منطقة اللاذقية أُعلنت حكومة تمتد من حدود طوروس إلى حدود انطاكية وأنشئ مجلس وطني عهد برئاسته إلى رشيد طليع[٧٨].

وأخذت الحكومة العربية التي أعلنت في بيروت شهرة أوسع، واستلم عمر الداعوق رئيس البلدية مع ثلاثة من أعيان بيروت في ١ تشرين الأول ١٩١٨ وثيقة الانسحاب من الوالي التركي،

واتفقـــوا على تأليف حكومة ووضعوا بياناً(٧٩). كما رفع العلم العربي فوق دار الحكومة بعد أن وردت بـــرقية مـــن دمشق بأشكال العلم الجديد. وبعث بعض أعيان بيروت إلى القيادة العربية العام في دمشق يطلبون إرسال ممثل للشريف حسين لدعم الحكومة في بيروت، فأرسل شكري الأيوبي مع قوة عسكرية في ٤ تشـــرين الأول ١٩١٨. وزار الأيوبي بعبدا مركز متصرفية جبل لبنان(٨٠)، ورفع العلم الجديد في احـــتفال رسمـــي في ٦ تشـــرين الأول ١٩١٨، وعين حبيب باشا السعد رئيساً للحكومة الجديدة في متصـــرفية جـــبل لبنان (وتألفت هذه الحكومة من أعضاء مجلس الإدارة السابق (وقد عُطِّل في ١٩١٥) الذين ثبتهم شكري الأيوبي في مراكزهم، وأقسموا يمين الولاء للحكومة العربية في دمشق(٨١).

لم تثـــر إقامـــة الإدارات العربية المؤقتة في المنطقة الداخلية أية مشكلة عند الفرنسيين، إلا أنهم احـــتجوا لـــدى اللنبي لاستيلاء العرب على المنطقة الساحلية، التي أصبحت تعرف وفقاً لترتيبات اللنبي الجديدة بالمنطقة الغربية من أراضي العدو المحتلة (Occupied Enemy Territory West).

وكانـــت السفن الفرنسية قد وصلت إلى ميناء بيروت قادمة من بور سعيد في ٦ تشرين الأول ١٩١٨ تحمـــل القـــوات الفرنسية المعروفة باسم الفرقة الفرنسية في فلسطين وسورية (D.F.P.S) (Le Detachement Français de Palestine ed de Syrie) وأخذت تراقب الموقف إلى حين قدوم القوات الـــبريطانية مـــن ميناء حيفا على طول الساحل وفي ٨ تشرين الأول ١٩١٨ تمت عملية إنزال القوات الفرنســـية إلى البر(٨٢) وطلب رجال الاستخبارات البريطانية من فيصل سحب ممثله من بيروت وحاول هذا الاحتجاج لدى اللنبي "لأن سحب الحاكم العسكري في بيروت .... والذي ذهب بناء على طلب الشعب هو أمر لا يؤثر في كرامته الشخصية فحسب بل في القضية التي يحميها(٨٣)". إلا أن فيصلاً طلب في حالـــة الإصرار على سحب الحاكم العسكري أن يستمر وجود العلم العربي مع أعلام الحلفاء، وأن توضع الحكومة العربية والقوات العربية في بيروت تحت تصرف الحاكم الذي سيعينه اللنبي(٨٤).

وأخفقت جهود فيصل وانسحب الأيوبي، وأزاحت القوات البريطانية، التي قدمت إلى بيروت، الأعـــلام العـــربية، وتنازلت حكومة الداعوق عن السلطة إلى الكولونيل كولاندر Coulondre معاون المفـــوض الســـامي (وكانت الحكومة الفرنسية قد عينت جورج بيكو مفوضاً سامياً لها)(٨٥). وأصبح الكولونـــيل ديبيباب Depiepape، وهو قائد الفرقة الفرنسية في فلسطين وسورية، الحاكم العسكري في بيروت. وجرى احتفال في بعبدا ثبتت فيه السلطة الفرنسية مجلس إدارة جبل لبنان في ٢٥ تشرين الأول ١٩١٨(٨٦).

وبينما كانت القوات البريطانية تواصل سيرها ببطء، وبفترات متقطعة، على الساحل اللبناني إلى طرابلس، ومنها إلى حمص فحلب، كانت القوات الفرنسية تتخذ مواقعها في بيروت وطرابلس وجبل لبنان، وتتابع السير إلى اللاذقية في العاشر من تشرين الأول ١٩١٨، وإلى اسكندرون في الرابع والعشرين منه، وهكذا شمل احتلال الجيش الفرنسي المنطقة الغربية بكاملها[٨٧]. وقد ضمت المنطقة العربية متصرفية جبل لبنان، مدينة بيروت، وصناجق صيدا، وطرابلس، واللاذقية، وتم فصل الاسكندرون عنها[٨٨].

وبأوامر صادرة من اللنبي أُبعد ممثلو الحكومة العربية في المناطق الساحلية الأخرى التي أعلنت السيادة العربية، واستبدل بهم حكام فرنسيون[٨٩]: فاستدعى هنانو إلى حلب من قبل الشريف ناصر الذي أعلمه أن الجنرال اللنبي أمر بأن تكون منطقتا إنطاكية وحارم ضمن المنطقة التي ستبقى تحت إشراف فرنسا حتى الانتهاء من مؤتمر السلم. وصدرت الأوامر من حلب إلى القوى الوطنية بالتخلي عن انطاكيه وحارم وتسليمهما إلى القوة الفرنسية القادمة من اسكندرون لاحتلالهما. كما نزلت القوات الفرنسية في اللاذقية وأزيحت الأعلام العربية والتحق أعضاء حكومتها بالحكومة العربية في دمشق[٩٠]. واستبدل حاكم اللاذقية العربي بآخر فرنسي هو الملازم أول دي لاروش Delaroche [٩١] في ٥ تشرين الثاني ١٩١٨.

وأثارت هذه الإجراءات احتجاجات فيصل المتوالية حتى هدد"بالتخلي عن قيادة الجيش العربي لو سمح للفرنسيين باحتلال الموانئ لأن ذلك سيعني أن العرب سيعيشون في بيت ليس له أبواب"[٩٢]. وأوضح له اللنبي أنه هو "المسؤول عن الإدارة بصفته القائد العام .... وأن الحكام الفرنسيين الذين عيّنهم لا يجب أن ينظر لهم كفرنسيين بل كحلفاء".

وقبل فيصل ذلك بشكل مؤقت بعد أن أكد له اللنبي "أن العصبة تهدف إعطاء الأمم الصغيرة حق تقرير مصيرها ... وأن الحلفاء ملزمون بحكم واجب الشرف الوصول إلى تسوية تطابق رغبات الشعوب التي يعنيها الأمر[٩٣]. وقد وجدت الحكومتان البريطانية والفرنسية أن من المناسب إصدار تصريح رسمي في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨، يدمج كل وعود الحلفاء للعرب ويعيد الثقة للمتشككين بسياسة الحلفاء[٩٤].

لم يعطـــل التصـــريح المشترك، محاولة فرنسا تعزيز مركزها في المنطقة الغربية: ففي لبنان أعلن كولندر بأن فرنسا جاءت لحماية أصدقائها الموارنة ودعم مصالحهم(٩٥). وبعث الأميرال اريان Ariane إلى وزارة البحرية في ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٨(٩٦). برقية نقلت إلى وزارة الحربية يدّعي فيها أن سكان طرابلس طالبوا فيها ببراهين ملموسة بأن فرنسا لن تتخلى عن القيام بحكم بلادهم، "وأظهروا خشيتهم مـــن التصـــريح المشـــترك الذي يعني منح السوريين حكومة سورية وتعريضهم لنظام أسوأ من النظام التركـــي". وادعـــت البرقية أن "بعض زعماء منطقة اللاذقية جاؤوا ليعلنوا خضوعهم لفرنسا واقترحوا تقـــديم عدة وحدات عسكرية". وقد تبين أن معظم هذه البرقيات المؤيدة لفرنسا قد تم ارسالها بضغوط فرنسية لتدعيم موقف فرنسا.

وعملت فرنسا على تعزيز قوتها العسكرية في المنطقة الغربية، بعد أن أنقصت تلك القوة بسبب نقـــل وحداتها إلى كيليكية(٩٧). ومنذ نزول بيكو في بيروت مفوضاً سامياً في الشرق في ٦ تشرين الثاني ١٩١٨ أبرق إلى باريس بأنه(٩٨) "ما دام الجيش البريطاني يحتل البلاد، فإن الشعب سيظل موالياً لأعدائنا والعـــلاج الوحيد هو إرسال ٢٠,٠٠٠ جندي إلى سورية". وأخذت السلطة الفرنسية العسكرية تعمل علـــى تجنـــيد عناصر محلية من أجل زيادة عدد أفراد قواتها المسلحة بشكل يشبه ما تقوم به في الجزائر والمغـــرب(٩٩). وقـــد تقدم بهذا الاقتراح إلى وزارة الحربية الجنرال هاملان(١٠٠) Hamelin قائد القوات الفرنسية ـــ أو ما سمي بقوات أو جيش الشرق، معتقداً "أن اتخاذ مثل هذه الإجراءات يمثل أهمية سياسية كـــبرى قـــد يســـهل عمل فرنسا في مناطق النفوذ المحدد لها بموجب الاتفاقات المعقودة بين الحلفاء، في الـــوقت الذي ينتهي الاحتلال العسكري للجيوش البريطانية. وكان يهم السلطات الفرنسية في المنطقة تدخل الحكومة الفرنسية لدى الحكومة البريطانية "لكي تقوم بأقصى سرعة بإرسال تعليمات إلى الجنرال اللـــنبي تأمـــره بتـــرك مطلق الحرية من الآن فصاعداً لقائد الفصيلة الفرنسية لاستغلال الموارد كافةً التي يقدمها السكان المحليون في مناطق النفوذ الفرنسي بهدف التجنيد في فوج الشرق"(١٠١). ذلك أن الجنرال اللـــنبي كان يرفض تجنيد العناصر المحلية تحت إشراف ضباط فرنسيين، خشية الأثر الذي قد يتركه مثل هذا التجنيد لدى السكان العرب، والاضطرابات التي قد تنجم عن ذلك في المناطق المسؤول عنها. جاء ذلـــك في برقية جورج بيكو إلى وزارة الخارجية في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٨(١٠٢)، مضيفاً "أنه لا أمل بإقـــناع اللـــنبي بالعـــدول عن قراره ولكن هذا يعني ضرورة منح القيادة الفرنسية في سورية الوسائل الكافية".

وقـــد واجه الفرنسيون منذ بداية إدارقم المنطقة الغربية، مصاعب بالغة إذ كانت قواهم تعادل ثلـــث القـــوات البريطانية مما يضعف موقف فرنسا، اضف إلى ذلك خضوع الإدارة في المنطقة الغربية للقائد العام البريطاني، ورفضه اعطاء تلك الادارة حرية التشريع وفرض القيود على وسائل النقل بما فيها الســـكك الحديدية(١٠٣)، وكان الأكثر خطورة تباين وجهة النظر الفرنسية والبريطانية بالنسبة للمسألة العربية. وإبّان زيارة بيكو لدمشق في مطلع ١٩١٩ كان الخلاف الجوهري بين المفاهيم العربية والفرنسية حول المستقبل السوري واضحاً، هذا رغم أن الفرنسيين، على غرار البريطانيين، ظلوا حتى ربيع ١٩٢٠ يقدمون عوناً مالياً للإدارة (الشريفية) لم يتوقف رغم حوادث الحدود(١٠٤).

وكـــان الحكم العربي لسورية الداخلية، والذي اعتبرته بريطانية الحد الأدنى للوفاء بعهودها إلى الشـــريف حســـين، بالنســـبة للفرنســـيين أمراً مؤقتاً وغير ضروري، فهو قد حرمهم كما يدعون من مساحات كبيرة في الشرق وأبعد قواهم عن البقاع.

وقد أثار استياءهم زيارة بعض اللبنانيين، من المعلّقة قرب زحلة، للأمير فيصل الذي صرح لهم أن جبل لبنان "هو جوهرة الامبراطورية العربية"(١٠٥). وراقبوا بفتور حماس سكان المنطقة الغربية لقضية الـــوحدة: وقـــد تم اعتقال ومحاكمة عدد من الزعماء في منطقة جبلة بتهمة تمزيق الإعلانات الفرنسية واستبدالها بإعلانات عربية. وهتف الأشخاص المتجمعون حولها قائلين "عاش استقلال العرب".

وأقـــر الكـــابتن فوجيرون (Fougeron) قائد كتيبة الفيلق السوري الفرنسي في جبلة(١٠٦) "أن مرور ممثل الحكومة العربية في المنطقة قد أثار الاضطرابات". ونظم الأهالي مسيرات ضخمة ولاسيما في المراكـــز الـــتي لا يـــوجد فيها قوات عسكرية(١٠٧). ورغم كل ادعاءات فرنسا بموالاة زعماء المنطقة الســـاحلية لها، فقد تعددت الوفود المرسلة من هذه المنطقة إلى دمشق لإعلان الولاء للحكومة العربية(١٠٨). وخشـــيت فرنسا أن الدعاية لصالح حكومة دمشق قد تضر بها في سوريا كلها، وقد يكون لها أصداء في ممـــتلكاتها الافريقية. واتهم الفرنسيون حلفاءهم البريطانيين أنهم يمدون العون إلى نشاط الحكومة العربية المعـــادي لفرنســـا على أمل الحلول مكانها، وأنهم يرون التحالف بينهم وبين فرنسا امراً مقتصراً على أوروبة وليس له علاقة بشؤون الشرق.

ولم يكن احتلال القوات الفرنسية للمنطقة الغربية سهلاً: إذ منذ أن نزلت القوات الفرنسية في كيليكـــية أواخر ١٩١٨، لاقت صعوبات كبرى في أن تحل محل القوات التركية المنسحبة، وخاصة بعد

أن بــدأت الاضــطرابات في المــنطقة بتحريض من بعض رجال الجيش التركي المسرّح، وبعض قوات الحدود الذين استعانوا بالسلاح الموجود في المخازن التي تركها الجيش التركي. وانضم الجميع إلى قوات مصطفى كمال في هضبة الاناضول، وشكلوا نواة الجيش الوطني التركي الذي يتولى القتال ضد القوات الفرنسية[١٠٩]. وهكذا جعلت يقظة الحركة القومية التركية بقيادة مصطفى كمال موقف فرنسا صعباً في مــنطقة كيليكية التي أصبحت مسرحاً لجهود فرنسي مرهق وقاس، حاول الاتراك خلالها توحيد نضالهم مــع العــرب ضد عدو مشترك، واتهمت السلطات الفرنسية ضباط حكومة دمشق وموظفيها بموالاتهم للأتراك وعقدهم روابط وثيقة معهم[١١٠].

وكــذلك ظلت المناطق الداخلية في جبال الساحل السوري الشمالي ولبنان الجنوبي خارج سيطرة الفرنســيين، وكانــت محاولــة فرض سلطتهم تواجه بأعمال مقاومة وصلت حد القتال المسلح. وكانت الهجمــات على المخافر والمفارز الفرنسية، على الحدود الفاصلة بين منطقة الحكم العربي والمنطقة الغربية، تهدف بالدرجة الأولى إلى منع الفرنسيين من بسط سيطرتهم، من المنطقة الساحلية حتى الداخل[١١١]. وزاد في حــدة المقاومة الشعور التقليدي المعادي لفرنسا، وخاصة إثر الحوادث التي وقعت أواخر عام ١٩١٨ حين استبدلت الإدارة العربية بالفرنسية، وما أعقب ذلك من اجراءات فرنسية أثارت نقمة العاملين من أجل الاستقلال والوحدة. وقد ادعى الفرنسيون أن العمليات الناشطة في المنطقة الغربية الساحلية إنما هي بدسائس عصيان داخلي بزعامة زعماء محليين مصممين على رفض النظام الفرنسي[١١٢]. وظن العرب بســكوت الــبريطانيين عن نشاطهم ضد السلطات الفرنسية؛ أنهم يعطفون على قضيتهم[١١٣]. واتهم الفرنسيون حلفاءهم البريطانيين بأنهم يزاحمونهم على حقهم في سورية، وأنهم يلعبون دوراً في الدعاية (الشــريفية) المعاديــة لفرنسا في القطاع الساحلي، وأنهم يراوغون في إعطاء فرنسا يداً طليقة في سورية كلها[١١٤].

ومــن وجهة نظر فرنسية "أن شحّ (تجهيزاتنا)، ولا سيما شح القوات تحت (تصرفنا)، رسخت لــدى أغلبــية الأهالي أن وجودنا هنا وجود مؤقت". وتشير مذكرة لوزارة الخارجية الفرنسية في ٢٥ تشــرين الثاني ١٩١٨[١١٥] إلى أنه "يجب اتخاذ موقف عاجل إن كانت الحكومة الفرنسية تريد الحفاظ على الحقوق المعترف بها لفرنسا بموجب الاتفاقات الفرنسية الانكليزية لعام ١٩١٦". وتقترح المذكرة:

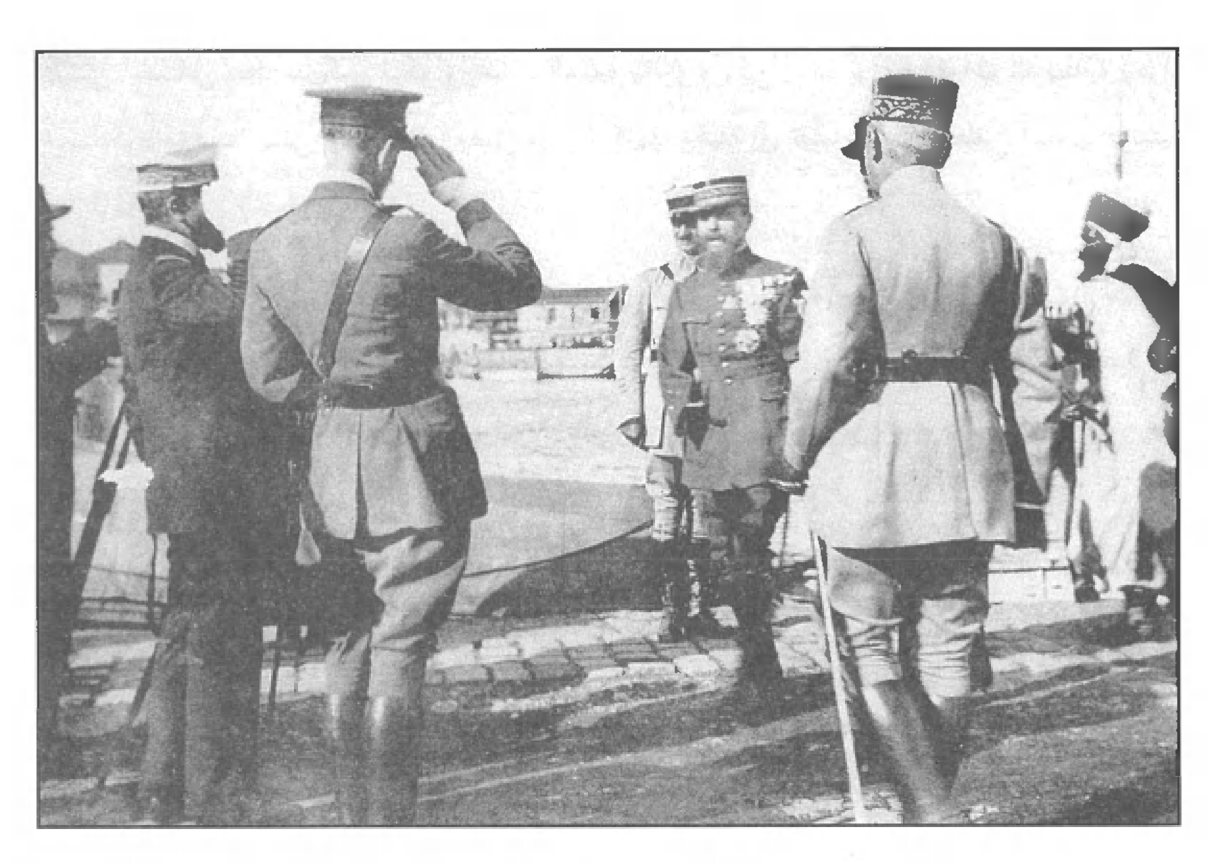
أ ـــ موافقة حلفاء فرنسا على سحب القسم الأعظم من القوات البريطانية الموجودة حالياً في سورية، حيث يؤدي استبدال قوات فرنسية بهم إلى شعور السكان "بحضور قوتنا وثبات إرادتنا".

ب ـــ مـــوافقة الحكومة البريطانية على قطع الإعانة المالية عن الأمير فيصل وأن تحل هي (أي فرنسا) في تقـــديم هذا العون. وعندما يقتنع الأمير بأن عليه "البحث عن دعم جاد لدى فرنسا فإن أمر دفعه لعقـــد اتفـــاق رابـــح بالنسبة (لنا وله) سيصبح أمراً ممكناً". وتلح المذكرة على الضرورة المطلقة للتأهب في الحال لتنظيم "قوة عسكرية كافية لكي تذهب وتحل محل قوات الاحتلال البريطانية في المناطق التي تخضع (لنفوذنا) بموجب (اتفاقاتنا) مع انكلترا". وتقترح المذكرة أن يصبح عدد أفراد الحملـــة العســـكرية نحـــو ٢٠,٠٠٠ ألف رجلٍ بدلاً من ٨٠٠٠ إلى جانب الفرق المحلية بحيث "تصبح الحملة العسكرية كافية للحفاظ على النظام والأمن"

ووجهت السلطات الفرنسية انتقادها للسياسة البريطانية، وحجتها "أن الإنكليز يقومون بدعاية نشطة ضد النفوذ الفرنسي الذي لا يدافع عنه في دمشق أحد .... وأن الإنكليز اشتروا الصحافة العربية في بـــيروت، وأن الـــرأي العام في المدينة موجه ضد فرنسا من قبل صحافة تدعّي أنها مستقلة"[١١٦] و لم تكن توقعات قائد القوات الفرنسية في الشرق، الجنرال هاملان، متفائلة قبل قدوم لجنة كنغ ـــ كراين. فقد كان على يقين أنه مهما كانت النتيجة للاستفتاء "فهو سيكون في غير صالح فرنسا"[١١٧]. وكانت السلطات الفرنسية في اللاذقية قد عملت جهدها لدى الفئات المختلفة كي تُمثل كل منها بلجنة يرأسها زعـــيم ديني، ومع ذلك فقد أقرت تلك السلطات أن في المدينة هيجاناً عظيماً "حيث تعقد الاجتماعات من قبل الأطراف كافة"[١١٨].

واعتـــبر الفرنســـيون أن بريطانية تعمل بشكل معاكس للمصالح الفرنسية. (وكانت السلطات الفرنســـية تعمـــد بـــين حـــين وآخر، في محاولة لإثبات الوجود، إلى القيام بجولات تفتيشية في المناطق الســـاحلية، وكـــان يتولى توجيه تلك الجولات قائد مفرزة القنّاصة مينول Minault الحاكم العسكري للاّذقية)[١١٩].

وقـــد تـــردت العلاقات الفرنسية البريطانية كثيراً بعد انتهاء مهمة لجنة كنغ ـــ كراين أواخر صيف ١٩١٩. ولإزالة الكثير من دواعي الإزعاج، رغبت بريطانيا الانتهاء من مغامرة الحرب في الشرق بشكل يرضي مؤقتاً فرنسا، والرأي العام البريطاني، وخاصة بعد أن استغرقت معاهدات السلم مع تركيا وقـــتاً طـــويلاً أكثـــر مما كان متوقعاً[١٢٠]. وتلخصت الخطة البريطانية في أن تحل القوات الفرنسية محل



وصول غورو إلى بيروت مطلع ١٩٢٠

القــوات البريطانية في سورية غربي خط سايكس بيكو (عدا فلسطين)، على أن تحل القوات العربية محل القــوات البريطانية في المنطقة شرق هذا الخط، وذلك اعتباراً من مطلع تشرين الثاني ١٩١٩. ولا يعني ذلك اجراء أي تغيير بالحدود الحالية بين المناطق حتى تتم التسوية النهائية في مؤتمر السلم[١٢١] . ومع أن الإداريين الفرنسيين اعتبروا الخطة البريطانية أقل شمولاً من أن تشكل علاجاً ناجعاً بالنسبة لهم (لأنها لم تخــول فرنسا إلا احتلال المناطق الساحلية مع أجزاء من المنطقة الشرقية تقع تحت نفوذ الإدارة العربية). إلا أنهم قابلوها بارتياح[١٢٢]، فقد رأوا بأن السلطات البريطانية لن تحول بين الفرنسيين والحكومة العربية في الشرق، بعد أن تُرِكَتْ هذه الأخيرة لمواجهة الفرنسيين دون دعم بريطاني أو أمريكي.

وبــدأت الحكــومة الفرنسية بتنفيذ الخطة المقترحة بإشراف وزارة الحربية الفرنسية، وأرسلت تعزيــزات عســكرية إلى سورية وكيليكية تتألف من قوات افريقية فرنسية. واختارت وزارة الخارجية الفرنســية غورو Gauroud لقيادتها، حيث أصبح المفوض السامي في الشرق بعد بيكو[١٢٣] وبينما كان الــرأي العــام العــربي ينتظر جلاء القوات الأجنبية كلها عن سورية، إذ به يفاجأ بقرار توسيع منطقة الاحــتلال الفرنسي نحو الشرق على حساب المنطقة العربية، ورسم حدود فرنسية بريطانية عبر سورية

علـــى أســـاس خط سايكس بيكو ورغبات الصهيونية. و لم يكن إعادة توزيع القوات البريطانية إجراء عســـكرياً مؤقـــتاً بـــل حكماً على مصير سورية كلها، وتهيئة إلى تقسيمها إلى منطقتي انتداب فرنسية وبريطانية، وخلق فلسطين كوحدة.

وحينما أطلع فيصل، في رحلته الثانية إلى أوروبة في خريف (١٩١٩)، على موقف بريطانية، احـــتج بقوة على الخطط الفرنسية المقبلة التي سيكون عاجزاً تجاهها. وألحّ مرة أخرى على الدعوة إلى مؤتمـــر للدول الكبرى الثلاث للبت في المسألة السورية بشكل نهائي وفق الوعود المعطاة زمن الحرب ومـــبدأ ويلســـون، ولكن رفض طلبه[١٢٤]. وبدا أن المصالح الفرنسية البريطانية قد سوّيت تقريباً، وأن بـــريطانية كانت تتجنب أي نزاع مع فرنسا لمصلحة العرب[١٢٥]. وبدأت عملية الانسحاب الفعلي البريطاني عن سورية الداخلية منذ مطلع تشرين الثاني ١٩١٩[١٢٦].

و لم يعـــد أمام فيصل إلا الحصول على أحسن الشروط من فرنسا، التي أصبحت من وجهة نظر بريطانية، صاحبة الشأن في سورية. وأثبتت المفاوضات مع فرنسا أنها صعبة، وكان همّ فرنسا أن يعترف فيصـــل بأن منطقة إدارته تقع ضمن منطقة النفوذ الفرنسي. وتعثّرت المفاوضات عند مسألة الحدود بين مـــناطق الإدارتـــين: العـــربية والفرنسية، وكان شاغل المفاوضين العرب الحيلولة دون احتلال القوات الفرنســـية لأي جـــزء من المنطقة الشرقية كي تحل مكان القوة المنسحبة من الجيش البريطاني[١٢٧]. وتم الاتفـــاق بـــين الطـــرفين في ٢٧ تشـــرين الثاني ١٩١٩ على إجراء عسكري مؤقت: يشترط ألا تحتل القطعات الفرنسية البقاع، على أن تنسحب منه القطعات العربية أيضاً. وتبقى قوات الدرك والإدارة في المـــنطقة عربية، على أن تشكل لجنة مشتركة فرنسية عربية للإشراف على شؤون الأمن. وقد يكون من أسباب تراجع الحكومة الفرنسية خلال هذه الأزمة، رغم معارضة غورو وتقدم مفارز فرنسية شرقاً إلى بعـــض نقاط البقاع[١٢٨]، هو أنه لم يكن لفرنسا قوة كافية (بعد) لفرض إرادتها على الحكومة السورية، كما أنها لم تكن قد تفاهمت مع بريطانية تفاهماً يضمن لها حرية العمل في سورية الداخلية. هذا بالإضافة إلى أن الحكومة الفرنسية كانت تفاوض فيصلاً لعقد معاهدة، فلم تشأ أن تعكّر الجو باحتلال عدة مدن وهي تأمل بحلّ القضية بأجمعها عن طريق المفاوضة[١٢٩].

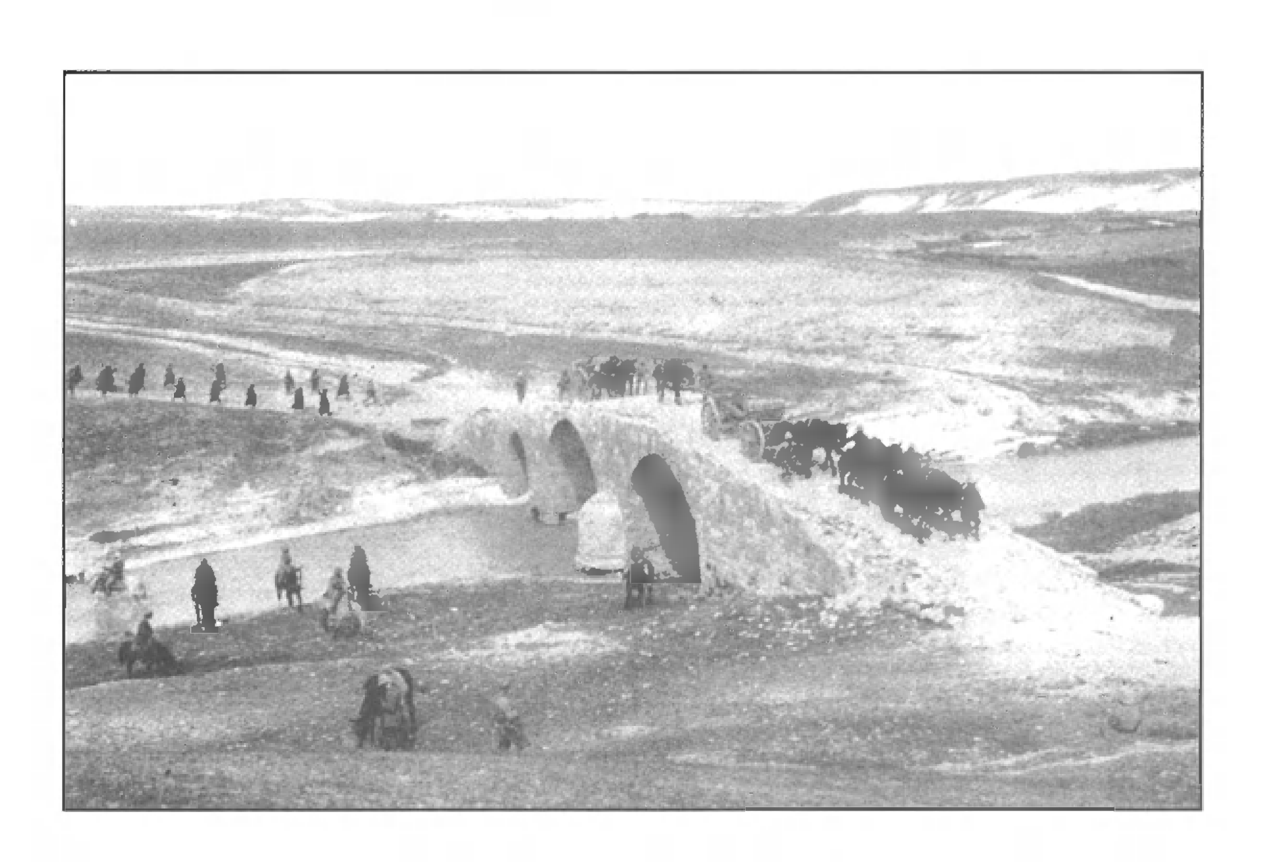
وتدعي بعض المراجع الفرنسية أن هذا التصرف كان مصدر المشاكل التي قامت بوجه فرنسا في ســـورية حـــتى ميسلون. إذ استدل العرب (برأي تلك المراجع) على ضعف الموقف الفرنسي وتمسكوا بتنفـــيذ الوعـــود. وتضيف تلك المراجع أن حكومة باريس لم تكن تعرف الوضع في سورية، ولا تقدر

مقتضيات الحملة ضد الأتراك أو أهمية البقاع بالنسبة للبنان، كما كان يقدرها غورو قائد القوات الفرنسية في الشرق[١٣٠].

و لم ينته التوتر السياسي بانتهاء أزمة البقاع، وكان الوطنيون قد شعروا بأن لا سبيل إلى مقاومة الفرنسيين وإخراجهم بالطرق السياسية، بل لابد من ثورة مسلحة. فبدأت تنشب ضد القوات الفرنسية على حدود المنطقة الغربية ثورات وطنية كانت تلاقي دعم المسؤولين في الحكومة العربية ورجال الأحزاب الوطنية دون أن يعلن عن ذلك رسمياً[١٣١]. ونشرت الدعوة من أجل الثورة المنظمة في صحف دمشق. ونقلت تلك الصحف عن ضابط كبير في الجيش العربي قوله: "بما أننا لا نستطيع أن نعلن الحرب رسمياً ضد فرنسا فلنغمر البلاد بمقاومة مسلحة تبيدهم عن بكرة أبيهم[١٣٢].

واشتدت الأعمال الثورية منذ أواخر كانون أول ١٩١٩ وظلت مستمرة حتى ميسلون: فهوجمت الحامية الفرنسية في تلكخ، وغدا البقاع مركزاً لاشتباكات متعددة رغم الاتفاقية المؤقتة، وحصلت غارات على طريق عكا ــ صيدا والقرى المجاورة، كما تكررت أعمال العنف عن طريق حمص ــ طرابلس الرئيسية وعلى الطرق الممتدة من الاسكندرون إلى الداخل، وفي محاولة من الفرنسيين للتقدم نحو القنيطرة حدث اشتباك مع القوات العربية غير النظامية كما حدث اشتباك مماثل في مرجعيون[١٣٣]. وكانت المنطقتان الساحلية والشمالية العربية على وجه الخصوص ميداناً لأعمال قتالية منظمة رئيسية في مواجهة القوات الفرنسية المحتلة[١٣٤]. ومع أن حكومة دمشق نفت مسؤوليتها عن الهجمات، فقد قررت بريطانيا، التي تعرضت قواها إلى عمليات مماثلة في شمال غرب العراق، أن توقف معونتها المالية لدمشق ابتداءاً من كانون الثاني ١٩٢٠ واتخذت فرنسا قراراً مماثلاً[١٣٥].

ولما وجد فيصل أنه لا يستطيع إقناع أعوانه قبول سياسة التسوية، اتفق مع الحكومة على تقوية وسائل الدفاع[١٣٦] فزادت الأعمال القتالية على حدود المنطقة الغربية. ورغم أن فيصلاً أنكر في رسائله مع غورو مسؤولية الحكومة عن ذلك، فقد غضّ الطرف عن ارسال الأسلحة والعتاد إلى المنطقة الغربية، كما استقبل الزعماء الثوريين واحتفى بهم[١٣٧]. وازدادت العلاقات مع السلطات الفرنسية في المنطقة الغربية توتراً بعد إعلان الاستقلال في ٨ آذار ١٩٢٠ ووجه غورو انتقاداته إلى حكومة دمشق بدعوى أنها تمارس الضغط والعنف أحياناً للحصول على الاعتراف بالسلطة الملكية في المنقطة الغربية الانضمام للدولة الجديدة[١٣٨].



فرقة ديبوفر على طريق عينتاب، ٢٩ نيسان ١٩٢٠

وتزايدت أعداد القوات الفرنسية والإداريين الفرنسيين في المدن الساحلية وجبل لبنان وبدأت هذه القـــوات، رغم الحملة المجهدة في كيليكية، تواجه احتمال التوسع شرقاً في وقت ليس ببعيد[١٣٩]. وأجرت السلطات الفرنسية تحقيقاً مع بعض أعضاء المؤتمر السوري (ممثلي بيروت) بعد عودهم إليها من دمشق إثر اعـــلان الاســـتقلال[١٤٠]. رغم امتعاض السلطات الفرنسية، فقد احتفل في بيروت وغيرها من مناطق الســـاحل، بإعلان الاستقلال. وتدخل الفرنسيون لمنع ذكر فيصل في الجوامع وفي البيوت وغيرها وهُدد الخطـــباء المخالفـــون بتطبيق الأحكام العسكرية. كما عمدت السلطات الفرنسية إلى مكافحة النزعات القومية في المنطقة الغربية والعمل على دس الدسائس ومهاجمة سورية في الصحف[١٤١]، وأرسلت دائرة المـــراقبة إلى الصـــحف ألا تقرن اسم فيصل بلقب ملك بل بلفظة أمير[١٤٢]. وحمل الفرنسيون الهيئات الموالية لهم على استنكار استقلال سورية[١٤٣].

ورغـــم تشدد اتباع (الملك) أنفسهم فإن فيصل نفسه، كان قد بذل كل ما في طاقته من جهود مـــن أجل الحفاظ على علاقات مقبولة مع (جيرانه) الغربيين. ولكن اقتراحه الأول بإقامة تمثيل سوري رسمـــي في القطـــاع الساحلي، ومن ثم اقتراحه الثاني بتسليم (الاشراف) على المنطقة الغربية التي يعتبرها

جـــزءاً من مملكته كان نصيبهما الطبيعي الرفض التام[١٤٤]. وبعد أن هدأت الأعمال المسلحة بين المنطقة الغـــربية ومـــنطقة الإدارة الفرنسية بتدخل فيصل، تفجرت من جديد على طول حدود المنطقة الغربية. واســـتقال كـــثير من الضباط السوريين من الجيش السوري وانضموا إلى الثوار المناضلين في جبل عامل والحـــولة وجبال اللاذقية وانطاكية[١٤٥]. ورد الفرنسيون بإجراء استعدادات ونشروا الجنود على طول الحـــدود الممـــتدة غرب حمص وحماه وحلب[١٤٦]. وأدت قرارات سان ريمو إلى اشتباكات عنيفة على الحـــدود، وتـــوالى الضـــغط على فيصل ليعلن الحرب، فتردد ولكنه تغاضى عن الهجمات على المواقع الفرنســـية، ولم يـــرغب، أو لم يتمكن، من منع ضباطه من الانخراط مع حركات المقاومة المسلحة ضد الفرنســـيين والتي كانت أكثر فعالية على حدود فلسطين (في مرجعيون) وفي البقاع وفي جبال اللاذقية والاسكندرون والمناطق الشمالية.

وجـــرى التنســـيق بين الثورات الحدودية في الشمال والساحل، والقوات التركية التي حاصرت الحامـــيات الفرنسية في أورفه وكلّس وعينتاب (وكانت دعاية الحركة القومية التركية تنفذ إلى سورية من أجـــل توحيد الجهد ضد عدو مشترك)[١٤٧]. وأقرّ الفرنسيون أنهم قد ضحوا إلى حد ما بالمنطقة الساحلية لصـــالح الثوار خلال النصف الأول من عام ١٩٢٠، لأن القتال مع الأتراك في الجبهة الشمالية كان يشغل القســـم الأعظم من القوات الفرنسية[١٤٨]. ولم تستطع السلطات الفرنسية إرسال النجدات الفرنسية إلى كيليكـــية بسبب وعورة الطريق وتخريب الخط الحديدي المتجه إلى كيليكية بفعل الأعمال الثورية في شمال سورية. وكان على غورو أن يعتمد على خط رياق ــــ حلب لنقل معداته وقواته إلى الشمال. وفي رسالة بعـــثها إلى فيصـــل في ٥ أيار ١٩٢٠، محتجاً على الأعمال الثورية خلال الأشهر الماضية ودعم الحكومة العـــربية لهـــا، حثّ تلك الحكومة على السماح للقوات الفرنسية بالمرور في سورية[١٤٩]. وقد اتخذ رجال الحكـــومة في دمشق من هذا الطلب وسيلة لمطالبة الفرنسيين بالاعتراف باستقلال سورية ودفع نصيب الحكـــومة مـــن واردات الجمارك، ورفض غورو هذا الطلب. ومع أن الحكومة العربية أصدرت أوامرها، رغم معارضة الوطنيين، بالسماح باستخدام السكك الحديدية إلا أنها أيدت إجراءات السلطات المحلية بمنع الفرنســـيين مـــن استخدام تلك الخطوط لنقل المعدات والذخائر والجنود وعززت ذلك بحصار اقتصادي جزئي على المنطقة الغربية[١٥٠]. ودفع هذا الموقف السلطات الفرنسية إلى نقل القوات والذخائر بحراً إلى الاســـكندرون ثم براً إلى منطقة الحرب. واضطرت فرنسا إلى العمل على حل الخلاف سلمياً مع تركية



عين صوفر، الاستعدادات لمعركة ميسلون، ١٤ تموز/يوليو ١٩٢٠

وعقـــد هدنة مؤقتة في أواخر أيار ١٩٢٠. وحشد الفرنسيون، بعد أن أمنوا إلى حين الحدود الشمالية، قواهم على حدود سورية الداخلية[١٥١].

حـــدث هـــذا في وقـــت كانـــت الأعمال الثورية تزداد حدة على حدود المنطقة الغربية من الاســـكندرون حـــتى الأقاليم الجنوبية في لبنان. وشجع الفرنسيون النـــزاعات الطائفية على الظهور في بعض المناطق، واحتج فيصل لدى غورو بأن "إذكاء النفور بين طائفتين (عاشوا) دهوراً كالأخوان سيثير مشـــاكل جديدة ليست في مصلحة فرنسا أو من مصلحة السلم العام[١٥٢]، وطلب وقف تسلح بعض أهالي القرى بالأسلحة الفرنسية. وارتكب الفرنسيون كثيراً من الفظائع إلى جانب ما ألحقته أعمالهم من نتائج سيئة على التجارة والزراعة[١٥٣].

وقـــد أصبحت حكومة دمشق، في عهدها الجديد، نقطة تجمع لكل القوى الوطنية التي تعارض فرنسا في سورية بمجملها. وقد ظهر في لبنان تحدّ جديد في وجه غورو حين أقر مجلس إدارة جبل لبنان



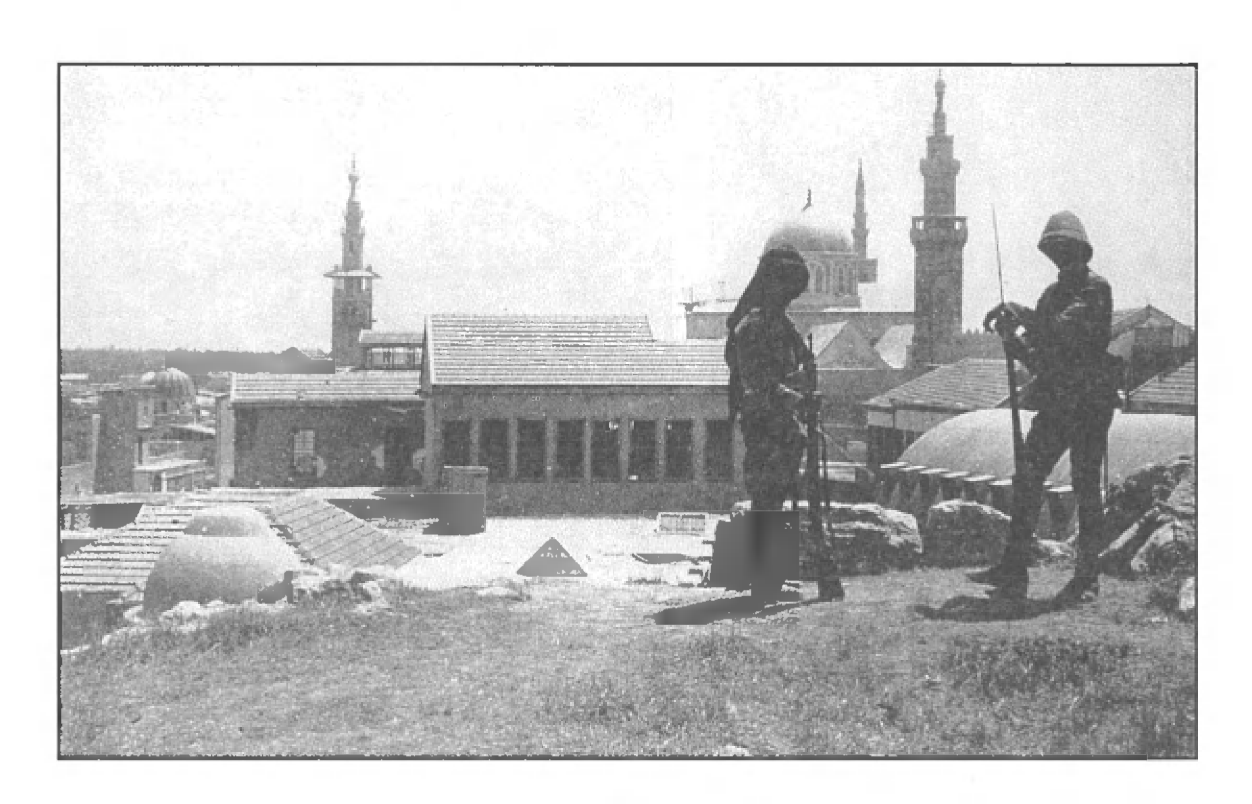
تسليم الملك فيصل علم اللواء الأول المتجه إلى ميسلون بحضور وزير الدفاع يوسف العظمة

في ١٠ تمـوز ١٩٢٠ اسـتقلال لبنان وسيادته وحياده المطلق واتفاقه مع سورية على أساس التعاون بين البلدين في الشؤون الاقتصادية مع التوصل إلى وفاق يضمن حقوق البلدين المتجاورين وحسن الصلات بينهما في المستقبل[١٥٤]. (وناقض المجلس بذلك قراره الأول في أيار ١٩١٩ بوضع لبنان تحت حماية فرنسا بعد أن تعددت شكاوى اللبنانيين من الإدارة العسكرية الفرنسية). وكان في نية عدد من أعضاء

المجلس التوجه إلى دمشق فألقت السلطات الفرنسية القبض عليهم واتخذت ضدهم أعمالاً رادعة، كما جرى حلّ المجلس[١٥٥].

ويبدو أن حادث مجلس إدارة جبل لبنان أضعف كل آمال التسوية مع السلطات الفرنسية، وخاصة أن غورو كما يقول لونغريغ Longrigg[١٥٦] "المتمسك بالتقليد الفرنسي في سورية والمتأثر بالحماس الذي أبداه ضباطه والرأي العام الفرنسي نحو تأكيد هذا التقليد لم يكن ليرضه أن يقبل مهمة تنظيم وإدارة شريط ساحلي ضيق في الغرب، و لم يكن يتصور أي تفسير للانتداب يمكن أن يرضي الفرنسيين والعرب في الوقت نفسه". وقد زاد اقتناعه بعد سان ريمو أن الانتداب لا يمكن تحقيقه لفرنسا إلا باحتلال عسكري بعد أن قررت الحكومة العربية في الداخل المقاومة حتى النهاية. وأصبح أمام غورو وسائل كافية لاخضاع سورية. وبرأي لونغريغ أن الأيام التي كان باستطاعة العرب في خريف ١٩١٨ أو خريف ١٩١٩ تهديد القوة الفرنسية على الساحل قد ذهبت، فقد أصبحت هذه القوة هائلة جداً. وأتاحت الهدنة مع الأتراك للجنرال غورو ـــ ما دامت الهدنة سارية المفعول ـــ أن يتفرغ لترتيب الوضع في سورية. وكان واثقاً من حصانته تجاه أي تدخل بريطاني أو أمريكي. وهكذا بدأت قواته بالتحرك.

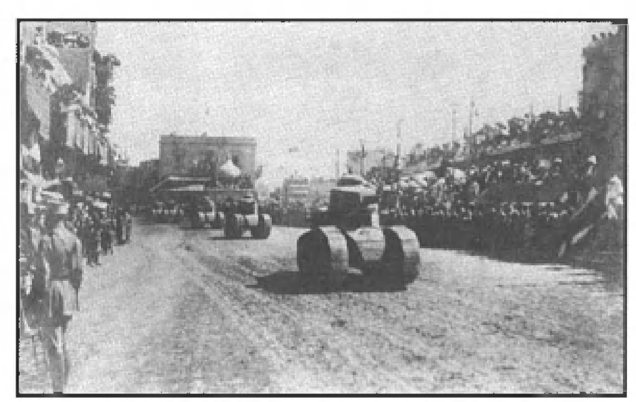
وكانت أخبار التحشدات العسكرية على حدود المنطقة الشرقية في زحلة وقرب حلب تُنبئ بحدوث أزمة خطيرة تقرر مصير البلاد بعد أشهر التردد والانتظار منذ إعلان الهدنة[١٥٧]. واستقر رأي فيصل، بعد أن أنذر بهذا الوضع، على الذهاب إلى أوروبة على رأس وفد سوري، وأبلغ اللنبي بأنه يخشى هجوماً فرنسيا وشيكاً. وطلب فيصل من رئيس الوزارة البريطاني ضماناً بعدم حدوث تغير في الوضع العسكري على الحدود في حال غيابه. ولكن الحكومة البريطانية لم تقدم له أي ضمان، و لم تتعهد له بأي اجراءات خاصة لرحلته إلى أوروبة، فعرف الفرنسيون أن بإمكانهم العمل مع فيصل وحده[١٥٨]. لذلك لما أرسل فيصل ممثله إلى بيروت ليعلن نية الملك في السفر إلى أوروبة، وليطلب إعداد الوسائل اللازمة، أبلغه غورو أن الدعوة لم تعد مفتوحة وأن رسالة هامة ستصل فيصلاً خلال أيام بناء على تعليمات الحكومة الفرنسية[١٥٩].



بعد دخول القوات الفرنسية دمشق، ٢٥ تموز / يوليو ١٩٢٠

ووصلت الأزمة أوجها في ١٤ تموز ١٩٢٠ بتوجيه إنذار يتلخص بأن الانتداب من وجهة نظر فرنسا لا يمكن أن يتوافق مع وجود حكومة سورية. وعدَّد الإنذار سلسلة الشكاوي على أعمال حكومة دمشق مع مطالب محددة: وضع سكة حديد رياق ــ حلب تحت تصرف الجيش الفرنسي، قبول الانتداب الفرنسي، الغاء التجنيد الإجباري وتسريح المجندين، قبول الأوراق الرسمية النقدية التي أصدرها البنك السوري، معاقبة رؤساء (العصابات) المسؤولة عن حركة المقاومة ضد الفرنسيين[١٦٠].

لم توقف التطورات التي أعقبت الإنذار قرار الحكومة الفرنسية ببسط حكمها على سورية الداخلية مهما كلف الأمر. وقد توجه غورو ببيان إلى السوريين، قبل ميسلون، في محاولة تقرب من الأهالي لحثهم على الانصراف عن حكومة دمشق وعدم مقاومة القوات الفرنسية وخاطبهم بقوله: " لا زلت آمل أن السوريين أذكياء ومستنيرون بحيث يرفضون الركض إلى الموت والدمار للدفاع عن الأقلية (المجرمة) التي تسيطر عليهم. لن تتركوا أبناءكم يتعرضون لآلات الحرب البرية والجوية الحديثة المريعة من أجل نتيجة واحدة هي الحفاظ بأي ثمن على الخدمة العسكرية الإجبارية والضرائب المرهقة وجميع الأعباء الساحقة التي تضطهدكم"[١٦١].



قوات دي لاموت، حلب
٢٤ تموز/يوليو ١٩٢٠



بعد دخول القوات الفرنسية إلى دمشق،
٢٥ تموز/يوليو ١٩٢٠

ورغم أن معظم السياسيين في سورية، ظلوا حتى ميسلون، يعتقدون أن البريطانيين لن يسمحوا للفرنسيين بالاستيلاء على سورية الداخلية[١٦٢]. فقد تم احتلال المدن الرئيسية في سورية. ولم يكن هذا يعني نهاية المقاومة المسلحة، فقد ظلت مناطق معينة خارج المدن في الساحل السوري وفي الشمال الغربي من سورية، تموج بالثورة.



هوامش الفصل الأول

(١) جورج انطونيوس، **يقظة العرب، تاريخ الحركة القومية** (ترجمة ناصر الدين الأسد، إحسان عباس) دار العلم للملايين، الطبعة السادسة ١٩٨٠، ١٠، ١١، ١٢، ص ٢٧٦-٣٤٦.

(٢) هـــي المنطقة الممتدة من طوروس إلى سيناء ومن المتوسط إلى الفرات، والمعروفة باسم بلاد الشام. وكانت تنقسم إدارياً أواخر العهد العثماني إلى ثلاث دويلات: دمشق، حلب، بيروت، ومتصرفتين مـــرتبطتين بوزارة الداخلية هما القدس ودير الزور وثالثة مرتبطة بالصدر الأعظم هي جبل لبنان ولها نظام خاص.

(٣) أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية**، دمشق ١٩٥٦ ص ٦٤ــ٦٧.

فايز الغصين، **مذكراتي الثورة العربية**، دار الترقي، دمشق ١٩٥٦ ص ١٥٧ــ١٨٧.

(٤) صبحي العمري، **أوراق الثورة العربية**، دار رياض الريس للنشر، لندن ١٩٩١، مجلد ٣ ص ٢٥ــ ٢٦.

(٥) Salibi, Kamal, **Modern History of Lebanon**, London, 1959, p159.

(٦) خيرية قاسمية، **الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ ــ ١٩٢٠**، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١، ص ٧٨. وفي مقابلـــة شخصـــية مـــع المؤلفة ذكر محب الدين الخطيب: أن الحسين كتم المراسلات عن مستشارية ولما علموا بها طلبوا منه تصديق الاتفاقية في البرلمان البريطاني فقال: " إن الذين اتفقوا معي هي الحكومة نفسها" وكان يشير إلى جيبه ويقول "وعودهم هنا".

وعن مراسلات الحسين مكماهون انظر، انطونيوس، ص ٥٤٣ ــ ٥٧٧ (ملحق أ).

(٧) المرجع السابق، ص ٥٨٦ ــ ٥٨٨ (ملحق د).

(٨) المرجع السابق، ص ٣٨٢.

(٩) يوسف الحكيم، **سورية والعهد الفيصلي**، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦، ص٢٠.

(١٠) حول التفاصيل، انظر قاسمية، ص ١١ ــ ١٢.

(١١) الحكيم، **سورية والعهد الفيصلي**، ص٢٢ ــ ٢٣.

(١٢) حدث هذا الاجراء قبل احتلال مناطق حمص، حماه، حلب، وقبل عقد الهدنة في ٣٠/١٠/١٩١٨.

(١٣) Young, Huber, The Independent Arab, London. 1933, P:256.

(١٤) يوسف الحكيم، **سورية والانتداب الفرنسي**، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص ٨.

(١٥) Wavell, Archibald, **The Palestine Campaigns**, Constabe, London 1928,p.242, 260.

(١٦) قاسمية، ص ٥٤. وانظر كذلك:

Kedourie, Elie, **England and the Middle East: The Destruction of The Ottoman Empire, 1914-1921**, Bowes and Bowes, London 1956 p.131.

(١٧) قاسمية، ص ٧٦.

(١٨) Kedourie, p.129.

(١٩) Wavell, p.257.

(٢٠) قاسمية، ص ٥٥.

(٢١) الحكيم، **سورية والعهد الفيصلي**، ص ٢٢.

(٢٢) ساطع الحصري، **يوم ميسلون**، دار الاتحاد بيروت، طبعة ١٩٦٤، ص ٢١٠.

(٢٣) اسعد داغر، **مذكراتي على هامش القضية العربية**، القاهرة ١٩٥٩، ص ١٠٠ ــ ١٠١.

(٢٤) لمزيد من التفاصيل انظر نادين بيكو دو، **عشر سنوات هزت الشرق الأوسط**، ترجمة عبد الهادي عباس، دار الأنصار، دمشق ١٩٩٦، ص ١٠٤ــ١٠٥.

(٢٥) المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٢٦) انطونيوس، الفصل ١٣، ص ٣٤٧ــ٣٨٤.

(٢٧) Yale, William, **The Near East, a Modern History**, University of Michigan Press, U.S.A,1958, 1968, P.260.

(٢٨) بيكو دو، ص ١٠٤ــ١١٣.

(٢٩) Tibawi, Abdlatif, Syria From Peace Conference to fall of Damascus, **Islamic Quarterly**,December 1917, p78.

(٣٠) قدري، ص ٩٠.

(٣١) زيــن نــور الدين زين، **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة سورية ولبنان**، دار النهار للنشر ١٩٧١، ملحق ٥ ص ٣٠٣ ــ ٣٠٦، ملحق ٦ ص٣٠٧.

(٣٢) العمري، ص ٢٥ ــ٢٦. يذكر المؤلف "كانت مخاوف العرب تكمن في وجود فرنسا في الساحل أكثـــر مـــن وجود الانكليز في فلسطين والعراق، لأنهم لم يكونوا قد نفضوا أيديهم بعد من شرف بريطانيا ووفائها لعهودهم لهم".

(٣٣) لونغـــرنغ، ستيفن همسلي، **تاريخ سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ترجمة بيار عقل، دار الحقيقة، بيروت طبعة ١٩٧٨، ص٩٧.

(٣٤) Tibawi, p.77.

(٣٥) العمري، ص ٢٦.

(٣٦) حـــول الحركة الصهيونية ومؤتمر السلم، واتفاقية فيصل وايزمن، انظر قاسمية، ص ٨٨ــ٩١ وص ٩٨ــ٩٩.

(٣٧) المرجع السابق، ص٨٣، (وفقاً لروايات المعاصرين للمؤلفة)

(٣٨) بـــيكودو، ص١٠٤، تنص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم الذي تم تبنّيه في نيسان ١٩١٩ "أن بعض الجماعات التي كانت تنتمي سابقاً للامبراطورية العثمانية قد وصلت إلى درجة من النمو بحيث أن وجـــودها كأمـــة مستقلة يمكن أن يعترف به آنياً شريطة أن تكون المشورات والمعونة من الدولة المنـــتدبة مـــوجهة لإدارتهـــا حتى الفترة التي تصبح فيها قادرة على قيادة نفسها. وينبغي لآمال هذه الجماعات أن تؤخذ بعين الاعتبار في اختيار المنتدب".

(٣٩) حول التفاصيل بشأن لجنة كنغ ــ كراين يمكن العودة إلى:

Howard, Harry, **The King-Crane Commission. An American, Inquiry into the Middle East, Khayat**, Beirut, 1963.

(٤٠) انطونيوس، (حول توصيات اللجنة في، ١٩١٩/٨/٢٨)، ص ٦٠٠ ــ ٦١٦ (ملحق ح).

(٤١) حول إخفاء التقرير، انظر قاسمية ص ١٢١ ــ ١٢٢.

(٤٢) Yale, P.333.

(٤٣) انطونيوس، ص ٤١٩ــ٤٢٠.

(٤٤) قاسمية، ص ١٢٤.

(٤٥) Cunning, Henry, Franco-British Rivalry in the Post War Near East: The Decline of French Influence 1914-1923. London, Oxford, 1938, p.92.

(٤٦) جريدة العاصمة، دمشق، ١٤و١٥/٩/١٩١٩.

(٤٧) الجريدة نفسها، ٢٣/١٠/١٩١٩.

(٤٨) الجريدة نفسها، ٣٠/١٠/١٩١٩.

(٤٩) قاسمـــية، ملحق ٦، ص ٢٨٧ـــ٢٩٠، اعتماداً على وثائق اللجنة الوطنية العليا التي كانت بحوزة محب الدين الخطيب.

(٥٠) الحصري، ص ١١٢ـــ١١٣.

(٥١) Yale, P.338.

(٥٢) جريدة العاصمة، ١٩١٩/١٢/٨.

(٥٣) لونغرنغ، ص١٢٤.

(٥٤) داغر، ص ١٢٥.

(٥٥) جريدة العاصمة، ١٩١٩/١٢/٢٥.

(٥٦) قاسمية، ص ١٥١.

(٥٧) انظر ما بعد في هذا الفصل.

(٥٨) جريدة العاصمة، ١٩٢٠/١/٢٦.

(٥٩) قاسمية، ص ١٥٩.

(٦٠) Jeffries, J., **Palestine, the Reality**, Lomgens-Green, London, 1939, p. 319.

(٦١) قدري، ص ١٦١.

(٦٢) عبد الرحمن الشهبندر، فيصل ابن الحسين، **المقتطف**، ج٣، مجلد ٨٣، ١٩٣٣، ص ٢٦٢.

(٦٣) زين زين، ص١٤٤.

(٦٤) رسالة فيصل إلى اللنبي، ١٩٢٠/٢/١١، قاسمية، ملحق رقم ٣.

(٦٥) Jeffiries, p.321.

(٦٦) جريدة العاصمة ١٩٢٠/٢/٥.

(٦٧) Jeffiries, p.321.

(٦٨) محمد كرد علي، المذكرات، ج١، دمشق، ١٩٤٨، ص ١٣٥.

(٦٩) Jeffiries, p.328.

(٧٠) قاسمية، ص ١٧٩.

(٧١) المرجع السابق، ص ٢٠٣.

(٧٢) حول تفاصيل الأيام الأخيرة لعهد الحكومة العربية يمكن العودة إلى الحصري، ص ١١٧ـــ١٥٩.

(٧٣) Wavell, p.242.

(٧٤) Kedouri, p.131.

(٧٥) لونغرنغ، ص ١٠٠.

(٧٦) أوراق بدر الدين الكيلاني، دار الوثائق التاريخية بدمشق، القسم الخاص.

(٧٧) مذكـــرات ابراهيم الشغوري عن ثورة هنانو (غير منشورة)، دار الوثائق التاريخية، دمشق، القسم الخاص. يذكر الشغوري أن بعض أبناء انطاكية أراد تمزيق العلم العثماني المرفوع على دار الحكومة، فاستنكر هنانو المحاولة وأمر بإنزاله محترماً، كما أمر برفع العلم العربي الذي أخذ يرفرف لأول مرة في سمـــاء المدينة. وألقى كلمة جاء فيها "أن هذا العلم قد أظل الإسلام والعروبة خمسة قرون فعلينا أن يظل محترماً وأن الشعب التركي ما زال يستظل به هو أخ الشعب العربي وإن تفرقا".

(٧٨) قاسمية، ص ٥٦.

(٧٩) زين زين، ص ٨٤.

(٨٠) في عـــام ١٨٦١ اثر تفجر الحرب الأهلية، أصبح جبل لبنان متصرفية مستقلة ذاتياً ضمن الدولة العثمانية وفقاً لبروتوكول وضعته الدول الكبرى، وقد ألغى جمال باشا هذا النظام ١٩١٥.

(٨١) زين زين، ص ٨٤ـــ٨٥.

(٨٢) المرجع السابق، ص ٨٥.

(٨٣) قاسمية، ص ٥٨.

(٨٤) المرجع نفسه.

(٨٥) Ministère de la Marine, Cabinet du Ministre, 1/12/1918, E313-1.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد مجلد ٥، ص ١٠٨،١٠٧. وتذكر الوثيقة أن بيكو لم يكـــن يتمـــتع بشعبية بسبب حادث أرشيف القنصلية الفرنسية، "ولم ينس الناس أن إهمال بيكو قد أودى بحياة العديد من الزعماء العرب واللبنانيين من أصدقائنا".

(٨٦) لونغريغ، ص١٠٠.

(٨٧) الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، ص ٤٧ـــ٤٨.

(٨٨) General (GR) du Hays, Les Armèes Françaises au Levant (1919-1939), Ministère de la Dèfense, Etat-Major de l'Armèe de Terre, Service Historique, Château de Vincennes 1978-1979, p.141.

(٨٩) لونغريغ، ص ١٠٠.

(٩٠) قاسمية، مقابلة شخصية مع محمد شريقي.

(٩١) General Commondant D.F.P.S à Guerre (Etat-de lArmèe, No. 24/6, Beyrouth 2/11/1918.

(٩٢) قاسمية، ص ٥٨ــ٥٩ (من رسالة فيصل إلى اللنبي).

(٩٣) قاسمـــية، ص ٥٩، وكـــان اللنبي قد شرح هذه التأكيدات أمام الأربعة الكبار في مؤتمر السلم في الجلسة السرية في ٢٠آذار ١٩١٩.

(٩٤) انطونيوس، ص ٥٨٩-٥٩١ (ملحق هــ).

(٩٥) اسكندر الرياشي، قبل وبعد، لبنان ١٩١٨ ــ ١٩٥٢، جريدة الحياة، عدد ١٠٠٣ــ١٩٥٢/١١/١٧.

(٩٦) Communiquè à Guerre par Marine, Port-Said, No, 927 6,26/11/1918, (Amiral Ariane à Marine Paris).

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٥، ص ٩٧.

(٩٧) انظر الفصل الرابع.

(٩٨) Garnett,D. (ed.), **The Letters of T.E.Lawrence**, New York, 1938-1939, p.267.

وأصبح اسم القوات الفرنسية منذ مطلع ١٩١٩ قوات الشرق الفرنسية.

(٩٩) Ministère de la Guerre, Etat-Major de l'Armèe, Section D,Afrique, No. 8078, 9/11-16/11/1918.

(١٠٠) Ibid.

(١٠١) Ibid.

(١٠٢) Affaires Etrangères, No. 620, Le Carie, 23/11/1918.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٥، ص ١١.

(١٠٣) لونغريغ، ص ١٠٣ــ١٠٦.

(١٠٤) المرجع السابق، ص ١٠٧.

(١٠٥) Général D.F.P.S à Guerre, No 50/G, Beyrouth, 11/11/1918.

(١٠٦) Dètachement Français de Palestine-Syrie, 25/1/1919.

(١٠٧) Troupes Françaises du Levant, Etat-Major, 20/3/1919.

(١٠٨) Affaires Etrangères, E313-1.p.139. Le Caire, 14/11/1918, (Picot).

(١٠٩) Amiral Arian à Marine, Paris pour Guerre, Section Afrique, Port-Said, No 380-44,25/11/11/1918.

من وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٥، ص ٤٤.

(١١٠) انظر الفصل الرابع، ص ٢٣٤ وما بعدها.

(١١١) لونغريغ، ص ١٠٥.

(١١٢) GR.du Hays, p,141.

(١١٣) Kedourie, p.129.

(١١٤) District de Tripoli, Le Coverneur Militaire de Tripoli à Administateur de Vilayet de Beyrouth, No.24, Tripoli, 10/1/1919.

(١١٥) Ministère des Affaires Etrangères. Direction des Affaires Politiques et Commerciales-Asie, E-313-1-36, 25/11/1918.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد مجلد ٥، ص ٣٦—٣٧.

(١١٦) Ministère de la Marine, Cabinet du Minstre E-313-1, 1/12/1918.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٥ ص ١٠٧—١٠٨.

(١١٧) Troupes Françaises de Levant, Etat-Major No.460/G, Beyrouth, 1/4/1919.

وقـــد عمد الجنرال هملان قائد القوات الفرنسية في المشرق إلى تنظيم القيادة وتوزيع القوات في ربيع ١٩١٩ بحيث يصبح مقر القيادة في بيروت، كما يوضع في بيروت اللواء الأول مختلط أما اللواء الثاني فمقـــره في حلـــب، وبالنسبة للمشاة فالفوج الأول بالإضافة إلى كتيبتين في بيروت مع فوج مشاة قناصة وكتيبة في دمشق، الفرقة (السورية) وفيها كتيبة في بيروت وكان يؤمل إنشاء كتيبة أخرى في دمشق من السكان المحليين:

Troupes Françaises du Levant-Etat Major, No 402/G,Beyrouth, 22/3/1919.

(١١٨) Lattaquiè, 12/7/1919, Letter de notre Correspondant de Lattaquiè-Commission Amèricaine.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية المحفوظة في مكتبة الأسد، مجلد ١٦، ص١٨.

(١١٩) Sandjak de Lattaquiè, No. G/113, 29/12/1918, O.E.T.Zone Nord, Vilayet de Beyrouth, No. G/110, 7/1/1919.

هذه الوثيقة تتعلق بجولة في بانياس وجبلة.

(١٢٠) لونغريغ، ص، ١٢١.

(١٢١) زين زين، ص، ٣١٤—٣١٥.

(١٢٢) لونغريغ، ص ١٠٧.

(١٢٣) المرجع السابق، ص ١٢١. وصل غورو بيروت في ٢١ تشرين الثاني ١٩١٩.

(١٢٤) المرجع نفسه.

(١٢٥) زين زين، ص ١٣٦ــ١٣٧.

(١٢٦) جريدة العاصمة، ١٩١٩/١١/٢٠.

(١٢٧) زين زين، ص ١٣٨.

(١٢٨) لونغريغ، ص ١٢٣.

(١٢٩) الحصري، ص ١١٥.

(١٣٠) قاسمية، هامش ٤، ص ١٣٩ــ١٤٠.

(١٣١) انظر ما سبق ص ١٠.

(١٣٢) قاسمية، ص ١٥٢.

(١٣٣) GR. Du Hays. P.141.

(١٣٤) الثورتان في هاتين المنطقتين هما موضوع هذا البحث.

(١٣٥) لونغريغ، ص ١٢٥.

(١٣٦) جريدة العاصمة، ١٩٢٠/٢/٥.

(١٣٧) جريدة الدفاع، ١٩٢٠/٢/١٦.

(١٣٨) Affaires Etrangères, Beyrouth, 21/3/1920, No 675/6.
وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٢٣، ص ١٣٣.

(١٣٩) لونغريغ، ص ١٢٥.

(١٤٠) جريدة الدفاع، ١٩٢٠/٣/٢٠.

(١٤١) قاسمية، ص ١٩٠.

(١٤٢) جريدة الدفاع، ١٩٢٠/٤/١٥.

(١٤٣) قاسمية، ص ١٩٠. وكان مثال ذلك اجتماع مجلس إدارة لبنان في بعبدا واعلان الاحتجاج على كل ما ورد في قرار الاستقلال.

(١٤٤) لونغريغ، ص ١٢٨.

(١٤٥) قدري، ص ٢٠٩.

(١٤٦) جريدة الدفاع، ١٩٢٠/٣/٢٤.

(١٤٧) انظر الفصل الرابع.

(١٤٨) GR. Du Hays. P141.

(١٤٩) تـــرجمة رســـالة مـــن غـــورو إلى فيصل في ١٩٢٠/٥/٥ (ملحق ٦٩ غير منشور) في رسالة الماجستير، قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، جامعة القاهرة، ١٩٦٩.

(١٥٠) المرجع السابق (الملحق غير المنشور).

(١٥١) قاسمية، ص ١٨٧.

(١٥٢) المرجع السابق، ص ١٩٣، نقلاً عن رسالة فيصل إلى غورو، ١٩٢٠/٥/٢٤.

(١٥٣) المرجع السابق، ص ١٩٢، نقلاً عن الرسالة المشار لها في الهامش السابق.

(١٥٤) المرجع السابق، ص ١٩٣. وقد نشرت جريدة الحياة العدد ٢٠٠٩ في ١٩٥٢/١١/٢٤ صورة عن الوثيقة الأصلية لقرار مجلس الإدارة.

(١٥٥) المرجع السابق، ص ١٩٤.

(١٥٦) ص ١٢٩.

(١٥٧) الحصـــري، ص ١١٧، وقد سجل الحصري أحداث الفترة الأخيرة من عهد الحكومة العربية في كتابه (يوم ميسلون). وكان فيصل قد بعث باحتجاج إلى غورو بشأن ما أشيع في صحف مصر عن نية الحكومة الفرنسية إرسال قوات عسكرية لاحتلال دمشق وحلب وغيرها، راجياً تكذيب الأخبار "لأنهـــا عملـــت تـــأثيراً سيئاً لدى عامة طبقات الشعب" (ملحق ٧٣ غير المنشور في قاسمية، رسالة الماجستير المشار لها سابقاً، هامش ١٤٩).

(١٥٨) Tibawi, p.115.

(١٥٩) الحصري، ص ١١٨.

(١٦٠) المرجع نفسه.

(١٦١) GR. Du Hays, Annexes, p.81.

ويمكـــن العودة إلى الترجمة العربية لهذا البيان في دار الوثائق التاريخية بدمشق، (ويبدو أن البيان وزع على شكل مناشير).

(١٦٢) الحصري، ص ١٩٧.



الفصل الثاني

العمليّات العسكريّة للثورات السّورية في المنطقتين السّاحلية والشماليّة الغربيّة

المرحلة الأولى

منذ نهاية ١٩١٨ - صيف ١٩٢٠

تمهيد

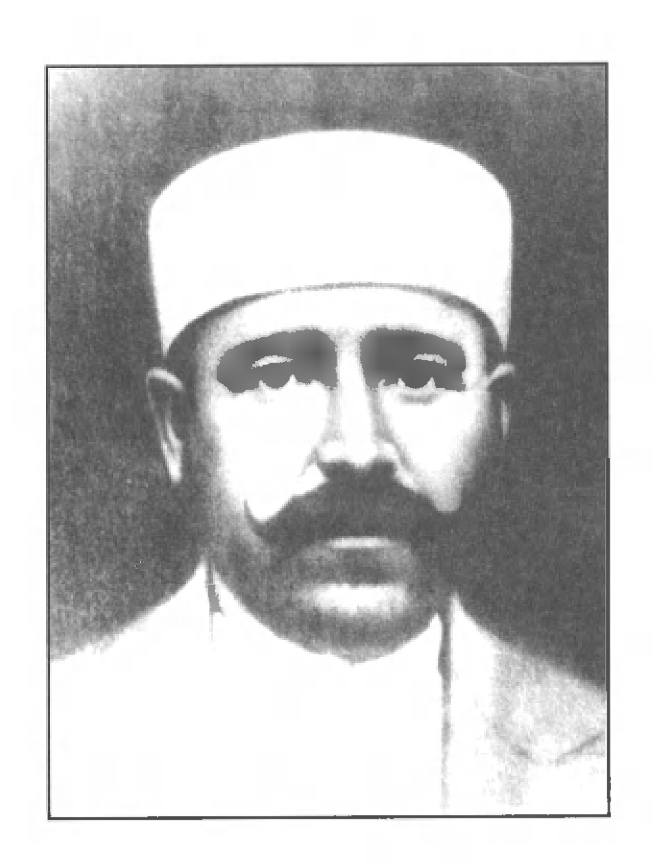
كانـــت طلائع القوات الفرنسية قد أخذت تحتل مواقع حساسة في الشريط الساحلي منذ مطلع تشـــرين الثاني ١٩١٨ ومن ثم بدأت تتوسع باتجاه الشرق والشمال وتقضي على الحكومات المحلية التي قامـــت في تلك المناطق باسم الحكومة العربية في دمشق. وجاء التحدي الجدي للاحتلال الفرنسي من المـــناطق الريفية في الساحل السوري الشمالي والمناطق الشمالية الغربية من سورية على شكل موجة من الـــثورات. و لم تتوقف تلك الثورات باستيلاء الفرنسيين في تموز عام ١٩٢٠ على جميع المدن الداخلية وعلى قسم كبير من البلاد بل ظلت مشتعلة خلال السنة الأولى من الاحتلال الفرنسي، و لم تتم السيطرة الفرنسية على المناطق الثائرة في صيف ١٩٢١ إلا باستخدام القوة[1].

وتـــبرز في هذا المجال ثورتان: الأولى بقيادة الشيخ صالح العلي شملت كل أنحاء المنطقة الساحلية الكائـــنة بين القرداحة شمالاً وصافيتا جنوباً والعاصي شرقاً والبحر غرباً. أي أنها شملت أقضية طرطوس وجـــبلة ومصـــياف وبانياس. وكان مركز الثورة قرية الشيخ بدر التي جعل صالح العلي منها حصناً له. وشملـــت الثورة الثانية بقيادة ابراهيم هنانو المنطقة الشمالية الغربية بين حارم وكفر تخاريم وإدلب وجبل الـــزاوية وجســـر الشغور جنوباً وقضاء صهيون في منطقة اللاذقية غرباً ثم معرة النعمان وأطراف حماه شرقاً. وكان مركز الثورة كفر تخاريم.

أ ـــ الانطلاقة: الشيخ صالح يعلن الثورة في كانون الأول ١٩١٨:

دعـــيت الثورة الأولى بثورة الشيخ صالح العلي لأنه كان موقدها وبطلها، وهو ابن الشيخ علي ســـلمان، ولقد عرف هو ووالده بالتقوى والصلاح. ولد في عام ١٨٨٣ في قرية المريقب ناحية الشيخ بـــدر في مـــنطقة طرطوس. وكان لوالده مكانة دينية كبيرة ومدنية، وقد خلف الشيخ صالح والده في زعامة المنطقة وكان مثلاً يحتذى في الإيمان والوطنية.

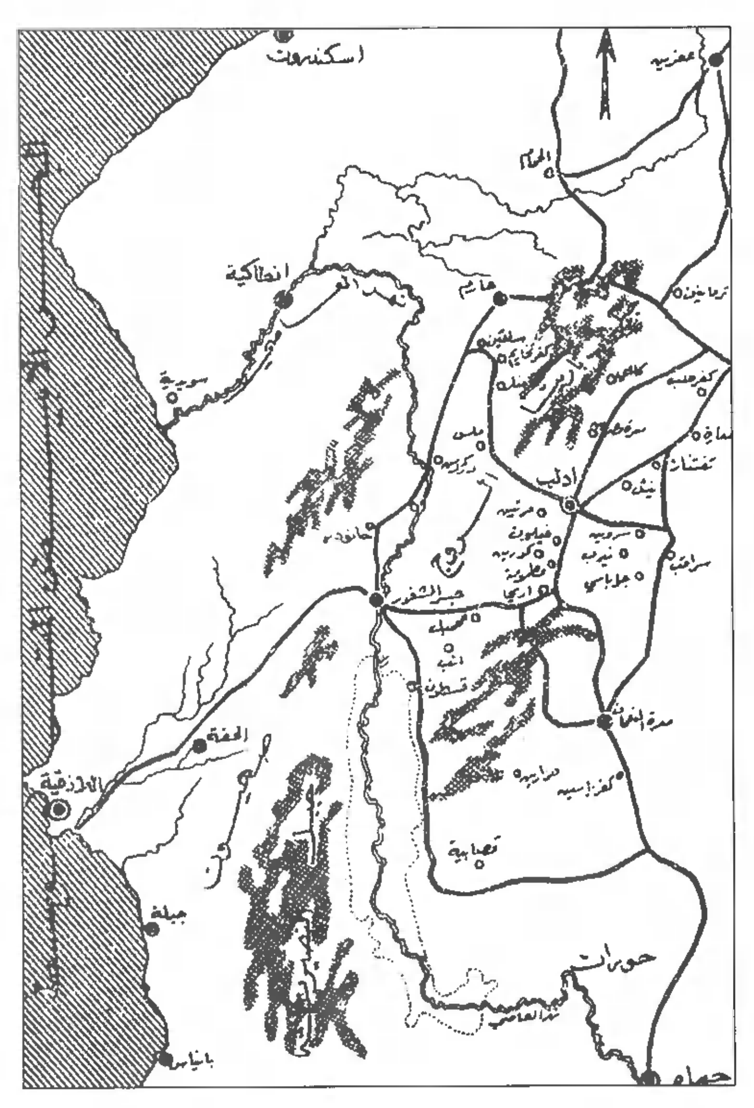




الشيخ صالح العلي

ومنذ أن وصلت الأخبار إلى جبال اللاذقية بأن الفرنسيين قد احتلوا الشريط الساحلي ويتحركون باتجاه الداخل قام الشيخ صالح العلي في ١٩١٨/١٢/١٥ بدعوة زعماء ووجهاء قرى المنطقة الساحلية وجبالها من جميع الطوائف للاجتماع به في قرية الشيخ بدر إحدى قرى منطقة طرطوس(٢) وقد تداول معهم في أمر الوقوف في وجه مطامع الفرنسيين، ونواياهم بفصل المنطقة الساحلية عن الحكومة العربية، واعتدائهم على ممثليها ونزعهم علمها الذي كان مرفوعاً على المحلات الرسمية، وعلى دور الأهلين في المدن الساحلية، وتنكيلهم بالمواطنين الذين أصروا على رفعه. وأكد الشيخ صالح أن الدلائل تشير إلى أن الفرنسيين سيحاولون جعل سورية مستعمرة .. وقد قرَّ رأي المجتمعين بعد ثلاثة أيام متواصلة على إشعال نار الثورة في الجبل لطرد الفرنسيين من الساحل في الجبل السوري كله وتكليف الشيخ صالح قيادة هذه الثورة. وحمّل المجتمعون رسل حكومة دمشق أنباء هذا القرار لتقوم الحكومة بدورها بمد الثورة بما تحتاجه من سلاح وعتاد ومؤن(٣).

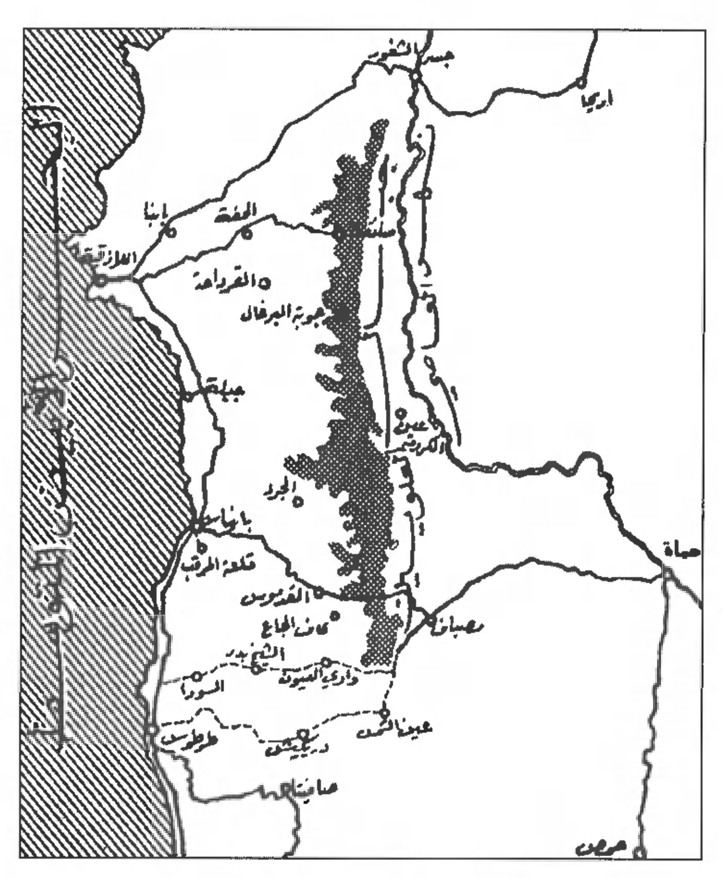
ووصل نبأ الاجتماع السلطة الفرنسية فقامت بالقبض على بعض الزعماء الذين حضروا الاجتماع وزجتهم في سجن بانياس. وكان منهم أحمد المحمود ومحمد اسماعيل واسبر زغيبي. ووجه قائد



مواقع الثورة السورية على الجبهة الشمالية الغربية ١٩١٨ــ١٩٢١

حامية بانياس الفرنسي دعوة للشيخ صالح العلي للاجتماع به، ولكن الشيخ، الذي يعرف عظم المهمة الملقاة على عاتقه ويعلم خبث نوايا المحتلين الفرنسيين، لم يلب الدعوة. وراح يتخذ الاحتياطات الممكنة للوقوف في وجه عدوان الفرنسيين(٤). وقد أسرعت القيادة الفرنسية في القدموس بتوجيه حملة مؤلفة من كتيبة مشاة مدعومة بالمدفعية لاحتلال الشيخ بدر واعتقال الشيخ صالح والقضاء على الثورة في مهدها قبل أن تتسع وتأخذ شكل ثورة عارمة(٥). وبلغت الشيخ صالح أنباء هذه الحملة وكانت مفاجأة له ولم يكن قد أعد لها العدة اللازمة، ولم يكن لديه سوى بضعة رجال من أعوانه ومقدار قليل من الذخيرة لبنادق قديمة من الطراز الألماني. ولم يكن لدى الشيخ بدر خيار فهب مع أولئك الرجال القلائل للتصدي للحملة في منطقة احراج وصخور قرب قرية النيحا الواقعة على بعد ٦ كم شرق الشيخ بدر، والتي تحيط بها الجبال من الجهات كافةً، ويستطيع المجاهد الذي يقف من جهة الشيخ بدر استطلاع تحرك أي شخص أو آلية تقوم بأي عمل(٦). وكان المجاهدون يتمركزون في هذه النقاط الحساسة وفكرة الثبات حتى النصر أو الموت جعلتهم يصممون على خوض المعركة مهما كانت النتائج(٧). وأصلى المجاهدون القوات الفرنسية ناراً حامية من مواقعهم المحصنة بينما كان الفرنسيون في أرض سهلة. ولم تدم المعركة طويلاً رغم عدم التكافؤ بين قوات الطرفين، فتراجعت القوات الفرنسية مخلفة ٣٥ قتيلاً أي ثلث تعداد السرية تقريباً عدا عشرات البنادق وصناديق الذخيرة والمعدات. وكانت هذه المعركة المظفرة

فاتحـــة المعـــارك[٨]. ودوى خبر هذه المعـــركة في أنحـــاء الجـــبل وتقاطـــر المـــتطوعون للانضواء تحت راية الثورة والجهاد[٩]. وأخذ الشيخ صالح بتنظيم صـــفوف المتطوعين وكان قد وصل إلى المـــنطقة إثـــر تلك المعركة بعض ضباط الجـــيش العـــربي الذين أرسلتهم حكومة دمشق كمستشارين عسكريين للثورة[١٠].



مواقع الثورة السورية على الجبهة الساحلية، ١٩١٨ــ١٩٢١

وفي مطلـــع شباط، ولمواجهة الوضـــع الذي أفسد مخططات القيادة العليا الفرنسية أجرت هذه تغييرات في تنظيم القيادة واعداد القوات وأرسلت الوحدات إلى الأماكن التي كان إرسالها إلـــيها ضـــرورياً. وأصـــبحت المنطقة الساحلية تحت مسؤولية اللواء المختلط الساحلي (Brigade Mixte du Littoral) بدلاً من قيادة (الفرقة الســـورية La division de Syrie) بأمـــرة الجنرال دولاموت de la-mothe. وقد نُظم اللواء المختلط الساحلي في ثلاث مجموعات تحت أمرة الكولونيل سوسوليه Sousselier: مجموعة الشمال بإمرة المقدم مانســـيه Mensier قائد الفوج الثالث المختلط المؤلفة من القوات المرابطة في سناجق اللاذقية وطرابلس وهـــي: الكتيـــبة السابعة من الفوج الثالث مختلط بالإضافة إلى سرية من الكتيبة التاسعة. وكتيبة زواف Zouave[١١] وســـرية سباهية[١٢] مع سريتين من العناصر المحلية. أما مجموعة الشرق فتتألف من القوات المرابطة في بيروت وزحلة، ومجموعة الجنوب وتتضمن القوات المرابطة في صنجق صيدا[١٣].

وكـــان الشـــيخ صالح العلي، بعد هزيمة الفرنسيين في الحملة الأولى قد فطن إلى أن السلطة الفرنســـية سوف تسيرّ حملات أكبر. وفعلاً فقد سارع الفرنسيون إلى مواجهة الثوار قبل أن يكملوا اســـتعدادهم للقتال فأعادوا الهجوم في ٢ شباط ١٩١٩ على قرية الشيخ بدر بقوة أكبر ودعم أكثر. ولكن الشيخ صالح كان مهيأً لملاقاة الفرنسيين هذه المرة بما توفر له من سلاح وعتاد كان قد غنمه في

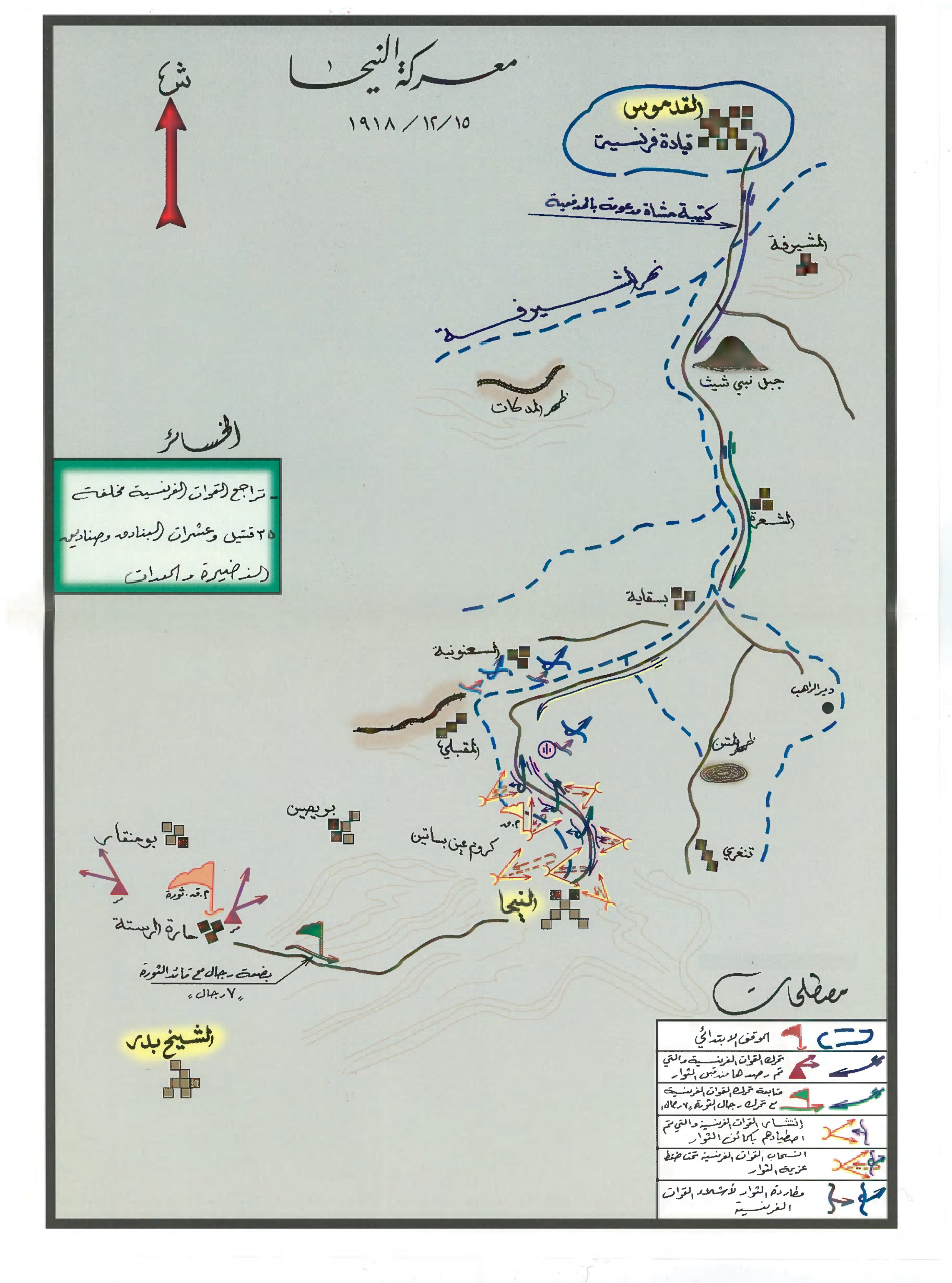
المعركة السابقة وما انضم إليه من مجاهدين جدد. ودارت المعركة واستمرت منذ ساعات الصباح حتى المســاء وانجلت عن هزيمة الحملة الفرنسية تاركة في أرض المعركة عشرين قتيلاً وثلاثة أسرى وكمية كـبيرة مـن المعدات والذخائر(١٤). وكان لمعركة الشيخ بدر الثانية أثر كبير في زيادة القوة المعنوية والمادية لدى المجاهدين بما كسبوه من نصر على عدوهم وما وقع في أيديهم من أسلحة وعتاد. وبرهن الشـيخ صالح على قيادة حكيمة وخبرة عسكرية لم يتلقنها في المدارس العسكرية، ولكنه كان يتمتع بعقـل سليم وحس مرهف وثقة بنفسه وبعدالة قضية بلاده. وبرهن المجاهدون على مستوى عال من البســالة والإقــدام وروح الفداء وقوة العزيمة(١٥). وقد كان للمعركة أثر كبير لدى الفرنسيين الذين بدأوا يشعرون بأنهم يواجهون ثورة قوية عنيفة قد تقضي على سيطرتهم على البلاد(١٦).

ب ـ الثورة تشتعل في جبل صهيون مطلع ١٩١٩:

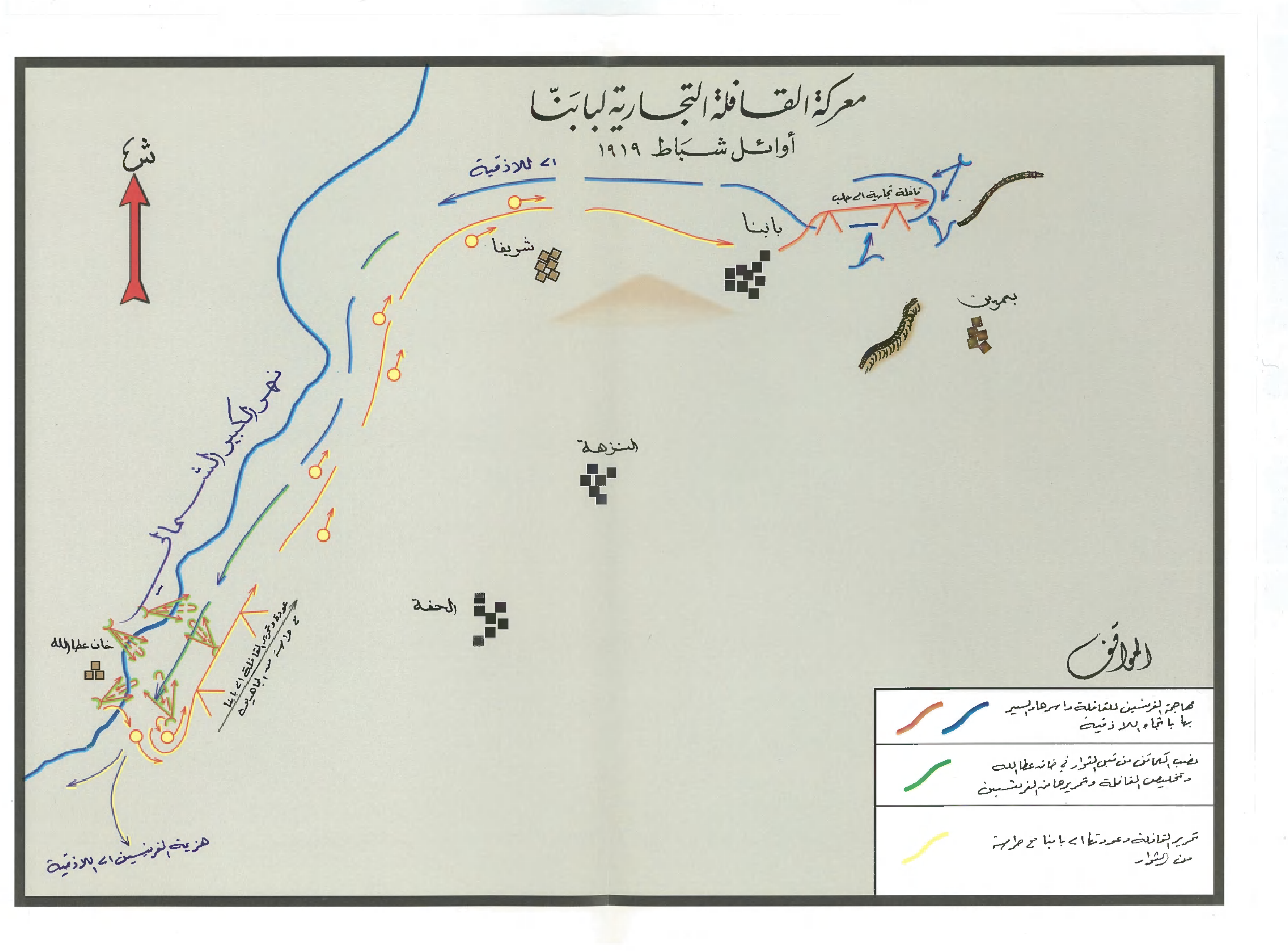
وامــتد نطــاق الثورة إلى منطقة (جبل صهيون) في الشمال الغربي من الجبال الساحلية، فكان ســكان قضاء بانياس، ناحية صلاح الدين، وعلى رأسهم آل البيطار، قد تنادوا للثورة بعد أن بلغهم نبأ ثورة الشيخ صالح العلي بهدف المضي إلى جانبها من أجل الأهداف نفسها(١٧). ودعوا لعقد اجتماع في أوائــل عــام ١٩١٩ حضــره كــثير من رؤوساء المنطقة ووجوهها(١٨)، وقد بحثوا فيه مسألة احتلال الفرنســيين للمــنطقة الساحلية بقصد فصلها عن الحكومة العربية في دمشق، وقرروا الوقوف في وجه مطامــع الفرنسيين وقوتهم وذلك بالتعاون مع ثورة الشيخ صالح(١٩)، وإرسال وفد إلى حلب للاجتماع برجال الحكومة العربية فيها وإبلاغهم عزمهم وطلب مدهم بالسلاح والعتاد(٢٠). وتحرك الوفد فعلاً من (بابــنا) ولكنه اضطر للعودة إليها بعد أن علم رجاله بوجود كمائن فرنسية ستحول دون وصولهم إلى حلــب. ولكــنهم فوجئوا بقوة فرنسية تنتظرهم بأطراف (بابنا) وبادرتهم بإطلاق النار فقابلوها بالمثل وهبّ الأهلون لنجدتهم، وكانت هذه المصادمة أول اشتباك مسلح بين أهالي المنطقة والقوات الفرنسية. وذكر الجنرال هاملان(٢١) في تقرير إلى وزارة الحرب أن فصيلة من السباهية الفرسان قد تعرضت في ٢٢ كانــون الثاني ١٩١٩ إلى هجوم من (المنشقين الجبليين)، وقد أمر الحاكم العسكري باللاذقية، بسبب عــدم كفاية الوسائل في اللاذقية، إلى مركزة قوات كافية لاحتلال ((بابنا) مركز المنشقين) والتصرف بقوة بهدف دفع إلى تسليم (المعتدين).

وفي أوائل شهر شباط ١٩١٩ تعرضت قوة فرنسية لقافلة تجارية من منطقة (بابنا) إلى حلب واستولت عليها، ولما علم الأهالي بالحدث نفر حوالي ٢٠٠ من الرجال المسلحين بالبنادق الحربية وغيرها من بنادق الصيد لملاحقة القوة الفرنسية. وتربصوا لها في قرية خان عطا الله قرب النهر الكبير على بعد ١٠ كم شرق اللاذقية. ودارت معركة عنيفة مع تلك القوة استمرت نحو ست ساعات وانتهت بهزيمة الفرنسيين بعد تكبدهم عدداً من القتلى والجرحى وبعض السلاح والعتاد. واسترد المجاهدون القافلة المسلوبة وعادوا إلى (جبل صهيون) ومعهم شهداؤهم وما غنموه من سلاح وعتاد. وكانت هذه المعركة نذيراً بإشعال نار الثورة في منطقة (جبل صهيون) [٢٢]، وكان الرد الفرنسي عنيفاً فقد شكل الجنرال هاملان قائد القوات الفرنسية في المشرق رتلاً باسم (رتل شباط Fevrier تحت أمرة قائد السرية روسل Roussel مؤلف من سرية ونصف مشاة وفصيلة رشاشات وفصيلة خيالة وبطارية مدفعية جبلية من أجل فرض النظام في المنطقة. وقد تمكن هذا الرتل من صدّ الثوار، وعاد الرتل إلى اللاذقية ومعه بعض الأسرى من الثوار، وحقق هذا الرتل كما تقول التقارير الفرنسية الاتصال بين اللاذقية وطرابلس للمرة الأولى بعد أن عرف أن منطقة (بابنا) أنه لا يمكن الوصول إليها[٢٣]. والواقع أن احتلال الفرنسيين بعض قرى (جبل صهيون). خاصة (بابنا)، يعود إلى أن المجاهدين لم يكونوا قد استعدوا لمقاومة قوات ضخمة فانسحبوا إلى الجبال استعداداً للرد في الوقت المناسب[٢٤]. وظن الفرنسيون أنهم قد أعادوا هيبتهم إلى (بابنا) والقرى المجاورة بمظاهر القوة، التي اتخذوها[٢٥].

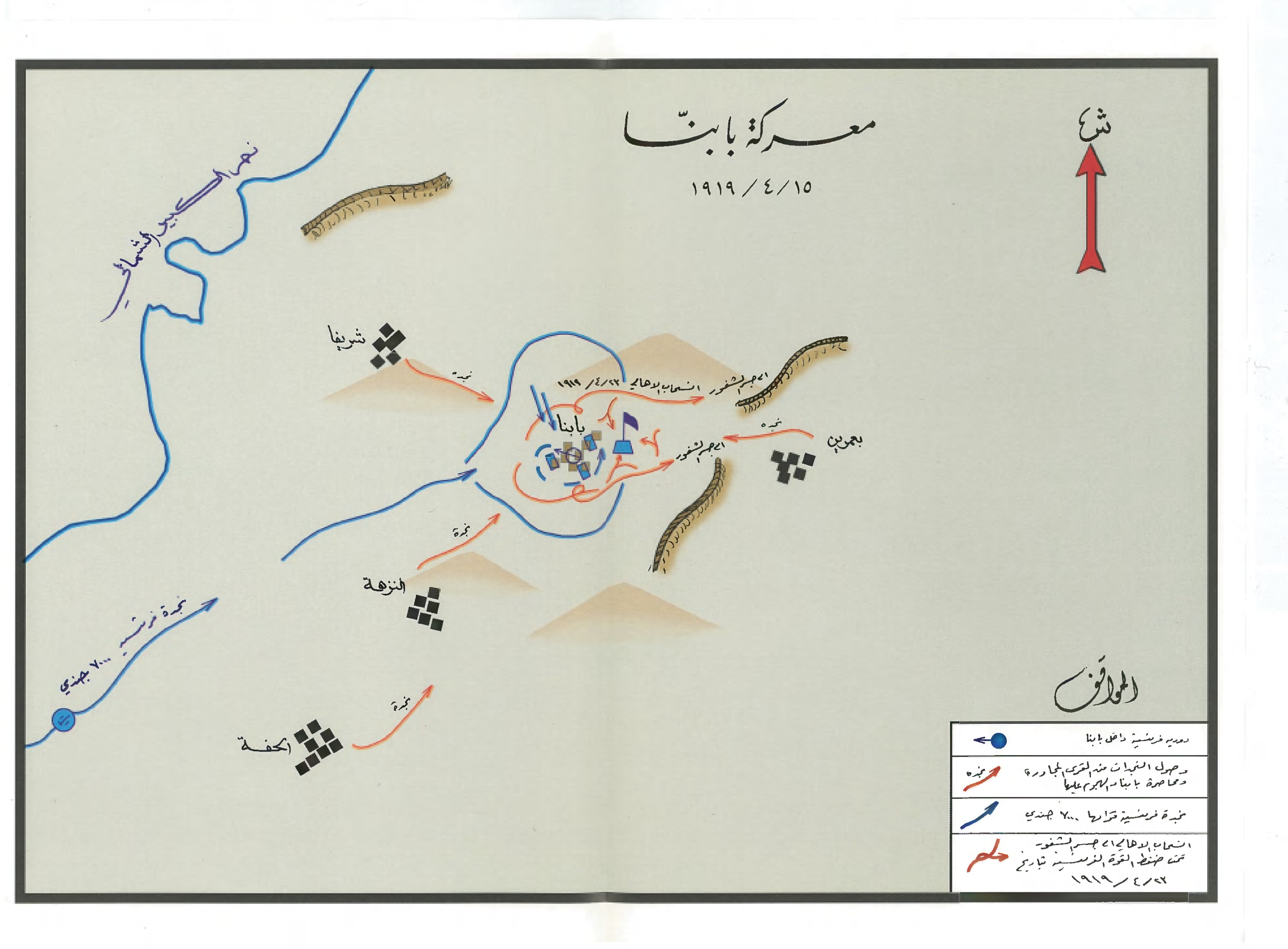
كان رد الثوار قيام الشيخ عز الدين القسام من أهالي جبلة، الذي كان يقيم في قرية (الزنقونة) قرب الحفة بتشكيل فئة من المجاهدين عددهم ٢٧[٢٦] وأمرهم بالتوجه إلى اللاذقية ومهاجمة الثكنة الفرنسية فيها. وكمن المجاهدون في أحد بساتين اللاذقية ليلاً ولكن استحال عليهم اقتحام الثكنة بعددهم القليل، وقد شعر حراس الثكنة بهم فاضطروا للانسحاب بعد مناوشة قصيرة وعادوا إلى معاقلهم في الجبال المشرفة على اللاذقية[٢٧]. وهال الفرنسيون أن يحاول الثوار اقتحام ثكنتهم في قلب اللاذقية فأرسلوا بعد يومين حملة تمركزت في قرية (بيت طبش) وصوبت مدافعها على الحفة والقرى المجاورة وأنذرت الأهالي بدفع غرامة قدرها ٥٠٠ ليرة ذهبية وإلا فإنها ستقوم بتدمير القصبة والقرى، فاضطر الأهلون إلى تسليم المبلغ لقائد الحملة ، وألقت الحملة القبض على أربعة من زعماء المنطقة وساقتهم رهائن إلى سجن اللاذقية[٢٨]. ثم عادت فأطلقت سراحهم خشية أن تستفحل الثورة.



معركة النيحا
١٥/ ١٢/ ١٩١٨
ش
القدموس
قيادة فرنسية
كتيبة مشاة مدعومة بالمدفعية
المشيرفة
نهر الشيروفة
جبل نبي شيث
ظهر المدكات
الخسائر
- تراجع القوات الفرنسية مخلفة
٢٥ قتيل وعشرات البنادق وصناديق
الذخيرة والمعدات
الشعرة
بسقاية
السعنونية
دير الراهب
المقبلي
ظهر المتن
بريصين
بوحنتار
كروم عين بساتين
تنغري
النيحا
م. قد. ثورة
حارة الرستة
بضعة رجال مع قائد الثورة
« ٧ رجال »
الشيخ بدر
مصطلحات
الموقف الابتدائي
تحرك القوات الفرنسية والتي تم رصدها من قبل الثوار
متابعة تحرك القوات الفرنسية مع تحرك رجال الثورة «٧ رجال»
إنتشار القوات الفرنسية والتي تم اصطيادهم بكمائن الثوار
انسحاب القوات الفرنسية تحت ضغط عزيمة الثوار
مطاردة الثوار لأشلاء القوات الفرنسية



معركة القافلة التجارية لبابنا
أوائل شباط ١٩١٩
ش
نهر الكبير الشمالي
إلى اللاذقية
قافلة تجارية إلى حلب
بابنا
شريفا
بعموين
المنزهة
الحفة
خان عطا الله
عودة وتحرير القافلة إلى بابنا
مع حراسة من المجاهدين
هزيمة الفرنسيين إلى اللاذقية
المواقف
مهاجمة الفرنسيين للقافلة وإجبارها السير بها باتجاه اللاذقية
نصب الكمائن من قبل الثوار في خان عطا الله وتخليص القافلة وتحريرها من الفرنسيين
تحرير القافلة وعودتها إلى بابنا مع حراسة من الثوار



معركة بابنا
١٥/٤/١٩١٩
ش
نهر الكبير الشمالي
شريفا
النزهة
الحفة
بعمرين
بابنا
نجدة
نجدة فرنسية ٧٠٠ جندي
انسحاب الأهالي ٢٢/٤/١٩١٩
الى جسر الشغور
المواقف
دورية فرنسية داخل بابنا
وصول النجدات من القرى المجاورة ومحاصرة بابنا والهجوم عليها
نجدة فرنسية قوامها ٧٠٠ جندي
انسحاب الأهالي الى جسر الشغور تحت ضغط القوة الفرنسية بتاريخ ٢٢/٤/١٩١٩

عمد قائد السرية مينول Mainault وهو حاكم اللاذقية العسكري، إلى إجراء بعض التعديلات في توزيع قــوات الاحتلال المشكلة من مفرزة خيالة في اللاذقية بأمرة الملازم أول بيجول Bigault والسرية الرابعة والثلاثين قناصــة بأمــرة الملازم كولونا Colonna في (بابنا) والسرية السورية في جبلة بامرة بيرج Berge لمواجهة الوضع الجديد. ويقر مينو أن تزويد ٢٠٠ رجل بالمؤن بواسطة قافلة من اللاذقية إلى (بابنا) ليس بالأمر السهل[٢٩]. وعادت فئة من ثوار (جبل صهيون) للتعرض لقوة فرنسية في ٣ آذار ١٩١٩ كانت ذاهبة إلى (بابنا) لتموين حاميتها وأطلقوا النار عليها من مناطق جبلية في جوار قرية بزقتا، ولما بلغت القوة (بابنا) سارعت إلى الالتجاء إلى الثكنة تاركة عدداً من القتلى والجرحى وبعض الأسلحة والعتاد[٣٠].

واضطرت قوات الاحتلال في منطقة اللاذقية إلى المطالبة[٣١] بزيادة عدد القوات (لاحتلال البلد احــتلالاً عسكرياً فعلياً) لأن جبليي المنطقة بنظرها لا يشبهون سكان "المدن الوديعين" خاصة أن طبيعة المــنطقة أدت إلى "صــعوبة عظيمة بالنسبة للعمليات لأن خطوط السير تفرضها الطرق الترابية". وقد أقــرت هــذه القــوات بأن المسلحين مزودون ببنادق حربية حديثة (موزر) Mauser. وقدرت عدد الأســلحة الموجــودة في الجبل فيما بين ٣٠,٠٠٠ــ٥٠,٠٠٠ بندقية. وتبرر تلك القوات حاجتها إلى زيــادة أعدادها باتساع المنطقة الثائرة في محافظة اللاذقية خاصة، قضاء جسر الشغور، المرتبط بها بامتداد ١١٥ كــم مــن الجنوب حتى الشمال و٣٠ــ٨٠كم من الغرب حتى الشرق. وترى أن سرية القناصة الفرنســية هــي السرية الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها. غير أن هناك نقصاً في الأطر الدنيا الفرنسية "الأمر الذي يضر بالنظام ويثقل كاهل قائد السرية".

وفي مطلــع نيسان ١٩١٩ أصبحت قوات احتلال منطقة اللاذقية تتألف من سرية قناصة بأمرة مــلازم أول كولــونا موزعة بين اللاذقية و(بابنا)، وسرية من الفرقة السورية يرأسها النقيب فوجيرون Faujeron في جبلّة، ونصف سرية سباهية في اللاذقية بقيادة الملازم أول سوليار Souliard. وقد ألحت قــيادة القوات الفرنسية في المشرق على تشكيل مفرزة (سورية) كاملة في بيروت من المجندين من العناصر المحلــية. وتقــول بــرقية من الجنرال هاملان قائد القوات الفرنسية في الشرق في الأول من أيار أنه تحسباً لعمليات ألفرار المحتملة فإن من الضروري الطلب إلى المتطوعين في هذه المفرزة تأمين خيلهم بأنفسهم[٣٢].

قامــت دوريات الفرنسيين في (بابنا) في ١٥ نيسان بالاعتداء على الأهلين وإلقاء القبض على ثلاثــة مــن شــباب القصبة[٣٣]. وساقتهم إلى الثكنة وقام الحاكم العسكري في (بابنا) الكابتن ماغران بإعــدام الشــبان شنقاً في ساحة الثكنة، ليرهب السكان ويخيفهم[٣٤]. وأدت هذه الجريمة الوحشية إلى

زيـــادة حماســـة الأهالي ونقمتهم وقرروا الانتقام للشهداء من الفرنسيين. ووفدت جموع المجاهدين من القرى المجاورة واحتشدت في (بابنا) وقامت بالهجوم على الحامية الفرنسية، ودارت ضمن قصبة (بابنا) معركة استمرت بضعة أيام جرى فيها تبادل الرصاص وتراشق بالقنابل اليدوية، وبلغ القتال حد الالتحام وأظهر الثوار خلاله كثيراً من ضروب الإقدام، وخسر الفرنسيون ١٥ جندياً وضابطين[٣٥]. وكان من أبـــرز المجاهـــدين حسن طه الذي هاجم منـــزل الحاكم العسكري (الكابتن ماجران) وأحدث ثغرة في المنـــزل رغم الرصاص المنهمر واستشهد وهو يهم بالدخول[٣٦]. واستمر الثوار في التشديد على القوات المحاصرة في الثكنة وكادت تسقط لولا وصول نجدة كبيرة تقدر بلواء كامل (٧٠٠٠) جندي، مدعومة بالمدفعـــية والطائـــرات إلى حامية (بابنا)، وأخذت تمطر القرية بقذائف الطائرات وقنابل المدافع إلى أن تمكـــنت الحامـــية المحاصرة في الثكنة من الخروج، وبدأت بالهجوم والفتك بالأهالي دون تمييز، وتساقط الشـــهداء (٢٠) بعـــد أن نفذت ذخيرتهم، وانتقم الفرنسيون بحرق القصبة وقتل من وجدوه من أهلها حوالي (٦٠ــ٧٠) قتيلاً. ذلك أن أهالي (بابنا) وعددهم (١٠,٠٠٠) كانوا قد اضطروا للخروج منها تـــاركين الأموال والمتاع مكتفين بنقل أطفالهم وشيوخهم هرباً من فظاعة الفرنسيين واتجه النازحون إلى منطقة جسر الشغور ليستعدوا من جديد لقتال الفرنسيين[٣٧].

جــ ــ بين المواجهة والمفاوضة على الجبهة الساحلية (أيار، حزيران ١٩١٩).

عمـــد الفرنســـيون إلى زيـــادة عدد قوات احتلالهم في المنطقة الساحلية فأصبح لواء الساحل المخـــتلط، وهو الفرقة الثالثة لجيش المشرق، تحت أمرة الجنرال غوابيه Goybet. وتشكّل هذا اللواء منذ الأول مـــن أيار على النحو التالي: المشاة: من الفوج ٤١٥ مشاة، الفوج الثالث M.Z.T. الفوج الثاني قناصـــة، الخيالة، مشكلة من الفوج الأول المختلط لخيالة المشرق، المدفعية: مجموعة هيئة الأركان بطارية ٧٥ وبطارية ٦٥. ويتضمن هذا اللواء أيضاً وسائل جيش الاحتياط المرابطة في المنطقة (كتيبة وسرية من عناصـــر محلية بشكل خاص). وعززت هذه القوات فيما بعد باللواء السنغالي (الكتيبة العاشرة والكتيبة الحادية عشرة من فوج القناصة السنغالية)[٣٨].

وفي هذا الدور بدأ التعاون بين ثوار جبل صهيون (صلاح الدين) الذين نزحوا إلى جسر الشـــغور، وبين الثوار تحت قيادة الشيخ صالح العلي واشتركوا معاً في بعض المعارك[٣٩]. وكان نطـــاق الثورة في الجبال الساحلية قد اتسع، وشعر الفرنسيون أنهم يواجهون ثورة قوية عنيفة قد

تقضـــي على خططهم في البلاد، وخاصة بعد أن ولدت هزيمتهم الأولى في المنطقة عقدة نقص في نفوس القادة الفرنسيين. وكان لابد من انقاذ هيبتهم فعمدوا إلى تشكيل رتل خاص[٤٠] يوضع في مـــنطقة القدمـــوس جنوب شرق بانياس بهدف إعادة الأمن والهدوء إلى المنطقة الواقعة فيما بين طرابلس واسكندرون[٤١].

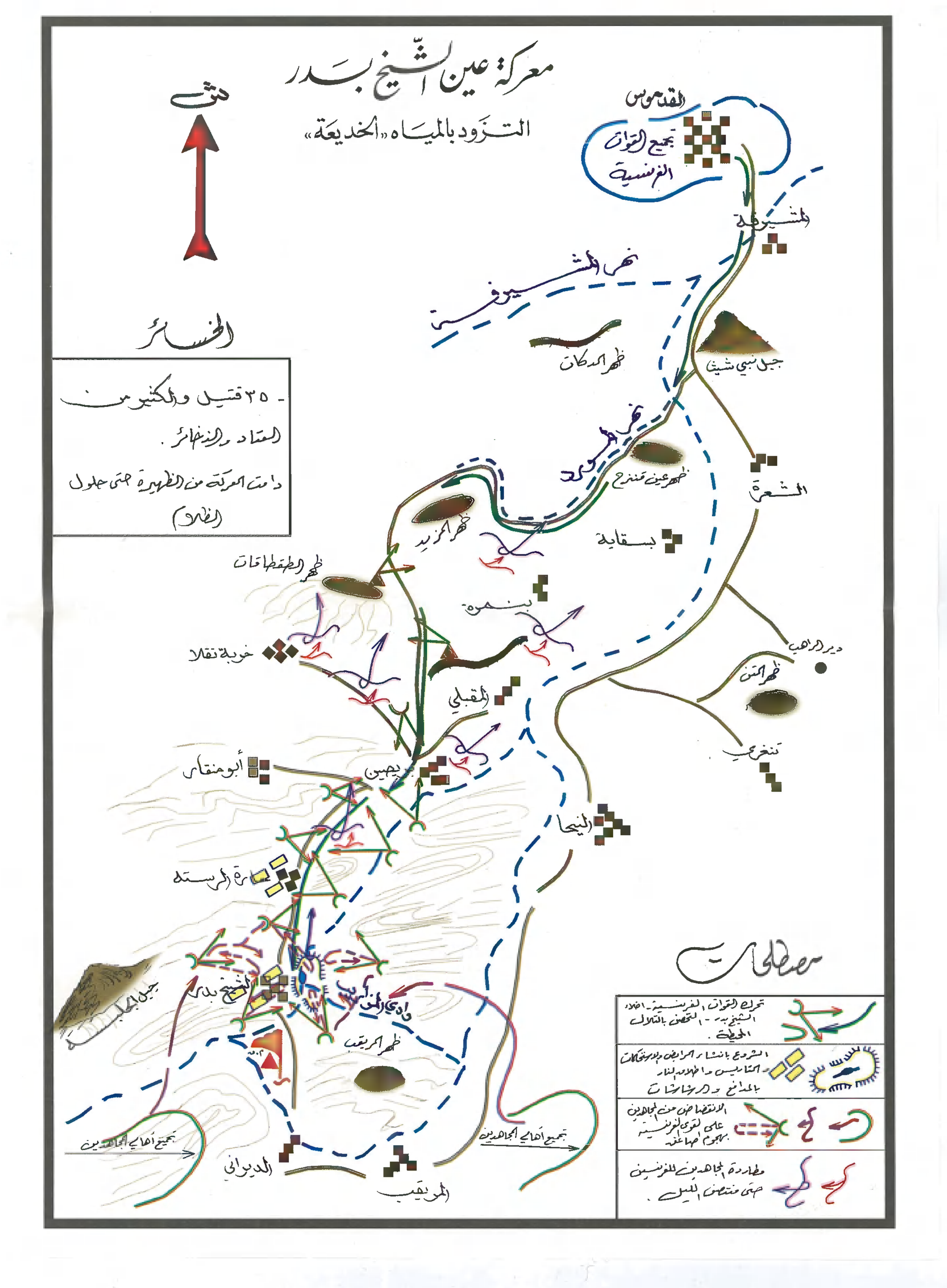
واتفـــق الفرنســـيون علـــى طلب معونة حليفتهم بريطانيا لتقوم بدور الوسيط في الأمر علّها تستطيع، بما كان باقياً لها من نفوذ وبما تتقنه من أساليب الدهاء، العمل على انهاء الثورة وإيقاف تيارها القوي. ولم يتوان البريطانيون عن مد يد المعونة إلى حلفائهم الفرنسيين على شكل وساطات لأن نشوب الـــثورات في سورية كان يقلقهم لخشيتهم من جهة، أن تنتقل إلى مناطق نفوذهم، ومن جهة أخرى أن تخـــرج الـــثورة عن الحدود التي يمكن أن يستفيدوا منها في مساوماتهم مع الفرنسيين[٤٢] ووجه الجنرال اللـــنبي قائـــد الحلفـــاء في الشرق رسالة إلى الشيخ صالح العلي بتاريخ ٢٥ أيار ١٩١٩ حملها ضابطان بريطانيان (ليتأكد من وصولها)[٤٣]، جاء فيها "أن الحلفاء الذين قدموا لتحرير سورية من ظلم العثمانيين واعطائهـــا الحرية والاستقلال ...لا يلقون منكم التكريم والحفاوة اللائقين ...وإن موقفكم من القوات الفرنســـية يدعو إلى الخيبة والعجب". وقد طلب الضابطان عدم التعرض للقوة الفرنسية التي ستمر من الشـــيخ بدر متجهة من القدموس إلى طرطوس، وألح الضابطان بالاقناع والرجاء. ولم يسع الشيخ صالح إلا القـــبول، رغم توقعه غدر الفرنسيين، لأنه وجد من الحكمة ألاّ يثير بريطانيا في تلك المرحلة الحرجة والـــثورة ما زالت في بدايتها والاستعدادات الكاملة لم تتم بعد. كما أنه رأى ان نزوح الحملة الفرنسية مـــن القدموس إلى طرطوس يساعد على امتداد الثورة نحو الشمال بعد أن يكون ذلك الجيب العسكري قد زال عن ميمنتها[٤٤].

وعقد مؤتمر عربي بريطاني فرنسي (تحقيقاً لرغبة اللنبي) في قرية الشيخ بدر، حضره الشيخ صالح نفســـه وبعـــض وجهاء آل المحمود وآل عدرا. وعن الجانب البريطاني الكولونيل سمرست Sommerest وعن الجانب الفرنسي الكولونيل نييجر Nieger ممثل إدارة المنطقة الغربية[٤٥]. وتم الاتفاق على السماح للقـــوة الفرنســـية بالمرور في منطقة الشيخ بدر والتزود بالماء، على ألاّ تقف أكثر من ساعة ولا تنـــزل حمولة ولا تنصب خيمة. واتفق الجانبان العربي والفرنسي على عقد هدنة بشرط عدم إلقاء القبض على عناصر جديدة من أبناء المنطقة. ومن أجل تجنب الاحتكاك بالقوة الفرنسية أمر الشيخ صالح بإخلاء قرية الشيخ بدر وحصّن رجاله في التلال المحيطة بها[٤٦].

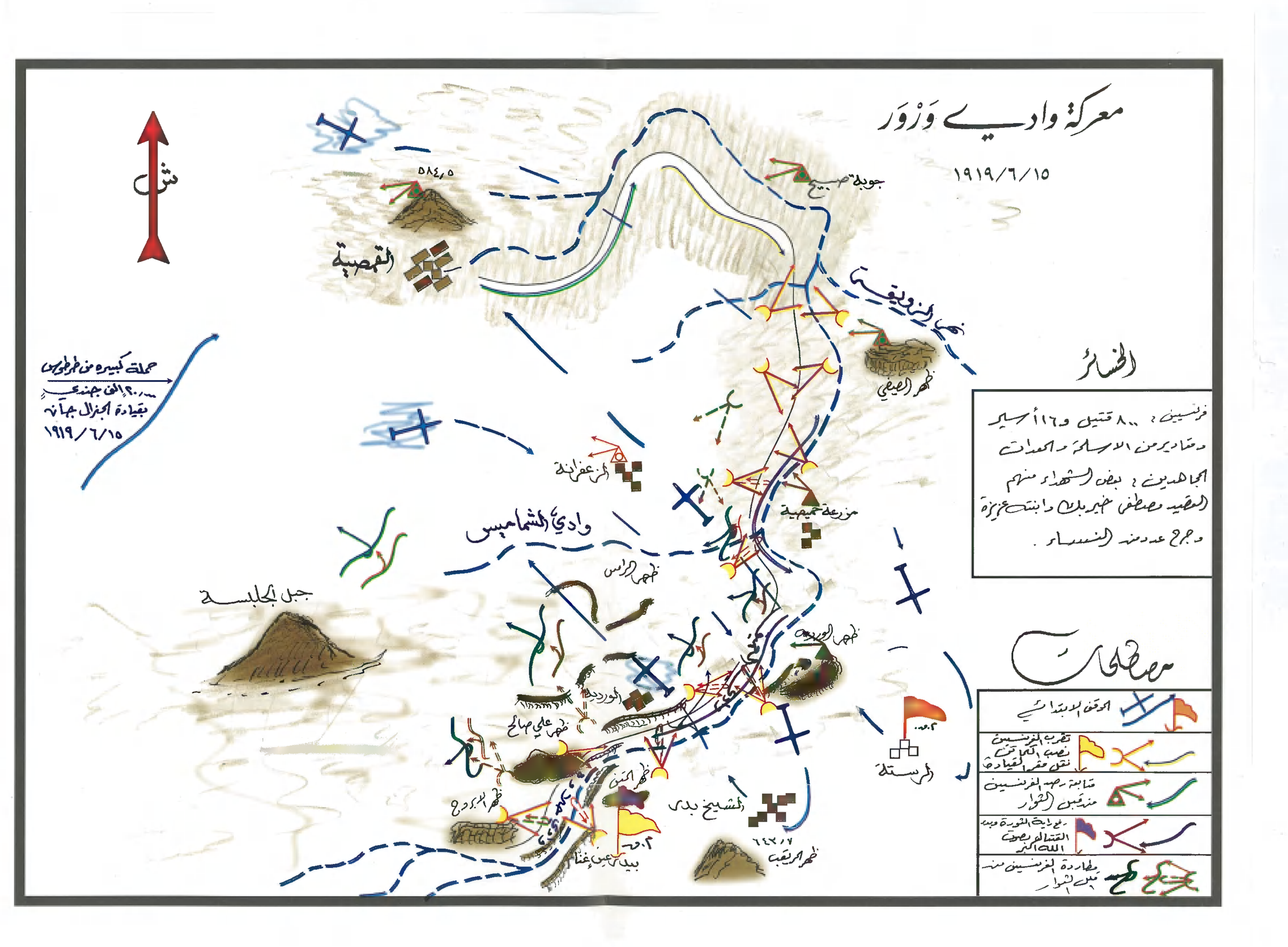
وكان ثمة هدنة قصيرة الأجل بين الطرفين[٤٧]. فقد كان الفرنسيون يرمون من وراء هذه الهدنة (الخديعة) إلى احتلال الشيخ بدر معقل الشيخ صالح وقاعدة الثورة. وحين كانت فرنسا تدعو إلى المصالحة صدرت أوامر الحركة من بيروت ترسم للمفارز المختلفة خط سيرها في المنطقة مع بيان تفاصيل القوة والعتاد[٤٨]. وعاد مينو، حاكم اللاذقية العسكري، إلى المطالبة مجدداً[٤٩] بزيادة القوات (عدا الخيالة نظراً لطبيعة الأرض) مكرراً الأسباب الموجبة: "اتساع السنجق، والنقص المطلق لطرق المواصلات، شغب الجبليين المسلحين بأجمعهم"، وكان مينو يدرك أنه لا جدوى من استخدام العناصر المحلية فيقول[٥٠]: "يبدو أن نفسية (المتطوعين) قد تغيرت لغير صالحنا في الوقت الحاضر بلغ عدد الفارين من السرية السورية ٤٠ رجلاً معظمهم مع أسلحتهم وعتادهم ...وأرى أن عدد حالات الفرار يكفي للشهادة على أنه لا يمكن استخدام المتطوعين السوريين في الوقت الحاضر، فهناك خطر انتقال السرية السورية بأكملها إلى جانب (المتمردين)".

تقدمت القوات الفرنسية إلى قلب منطقة الشيخ بدر وشرعت فوراً بإنشاء المرابض لمدافعها وحفر الاستحكامات وإقامة المتاريس، ثم باشرت بإطلاق نار المدافع والرشاشات على قريتي الشيخ بدر ـــ الرستة مسقط رأس الشيخ صالح وبيوته، وحين نقض الفرنسيون الهدنة بهذه الخديعة اللا أخلاقية، أمر الشيخ صالح الثوار بالانقضاض على القوة الفرنسية بهجوم صاعق، وقامت معركة دامية استمات فيها المجاهدون الأبطال وانتهت بهزيمة الفرنسيين بعد أن خسروا ٣٥ قتيلاً والكثير من العتاد والذخائر. ودامت هذه المعركة من الظهيرة حتى حلول الظلام، حيث ظل المجاهدون يضربون في ظهور الفرنسيين الفارين حتى منتصف الليل[٥١]. وكان لهذه المعركة أثر كبير في جميع أنحاء الجبال الساحلية فقد تدفق الرجال من كل النواحي للتطوع في صفوف الثورة. وأفادت المعركة القائد الشيخ صالح في تجنب الوقوع في أحابيل الخداع والتغرير. وتوافدت على أثر المعركة وفود حكومة دمشق تحمل المساعدات والامدادات، وانضم بعض الضباط من الجيش العربي إلى هيئة أركان حرب الثورة[٥٢].

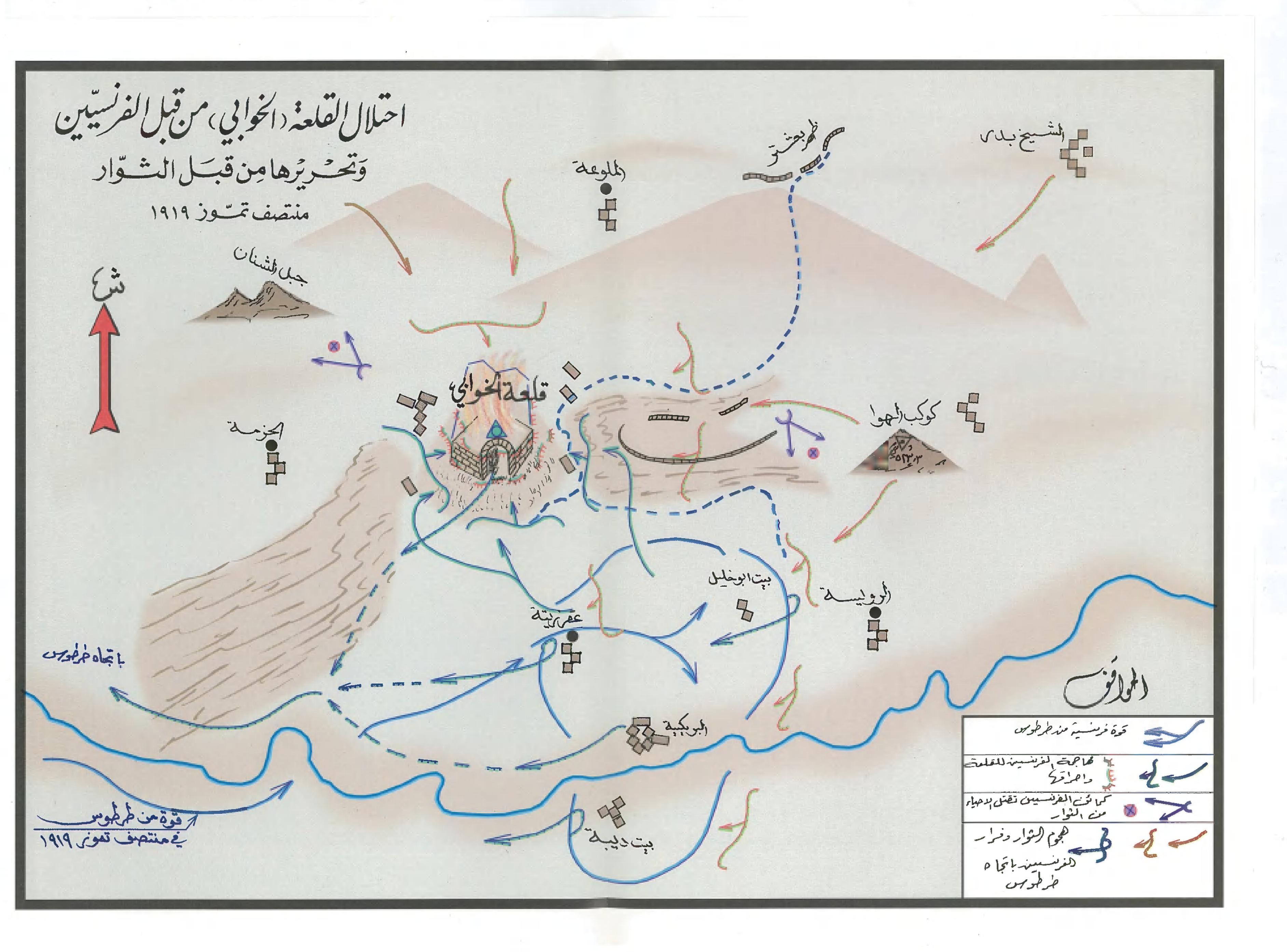
وقد شعر الفرنسيون بعد تلك الهزيمة بقوة الثورة وخاصة بعد اتساع نطاقها وازدياد عدد الثوار. وبعث مينو حاكم اللاذقية العسكري إلى الجنرال هاملان قائد القوات الفرنسية في المشرق (مقره في بيروت) في ٣ حزيران ١٩١٩ رسالة موضحاً فيها حراجة موقفه، وخاصة أن الجنرال هاملان كان قد سبق وأعلمه بعدم إمكان زيادة عدد قوات احتلال سنجق اللاذقية وكما يقول في رسالته مستجدياً لجوجا[٥٣] "إنه في كل مرة يضطرب الوضع اضطراباً حقيقياً في نقطة ما من منطقتي يجب عليّ أن أوجه



معركة عين الشيخ بدر
التزود بالمياه «الخديعة»
ش
الخسائر
- ٣٥ قتيل والكثير من
العتاد والذخائر.
دامت المعركة من الظهيرة حتى حلول
الظلام
القدموس
تجمع القوات الفرنسية
المشيرفة
نهر الشيخ فرسنة
ظهر الدكات
جبل نبي شيت
نهر السورد
ظهر عين تمنزح
الشعرة
ظهر الزيد
بسقاية
ظهر الطقطاقات
بسمره
خربة نقلا
دير الراهب
ظهر التين
المقبلي
تنغرمي
أبو منقار
بصين
النيحا
الشيخ بدر
جبل الجلبية
وادي
ظهر الريقب
تجميع أهالي المجاهدين
الديراني
المريقب
مصطلحات
تحرك القوات الفرنسية
مطاردة المجاهدين للفرنسيين
حتى منتصف الليل.



معركة وادي وَزْوَر
١٩١٩/٦/١٥
ش
حملة كبيرة من طرطوس
٢٠,٠٠٠ ألف جندي
بقيادة الجنرال جاآنه
١٩١٩/٦/١٥
القمصية
٥٨٤,٥
جوبة صبيح
نهر الزويقة
ظهر الصيفي
الزعفرانة
مزرعة حميمية
وادي الشماميس
جبل الجلبسة
ظهر الرأس
الوردية
ظهر علي صالح
ظهر البروج
ظهر المنين
بيدر عين غنا
الشيخ بدر
ظهر الرقيب
٦٤٢,٧
الرستة
الخسائر
فرنسيين: ٨٠٠ قتيل و١٦٠ أسير
ومقادير من الأسلحة والمعدات
المجاهدين: بعض الشهداء منهم
الشهيد مصطفى خيربك وابنته عزيزة
وجرح عدد من النساء.
مصطلحات
الموقف الابتدائي
تقرب الفرنسيين نصب الكمائن نقل مقر القيادة
متابعة زحف الفرنسيين وتصدي الثوار
بداية الثورة وبدء القتال وصيحات الله أكبر
مطاردة الفرنسيين من قبل الثوار



احتلال القلعة (الخوابي) من قبل الفرنسيين
وتحريرها من قبل الثوار
منتصف تموز ١٩١٩
ش
جبل الشنان
الملوعة
ظهر بشتر
الشيخ بدر
قلعة الخوابي
الحزمة
كوكب الهوا
بيت ابو خليل
الرويسة
عمريتة
باتجاه طرطوس
البركية
بيت ديبة
قوة من طرطوس
في منتصف تموز ١٩١٩
الموارق
قوة فرنسية من طرطوس
مهاجمة الفرنسيين للقلعة واحراقها
كمائن الفرنسيين تقتل بالأحياء من الثوار
الهجوم الثوار وفرار الفرنسيين باتجاه طرطوس

نداء إلى بيروت لطلب وسائل القمع من حيث المبدأ فإن هذا ممكن لكنه عملياً ينجم عنه نتائج خطيرة: فالفتـــرات الطويلة التي تفصل بين لحظة وقوع الاضطرابات ولحظة وصول القوات القادمة من بعيد إلى مكان الاضطرابات لقمعها هي أسوأ الفترات إذ يتصور المتمردون أنهم سادة الوضع، ويتسع الاضطراب في الـــوقت الـــذي يصاب فيه القسم الآخر من السكان بالذعر. وتأخر القمع يجعله عديم الجدوى فمع اقتراب رتل بطيء وثقيل يعرف المتمردون تحركاته مسبقاً فيجدون الوقت الكافي للذهاب بضعة أيام إلى أراضـــي المنطقة الشرقية المرحبة بهم، ثم يعودون من جديد بعد زوال الخطر. فالتحرك لمراحل متعددة في مـــنطقة وعـــرة يسبب تعباً شديداً للجنود خلال قسم كبير من السنه بدءاً من تموز حتى تشرين الأول بسبب الحر ومن تشرين الثاني حتى منتصف آذار بسبب الأمطار التي تجعل التنقل في غاية الصعوبة".

أعـــد الفرنســـيون حملة كبيرة في طرطوس للهجوم على الشيخ بدر واحتلالها وتقدمت القوة (وعـــدد أفرادها أكثر من ٢٠٠٠ جندي بقيادة الجنرال جان Jean مجهزة بكل وسائل القتل والتدمير في ١٥ حزيـــران ١٩١٩، وبـــدت طلائعها أمام أعين المجاهدين الكامنين في أعالي الجبال. ووضع الشيخ وأركـــان حربه خطة المعركة، وتجلت فيها عبقريته العسكرية فجهز المجاهدين ووزعهم في أماكن الطرق الوعرة ونصب الكمائن وأعطى الاوامر بعدم اطلاق رصاصة إلا بعد أن تعطي القيادة إشارتها برفع علم الثورة (وكان من القماش الأخضر يتوسطه هلال ونجمة)، واختارت القوة الفرنسية طريقاً يمر بواد اسمه وادي ورور[٥٤] لســـهولة ذلك تجنباً لتسلق المرتفعات بسبب ثقل المعدات والمدفعية ثم يسير صاعداً نحو الشـــيخ بـــدر، وكانت طائرتان تحلقان في الجو لاكتشاف الطرق ومواقع المجاهدين ولكن براعة التمويه والاختفاء اللذين اتقنهما المجاهدون حالت دون اكتشاف مواقعهم[٥٥].

ولمـــا توســـطت القوة الفرنسية الوادي رفعت راية الثورة اشارة لبدء القتال وبصوت عال "الله أكـــبر" انقـــض المجاهدون على جنود القوة الفرنسية وتساقط الرصاص من كل جانب يمزق أجسامهم، وكانـــت صدمة مروعة تصدعت لها صفوف الحملة واختل نظامها. وبينما كانت الإحاطة تامة بمقدمة الحملـــة قامـــت وحدات من الثوار لسد طريق العودة على الفرنسيين وتضييق الخناق على مؤخرتهم. وهـــب الفرنســـيون بنيران مدافعهم على مواقع المهاجمين ليتمكنوا من التخلص من ذلك الطوق الذي ضرب عليهم. وامتلأ الوادي بسحب الدخان الأسود وزاد ضغط المجاهدين على الجنود الفرنسيين الذين كانوا يتساقطون بأعداد كبيرة في أرجاء الوادي، واستمرت المعركة حتى منتصف الليل حيث تمكن من بقي من الحملة من الفرار عن طريق أحد المنافذ الجبلية، وكان عدد القتلى والجرحى زهاء ٨٠٠ كما تم

أسر ١٦ جندياً، واستولى الثوار على مقادير كبيرة من الأسلحة والمعدات[٥٦] وقد خسر المجاهدون بعض الشهداء من بينهم العقيد مصطفى خير بك[٥٧] من قرية وادي العيون وابنته عزيزة التي كانت تقف معه جنباً إلى جنب في ساحة القتال بجرأة وبسالة نادرتين تحمل الطعام والماء والعتاد للثوار كما جرح عدد من النسوة[٥٨].

وكان للمعركة آثار عميقة وبعيدة، وكان ربحها المعنوي أكبر أثراً من الربح المادي: فقد نبهت رجال الثورة إلى حيل الحرب وخداعها، وأهابت بالكثيرين للانضمام إلى الثورة والتدريب على القتال واستعمال السلاح الذي صار يوزع عليهم من الغنائم والهبات التي يقدمها القادرون على الدفع. وتوافد المستطوعون إلى المنطقة من حماه وحمص واللاذقية والحفة وطرطوس يبايعون الشيخ على الموت. كما وفت الحكوم العربية بوعدها وبعثت بطائفة من الضباط الأشداء والخبراء وعتاد ومؤن وأسلحة وذخائر واشتد بذلك ساعد الثورة وأخذت شكلاً تنظيمياً[٥٩].

واتخذت السلطات الفرنسية عدة اجراءات لمواجهة هذه المرحلة الجديدة من الثورة بعد ان انتقلت إلى منطقة المرقب فصدرت أوامر حركة في ٢١ حزيران ١٩١٩[٦٠] للتحرك في تلك المنطقة انطلاقاً من القدموس بمشاركة السريتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين من القناصة مع فصيلة المدفعية الجبلية ودورية من الخيالة. وتلقت هذه القوات تعليمات بتطويق قرية الرستة حيث يوجد منزل الشيخ صالح وكانت خالية تماماً من السكان. ونظمت عملية هدم القرية ونفذها السرية السادسة والعشرون كما هدم منزل الشيخ صالح من قبل فريق من السرية الخامسة والعشرين. وظلت هذه القوات العسكرية تتعرض لطلقات نارية طوال هذه العمليات من ذرى الجبال الجنوبية، وقد ذكر القائد فرونتي Fronty في أوامر الحركة المشار إليها سابقاً بأنه "لم يكن أسر الشيخ صالح ممكناً بسبب هربه إلى الجبال لكن تم هدم ممتلكاته بكاملها وكان هذا هو الهدف من الذهاب إلى الرسته ـــ المريقب" وقد ادعت السلطات العسكرية في المنطقة الغربية في ٢٤ حزيران ان الوضع على الإجمال في المنطقة الغربية كان حسناً "فالأحداث القليلة التي وقعت لم تكن لها سوى أهمية محلية دون أن يكون لها أي أثر على الأمن العام في البلاد"[٦١]. هذا رغم أن أوامر الحركة المذكورة سابقاً تقر بأن الأحداث في المنطقة أصبحت بوضوح "تأخذ طابع محاولة القيام بالثورة والعصيان ضد السلطة العسكرية وهذا ما يظهر من ...الاستقبال العدائي الذي استقبل فيه الرتل العسكري المكلف بإعادة النظام إلى المنطقة، فبعد أن اقتصرت العمليات الثورية على جزء من بانياس سرعان ما كان لها أصداؤها في المناطق المجاورة في جبلة

و(صـــهيون)، وذلـــك بـــرفض ســـكان هذه الناحية دفع الضرائب، وقد اضطر الجباة ورجال الدرك للانسحاب أمام التهديدات، وقد ثبت أن جباية هذه الضرائب لن تكون أمراً ممكناً إلا بمساعدة القوات العســـكرية"، وقد أشار جورج بيكو المفوض السامي إلى أحداث المنطقة الساحلية في تقريره إلى وزارة الخارجـــية في ٢٤ حزيران ١٩١٩ مؤكداً[٦٢] "أن وجود وحدة فرنسية في المنطقة لابد أن يحافظ على الأمـــن، كما سيسمح أيضاً بالتعجيل في دفع الضرائب التي يتحملها بصعوبة، هؤلاء الجبليون المعتادون على الاستقلال التام".

د ـ الثورة تمتد إلى الجبهة الشمالية الغربية: قيادة هنانو:

وفي الـــوقت الـــذي كانت فيه منطقة الجبال الساحلية تشتعل بالأحداث الثورية كانت ثورة أخـــرى تتفجر في المنطقة الشمالية الغربية من سورية وجدت بذورها الطبيعية منذ أن تم تسليم منطقتي انطاكـــية وحارم للقوات الفرنسية أواخر عام ١٩١٨[٦٣]، واندلعت الثورة في البداية على شكل أعمال مســـلحة متفـــرقة صغيرة لمجموعات غير نظامية عرفت محلياً باللفظة التركية التشيتا Chéte في أماكن مـــتعددة من منطقة الاسكندرون استهدفت السلطات المحلية التي أقامها الفرنسيون، وكذلك الحاميات الفرنســـية في المنطقة وقوافل الجيش الفرنسي العاملة على نقل المؤن والمعدات لمنطقة كيليكية وغيرها من المناطق الحدودية التي كانت هدفاً لعمليات قتالية بين الفرنسيين وقوات الثورة الكمالية[٦٤]. وكان معظم قـــادة الثورة في منطقة الاسكندرون وخاصة القصير ـــ انطاكية (من أمثال صبحي بركات وشقيقه ثريا بك وابن خالته عاصم بك وقريب آخر هو حقي بك) قد سبق لهم أن خدموا الجيش العثماني أو شغلوا مناصـــب في الإدارة العثمانـــية، إلا أن جميع الثوار كانوا من أبناء المنطقة وكان أحد زعمائهم المحليين الشيخ يوسف السعدون[٦٥]. ولا يمكن فصل الثورة في تلك المنطقة عن فكرة أو هدف سائر الثورات في المـــناطق الأخـــرى على اعتبار أن سكانها، رغم وجود بعض الأتراك بينهم كان عرباً سوريين لا يقلّون تمسكاً بالدفاع عن حريتهم عن بقية سكان المناطق الثائرة الأخرى[٦٦].

وأخـــذت أحـــداث منطقة الاسكندرون شكلاً أكثر تنظيماً وشمولاً بعد أن تولى ابراهيم هنانو قـــيادة ثورة منظمة في شمال سورية. وكان ابراهيم هنانو موظفاً سابقاً في الإدارة العثمانية وقد ولد في كفر تخاريم ١٨٦٩ وكـــان ابن أحد وجهاء الريف وتلقى علومه العالية في استنبول في الكلية الملكية (كلية الإدارة العامة) ونال مـــنها شـــهادة في الحقوق. وقد انضم إلى جيش الثورة العربية وأصبح رئيساً لديوان ولاية حلب في عهد الحكومة

العـــربية كما التحق بالجمعية العربية الفتاة، ثم انتخب ممثلاً لحلب وأقضيتها في المؤتمر السوري ١٩١٩(٦٧) وباتفاق ضـــمني مـــع ممثلي الحكومة العربية في حلب (وعلى رأسهم رشيد طليع والي حلب) وبعض الساسة من أعضاء الجمعـــية العـــربية الفتاة، قام هنانو بتشكيل فئات قليلة العدد سريعة التنقل تعمل على خلق الاضطراب في منطقة الاحـــتلال الفرنســـي وبث الذعر في نفوس الفرنسيين والمرتزقة من أتباعهم وحض الأهلين على التمرد على دفع الضرائب وقطع المخابرات البرقية والهاتفية وتخريب طرق وخطوط المواصلات(٦٨).

وتشـــكلت أول حضيرة (جماعة) في كفر تخاريم كانت بمثابة قيادة مؤقتة من سبعة رجال عرفوا بالجرأة والصبر على الشدائد(٦٩). وسلّحت هذه الحضيرة بالبنادق العثمانية والقنابل اليدوية الفرنسية التي أصـــبحت تتداول بين الثوار لقاء شرائها بالمال والتجار والمهربين(٧٠). وقامت هذه الفئة القليلة بالعمل الموكول إليها ببطولة فائقة فألقت الرعب في قلوب الفرنسيين وأوقفت سير العجلة الحكومية بما وضعته في طريقها من عراقيل وصعاب. وكان نجاح هذه الحضيرة في باكورة أعمالها الثورية حافزاً لتقوية جهاز الـــثورة وتوسيع رقعة أعمالها العسكرية(٧١). ووردت أول إشارة لهذه الثورة في الوثائق الفرنسية في ٢٤ حزيـــران ١٩١٩ كما يلي(٧٢) "في حارم يبدو أن حاكماً عربياً سابقاً لإنطاكية يدعى إبراهيم آغا هنانو هـــو المحرك لمعارضة خفيفة لكن دائمة ضد الإدارة الحالية، معارضة تستند أيضاً على قيام حكومة عربية تعمل قريباً على طرد الحلفاء".

وأمر هنانو بتشكيل لجنة تشريعية رباعية في كفر تخاريم(٧٣) اخذت هذه اللجنة على عاتقها مهمة جمع المـــال الكافي لتزويد المجاهدين الجدد (أصبح عددهم ٤٠ رجلاً) بالسلاح والعتاد والرواتب(٧٤) وعندما أعلنت اللجـــنة عن غايتها النبيلة هذه استثارت حمية الأهلين فتقدموا إلى الصندوق بالدفع فوراً للاكتتاب، وبلغ ما دفع خـــلال ٤ ساعات ٥٠٠ ليرة عثمانية وهو مبلغ ضخم بالنسبة لقصبة صغيرة وكفر تخاريم ؟ ...وقسم المجاهدون إلى أربـــع حضائر يقود كل واحدة منها رقيب(٧٥). ومنذ ذلك الوقت بدأت الثورة تأخذ شكلها المنظم وبدأت حـــركة تجنيد مماثلة في القرى المجاورة لكفر تخاريم حتى أصبح عدد المجاهدين ٤٠٠ ثائر، وكان يشار لثوار هذه القرى باسم أبناء مثل أبناء سلقين وأبناء أرمناز ...إلخ. والتحق جميع الثوار بثورة كفر تخاريم، وكانت تحت قيادة نجيب عويد المباشرة وتحت قيادة هنانو العليا(٧٦).

وكـــان هناك اتصال وثيق بين هؤلاء الثائرين والحكومة العربية في حلب التي أمدتهم بالسلاح والمـــال والضباط لتدريب الرجال في محاولة تنظيم الثورة وتوجيهها. وقد أوفدت الفرقة الثانية في الجيش العـــربي الملازم إبراهيم الشغوري، وهو من أبناء كفر تخاريم إلى منطقة العمليات ليكون همزة وصل بين

الحكومة العربية وثورة هنانو، وبينهما وبين القوى الثائرة في جبهة الجبال الساحلية، وليدرب الثوار على استعمال القنابل اليدوية ويرشدهم إلى ما فيه إقلاق للعدو. وعمل هذا الضابط الشاب بإقدام وجلد وخاض المعارك إلى جانب الثوار كواحد منهم ولذلك كان جديراً بأن يتولى أمانة سر قيادة ثورة هنانو. وأولاه الزعيم الثقة واحتفظ به بين أقرب المقربين إليه كمرافق عسكري إلى آخر يوم من أيام الجهاد[٧٧].

وأخذ الثوار مع تزايد عددهم ينتقلون من منطقة إلى أخرى لمقاومة الفرنسيين[٧٨]. وكانت عمليات الاتصال والتعاون مع ثوار منطقة كفر تخاريم وما جاورها من قصبات وقرى وبين ثوار منطقة الاسكندرون مستمرة. وكانوا يتبادلون النجدات في كثير من الاشتباكات والمعارك، كما كانت ثورة هنانو تمد ثوار منطقة الاسكندرون وخاصة في انطاكية ـ القصير بما يتوفر لديها من أسلحة وعتاد وما كان يرسل إليها من السلطات العربية في حلب، بحيث يمكن اعتبار الثورة في منطقة القصير ـ انطاكية جزءاً من ثورة هنانو تسير بوحي من قائدها[٧٩]. وكانت أهم المعارك التي خاضها الثوار في تلك المنطقة خلال صيف عام ١٩١٩ مهاجمة مدينة انطاكية واحتلالها وفتح أبواب السجن واخراج المساجين، ثم الاستيلاء على المخافر التي في المدينة من شرطة ودرك. وقد قتل الثوار عدداً من رجال تلك المخافر وتركوا الآخرين بعد أن سلبوهم سلاحهم وذخائرهم الحربية، ثم هاجموا الثكنة حيث يوجد الجيش الفرنسي فامتنعت عليهم لشدة مقاومة وحصانة الموقع، فارتدّوا عنها وظلوا في المدينة إلى آخر النهار يناوشون الثكنة قبل أن يغادروا المدينة[٨٠]. كما نشبت معركة في مرفأ السويدية قرب مصب العاصي خلال الفترة نفسها بين الفرنسيين وبين الثوار، وكانت خسائر الفرنسيين فادحة وسقط من المهاجمين ٩ شهداء[٨١]. كما هوجم مخفر الحمام[٨٢] (شمال شرق سهل العمق) وأسرت حاميته الفرنسية وقتل عدد من أفرادها.

وتوالت المعارك بين الثوار وجنود الاحتلال، وكانت أهم تلك المعارك هي التي دارت في جسر الحديد، تليل الشرقي، فرزلة، ونباتين، سجل فيها الثوار بطولة رائعة وأرغموا الفرنسيين على الحصار في ثكناتهم لفترات طويلة، وارتكب الفرنسيون أبشع الفظائع من قصف وحرق ونهب وتقتيل[٨٣].

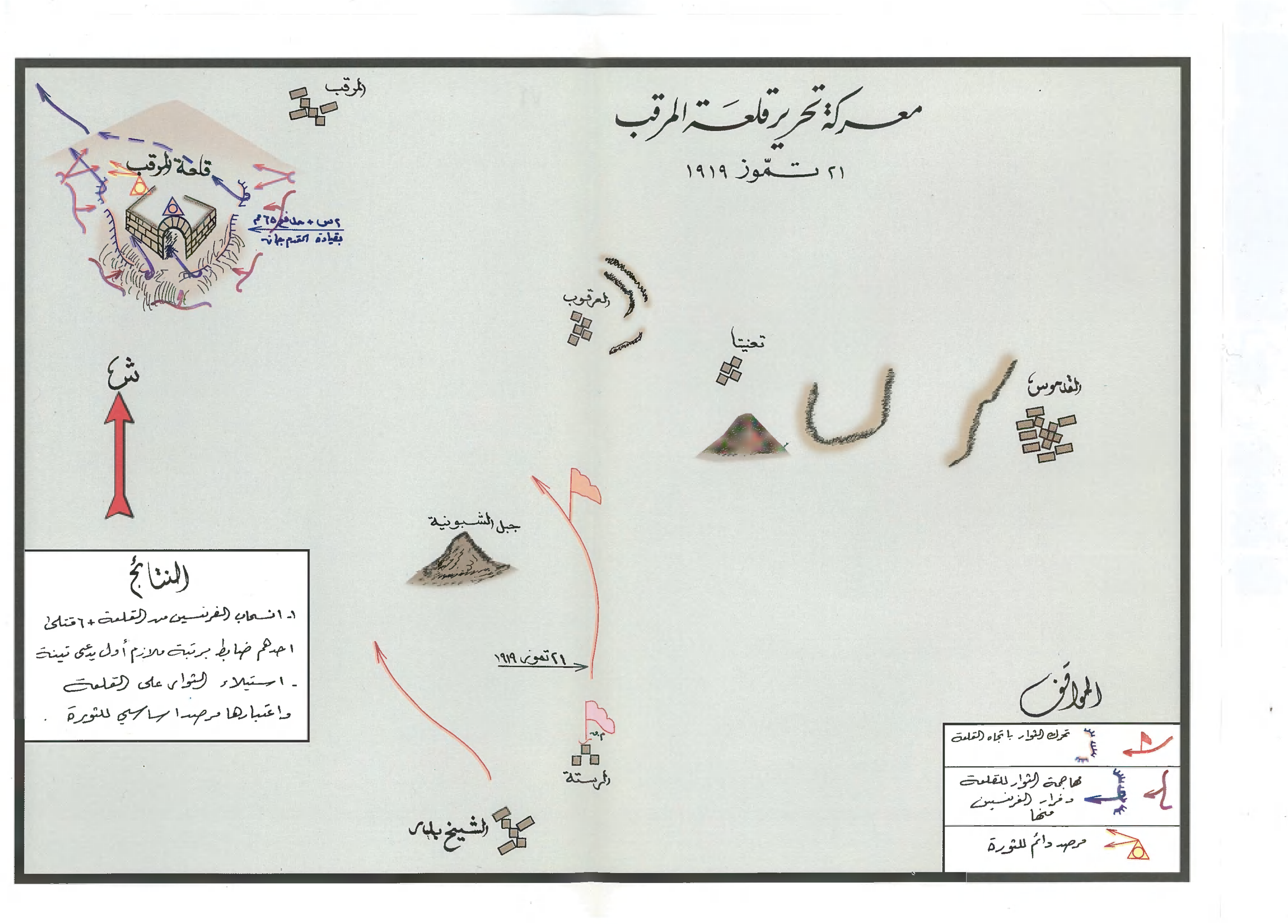
هـ ـ ثورة الشيخ صالح العلي تتحدى الخطط الفرنسية في النصف الثاني من عام ١٩١٩:

ومنذ مطلع تموز ١٩١٩ وبعد فترة هدوء نسبي شهدت جبال اللاذقية تجدد المعارك فقد توجه رتل فرنسي من طرابلس بقيادة المقدم مينو إلى الخوابي ليقوم بتنفيذ برنامج على طول الساحل وعلى طول خط سير الرتل يتلخص في: أسر الثوار، جباية الضرائب، نزع السلاح بشكل عام مهما كان نوعه واتلاف كافة الأسلحة والذخيرة[٨٤]. وفي التقرير السياسي الذي بعثه مينو إلى مدير ولاية بيروت في ٧ تموز ١٩١٩[٨٥] يقر بأن "موعد وصول الرتل وتكوينه وخط سيره كانت أموراً معروفة بدقة من أعدائنا قبل أن يتم إعلامنا بها".

ولم يكن مينو راضياً عن توزيع القوات الفرنسية والموظفين في المنطقة لأن هذا برأية يشجع الثوار نتيجة "تراخيهم (الفرنسيين) والنقص الظاهر في وسائلهم .. فعدم قصاص المسيئين في الشهرين الماضيين يبرهن بوضوح عن عجزنا المؤقت عن إعادة فرض النظام". وكان مينو يدرك جيداً مكانة الشيخ صالح كزعيم في المنطقة وقدرته على جمع الرجال المسلحين.

وقد وضع الجنرال هاملان قائد القوات الفرنسية في المشرق خطة رفعها إلى المفوض السامي بشأن البحث عن الوسائل للسيطرة على المنطقة الساحلية وتحقيق الأمن فيها[٨٦]: "قد يكون أنسب وسيلة هي تحديد وضع البلد (القانوني)، حين يعلم السكان أن فرنسا حصلت على الانتداب على سورية بصورة نهائية فمن المحتمل أن تخضع غالبيتهم العظمى في الحال لسلطاتنا الإدارية .. وسيكون عوناً آخر قوياً هو فتح طرق الاتصال على الأقل بصورة تسمح بوصول أرتالنا إلى المراكز كافةً وما يؤخرنا عن القيام بذلك هو نقص الوسائل الضرورية لهذا العمل إلا أن نشر السلام والأمن في المناطق التي ما زال من المتعذر الوصول إليها حتى الآن لا يمكن أن يحصل إلا بالتطويق ...إن عمل الارتال ضد (المنشقين) ...يبدو عملاً عديم الجدوى تقريباً: فالرتل هو أقل حركية منهم، كما أن القوات المتحركة، ولا سيما قوافل التموين تتلقى طلقات نارية (في حين يتعذر معها الامساك بالمهاجمين).

وفي منتصف تموز ١٩١٩ زحفت قوة كبيرة من الفرنسيين من طرطوس عن طريق وادي الاسماعلية، واستقرت في قرية عقر زيتي والقرى القريبة منها (والواقعة إلى الشرق من منطقة السودة على طريق النهر)، وكان ذلك تهديداً لميسرة الثوار. كما تقدمت وحدات من هذه القوة إلى قلعة الخوابي معقل الثوار من آل عدرا وأحرقت بيوتها. وأخذ الجنود ينصبون الكمائن، ويصطادون عابري السبيل



معركة تحرير قلعة المرقب
٢١ تموز ١٩١٩
المرقب
قلعة المرقب
٢ س + مدفع ٦٥ م
بقيادة القسم جان
المرقوب
تعنيتا
القدموس
ش
جبل الشبونية
٢١ تموز ١٩١٩
المرستة
الشيخ بدر
النتائج
١- انسحاب الفرنسيين من القلعة + ٦ قتلى
احدهم ضابط برتبة ملازم أول يدعى تيينة
- استيلاء الثوار على القلعة
واعتبارها مرصداً أساسياً للثورة .
المواقف
تحرك الثوار باتجاه القلعة
مهاجمة الثوار للقلعة وفرار الفرنسيين منها
مرصد دائم للثورة

من أبناء القرى الثائرة ويلقون بجثثهم على جوانب الطرق، وذلك بغية إلقاء الرعب في نفوس المواطنين. وكـــان لعملهم رد فعل قوي في جميع المنطقة زاد من اضرام نار الثورة والاصرار على استمرار المقاومة. وكـــان لابـــد لقيادة الثورة من القيام بعملية مضادة للهجوم الذي يقوم به الجيش الفرنسي المتمركز في تلـــك المنطقة. ودامت المعارك أياماً متواصلة بين الطرفين انتهت بتراجع القوات الفرنسية وانسحابها إلى طـــرطوس بعـــد أن تكبدت خسائر فادحة[٨٧]. هذا رغم أن أحد التقارير الفرنسية[٨٨] يدّعي أن المقدم مينو حاكم اللاذقية العسكري كان يسعى للاتصال بالشيخ صالح للحوار والتفاهم معه وأن الشيخ صالح رفض هذه الدعوة رفضاً باتاً. ويضيف التقرير: "وإذا تعذر نشر الأمن في البلد بواسطة المحادثات الجارية فإن الرتل سيتجه إلى الخوابي ...ويلجأ إلى استخدام السلاح".

وفي ٢١ تموز ١٩١٩ قامت مفرزة من الثوار بالهجوم على قلعة المرقب الحصينة في أعالي الجبال الســـاحلية شرق بانياس، وفيها حامية فرنسية مؤلفة من سريتين من الرماة الفرنسيين مع مدفع عيار ٦٥ مـــم بأمرة المقدم (جان). ونتيجة الهجوم انسحب الفرنسيون من القلعة بعد أن سقط ستة قتلى أحدهم ضابط برتبة ملازم أول يدعى تيني Tehnni وجرح عشرون منهم ضابطان[٨٩]. واستولى الثوار على قلعة المـــرقب التي كانت تعتبر مركزاً منيعاً للمراقبة يمكّن حاميتها من الثوار من اكتشاف حركات الفرنسيين في بانـــياس والطرقات الساحلية الممتدة لمسافة عشرات الكيلو مترات. وظلت هذه القلعة بأيدي الثوار ولم يـــتخلوا عنها حتى النهاية[٩٠]. وأقر الفرنسيون بالهزيمة وتفوق الثوار. وفي تقريره عن المعركة كتب المقـــدم (جان) إلى الجنرال هاملان قائد القوات الفرنسية في الشرق شارحاً خطة الثوار في المعركة[٩١]: كانـــت مقاومة (العدو) غير مألوفة فقد كانت جبهته تتسع بشكل نصف دائري وعلى طول عدة كيلو مترات، وكانت مراكز جيدة الاختيار، وكان رماته المختبئون خلف الصخور أو في خنادق على شكل فـــتحات جـــيدة البناء يطلقون النار علينا على المسافات كافةً وبدقة مذهلة، وكانت المرتفعات حسنة الاختيار والمسافات محكمة، وكانت حركات التقدم والتراجع تنفذ بانتظام مدهش، وقد لوحظ العديد مـــن مجمـــوعات الخيالة على الذرى والقمم". وقد لمس (جان) في تقريره أن تدريب القوات الفرنسية، وخاصة القنّاصة، كان سيئاً وإعدادهم غير كاف على الإطلاق: "فالجميع تقريباً من الدفعة الأخيرة ولم يروا إطلاق العيارات النارية". وينتهي تقرير (جان) بالقول "إن البلد صعب جداً وكل شيء فيه لصالح المدافعين عنه".

واقتـــرح جان استخدام رتلين يتكون كل منهما من ١٠٠٠ ــ١٢٠٠ رجل مزودين بالعتاد الـــلازم وأن يعمـــلا بـــوقت واحد، أحدهما يحشد في القدموس والآخر في الخوابي. وقد تقدم بحل ثان يـــتلخص "باحتلال البلد بشكل تدريجي وذلك بإنشاء مراكز يدعم بعضها الآخر، وانشاء طرق ترابية كافية للبغال تصلح لتأمين التموين بين وقت وآخر ولنقل الارتال الخفيفة التي تقوم بعمليات مباغتة بين هـــذه المراكز ضد القرى الثائرة التي لن تجد بذلك الوقت الكافي للتجمع والمقاومة. وبكلمة أخرى يجب احتلال هذه المنطقة فلم يعد هناك بد من ذلك". وقد رفع الجنرال هاملان هذا التقرير إلى وزارة الحربية مـــؤكداً خطورة المقاومة التي واجهها رتل (جان) في المرقب وأنه اضطر لمتابعة القتال إلى حلول الظلام كي لا يترك قتلاه وجرحاه على أرض المعركة وليصطحبهم معه إلى معسكره في الخوابي الواقع على بعد ٣ كم جنوب المرقب[٩٢].

إثر هذا الحادث أصدر الجنرال هاملان أمراً في ٢٣ تموز ١٩١٩[٩٣] بتعزيز الرتل بسريتين كانتا تعســكران في طرابلس وبـــ ٣٥٠ رجلاً من بيروت (سرية في الفوج ٤١٥ وبطارية جبلية)، وطلب في الـــوقت ذاته من القيادة العليا البريطانية أن تقوم القوات البريطانية الموجودة في حمص وحماه من جانبها بعملية في المرقب والتي "قد تكون فعالة جداً وخاصة أنها قد تؤكد وحدة الأمتين الفرنسية والبريطانية في نظـــر الثوار لكن أمام رفض (حلفائنا) رؤية تدخلهم بهذا المنظار"، اكتفى الجنرال هاملان قائد القوات الفرنسية في الشرق بالقيام بالعملية لوحده وأصدر تعليماته للمقدم (جان)[٩٤] "بعدم القيام إلا بعمليات انتقامـــية محلـــية والقاء القنابل من الطائرات ضد القرى الثائرة، وذلك حتى صدور أوامر جديدة وجعل الفـــرق الثائـــرة تحت وقع التهديد باللجوء إلى عقوبة أخيرة هي العمليات الانتقامية المباشرة والفورية، وبشق درب بعرض ٣ م من بانياس إلى القدموس وشق درب آخر من طرابلس إلى بانياس". ومن جهة نظـــر هـــاملان أن هـــذه الأعمال لو أدت إلى دفع الثوار لطلب الصلح قبل الانتهاء منها وساد الهدوء فســـوف تترك الحاميات التالية في سنجق اللاذقية: (السرية ٣٤ من فرقة القناصة الثانية، السرية ٢٥ من فـــرقة القناصة الأولى، الكتيبية السابعة من هيئة الأركان من فرقة القناصة الأولى، السرية ٢٧ من فرقة القناصة الأولى).

ورغم أن القيادة البريطانية لم تستجب لطلب هاملان بمشاركة عملية في المرقب، إلا أن الجنرال اللـــنبي، القائـــد العام بعث إلى الشيخ صالح في ٤ آب رسالة[٩٥] يحتج فيها على مقتل عدد من رجاله ويحمّله المسؤولية الشخصية عن سلوك (أنصاره المسلحين)، وينذره بضرورة الوجود في طرطوس في ١٤

آب لمقابلـــة ضباطه الذين سيناقشون مع الشيخ وسائل إحضاره المسؤولين عن الأحداث أمام القضاء. ويضـــيف اللنبي "آمركم باعطاء جواب مكتوب إلى الرسول الذي يحمل إليكم هذه الرسالة تعبرون فيه عـــن قبولكم إطاعة أوامري. لقد اصدرت أمراً إلى جميع السلطات المدنية والعسكرية بعدم التنكيل بكم ولا اعـــتقالكم. ولـــو تأخـــر الضباط الذين أرسلهم لمقابلتكم في تنقلاتهم فإنني آمركم بانتظارهم في طرطوس، ولكي أتأكد بأن هذه الرسالة قد وصلتكم بعثت إليكم نسخة عنها مع رسول آخر".

والواقـــع أن رســـالة اللنبي للشيخ صالح كانت حصيلة الاجتماع الذي عقده مجلس الحرب في بـــيروت بحضـــور جـــورج بيكو المفوض السامي والجنرال هاملان والمفتش (كوبان) Copin والجنرال (بـــولس) Bols رئيس هيئة أركان المرشال اللنبي، وتقرر فيه[٩٦] أن تقوم بعثة سياسية مختلطة مؤلفة من مقدم بريطاني والمقدم الفرنسي (نيجر) تدعمها كوكبة من القوات الفرنسية والبريطانية بمحاولة الاتصال بالشـــيخ صالح بطرطوس ولو أخفقت هذه البعثة بمهمتها ستستأنف العمليات العسكرية من قبل قوات مخـــتلطة فرنســـية بريطانية مهما كانت النتائج التي سوف تترتب على ذلك بالنسبة لسكان البلد. ونقل (لافوركاد) Laforcade وجهة نظر وزارة الخارجية أنه "بهدف دعم البعثة السياسية السابقة الذكر أرى من المفيد جداً أن يصاحب هذه البعثة عرض (عضلات) بحري تقوم به البارجة Levergniaud. ويقترح لافوركاد "أن تقوم هذه البارجة (بنـــزهة) على طول السواحل السورية بحيث تكون جاهزة اعتباراً من ١٣ آب ١٩١٩ للوقوف قبالة طرطوس الذي تبدأ فيه المباحثات مع الشيخ صالح".

وبعث لافوركاد برقية إلى جورج بيكو في ١٢ آب ١٩١٩[٩٧] يعبّر عن ثقته المطلقة من نتائج البعثة السياسية (التي يجب) أن تقابل الشيخ صالح في طرطوس ناصحاً بعدم اتخاذ أي عمل مصاحب لهذه البعثة الذي كان قد تقرر القيام به في مجلس الحرب في بيروت، "وفي حال قيام (الاعداء) بهجوم ما فلابد مـــن مضـــاعفة اعداد حاميات القدموس والخوابي وبانياس وطرطوس بقوات مماثلة وتعيين قائد بريطاني لقوات هذه المنطقة". وقد وصلت البعثة السياسية الفرنسية البريطانية إلى طرطوس في ١٦ آب ١٩١٩، وإلى الخـــوابي في ١٨ آب، وبعد أن تيقنت أن الشيخ صالح لن يلبي دعوتها كما ورد في برقية لافوركاد "تركت البعثة الخوابي دون كوكبة حراسة في ٢١ مساء للحاق بهذا الزعيم إلى المرقب" [٩٨].

وتشـــير المراجع العربية[٩٩] إلى هذه المحاولة التفاوضية وبأن القيادة الفرنسية أثر الهزائم المتلاحقة في الشـــيخ بـــدر، ووادي ورور، ووادي الاسماعيلية وقلعة المرقب قد اضطرت للتظاهر بطلب الصلح، وتـــدخل البريطانيون مرة أخرى لصالح حلفائهم وطلبوا من الشيخ صالح الشروع بمفاوضات تحسم هذه

الحـــرب وتنهيها. واختير للمهمة أحد رجال الدين ليعرض على الشيخ رغبة الفرنسيين في انهاء الحرب والدخول في مفاوضات وقبل الشيخ الدخول في المفاوضات على الأسس الآتية(١٠٠):

ضم الساحل السوري إلى الحكومة العربية وجلاء القوات الفرنسية عنه، إطلاق سراح الأسرى، دفـــع تعويضات إلى السكان عن الأضرار التي ألحقها الجيش الفرنسي بأملاكهم. ونقل الوسيط الشروط إلى القـــيادة الفرنسية فقبلتها بصورة مبدئية، وطلبت تحديد موعد ومكان اجتماع القائد الفرنسي بزعيم الـــثورة لإجـــراء المفاوضات وللتفاهم على التفاصيل. وتم الاتفاق على اللقاء في قرية الشيخ بدر وحدد المـــوعد النهائـــي للاجتماع، وشملت الفرحة أنحاء المنطقة بقبول الفرنسيين شروط الثورة. وتمهيداً لحالة الاســـتقرار المرجوة عقدت بعض المؤتمرات الأهلية للنظر في بعض الخلافات والحوادث المحلية التي نجمت عـــن ظروف الثورة ومعالجتها بروح الأخوة والتفاهم وكان يحضر هذه المؤتمرات ممثلون عن الفرنسيين مساهمة منهم على دعواهم بالعمل على حل تلك الخلافات المحلية وإزالة أسبابها(١٠١).

إلا أن الجنـــرال دوهاي في دراسته المذكورة سابقاً يذكر(١٠٢) أن البعثة بعد أن فشلت في لقاء الشـــيخ في كل من طرطوس والمرقب نجحت في الاتصال به في المرقب في ٢٣ آب ١٩١٩ وذهبت بلا حراســـة ولا ســـلاح وأنـــه "وبعد محادثات مضنية هيمن عليها المقدم نيجر وافق الشيخ صالح على الالتـــزام بالشـــروط التي تم التوصل إليها وهي: وقف جميع الأعمال العسكرية وتسمية لجنة سوف تجتمع في طرطوس لتقدير الخسائر والتعويضات"(١٠٣) ويضيف دوهاي(١٠٤)، أن القائد الفرنسي طلب في نهايـــة الاجـــتماع بقـــاء قوات الحراسة البريطانية في المرقب مدة ١٠ أيام أخرى. وقد غادرت هذه القـــوات المـــرقب في ٩ أيلول، إلا أن هذا الاتفاق كما يذكر دوهاي(١٠٥) لم يحل كل شيء فقد كان الجنـــرال هـــاملان غير متفائل عن عمل البعثة السياسية "عاد الهدوء مؤقتاً ولكن من الواضح أن هذا لم يكن إلا أمراً وهمياً".

واطمأن الثوار إلى نوايا ووعود الفرنسيين إلا أن الشيخ صالحاً ظل حذراً ينتظر ويعد للمواجهة، وقد ذكر ذلك الرائد (فرونتي) Fronty قائد قوات سنجق اللاذقية إلى قائد القوات الفرنسية في المشرق في رســـالته في ٢١ تشرين الأول ١٩١٩(١٠٦) موضحاً أن الشيخ صرح بأنه "يرفض إقامة أية علاقة مع الحكومة الفرنسية وأنه ينتظر الفرصة المناسبة لإثارة الضجة". وقد كانت توقعات فرونتي في محلها إذ أن هـــاملان، ورغم اقراره بأن الرتل الفرنسي العامل في المنطقة قد أنهك بعد ٤ أشهر من العمليات المضنية وأن الحالة الصحية سيئة والوحدات العسكرية شديدة الضعف، إلا أنه أصدر تعليماته إلى المقدم (جان)

بالقضاء على مراكز (المنشقين) واحكام القبضة على المدن الساحلية والمضي قدماً في بناء طرق للتوغل، بحيث كان يتوقع أن ينتهي جميع التحركات في ٧ تشرين الثاني ١٩١٩.

وهكذا وفي حين كانت قيادة ثورة الشيخ صالح العلي تترقب نتيجة المفاوضات، وردت إليها أخبار تحشدات عسكرية فرنسية زجّت في وادي الاسماعيلية الذي أخلاه الثوار بعد جلاء الفرنسيين عنه[١٠٧]، وعن استعدادات قائمة لمفاجئة الثوار بهجوم مباغت. وأخذ الشيخ صالح ورجاله يتهيأون لمقاومة هذا الزحف الجديد، وجاءت أخبار من القدموس تشير إلى ان القوات الفرنسية المرابطة فيه جاءت إلى قرية (كاف الجاع) جنوب شرق القدموس (وهي من أملاك الشيخ الخاصة) وكانت بعيدة عن منطقة الثورة الرئيسية[١٠٨]، واحتلتها ونهبت جميع ما فيها ودمرت وأحرقت وقتلت الكثيرين في بيوتهم، كما قطعت أشجار القرية. وتبين لقيادة الثورة أن تظاهر الفرنسيين بحشد قواتهم في وادي الاسماعيلية إنما كان مناورة لتغطية الهجوم الذي أعدوه على قرية (كاف الجاع) واحتلالها، وأن حركاتهم العسكرية سوف تبدأ هذه المرة من جهة الشمال من القدموس وأن هذا يشكل خطراً كبيراً على ميمنة الثورة[١٠٩].

وكان على قيادة الثورة ان تعيد التأكيد على طلب المساعدات من دمشق في شهر تشرين الأول ١٩١٩، وتوجه وفد لمقابلة رجال الحكم، كما قامت لجان في دمشق لجمع التبرعات والاعانات[١١٠]. وبدأت الإمدادات من المال والعتاد تصل تباعاً إلى الثوار في وقت كان الفرنسيون قد بدأوا باستقدام بعض الفرق العسكرية من افريقية والهند الصينية وأخذوا بحشد الفرق الميكانيكية وراحوا يدربون جنودهم على حرب الجبال والغابات ويوزعونهم على المسارب والسبل للتحكم بها. وقد عززت حامية القدموس لجعلها نقطة انطلاق للمراقبة والتخريب. وفي مذكرة وضعها مكتب معلومات وزارة البحرية في الشرق في أواخر كانون الأول ١٩١٩[١١١] إشارة إلى ضرورة مراقبة القيادة الفرنسية بعين الحذر لمنطقة الثورة أي "تلك المنطقة الجبلية التي يحدها النهر الكبير شمالاً ونهر العاصي شرقاً وشمالاً وساحل البحر المتوسط غرباً لأنه يبدو أن الشيخ صالح صاحب النفوذ العظيم في الظهر الغربي يريد أن يخلق (لنا) بعض الصعوبات". ومع أن أحد التقارير الفرنسية يدعي وجود تقارب مع بعض زعماء المنطقة وأن هؤلاء اعترفوا بالسلطة الفرنسية إلا أنه يضيف[١١٢] "أن هذه الحركة بعيدة عن أن تكون عامة فقد اجتمع المستاؤون في جبال بانياس والقدموس وقرروا مبدأ المقاومة".

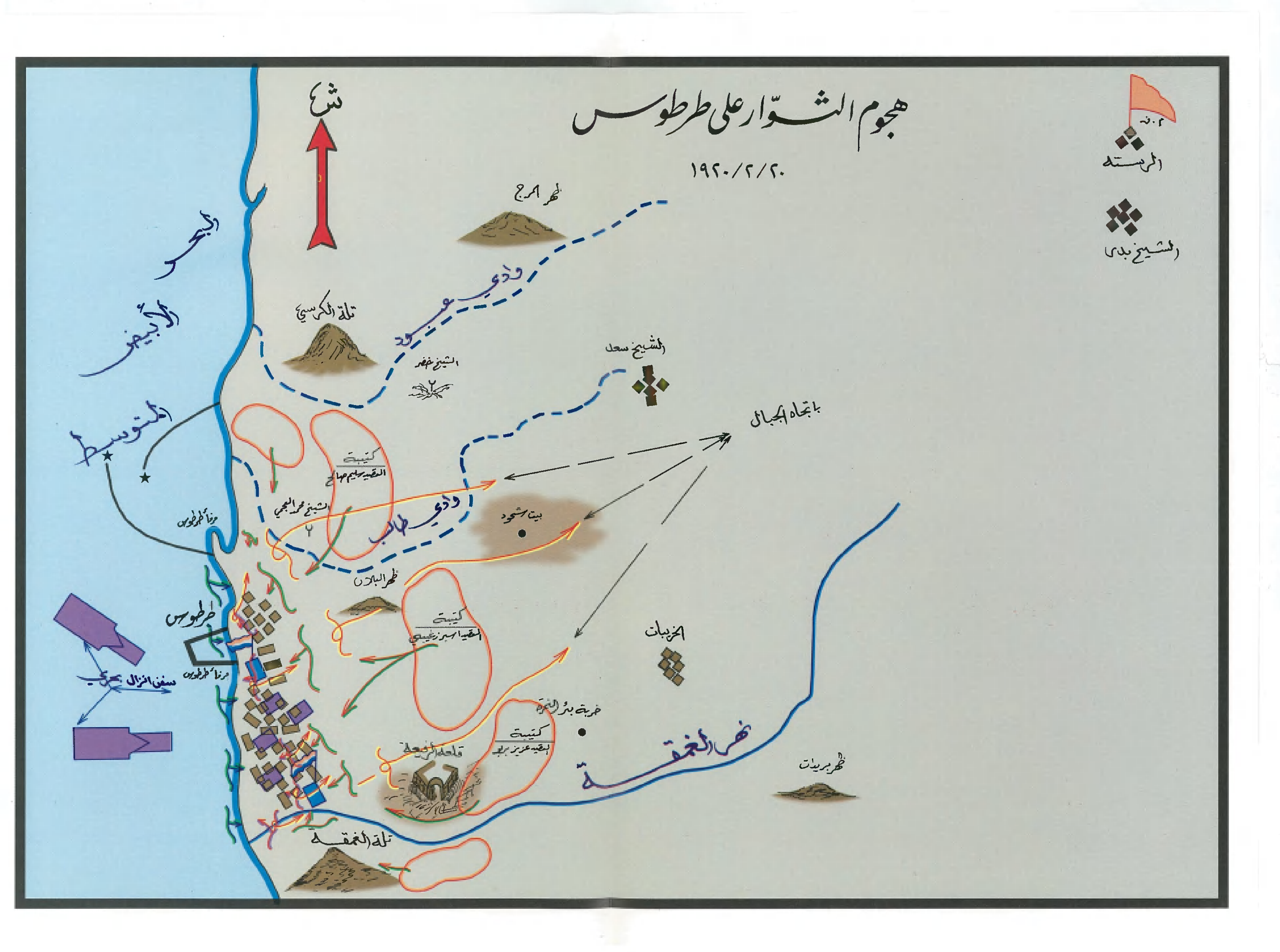
و ــ عودة إلى منطقة ثورة هنانو في مطلع ١٩٢٠.

تصـــاعدت الأحــــداث الـــثورية منذ مطلع عام ١٩٢٠ في المنطقة الثائرة الاخرى وهي منطقة انطاكـــية وتكررت التقارير الفرنسية[١١٣] عن مجموعات مسلحة تقوم بالتعرض للقوافل الفرنسية وقطع المواصـــلات بـــين ادلب وحارم ثم الانسحاب إلى انطاكية واسكندرون. وتتهم هذه التقارير الحكومة العـــربية بتنظيم وتسليح المجموعات المسلحة على حدود المنطقة الشرقية. وفي ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٠ سجل الجنرال غوبو Ghubeau قائد الفرقة الرابعة من مقر القيادة الفرنسية في الاسكندرون (وهي مركز العملـــيات ضد الثوار الأتراك وثوار منطقة انطاكية) في مذكرة له[١١٤] نتائج العمليات التي تولاها رتل ديبيوفر Debieuvre لمواجهة ثوار جبل (صهيون) ومنطقة القصير الذين يعملون بالتنسيق مع (جماعات) إبـــراهيم هـــنانو المســـلحة ومركزها كفر تخاريم. وتصف مذكرة غوبو هذه المجموعات بأنها "صغيرة ويصـــعب تقديـــر عددها وإن معظمها يعمل بتحريض من الدعاية التركية". وادعت المذكرة خضوع زعماء الأكراد ودفعهم الغرامات المالية وتعهدهم تسليم الأسلحة والتعاون مع السلطات الفرنسية لنشر الأمن.

ويشـــير أحد التقارير الفرنسية في ١٩٢٠/١/٢[١١٥] أن حلب قد أصبحت "مركز اضطراب إذ يـــتوافد عليها العرب المسرحون من الجيش التركي، وقد جاء إليها من بغداد ودمشق عدد من (مثيري الفتن) ومنذ وصولهم أخذت تعد مظاهرات معادية لنا" وقد اتهم غورو في في إحدى مذكراته إلى وزارة الخارجية في ١٩٢٠/١/٢٥[١١٦] مصطفى كمال بتحريضه السوريين على الثورة بدعوته لاعلان الحرب المقدسة. وقد تحدث تقرير فرنسي آخر[١١٧] عن إبحار قوات ومعدات إلى كلس مركز قيادة الجنرال دي لامـــوت Delamouth "الذي استقبل لدى مروره بالاسكندرون أفضل استقبال من السكان". ويضيف التقريـــر "يجب عدم المبالغة في أهمية هذه التظاهرات ذلك أن مجموع السكان المحليين هم وطنيون أقحاح مخلصون للنفوذ العربي".

ز ــ تصعيد العمليات الثورية على الجبهة الغربية (شباط ــ أيار ١٩٢٠).

شـــهدت المـــنطقة الغربية الثائرة في ٢٠ شباط ١٩٢٠ معركة فاصلة، وذلك حين قررت قيادة الـــثورة، بعـــد القيام بالاستعداد ضمن حدود امكاناتها مهاجمة طرطوس باعتبارها المركز الرئيسي للقوات الفرنسية في الساحل وذلك من أجل احتلالها لكسر شوكة تلك القوات. وقد كتب الملازم روي Roy من


هجوم الثوّار على طرطوس
٢٠/٢/١٩٢٠
ش
البحر الأبيض المتوسط
تلة الكرسي
ظهر المرج
وادي عبود
الشيخ خضر
الشيخ سعد
باتجاه الجبال
كتيبة
النقيب سليم صالح
الشيخ محمد العجي
وادي طالب
بيت الشحود
ميناء طرطوس
ظهر البلاط
كتيبة
النقيب أمين زغيبي
الخربات
طرطوس
سفن الإنزال بحرية
خربة بر
كتيبة
النقيب عزيز
قلعة
نهر الغمقة
ظهر بريدات
تلة الغمقة
المرستة
الشيخ بدر

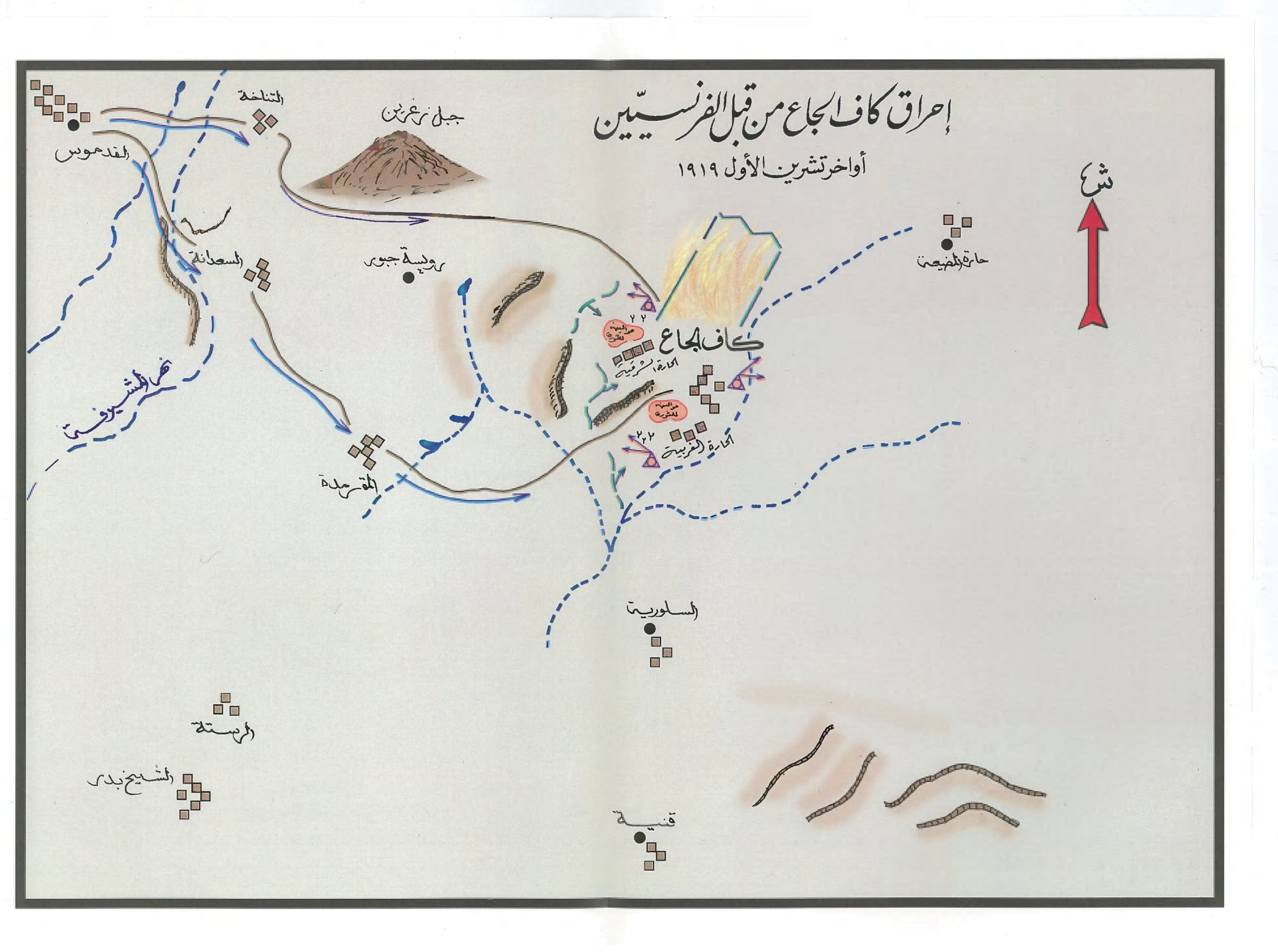
سلاح الهندسة تقريراً حول هذا الهجوم[١١٨] منوهاً إلى أن حامية طرطوس تتألف من ٦١ رجلاً من سلاح الهندسة والقناصة، وأنها كانت موزعة بين الميناء والعيادة الطبية ومصلحة الإعاشة. بدأت معركة طرطوس[١١٩] بهجوم ثلاث كتائب من الثوار بقيادة العقداء سليم صالح، اسبر زغيبي، عزيز بربر، وبعض القادة الآخرين، على طرطوس من جهاتها الثلاث حسب خطة وتوجيه دقيقتين. وفوجئ الفرنسيون بالحصار وتقدم المجاهدون وضغطوا على ثكنات المدينة ودارت رحى معركة عنيفة استعمل فيها السلاح الأبيض[١٢٠]. وأوشك الثوار أن يحتلوا المدينة والثكنات إلا أن شعور الفرنسيين بالضغط الشديد دفع قطع الاسطول الفرنسي القريب من الساحل للتدخل بقصف المدينة والطرق المؤدية إليها وضرب تجمعات الثوار بالقنابل المحرقة الشديدة الانفجار. وأُنزلت قوات البحارة من الأسطول لانقاذ الثكنات ومهاجمة الثوار من الشمال والجنوب، وازداد لهيب المعركة مما اضطر الثوار خشية تعريض المدينة للخراب والحرق إلى التراجع بعد أن أنزلوا خسائر فادحة بالفرنسيين[١٢١]. وحملوا معهم كميات من الأسلحة والذخائر استولوا عليها من مستودع عسكري[١٢٢]. وخسر الثوار عدداً من الشهداء وعادوا إلى معاقلهم في الجبال القريبة وقد أعطت المعركة عدة نتائج: فقد دلت أن بقاء الفرنسيين في الساحل هو أمر غير ثابت، واضطر هؤلاء إلى تجميد قواتهم بصورة دائمة لتكون جاهزة للدفاع عن مراكزها، كما أدت إلى سيطرة القلق عليهم خشية حدوث غارات مفاجئة[١٢٣].

وفي أعقاب الهجوم على طرطوس، وما تلاه من ذعر بين الفرنسيين زحف الشيخ صالح برجاله وبلغ عددهم (٤٠٠٠) مقاتل في يوم ٣ آذار ١٩٢٠ على القدموس، التي حولت بحكم مركزها الجغرافي (على مرتفع تحيط به الأودية من جهاته الثلاث لاتصله بالأرض المنبسطة إلا طريق ضيقة جداً) إلى قلعة محصنة، وضيّق الثوار الحصار على البلدة ومنعوا عنها الماء، وأرسل الشيخ صالح انذاراً إلى قائد الحامية بالاستسلام فرفض في البداية، إلا أن الحامية اضطرت، مع استمرار المناوشات والحصار الشديد لبضعة أيام، إلى الاستسلام[١٢٤]. وجاءت أول اشارة فرنسية إلى سقوط القدموس في برقية غورو إلى الخارجية من بيروت في ١٧ آذار ١٩٢٠[١٢٥] كما يلي "احتُلّت نقطة القدموس على بعد ٣٠ كم إلى الشرق من بانياس ويرفرف العلم (الشريفي) فوق هذه القرية التي تقع في المنطقة الغربية". وتشير البرقية كذلك إلى مهاجمة الثوار حارم وانطاكية ملمّحة إلى أن هدم جسر راجو قد حرم الجنرال دي لاموت من اتصالاته بالسكك الحديدية وأنه لا يمكنه "استخدام طريق الاسكندرون الذي يتطلب إعادة فتحه جهداً عسكرياً جديداً". وكان لاحتلال القدموس أهمية كبيرة فقد قضى على الجيب المهم بقلب الجبل

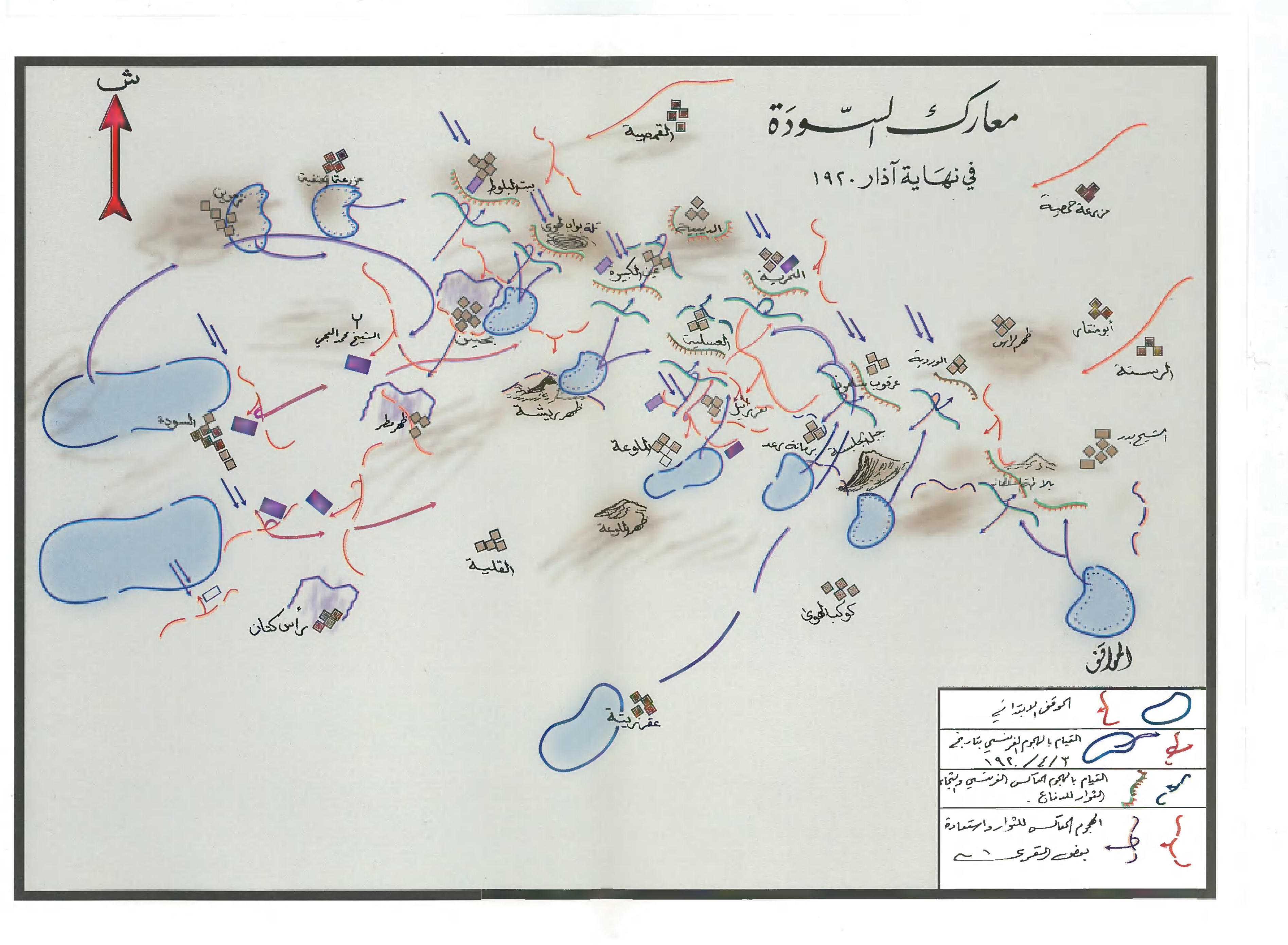
الثائـــر وحمـــى ميمنة الثورة، كما كفل للثوار السيطرة على المنطقة الغربية من بانياس وضمن لهم خلو المنطقة الجنوبية من العدو.

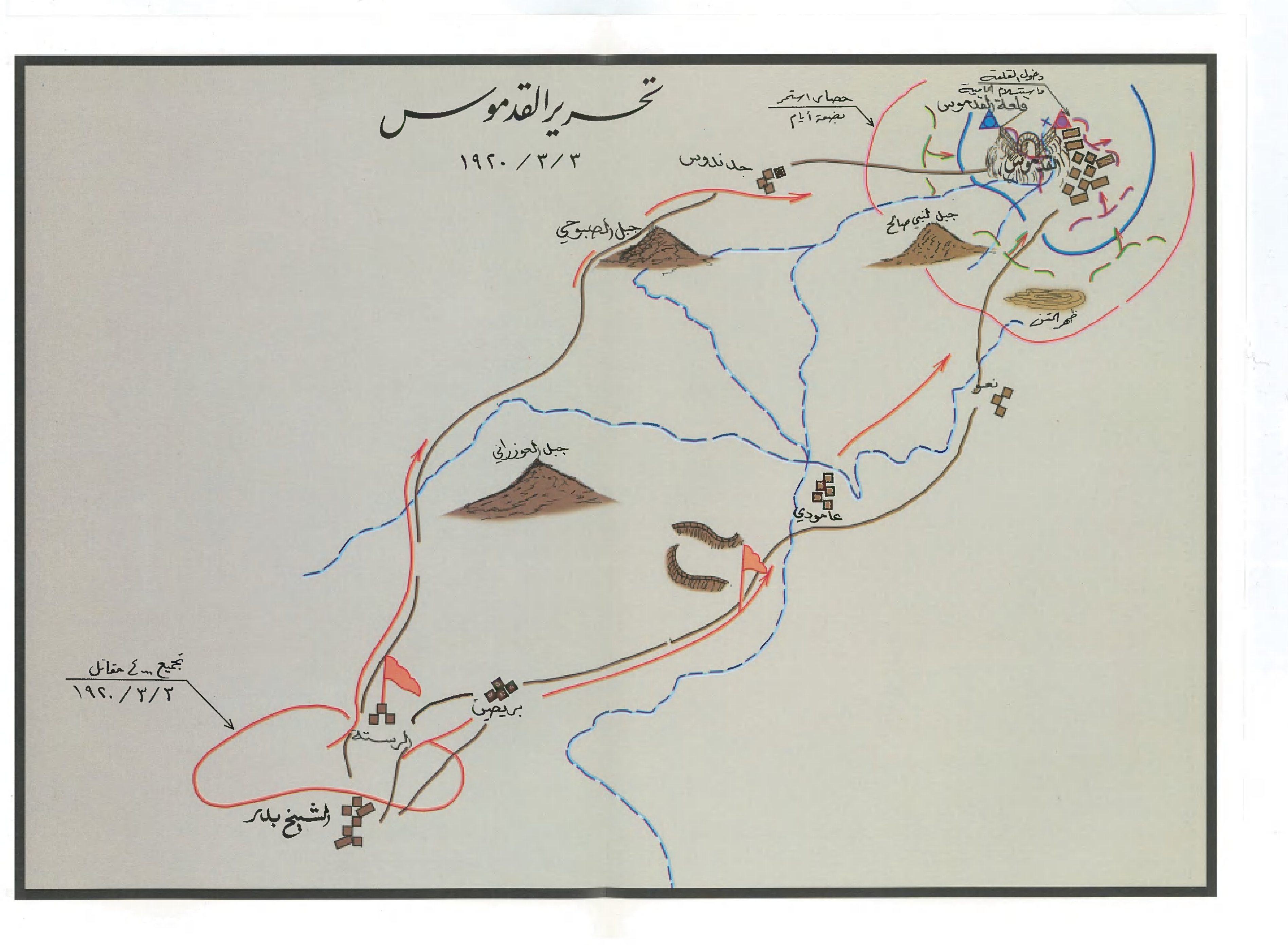
وأخذ الفريقان في شهر آذار يستعدان للمعارك المقبلة: واستقدم الفرنسيون كتائب جديدة من المســتعمرات عـــبر لبـــنان كما، قاموا بحملة اعتقالات واسعة بين الوطنيين من آل المحمود ونفوهم إلى كاليدونـــيا الجديدة وجزر المارتينيك(١٢٦). وفي تقرير رفعه غورو في ٢٨ آذار ١٩٢٠ إلى الخارجية بعد جـــولة قام بها في الساحل(١٢٧) أشار إلى ضراوة ثورة الشيخ صالح العلي وإلى استخدام الطرادة المدرعة إرنســـت رنان Ernest Renan لحماية السواحل وقصف القرى الثائرة الواقعة على مدى مدافعها مدعياً "أن هدف هذه الثورة هو إبعاد الفرنسيين وضم سكان الجبال المستقلين إلى فيصل" ويضيف التقرير أن الشـــيخ صـــالح "قد عُين أميراً للجبل انتدبه الأمير فيصل". ويكرر التقرير الإشارة إلى أحداث كيليكية حيث تقوى (العصابات) وتزداد جرأة باضطراد مهددة بتطويق (قواتنا) ومهاجمة (مواصلاتنا) مع المنطقة الغـــربية بسبب خطر قطع خط الاتصال مع فرقة دوفيو Dufieax وفرقة دي لاموت، فهذه الأخيرة لا تعـــيش إلا بفضـــل خـــط الاتصال الذي تضمنه لها فرقة دوفيو. لقد كان إلحاح غورو على الحكومة الفرنســـية قوياً من أجل ارسال فرق تعزيز "وأن تدرس الأمر باهتمام الذي يتطلبه وضع يتزايد صعوبة كـــل يوم ويفرضه نقص الوسائل مسبباً خطراً لا يمكن تفاديه، في حين أن القيام بمظاهرة لأعداد كافية من (القوات) يمكن أن يجنب القيام بعمليات باهظة الثمن".

ومن جانبهم، قام ثوار المنطقة الغربية بمزيد من التنظيم والتدريب ووضع الخطط بعد أن وصل إلـــيهم عـــدد من الضباط موفدين من حكومة دمشق العربية وعلى رأسهم غالب الشعلان ومصطفى المـــلا(١٢٨). واتخـــذت البعثة العسكرية مقراً لها في قرية الرستة (بلدة الشيخ صالح في الجهة الشمالية الشـــرقية من قرية الشيخ بدر على مسافة ٢ كم) وبقيت البعثة العسكرية حتى سقوط دمشق في تموز ١٩٢٠(١٢٩). وفي نيســـان ١٩٢٠ تم تشكيل فوج من المتطوعين تولى قيادته عزيز هارون واطلق عليه اســـم (الفـــوج الملّي) لأنه كان يحتوي على حوالي ٥٠٠ متطوع من جميع الطوائف من حماه وحمص واللاذقـــية وجبلة وبانياس، واشترك في القتال حتى سقوط دمشق واحتلال مصياف. كما تولى الضابط جميل ماميش من اللاذقية (الموفد من قبل حكومة دمشق) قيادة قوة فدائية (حوالي ١٥٠) كانت مهمتها حماية الطرق الموصلة إلى منطقة الثورة واقتناص المعلومات عن تحركات العدو، ووزعت في بضعة أماكن وفق الحاجة(١٣٠).



إحراق كاف الجاع من قبل الفرنسيّين
أواخر تشرين الأول ١٩١٩
ش
جبل زغرين
التناخة
القدموس
السعدانة
روضة جوبر
نهر الشيرفة
القرميدة
كاف الجاع
الحارة الشرقية
الحارة الغربية
حارة الضيعة
السلورية
الرستة
الشيخ بدر
قنية


معارك السّوَدَة
في نهاية آذار ١٩٢٠
ش
القمصية
مزرعة حمرية
بيت الملوط
تلة بوان الهوى
المسبية
الكبيرة
الغربية
أبو منتار
ظهر الرأس
الرستة
الوردية
عرقوب
الشيخ بدر
المراقي
العسلية
الملوعة
ظهر الملوعة
ظهر ريشة
نجيين
مزرعة الصفيحة
الشيخ محمد العجي
السّودة
ظهر وطر
القلية
رأس كتان
كوكب الهوى
عقرنية
جبل الجلسة
رمانة رعد
الموقف الابتدائي
القيام بالهجوم الفرنسي بتاريخ ٣/٤/١٩٢٠
القيام بالهجوم المعاكس الفرنسي وانسحاب الثوار للدفاع
الهجوم المعاكس للثوار واستعادة بعض القرى


تحرير القدموس
٣/٣/١٩٢٠
حصار استمر بضعة أيام
دخول القلعة واستسلام الحامية
قلعة القدموس
جبل الصبوحي
جبل بني صالح
عامودي
بريص
الشيخ بدر
٣/٣/١٩٢٠

وبـــناء علـــى مطالب غورو أرسلت بيروت الكتيبة السابعة من الفيلق الثالث مختلط ونصف بطارية عـــيار ٦٥ لتشـــكل رتلاً صغيراً كلف بقيادة الرائد لوبو لانجيه Le Boulanger من اجل (إعادة الهدوء) في مـــنطقة طرطوس وإعادة الاتصالات التلغرافية بين طرطوس وبانياس التي قطعها (المتمردون) الذي يسيطرون على الجبل قرب الطريق الساحلي[١٣١]. وتولى رتل لوبولانجيه معاقبة القرى الثائرة حول (بابنا) في ٢٩ــ ٣٠ آذار ١٩٢٠. وكان الثوار قد هجروا القرى وانسحبوا إلى قلعة (صهيون) فلحقت القوات الفرنسية بالـــثوار في القلعـــة وفتحت نيرانها عليها وعلى السهول المحيطة بها، واضطر الثوار إلى مغادرة القلعة من الســـهل الواقع في جنوبها. كما قام قسم من الرتل بتدمير القرى التي كانت قد أخليت تماماً قبل وصول أفـــراد الـــرتل، وقـــد عاد الرتل إلى اللاذقية في ٣١ آذار ووصل طرطوس في ٢ نيسان. ويدعي تقرير فرنسي[١٣٢] أن العمليات كان لها أثر هام إذ فقد الثوار كل نفوذ على السكان ولن يجدوا أنصاراً بينهم لبعض الوقت.

وشـــهدت الجبهة الساحلية منذ نهاية آذار ١٩٢٠ ولعدة شهور معارك دامية في منطقة السودة، بدأت بحشد الفرنسيين قوة كبيرة في قرية السودة (على بعد ١٥ كم شرق طرطوس وعن البحر ٧ كم) اســـتعداداً لهجـــوم ســـاحق على الثوار لانهاء الثورة الساحلية، وقد انتشرت فرقتان كاملتان مدعمتان بالدبابات والمدفعية الثقيلة على التلال المحيطة بقرية السودة وما جاورها من القرى القريبة من طرطوس، هـــذا في حـــين رابطت قوات الثوار فوق التلال المواجهة لمواقع الفرنسيين ووضع الشيخ صالح وأركان حـــربه خطة الهجوم بأن يباغت الفرنسيين ويدمر جيوشهم وما أعدوه[١٣٣]. وكلف العقيد سليم صالح لقـــيادة الجناح الأيمن والضابط جميل ماميش لقيادة القلب وعين عدة عقداء لقيادة الجناح الأيسر[١٣٤]. وكان الشيخ صالح يشرف بنفسه على سير المعارك مع أركان حربه وعلى رأسهم القائد المساعد غالب الشعلان. وبدأت المعركة بهجوم كتيبة من الثوار من قرية بعزرائيل شرق السودة على الطريق المؤدية إلى الشـــيخ بدر وتبعتها بقية الكتائب. والتهبت المعركة على طول الجبهة وشاركت مدفعية العدو وأسراب الطائرات ومدافع الأسطول بالمعركة تقصف الثوار والقرى وتحرق كل شيء. واستبسل الثوار في القتال ولاح النصـــر لهـــم وكادوا يدمرون الفصائل الفرنسية المؤلفة من فرنسيين وجنود المستعمرات ومرتزقة محلـــيين[١٣٥]. ولكـــن بسبب خطأ وقع في قيادة الجناح الأيسر تصدعت خطوط الثوار في تلك الجبهة وتمكـــن الفرنســـيون من القيام بحركة التفاف خلف الميسرة[١٣٦]. فاضطر الثوار للانسحاب خوفاً من التطويق والإبادة مما أدى إلى تقدم الفرنسيين واحتلالهم المرتفعات التي كانت تحتلها ميسرة الثوار ومن ثم

عمـــدوا إلى الضـــغط على الجناح الأيمن للثوار فاضطر هذا الجناح للتراجع بعد ازدياد الضغط. وأمرت القيادة القلب الممتد كرأس بين القوات الفرنسية بالتراجع خشية التطويق. وانتهت المعركة في غير صالح قـيادة الثوار ودون أن يظفر الثوار بهدفهم وهو طرد الفرنسيين من الساحل كله. ورغم خسائر الثوار ووقوع بعض الأسرى بيد العدو وإعدامهم إلا أن الهجوم الذي شن قد أفسد على القيادة الفرنسية خطة البدء بالهجوم وكبدها خسائر(١٣٧).

وسـارع الفرنسـيون في صـباح ٣ نيسان ١٩٢٠ بهجوم معاكس بدأ بقصف مواقع الثوار بالمدفعـية والطائرات وأخذت قواتهم بالزحف وهم على ثقة أن الثوار قد فنوا(١٣٨) إلا أن الشيخ صالح وأركـان حربه، بفعل الممارسة ومعرفة العقلية الفرنسية، كانوا قد استعدوا للهجوم المعاكس فاستقدموا نجدات من المقاتلين ووضعوا الخطط للوقوف في وجه الفرنسيين. وتقدم الفرنسيون تحميهم نيران المدافع والطائـرات، ولما أوغلوا في التقدم واقتربوا من أماكن استحكامات الثوار وجه هؤلاء نيرانهم (الرصاص والقـنابل الـيدوية)، ودارت معركة استمرت أياماً وكأنها حرب بين جيشين نظاميين، وأبدى الثوار خلالهـا جرأة وشجاعة نادرتين، وتدفق الأنصار وتزايد عدد الثوار. وقد أصيب الطرفان بخسائر فادحة واحـتل الفرنسـيون بعض القرى التي انضم أبناؤها إلى الثوار فهدموها بمدافعهم وأحرقوا ما بقي قائماً منها(١٣٩).

وكـان لفظاعة الفرنسيين رد فعل في صفوف الثوار ودارت معارك طاحنة استعملت فيها كافة أنـواع الأسـلحة، وتمكـن الثوار بعد قتال طويل دام أكثر من شهر من انتزاع النصر واستعادة بعض القـرى. وتقهقرت القوات الفرنسية تاركة كميات من السلاح والعتاد، وتراجعت إلى قواعدها تاركة الخراب والدمار في القرى التي دخلتها. وراح الأهالي يساعدون الثوار على إعادة إعمار قسم من القرى المسـتعادة وايواء أهلها(١٤٠). والملاحظ أن القائد لوبولانجيه في تقريره عن عمليات رتله في أيار ١٩٢٠ ذكـر مـا يلي(١٤١): "هرب المتمردون ليكونوا بمأمن من المدافع والهجوم المفاجئ". ويضيف أنه "قد تم القضـاء على العصابات في المناطق المجاورة لمعسكر السودة ويبدو أن هذه العصابات فقدت جزءاً هاماً مـن أفـرادها: فاستغل الرتل هذا الوضع ليتنفس الصعداء ويوسع منطقة سيطرته، فهاجم في ١٧ و١٨ نيسـان القـرى المجاورة، وفي الأيام التالية هاجم منطقة جنوب نهر مرقية، ولم يجد أمامه إلا مجموعات بسيطة الأهمية كانت تختفي بدون معركة لكنها كانت تناوش الرتل عن بعد". ومن وجهة نظر بولانجيه (كان الوضع السياسي قد تحسن وبما أن (العصابات) لم تحقق النجاح المأمول، فقد اختفت وعادت إلى

مسقط رأسها متخلية عن الشيخ صالح، إلا أن هذا الأخير لم يستسلم، وبقي الطريق إلى مخبئه في الشيخ بدر جيد الحراسة"، وهذا أمر سيثبت خطأه، على ضوء التطورات اللاحقة.

حـ ـ على الجبهة الشمالية الغربية: العمليات الثورية متصاعدة منذ نيسان ١٩٢٠.

تجـدد هجوم ثوار منطقة (صهيون) في ١٦ نيسان على مخفر (بابنا) وكان يبلغ عددهم حوالي ١٠٠٠ رجـل يـتلقون العـون من جسر الشغور، والتي لم تتمكن القوات الفرنسية من احتلالها رغم وقوعها في المنطقة الغربية لعدم وجود منفذ إليها[١٤٢]، ويذكر هاي "وكان المخفر يتكون من ٥٥ قناصاً مـن السرية الرابعة والثلاثين من الفيلق الثالث المختلط و٥٠ رجلاً من الميليشيا المحلية و١٠ من الدرك المحلي بأمرة النقيب ماغران فرنيري Maqrin-Vernerey، وكان المخفر الفرنسي الوحيد في المنطقة يؤمن نظرياً حماية نسبية لسهل اللاذقية ضد غزوات (سلاّبي الجبال)، وقد تعرض المخفر لرمي مكثف ومحكم التسديد. وقد قتل عدة رجال خلف متاريسهم ... إلا أن الهجوم مني بالفشل. وفي الأيام اللاحقة، باشر (العـدو) أعمـال الاسـتتراف ... وأدت أعمال التسرب عبر المنازل والأقبية إلى فقدان بعض المخافر المتقدمة واحتلال بعض المنازل المتصلة بشبكات المجاري، بيد أنه تم الحفاظ على الموضع الأساسي". لقد اعتبر النقيب ماغران فرنيري في تقريره عن الهجوم على مخفر (بابنا)[١٤٣] أنه "عمل عسكري بارعٌ وقد اتهم النقيب ماغران (الجنود الشريفيين) في المشاركة بالهجوم وأشار إلى أن "خيالين من متطوعي الشرق قد انضما إلى صفوف (العدو) وأعدم أحدهما من قبل رقيبه".

اعقب هجوم الثوار على (بابنا) في ١٦ نيسان ١٩٢٠ قيام فصائل ثورية أخرى في ١٨ نيسان ١٩٢٠ بـأول هجـوم منظم على حارم وقد داهم الثوار، وكان على شكل أربعة أرتال[١٤٤] الحامية الفرنسية فيها والمؤلفة من سرية مشاة معززة بفصيلة هاون وفصيلة رشاش ثقيل هوتشكيس[١٤٥]. وقتل عـدد مـن الجنود الفرنسيين (٣٢) والتجأ الباقون (٢٠٠) إلى القلعة الرومانية الواقعة قرب القصبة مع قائدهم (روا)[١٤٦]. ولم تكد تنتشر أخبار المعركة حتى تراكض العشرات من المسلحين من أنحاء المنطقة لمؤازرة الثوار والانضمام إلى صفوفهم، وقد بلغ عدد المقاتلين حوالي (٤٠٠) مقاتل على وجه التقريب. وخشـية أن تمتد أيدي النهب والإتلاف إلى سجلات الأحوال المدنية والعدلية والتمليك في حارم، فقد رؤي أخـذ هذه القيود والاحتفاظ بها ريثما يستقر الأمر فتسلم إلى الجهات المختصة، لذلك شخصت قـوة من الثوار بقيادة الملازم ابراهيم الشغوري إلى دار الحكومة وأخذت منها كل ما له علاقة بمصالح

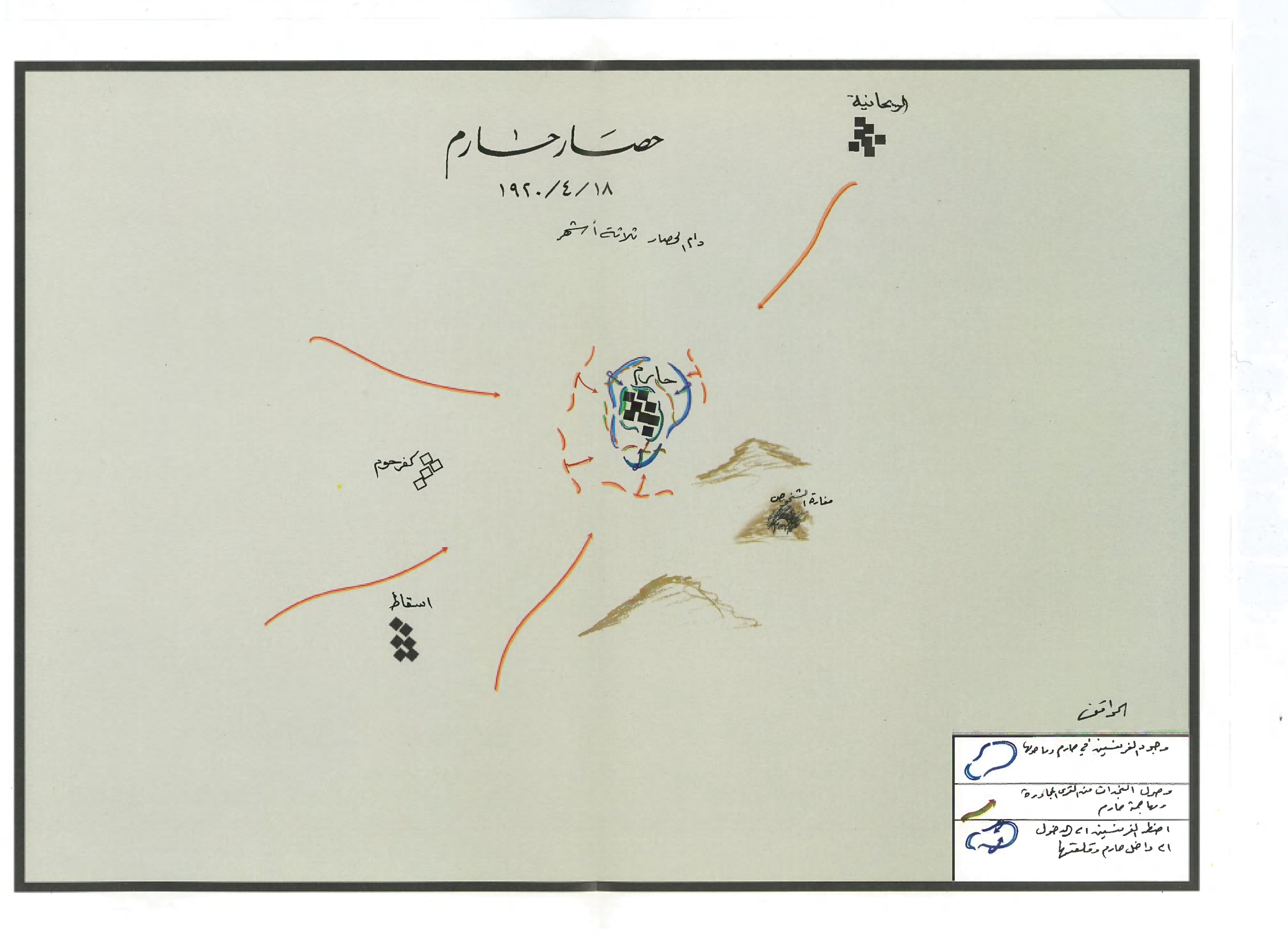
الأهلـــين وأرســـلته إلى كفر تخاريم[١٤٧]. وقد ظل الحصار مضروباً حول حارم وقلعتها مدة تقارب ثلاثة شهور أي (حتى سقوط دمشق)[١٤٨]. و لم يفك الحصار عن حارم إلا مرتين فقط، حيث كانت تأتي قوة فرنســية مدعومة بالرشاشات الثقيلة فيضطر الثوار بعد صراع طويل إلى التراجع عن الحصار المضروب حول حارم قليلاً. وتقوم تلك القوة بتموين المحاصرين بما هم بحاجة إليه من مؤن وعتاد ثم تعود أدراجها وهي مثخنة بالجراح مخلفة عدداً من القتلى والجرحى[١٤٩].

وتشـــير إحـــدى الوثائق الفرنسية[١٥٠] (إلى أن العصابات المنطلقة من حلب تواصل جهودها مـــتكاتفة مع جهود العصابات التي تهاجم كلس، قطمة وعينتاب وتحتل طريق الاسكندرون ـــ حلب، كمـــا أن طريق الاسكندرون انطاكية لم تعد سالكة). ووفقاً لهذه الوثيقة فإنه قد فك الحصار عن حارم في ٣ أيار ولكنها هوجمت ثانية بحيث أصبحت ضواحي حارم وانطاكية خارج تناول السلطة الفرنسية، وكانـــت قرى منطقة الاسكندرون تعاني في تلك الفترة من الحملات الفرنسية المتوالية وقد قصف عدد كـــبير من القرى الثائرة بالمدافع الضخمة منها جسر الحديد، والشيخ حسن (التي تقابل مقر قيادة الثوار في قرية دوحة الرمان جوار انطاكية)[١٥١]، واستهدف القصف معاقل الثوار مما اضطرهم إلى اخلاء تلك القرى ونزوح أهاليها عنها بعد أن دمر أكثر بيوتها[١٥٢].

ط ـ الجبهة الغربية الثائرة على أبواب ميسلون: (أيار ـ تموز ١٩٢٠)

مـــنذ أيار شدد الفرنسيون عملياتهم العسكرية على الجبهة الغربية، ويلخص مرجع فرنسي تلك العمليات التي تولى قيادتها لابولانجيه[١٥٣]:

"... في الأول من أيار نفذت عملية ضد قرية بحنين وبعزرائيل، ولكن بسبب النقص في ذخيرة المدفعـــية لم يتمكن الرتل من استغلال نجاحه باتجاه الشرق وأقام معسكراً جنوب غرب بعزرائيل. ومن مســـاء الأول مـــن أيار وحتى ٤ منه هاجم الثوار (وقدر عددهم بـــ ٦٠٠ رجل) المعسكر الفرنسي في بعـــزرائيل و لم يحققوا نجاحاً. وقد أدى قصف الفرنسيين للقرى التي بيد الثوار إلى إخلاء بعزرائيل والتي حاول الثوار احتلالها من جديد في ٨ منه. واشتبك الرتل مع الثوار من ٨ــ٩ أيار مما اضطرهم إلى ترك المكـــان". ويضـــيف المرجع الفرنسي ذاته "أن الثوار ظلوا يسيطرون على الريف وان الشيخ صالح يعتبر (العدو الرئيسي) لفرنسا والذي يتوقف عليه كل شيء، وأنه قد استعاد ثقته وأصبح بإمكانه جمع ٦٠٠ رجـــل من جديد بعد أن تلقى ذخيرة ومؤناً من المنطقة الشرقية". ويقدر بولانجيه وجود ٤٠٠ ثائر تجاه



حصار حارم
١٨/٤/١٩٢٠
دام الحصار ثلاثة أشهر
الريحانية
حارم
كفرحوم
اسقاط
مغارة الشيوخ
الموقف
وجود الفرنسيين في حارم وما حولها
وصول النجدات من القرى المجاورة ومهاجمة حارم
اضطر الفرنسيين الى الدخول الى داخل حارم وقلعتها

معسكر بعزرائيل و٥٠٠ في ضهر صفرا وضواحيها و١٠٠ في قلعة المرقب "حيث أقيم منذ ٣ أيام مخفر قوي من الراصدين". وقرر لابولانجيه مهاجمة مجموعتي الثوار الأولى والثانية، على أن تتولى حامية بانياس مدعمة بالمدافع البحرية مهاجمة المجموعة الثالثة. ويصف هاي محاولة هجوم السرية الثانية (المحلية) القادمة مـــن بانياس ـــ قلعة المرقب في ١٢ أيار، فجوبهت برشق حي من البنادق لدى اقترابها من سفح القلعة وأثـــارت مجمـــوعة الـــثوار المحصنة في القمم، "وعلى الرغم من دعم مدافع النسافة الفرنسية الطوارق Touarege فـــإن الســـرية لم تتمكن (بوسائلها الضعيفة) من مواجهة هذا الموقع الطبيعي العظيم". لقد لخـــص بولانجيه الموقف في منتصف أيار على النحو التالي: "إن كل شيء صامد والأمر بمجمله يعود إلى الشيخ صالح (العدو الرئيسي) وإذا ما تم القضاء على هذا العدو فإن الهدوء سوف يعود بسرعة".

ويحـــاول دوهـــاي أن يـــبرر الأسباب التي لم تمكن فرنسا من مواجهة الشيخ صالح كما يلي: "كانت جميع وسائل (جيش الشرق) قد استخدمت في مهمات عاجلة، كان من الضروري إنقاذ بوزانتي Bozanti في كيليكية وعينتاب وحماية انطاكية وصور، لم يبق هناك أية قوة جاهزة للقيام بعمليات ضد الثوار في المنطقة الغربية، وبما أن القائد بولانجيه لم يكن قادراً على التحرك نحو الشرق فقد ترك سرية في بعزرائيل واتجه للعمل شمال نهر مرقية ساعياً بهذا الشكل إلى (تحرير) المنطقة الساحلية وإعادة الاتصالات المقطـــوعة بـــين طـــرطوس وبانياس". ويضيف المؤلف "أن المجموعات الثورية كانت قد تمفصلت في مجموعـــتين تعملان بحرية كاملة في الشمال: مجموعة بانياس قلعة المرقب، (نحو ٣٠٠ رجل) تتحكم في مراكز على سفح المرقب ومهمتها قطع الاتصالات بين طرطوس وبانياس. وفي الجنوب مجموعة الخوابي – بـــرمانة الـــتي ازداد عـــددها ووصل إلى ٨٠٠ رجل مهمتها منع التقدم نحو الشيخ بدر". لقد لخص بولانجـــيه الموقف على النحو الآتي: "إن مدبري الاضطراب في هذه المنطقة هم الزعماء بدعم من المنطقة الشـــرقية. فليس فإمكان الشيخ صالح الخضوع ولا هو يريده والطريقة الوحيدة للقضاء عليه هي سحقه عســـكرياً. وكـــل عمل عسكري لا يكون هذا هو هدفه سوف يكون عملاً ثانوياً لا فائدة منه، ولن يـــؤدي إلا إلى نتائج مؤقتة". ولما كان رتل بولانجيه مشتتاً بين السوده وبعزرائيل وضهر صفرا فقد تلقى أمراً من المقدم مانسيه Mensier بالتجمع من جديد.

وفي ٢٥ أيـــار ١٩٢٠ حاولت القوات الفرنسية تجديد الهجوم على قرية كوكب الهوى (١٠ كـــم مـــن الســـودة وتحيط بها الأحراج والجبال من كل الجهات) فاحتلها وأحرقها، وكر عليها الثوار فانتزعوها منهم. وقامت مفرزة منهم بمهاجمة المركز الفرنسي في قرية قلعة الخوابي (وكانت معقل الثوار من

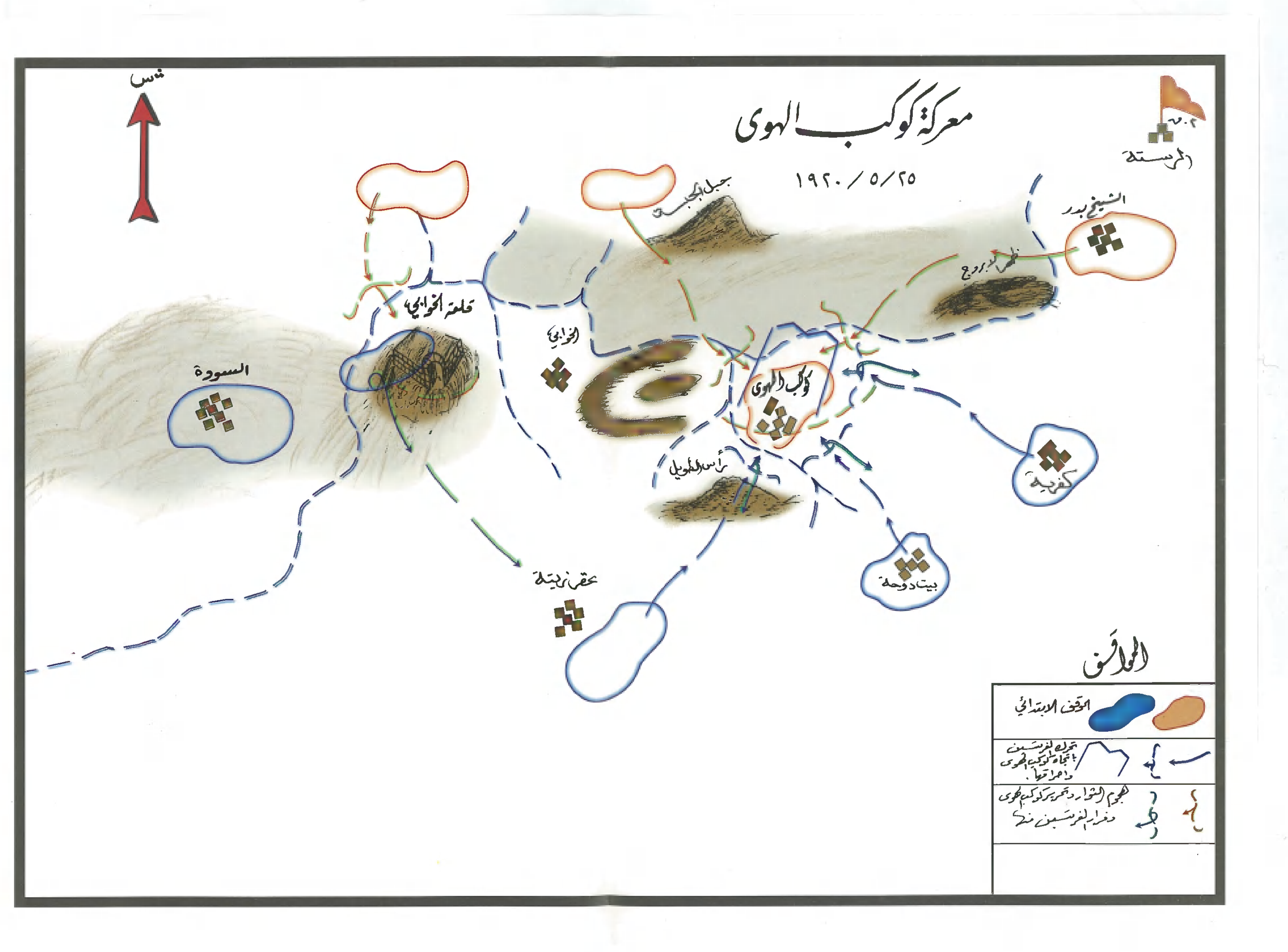
آل عـــدرا وقـــد أحرقت من قبل الفرنسيين سابقاً[١٥٤]. وقد لخص الجنرال غوابيه Goybet قائد الفوج الثالث الوضع بثلاث جمل[١٥٥] "مخزياً على الساحل حيث (حفنة من قطاع الطرق)، تهدد بانياس وتمنعنا مـــن اعادة الاتصالات التلغرافية، لا يحتمل بالنسبة للسكان الذين لا يستطيعون جني محصولاتهم، خطراً بالنســـبة لأمـــن الموانئ الساحلية المعزولة عن بعضها وبسيطة الدفاع" وينتهي غوابيه إلى الرأي بضرورة تدخل رتل للتعزيز.

وهـــذا مـــا جـــرى فقد اتخذ قرار بتعزيز مجموعة الشمال: وفي ٧ حزيران نزلت قوة من فيلق القناصـــة الجزائريين (R.T.A.) في طرطوس قادمة من رتل نيجر في صيدا وتبعتها نصف بطارية ٦٥ وفصـــيلة خيالة انطلقتا من بيروت في ٩ حزيران، وبالتحاق جميع هذه القوات بفصيلة بولانجيه شكلت رتلاً بقيادة المقدم مانسييه مهمته "تفريق عصابات الشيخ صالح في منطقة الشيخ بدر"[١٥٦].

في هـــذه المرحلة قام وزير الحربية في حكومة دمشق يوسف العظمة بزيارة مناطق القتال على الجبهة الغربية واجتمع بالشيخ صالح في قرية السوده من أعمال مصياف، وبعد أن شرح له الشيخ صالح ظروف الثورة وعد الوزير بإمدادها بما تحتاجه من سلاح ومعدات. وتعاهد الرجلان على النضال وكان هـــذا اللقاء الأول والأخير بينهما[١٥٧] لقد كان الوزير يعرف تماماً أن الجنرال غورو عازم على إسكات الجبهتين الساحلية الغربية والشمالية قبل التحرك إلى دمشق[١٥٨].

وحـــاول الفرنسيون من جديد كسب الوقت عن طريق المفاوضات المخادعة (في وقت كانوا يعدون فيه رتـــل مانسييه): ففي منتصف حزيران ١٩٢٠ وسطوا بعض رجال الدين ليحملوا إلى الشيخ صالح رغبة الفرنسيين بإنهاء القتال وموافقتهم على شروط الشيخ السابقة كلها. إلا أن الشيخ، بخبرته بأساليب الفرنسيين، أكد للوسطاء أن الفرنسيين غير جادين بالعرض وأنهم ينوون تخدير الثوار وتغطية عدوان جديد. وفعلاً وبينما كان الوسطاء يحاولون إقناع الشيخ تواردت أخبار هجوم فرنسي جديد على قرية كوكب الهوى التي أحرقها الفرنسيون ثانية بعد أن أعاد بـــناءها الأهـــالي، فغضب الوسطاء لهذه المؤامرة والتهبت المعركة من جديد وتمكن الثوار من إجلاء الفرنسيين عن كوكب الهوى[١٥٩].

وقـــد تابعـــت القيادة الفرنسية حشد قواتها التي تولاها أحد كبار الضباط هو نييجر ووضعت تحـــت تصـــرفه كل القوات الفرنسية في سورية ولبنان وعددها أكثر من ٣٠,٠٠٠ رجل) من الجنود والمشاة والخيالة وغيرها من الوحدات تعززها أسراب من الطائرات وأرتال من المصفحات، وأطلقت يده



معركة كوكب الهوى
١٩٢٠/٥/٢٥
ش
المرسة
الشيخ بدر
جبل الجبسة
قلعة الخوابي
الخوابي
السودة
كوكب الهوى
رأس الطويل
عقر زيتة
بيت دوحة
كفرية
المواقف
الموقف الابتدائي

باتخـــاذ الاجراءات الكفيلة باخضاع الثورة. وبدأ نييجر هجومه بين قريتي خربة الريح (شمال الشيخ بدر ٤كـــم ويطلق عليها حالياً خربة تقلا) ونهر الصواريني (شمال الشيخ بدر وحوالي ٧ كم وهو وادٍ سحيق يفصـــل بين منطقة القدموس والشيخ بدر وأشجاره كثيفة ومعابره قليلة، وكان يستعمله الثوار لاصطياد الفرنســـيين وجمـــع السلاح)[١٦٠] واتسع الهجوم ليشمل جبهة واسعة على امتداد ٣٠ كم، وأمام هذا الزحف الهائل اضطر الثوار إلى الانسحاب عن مراكزهم الأولية والرجوع تاركين بعض الجيوب لاشغال العـــدو. وأخـــذوا يتمركزون حول الجبال التي تحيط بقرية وادي العيون، واتخذوا استحكاماتهم لمقابلة القوات الفرنسية وتوالى قدوم الأنصار والمتطوعين من قرى عين شمس، بجنة، المعمورة، بستان، الصبوح وغيرهـــا مـــن القرى المجاورة وتولى الشيخ صالح قيادة الثوار. وتقدمت الحملة الفرنسية وهي تحرق في طـــريقها القرى والمزارع ، فأحرقت مراكز القيادة في الشيخ بدر وبيوت الشيخ صالح نفسه في الرسته. وخيل للفرنسيين أن الثورة قد أخمدت وأن جموع الثوار قد تفرقت و لم يعد لها قدرة على القتال.

وأثـــناء سير الحملة شرقاً كانت تعبر الوديان السحيقة ومجاري الأنهر بعيدة عن القرى المأهولة، ولمـــا اقتـــربت من وادي العيون (١٢ كم شرق الشيخ بدر)، استطاب جنودها المنطقة وأنزلوا عتادهم وأمتعـــتهم ونصـــبوا خيامهم بقصد الاستراحة[١٦١]. فانهالت نيران الثوار المرابطين فوق التلال المرتفعة المحـــيطة بوادي العيون، فكانت مفاجأة صاعقة للفرنسيين فتكت بهم وبخيولهم فحاولوا النجاة منسحبين باتجـــاه قرية النيحا (٧كم شرق الشيخ بدر) فوجدوا الثوار قد سبقوهم إلى تلك القرية وقطعوا عليهم الطريق، فغيروا طريقهم شمالاً باتجاه القدموس. وفوجئوا بكمائن الثوار في برمانة المشايخ وبشمعة، فغيروا مســـار حملـــتهم وذهـــبوا غرباً إلى قرية القمصية (٨كم شمال غرب الشيخ بدر)، والثوار يطاردوهم ويسدون عليهم السبل. واجتازت خيول الفرنسيين نهر الملتقى وانكفأت إلى قواعدها في الساحل متخلية عـــن المراكـــز والقرى التي احتلتها في مسيرها بعد أن تركت على أرض المعركة عدداً كبيراً من القتلى وكمـــيات مـــن المعدات والذخائر والرواحل، كما وقع عشرات الأسرى بين أيدي الثوار ومنهم بعض الضباط. وقد استشهد نفر من الثوار منهم العقيد عزيز البربر وهو من أبرز القادة وكان قد استولى على ثلاثة مدافع رشاشة.

ويسرد الجنرال دهاي فشل هذه الحملة بقوله[١٦٢] "إن صعوبات التضاريس فاقت كل ما يمكن للمرء تصوره"، مضيفاً إلى أنه كان "يجب التخلي عن مشروع عمليات منطقة شرق القدموس والاكتفاء بعمليات بوليسية في المنطقة المحيطة (بقواعدنا) في السودة وبانياس". إن هذا التراجع برأي هاي[١٦٣] قد

"استغل (ضدنا) وحتى لو ضاعفنا الأعداد التي استخدمناها لا يمكن لذلك أن يخيف السكان الذين ينضمون إلى الأقوى". وقد أقر بولانجيه(١٦٤) نفسه بأن "التخلي عن هذه العملية يشكل ضربة قاسية (لنفوذنا) في منطقة الجبال الساحلية فالذي لا يمكن تحقيقه قبل ثمانية أيام سوف يصعب تحقيقه بعد مرور بعض الوقت ...لأن (العدو) يتقدم .. إن المنطقة الغربية تحتفظ لنا بالمفاجآت إذا لم نسع للقضاء عليها بالقوة". وستثبت الأحداث المقبلة صحة توقعات بولانجيه.

وعاد الفرنسيون لطلب الصلح مجدداً بوساطة بريطانية، ووجه اللنبي كتاباً إلى الشيخ صالح يطلب منه الاجتماع بمندوبيه في طرطوس وقبل الشيخ مبدأ المفاوضة ولكنه رفض النزول إلى طرطوس(١٦٥) وطلب أن يتم الاجتماع في قرية الشيخ بدر. وحضر جنرال بريطاني وآخر فرنسي مع بعض المرافقين وبعض الأسرى من الثوار، وكان الشيخ قد أصر على حضورهم والاشتراك في المفاوضات. والواقع أن الفرنسيين كعادتهم كانوا يريدون من وراء ذلك الوصول إلى هدنة مؤقتة لجمع شتات قواهم واستقدام النجدات من كيليكية(١٦٦). وقد حرص الممثلون الفرنسيون خلال المفاوضات على اصطحاب عدد من العملاء والمرتزقة لإشراكهم في المفاوضات ومن ثم العمل على بث روح التفرقة والتضليل في صفوف الثوار وحملهم على إلقاء السلاح مع الوعد بالعفو عنهم والتعويض عليهم. ولكن زعيم الثورة الشيخ صالح شعر بالمؤامرة ورفض قطعاً اشراك هؤلاء العملاء بالمفاوضات، وبعد الحاح البريطانيين قبل الشيخ حضور هؤلاء كمستمعين وبدأت المفاوضات.

وتظاهر الفرنسيون بميولهم السلمية لكن عملاءهم بدأوا من جهة ثانية الاختلاط بالثوار لتنفيذ الخطة التي أحضروا من أجلها(١٦٧). ومرة ثانية علم الشيخ بما يحاك من مؤامرات الدس والتحريض لتصديع صفوف الثوار فأعلن انسحابه من المفاوضات، واتجه إلى بيته في قرية الرسته ونادى أن يلحق به الثوار. وأرسل منذراً أولئك المارقين على مغادرة الشيخ بدر خلال ساعة واحدة وإلا أصدر أوامره بالقضاء عليهم جميعاً. وبعد ذلك هب الثوار ولحقوا بالشيخ و لم يبق أمام المفاوضين الأجانب إلا عملاؤهم فامتطوا خيولهم وولوا هاربين(١٦٨). ورفض الشيخ العودة إلى مكان الاجتماع والاستجابة لطلب الجنرال البريطاني وسمح للأخير بزيارته في بيته على ألا يرافقه أحد من الفرنسيين(١٦٩).

وخلال المفاوضات حدد الشيخ شروطه لانهاء القتال وفي اليوم الثاني أبلغ الجنرال البريطاني الشيخ صالحاً كتابياً بقبول الجانب الفرنسي الشروط بمجموعها. واستؤنفت المفاوضات ووافق القائد الفرنسي مبدئياً بضم الساحل السوري والجبال الساحلية إلى حكومة دمشق، وعلى جلاء القوات

الفرنسية خلال فترة معينة. وتم الاتفاق على أمور أخرى منها التعويض عن الاضرار التي ألحقها الفرنسيون بممتلكات الأهالي وعلى تبادل وثائق الاتفاق بمجرد موافقة القيادة الفرنسية عليها. وعقدت هدنة مؤقتة وطافت لجان مشتركة من الثوار والبريطانيين والفرنسيين لتقدير الخسائر وسافر مبعوثو الحكومة العربية إلى دمشق يرافقهم رسول من الشيخ صالح لاطلاع الحكومة على نتائج المفاوضات(١٧٠).

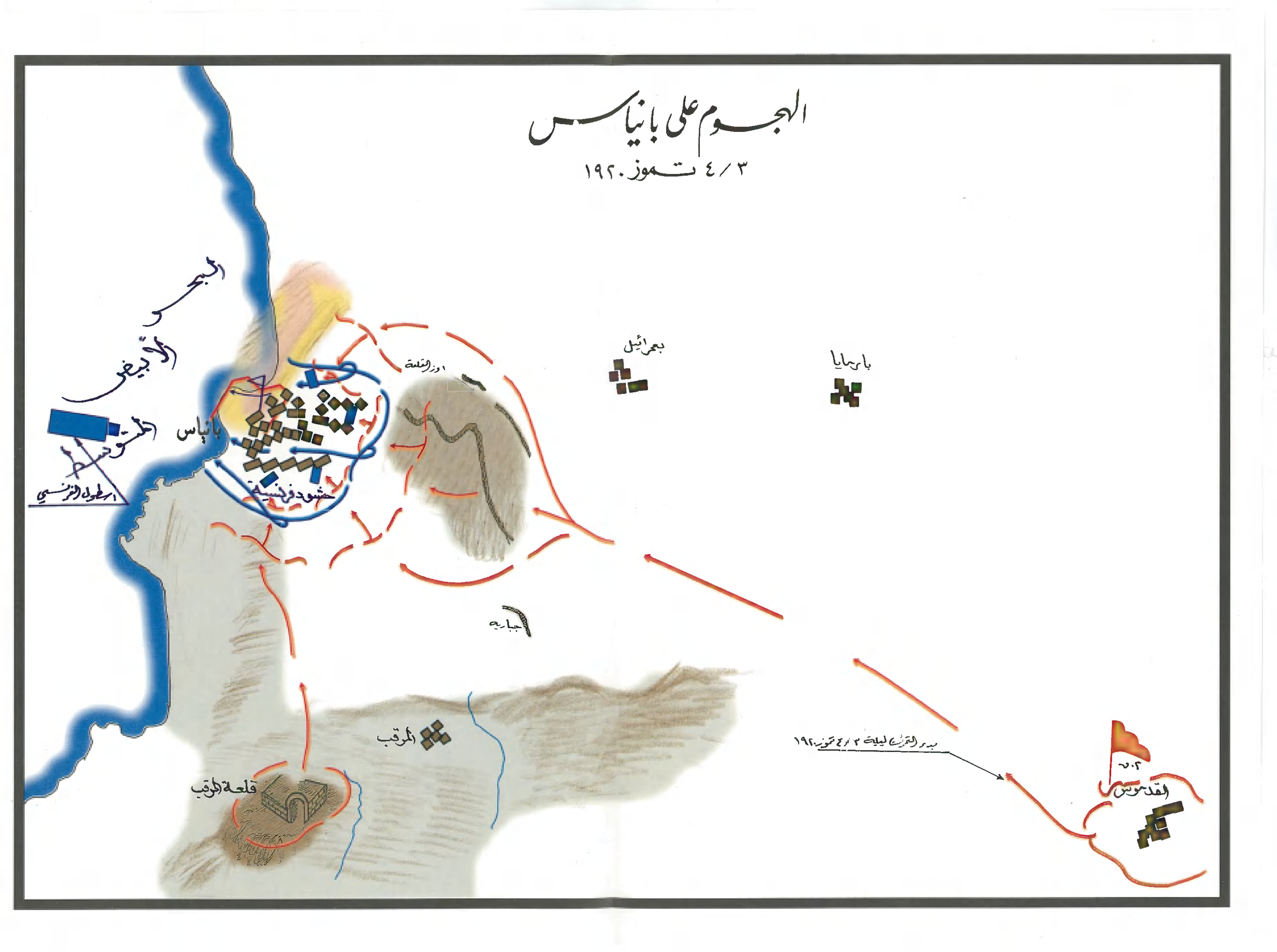
ومرت فترة قصيرة مشوبة بالخداع، وتبين لقيادة الثورة ان الفرنسيين أرادوا منها اكتساب الوقت ريثما يتم لهم نقل النجدات من كيليكية(١٧١)، وأنهم يعدون سراً لتوجيه ضربة قاسية للثورة. وحدث أن وجه أحد قادة الفرنسيين من قرية عقر زيتي (جنوب غرب الشيخ بدر بـ ٧ كم) إهانة للسكان وللدين الإسلامي. وبلغ الشيخ ذلك فوجه رسولاً يحمل انذاراً شديداً إلى هذا الضابط بأن يكف عن هذه الأعمال فقام باعدام الرسول رمياً بالرصاص فوراً. وغضب الشيخ لهذا التصرف واعتبره إهانة وتحدياً لكرامته وكرامة الدين وخرقاً للهدنة. أرسل نفراً من الثوار كي ينصبوا كميناً للضابط المذكور في الطريق التي يمر بها مما أدى إلى قتله وقتل كل من كان معه(١٧٢) وقد خرقت الهدنة المصطنعة مراراً وتعددت تحرشات الفرنسيين بالثوار وعدوانهم على السكان الآمنين، وتلكأت القيادة الفرنسية العامة في الموافقة على شروط الاتفاق وعاد الموقف للتأزم وبدأ الشيخ يستنفر الثوار ويستعد للأحداث(١٧٣).

وفي مطلع تموز ١٩٢٠ علمت قيادة الثورة من حاميتها في قلعة المرقب أن الفرنسيين يحشدون قواتهم حول بانياس بقصد الهجوم على القلعة واحتلالها، وحرمان الثورة من أهم نقطة للمراقبة على طول الساحل. وأصبح لزاماً على قيادة الثورة مهاجمة التجمعات الفرنسية في بانياس والحيلولة دون هجومها على قلعة المرقب. وقرر الشيخ صالح وأركان حربه في اجتماع القدموس مهاجمة بانياس. وزحف وحدات من الثوار ليلة ٣ـ٤ تموز ١٩٢٠ نحو المدينة بقيادة الشيخ صالح نفسه وحاصرت بانياس من ثلاث جهات ودارت معركة استمرت حتى الظهر وتم الاستيلاء على المدينة وإحراق دار الحكومة، وأخلى الفرنسيون ثكناتهم وانسحبوا إلى الشاطئ تحت حماية قنابل الأسطول الذي تدخل وراح يقصف البيوت ويقتل الأبرياء. وقد اضطر الثوار إلى الانسحاب من بانياس مع ما غنموه من مؤن ومعدات وسلاح خشية أن تهدم المدينة تحت نيران قصف الأسطول(١٧٤).

في تلك المرحلة كانت العلاقات قد تأزمت بين حكومة دمشق العربية والسلطات الفرنسية في الســاحل التي كانت تعد العدة لاحتلال المدن الداخلية وإسقاط الحكومة العربية والقضاء على الـــثورات(١٧٥). وأقر الفرنسيون أنهم قد تخلوا عن مواقعهم في معظم المواقع الثائرة في المنطقة الغربية وبـــرأي دوهـــاي(١٧٦) "أن النتـــيجة الخطيرة لهذا التخلي سوف يتم التعويض عنها في الأيام التالية بالانطباع العظيم الذي سيخلفه (احتلالنا) للمنطقة الشرقية لدى السكان". ويضيف(١٧٧) أنه "لا يمكن ملاحقـــة (عدو) يلجأ إلى (المنطقة الشريفية) لذا فإنه لا يمكن إلا أن تتسم العمليات بالجزئية أي بتدارك المستعجل وبتعزيز النقطة المهددة أكثر غالباً على حساب نقطة أخرى".

وجـــاءت فاجعـــة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠ ووقوع معظم البلاد تحت الاحتلال الفرنسي لتـــنعكس سلباً على تطور الثورات السورية المشتعلة في جبهتي المنطقة الساحلية والشمالية الغربية، ذلك أن الفرنسيين باحتلالهم الأجزاء الداخلية من البلاد أصبحوا يهددون مناطق تلك الثورات تهديداً مباشراً وخطراً.




الهجوم على بانياس
٣ / ٤ تموز ١٩٢٠
البحر الأبيض المتوسط
الأسطول الفرنسي
بانياس
حشود فرنسية
اوز القلعة
بعمرائيل
بارمايا
جاريه
المرقب
قلعة المرقب
بدء التحرك ليلة ٣ / ٤ تموز ١٩٢٠
٧٠٢
القدموس

هوامش الفصل الثاني

(١) Khoury, Philip, **Syria and the French Mandate. The Politics of Arab Nationalism 1920-1945**, Princeton University Press, U.S.A. 1987, p.99.

(٢) جمـــيل العلواني، **نضال شعب وسجل خلود ١٩١٩ــ١٩٤٦**، مطبعة الآداب والعلوم، دمشق، ١٩٧٣، ص٨٩. ويذكـــر أدهم آل الجندي، تاريخ الثورات السورية في الانتداب الفرنسي. مطبعة الاتحـــاد، دمشـــق ١٩٦٠، ص ٢٤ أن الاجـــتماع الأول كان في قلعة الخوابي في منـــزل مصطفى محمود والاجتماع الثاني كان في قرية الشيخ صالح.

(٣) أخـــذت المعلـــومات في المقابلة شخصية مع المجاهدين سلمان غانم وسليم عباس حبيب من الشيخ بدر. والأشخاص الذين حضروا الاجتماع هم: مصطفى المحمود، محمود المحمود، أحمد المحمود عدرا، محمد اسماعيل، الشيخ علي أحمد ميهوب، الشيخ معلا أحمد غانم، الشيخ يونس رمضان، الشيخ أحمد رمضان، الشيخ علي عباس، اسبر زغيبي، علي زاهر، اسماعيل حسين، محي الدين عدبا، ابن رسلان، عـــبد الكريم الخير (وهو من رسل حكومة دمشق العربية). ويذكر فيليب خوري ص ١٠٠ نقلاً عن مصـــادر فرنسية أن المحرك المباشر للثورة في الجبل كان نزاعاً مذهبياً في منطقة القدموس شمال الشيخ بـــدر حاول الفرنسيون استغلاله. ويضيف خوري أن عملاء الفرنسيين حاولوا التقرب من وجهاء شيوخ المنطقة بمن فيهم الشيخ صالح ولكنهم ردّوا على أعقابهم.

وتؤكد الوثيقة الفرنسية التالية وجهة النظر هذه المخالفة لحقيقة ما وقع،

Le Général Hamlin, Commandant les Troups Françaises du Levant à Guerre, Etat Major de l'Armée, No. 298/G, 27/2/1919.

(٤) العلواني، ص ٩٠.

(٥) زرزور، **معارك الحرية في سورية**، دار الشرق، دمشق، ١٩٦٢، ص ٥٦.

(٦) مقابلة شخصية مع المجاهدين، سلمان غانم، عيسى محمود محمد، سليم عباس حبيب.

(٧) زرزور ص ٥٧.

(٨) Khoury. P.100.

(٩) علـــي رضا، **قصة الكفاح الوطني في سورية عسكرياً وسياسياً حتى الجلاء، ١٩١٨، ١٩٤٦**، المطبعة الحديثة، حلب ١٩٧٩، ص ٢٥.

(١٠) احســـان الهـــندي، **كفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨ـــ١٩٤٨** منشورات إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي، دمشق، ١٩٦٢ ـــ ص٥٧.

(١١) الزواف: اسم لبعض الوحدات الافريقية بالجيش الفرنسي. المرجع السابق، ص ٧٥.

(١٢) السباهية: اسم لوحدات الخيالة الأفريقية بالجيش الفرنسي. المرجع نفسه.

(١٣) GR. du Hays. P.143.

(١٤) علي رضا، ص ٢٥ـــ٢٦.

(١٥) مقابلة شخصية مع المجاهدين سلمان غانم وعيسى محمد وسليم عباس حبيب.

(١٦) العلواني، ص ١٠٠.

(١٧) مقابلة شخصية مع بعض مجاهدي المنطقة.

(١٨) من هؤلاء ابراهيم أبو سليمان الجندي، شحادة ذكريا، عبد الرؤوف طيبة، مصطفى المجبور، محمد عبد الجليل، محمود عطور، أحمد كلية وغيرهم، علي رضا، ص ٢٧.

(١٩) مقابلة شخصية مع بعض مجاهدي المنطقة.

(٢٠) العلواني، ص ٩٣.

(٢١) Le Général Hamelin Commandant les Troupes Françaises du Levant le Ministre de la Guerre-Etat-Major de L'Armée, Beyrouth, 3/2/1919, No. 69/G.

(٢٢) العلواني، ص ٩٤.

(٢٣) Le Général Hamelin Commandant les Troupes Françaises du Levant le Ministre de la Guerre-Etat-Major de L'Armée, Beyrouth, 15/2/1919, No.246/G; 18/2/1919, No. 265/G.

(٢٤) علي رضا ص ٢٩.

(٢٥) انظر الوثيقتين الفرنسيتين السابقتين.

(٢٦) علـــى رأس هؤلاء الشيخ أحمد ادريس، خيرو القصاب اللاذقاني، صبحي حليمة اللاذقاني، حسن سعدية اللاذقاني، اسماعيل السيد، على سعد، إبراهيم علي إبراهيم، انظر علي رضا ص ٢٩.

(٢٧) العلواني، ص ٩٤.

(٢٨) ابراهيم أبو سليمان، أحمد مصطفى البيطار، علي أحمد كلية، شحادة زكريا، انظر علي رضا، ص٢٩.

(٢٩) O.E.T.Zone Ouest, Vilayet de Beyrouth, Sandjak de Lattaquié, le Chef d'escadron Minault, gouverneur de Lattaquié à le Général Commandant les T.F.L., No. 254, Beyrouth, 1/3/1919.

(٣٠) كان من الشهداء صبحي الشيخ خميس، عبدو سليمان، عثمان عبدو، انظر علي رضا، ص ٣٠.

(٣١) O.E.T.Zone Ouest, Vilayet de Beyrouth, Sandjak de Lattaquié, No.392, 6/4/1919 (Rapport au Sujet des Troupes d Occupation du District.

(٣٢) Général Hamelin, Commandant les T.F.L. à Guerre, Section Afrique-Paris, Beyrouth, 14/4/1919.

(٣٣) محمد بن شريف صباغة، حميد عبد الوهاب البدوي، سالم بن عابد مدنية.

(٣٤) العلواني، ص ٩٦.

(٣٥) الهندي ص ٥٩.

(٣٦) العلواني ص ٩٦.

(٣٧) آل جندي، ص ١٧.

(٣٨) GR. du Hays, p,144.

(٣٩) العلواني ص ٩٩.

(٤٠) يضم الرتل عناصر متنوعة جداً، منها فصيلة بقيادة الرائد فرونتي Fronty قائد الكتيبة السابعة قناصة وتضم هذه الكتيبة السابعة وسرية محلية ونصف سرية خيالة ووحدة من البطاريات الجبلية الثلاثين أي ما مجموعه ١٢ ضابط أو ٧٧٤ رجلاً و٢٧٠ حيواناً. GR. du Hays, p146

(٤١) Le Général Hamelin, Commondant les T.F.L à le Ministre de la Guerre-Section Afrique-Paris, No 729/G, Beyrouth, 12/5/1919.

(٤٢) زرزور، ص ٥٩—٦٠.

(٤٣) آل جندي، ص ٣٢، وأيضاً زرزور ص ٦٠.

(٤٤) علواني، ص ١٠٠.

(٤٥) GR. du Hays, p.144.

(٤٦) الهندي ص ٦٠.

(٤٧) لونغريغ ص ١٠٦.

(٤٨) Troupes Françaises du Levant, Etat-Major, No. 8223/3, Ordre de Mouvement No. 112, Beyrouth, 22/5/1919.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد مجلد ١٥ ص ١٤ــ١٦. وأيضاً:

Troupes Françaises du Levant, Etat-Major, No 8406/3, Ordre de Mouvement No. 115, 26/5/1919

وثائق الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد مجلد ١٥ ص ١٨ــ٢١.

(٤٩) T.E.O.Zone Ouest, Vilayet de Beyrouth-Sandjak de Lattaquié le Chef d'Escadron Minault, Gouverneur Militaire de Lattaquié au Général Commandant de T.F.L., Beyrouth-Lattaquié, 28/5/1919.

(٥٠) Ibid.

(٥١) مقابلـــة شخصية مع عيسى محمود ومحمد، سلمان غانم، سليم حبيب، علي محمد الخطيب، عباس خليل عمار، أحمد محمد يوسف.

(٥٢) انظر الفصل الرابع.

(٥٣) T.E.O.Zone Ouest, Vilayet de Beyrouth-Sandjak de Lattaquié No. 88, le Chef d'Escadron Minault, Gouverneur Militaire de Lattaquié au Général Commandant les T.F.L., S/C de Administrateur du Vilayet Beyrouth-Lattaquié, 3/6/1919.

(٥٤) تقـــع مـــنطقة وادي ورور أو ما يسمى بيدر غنام بين منطقة الشيخ بدر من جهة الشرق وقرية بـــرمانة غرباً تحيط بها الجبال العالية والصخور والأشجار الكثيفة بحيث لا يستطيع أحد معرفة أسرار المنطقة عدا الثوار (مقابلة شخصية مع أقرباء الثوار).

(٥٥) العلـــواني، ص ١٠٢. وقد روى سلمان غانم وسليم عباس حبيب وأحمد محمد يوسف في مقابلة شخصـــية أن قائـــد القوة الفرنسية طلب من حسن حامد أحد أهالي طرطوس أن يتقدم القوة ليدل رجالهـــا على مكان الشيخ صالح لقتله والقضاء على الثورة. وقد أرسل حسن حامد في مساء اليوم نفســـه رســـالة إلى الشيخ صالح بشكل سري يخبره بما حدث كي يأخذ الحيطة والحذر واعلمه بأنه سيركب حصاناً أبيض وأن على الثوار ألا ينالوا منه بسوء وأنه هو الذي سيعطي الأوامر بالاشتباك.

(٥٦) آل الجندي، ص ٣٤.

ويذكر عبد الرحمن الباشا في كتابه **الراية الثالثة**، منشورات وزارة الثقافة السورية ١٩٦٣، ص٦٤، أن القائد الفرنسي للحملة المنهزمة قال "إن فرنسا لم تدخل الحرب الكبرى و لم تلق في اتونها المستعر من مال ورجال إلا لتوطد نفوذها في حوض المتوسط وتضع يدها على ممتلكات جديدة في شواطئه وبخاصة سورية ولبنان، ولكن مهما يكن من أمر سوف أؤدب هذه العصابات وأبعث بقائدهم إلى فرنسا مكبلاً بالأغلال ليطاف به في باريس حاسر الرأس حافي القدمين".

(٥٧) تحدث الشيخ سلمان غانم في مقابلة شخصية عن استخدام كلمة عقيد اثناء الثورة.

(٥٨) العلواني، ص ١٠٢.

(٥٩) عبد الرحمن باشا، ص ٦٤. انظر الفصل الرابع عن تنظيم الثورة.

(٦٠) Colonne. B, Ordre de Mouvement, Kadmus, 21/6/1919.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٥، ٢٢ــ٢٥.

(٦١) O.E.T.A Zone Quest, Cabinet Militaire, Le Sous-Intendant Militaire Copin, Adminstrateur en Chef des O.E.T.A (Ouest) à Le Général Commandant en Chef, Beyrouth, 24/6/1919.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٢، ص ١٠٣ــ١٠٥.

(٦٢) Affaires Etrangères, Télégramme, Beyrouth-Le Caire, No. 878 E-313, 24/6/1919.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد وأيضاً مجلد ١٢، ص ٢٨.

(٦٣) انظر الفصل الأول.

انظر الفصل الرابع، حول تفاصيل هذه الأحداث.

(٦٤) Khoury, p.105.

(٦٥) سجل يوسف السعدون وقائع الحركات الثورية في تلك المنطقة في مذكراته غير المنشورة، القسم الخـــاص، دار الوثائق التاريخية بدمشق. ويذكر السعدون، ص ٤، أن صبحي بركات كان من الذين شـــاركوا في إقامة الإدارة العربية في منطقة انطاكية القصير، بعد جلاء القوات العثمانية ولكنه اضطر إلى الفرار إلى حلب بعد وضع الفرنسيين أيديهم على المنطقة وانزلته الحكومة العربية خير مترل.

(٦٦) زرزور، ص ٩٠.

(٦٧) Khoury, p.105.

وقد أسس هنانو في حلب عصبة الدفاع الوطني التي ضم إليها عدداً من الشبان الوطنيين وحصل على مســـاعدات مالية من تجار حلب وعلمائها لتزويد اتباعه بالسلاح. وكان يلهب مشاعر الوطنيين في حلـــب آنـــذاك النادي العربي الذي كان هنانو من مؤسسيه إلى جانب عبد الرحمن الكيالي ونجيب باقي، وترأس هذا النادي الشيخ مسعود الكواكبي أحد رجالات حلب المرموقين.

هذه المعلومات مأخوذة من مقال فيليب خوري "ملاحظات حول طبيعة المقاومة السورية للاحتلال الفرنسي في منطقة حلب" الذي أعد خصيصاً للمشاركة في الكتاب التكريمي للاستاذ الدكتور محمد خير فارس.

(٦٨) مذكـــرات الشغوري غير المنشورة، القسم الخاص، ص ٢، دار الوثائق التاريخية بدمشق، وكانت الحكومة العربية في دمشق قد انتدبت الشغوري كي يلتحق بثورة هنانو.

(٦٩) محمد علي جمعة، مصطفى أبو درويش، مصطفى عويد، علي المغربي، صالح الشغوري، عبد الرحمن الأفندي، جميل عبلة. (مذكرات الشغوري) و لم يرد ذكر اسم جميل عبلة في العلواني ص ٤١ وورد بدلاً عنه اسم الحاج ضرغام دره.

(٧٠) زرزور، ص٨٣.

(٧١) مذكرات الشغوري، ص٢.

(٧٢) O.E.T. A Zone Ouest, Cabinet Militaire, Le Sous-Intendant Militaire Copin Adminstrateur en chef des O.E.T.A (Ouest) à le Général Commandant en chef, Beyrouth, 24/6/1919.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٢ ص ١٠٣ـ١٠٥.

(٧٣) نجيب عويد، عزت هنانو، ابراهيم الصرما، محمد درويش كيالي.

(٧٤) Khoury, p.105.

ويذكر المؤلف أن هنانو تمكن من جمع عدد من الشباب في اتحاد الدفاع الوطني (وقد جمع الاتحاد مبلغ ٢٠٠٠ جنيه ذهب و ١٧٠٠ بندقية بدعم من عدد من التجار والزعماء الدينيين وأعضاء بارزين من المهن الحرة).

(٧٥) الحاج ضرغام درة، محمد علي جمعة، محمد حسين زهرة، عبدو حسن زنوب، وجميعهم من كفر تخاريم. مذكرات الشغوري، ص٢.

(٧٦) عبد الكريم رافق: "المجتمع والاقتصاد والسلطة السياسية في سورية ١٩١٨ـ١٩٢٥ Rafeq, "Society, Economics and Political Power in Syria 1918-1925" بحث بالانجليزية القي في الندوة الدولية حول "الشرق الأوسط في فترة ما بين الحربين ــ تفاعل التطور السياسي والاقتصادي والثقافي" **"Middle-East in the Inter War-Period: The Interaction of Political, Economical and Cultural Development"** التي نظمها معهد التاريخ الأوربي في باد هومبورغ بألمانيا في آب ١٩٨٤. (وترجم البحث ونشر بالألمانية في وقائع المؤتمر)، ص ٣٨.

انظر الفصل الرابع.

(٧٧) مذكرات الشغوري، ص ٢ـ٣.

(٧٨) جميل ابراهيم باشا، نضال الأحرار في سبيل الاستقلال (مذكرات)، مطبعة الضاد، حلب ١٩٥٩ ص ٣٠.

(٧٩) العلواني، ص ٤٤. ويذكر الشغوري، ص ٤، أن هنانو بالاتفاق مع صبحي بركات (الذي اسمى نفسه الخالـــدي فيما بعد) هما اللذان أوحيا بالثورة في تلك المنطقة برئاسة عاصم بك وحقي بك والشيخ يوسف السعدون وأحمد التكرلي.

(٨٠) مذكرات السعدون، ص ٧، وقد شارك هو في المعركة.

(٨١) الهندي، ص ٦٩.

(٨٢) سميت قرية الحمام-كذلك لوجود حمّام ماؤه ساخن يقصده الناس للاستشفاء، مذكرات السعدون، ص ٥.

(٨٣) سجل السعدون في مذكراته ص ٩ــ١١، وقائع تلك المعارك التي شارك بها شخصياً.

(٨٤) O.E.T.A. Zone Ouest, Cabinet Militaire, No. 2693/C.M, Note de Service, Beyrouth, 4/7/1919.

(٨٥) O.E.T.A. Zone Ouest, Vilayet de Beyrouth, Sandjak de Lattaquié, Le chef d'Escadron Minault, Gouverneur Militaire à l'Administrateur du Vilayet de Beyrouth, Lattaquié, 7/7/1919.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية المحفوظة في مكتبة الأسد مجلد ١٥ ١١ــ١٣.

(٨٦) Troupes Françaises du Levant, Etat-Major, No.1027, Le Général Hamelin Commandant les Troupes Françaises du Levant à Le Haut-Commissaire de la République Française en Syrie & en Arménie, Beyrouth, 5/7/1919.

(٨٧) العلواني، صفحة ١٠٤.

(٨٨) Troupes Françaises du Levant, Colonne B, Le Lt. Colonel Jean Commandant la Colonne à le Général Commandant les T.F.L., Beyrouth, Tartous, 13/7/1919.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٥ ص ٢٩ــ٣٠.

(٨٩) الهندي، ص ٦٠ــ٦١.

(٩٠) العلواني، ص ١٠٤.

(٩١) Le Lt Colonel Jean, Commandant de la Colonne B. dite des Ansariehs au Général Commandant les Troupes Françaises du Levant, Bivouac de Okhzeiti, Beyrouth, 22/7/1919.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٥، ص ٣٢، ٣٣، ٣٤.

(٩٢) Cdt. Troupes Françaises du Levant à Guerre, Section Afrique, No. 1013/9, Aley 26/7/1919.

(٩٣) Haut Commissariat De la République Française en Syrie et en Arménie, M.X.De Laforcade, Gerant du Haut Commissariat à S.Pichon, Ministre des Affaires Etrangères, Beyrouth, 26/8/1919, No. 476 E-313-1.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٥، ص ٤ــ٥.

(٩٤) Le Général Commandant les Troupes Françaises du Levant à Le Lt. Colonel Jean, Commandant la Colonne B. dite Ansarishs, Beyrouth, No. 11630/3, 30/7/1919.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٥، ص ٣٩ــ٤١.

(٩٥) GR. Du Hays. Annexe 9,p.201.

(٩٦) Affaires Etrangères, No. 111,8, 1111, E313, Beyrouth, 4/8/1919.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٤، ص٥٩ــ٦٠.

(٩٧) Affaires Etrangères, No.1122 Beyrouth, 12/8/1919.

من وثائق الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد مجلد ١٤، ص ١١٠.

(٩٨) Affaires Etrangères, No.1171 Beyrouth, 25/8/1919 E313.

من وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٤، ص ٢٤٦.

(٩٩) ومنها علي رضا، ص٣٤ــ٣٥.

(١٠٠) مقابلــة شخصــية مع أقرباء الثوار، أخذت فيها المعلومات من كتاب لدى ابن المجاهدة خزنة محمود اسماعيل من قرية المجيدل؛ وأيضاً العلواني، ص ١٠٥ــ١٠٦؛ والهندي، ص ٦٢؛ وآل الجندي ص ٣٥.

(١٠١) العلواني، ص ١٠٥.

(١٠٢) p.149.

وفقــاً للتقرير الذي رفعه المقدم نيجر إلى المفوضية الفرنسية في بيروت ادعى بأن هذه البعثة مفوضة بتقبل استسلام الشيخ صالح باسم المارشال اللنبي القائد العام.

(١٠٣) Haut Commissariat de la République Française en Syrie et en Arménie, MX, de Laforcade, Gérant du Haut Commissariat à S.Pichon, Ministre des Affaires Etrangères Beyrouth, 16/9/1919, No. 497.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد مجلد ١٥، ص ٢٤٤ــ٢٤٥.

(١٠٤) p.144.

(١٠٥) Ibid, p.150.

(١٠٦) Le Chef de Battaillon Fronty, Commandant les Troupes du Sanjak de Latakieh à Monsieur Leforcade, Commandant les T.F.L., Tartous, 21/10/1919.

(١٠٧) آل الجندي، ص.٣٥.

(١٠٨) المرجع السابق.

(١٠٩) العلـــواني، ص ١٠٦. يذكر هاي في دراسته السابقة ص ١٥٧ــ١٥٨ أن منطقة الجبهة الغربية قـــد ســـادها الهدوء بعد الاتفاق مع الشيخ صالح. أما لونغريغ ص١٠٦ هامش ١٢، فيذكر أن شبه هدنـــة قـــد قامـــت في المنطقة منذ شهر آب توقف فيها القتال. وهذا أمر لم يحدث على الاطلاق فالحركات الثورية ظلت مستمرة.

(١١٠) مـــن أهم أعضاء هذه اللجان: نسيب حمزة والشيخ كامل قصاب. وكان أنيس ابراهيم الملقب أبـــو فرد والمندوب عن الثورة يقوم بحمل الإعانات عن طريق حماة إلى منطقة الثورة. واسمه الكامل أنـــيس ابـــراهيم المحرزي، مكان، وتاريخ الولادة طرابلس ١٨٩٣، محل الإقامة أولاً (طرابلس) ثانياً (طـــرطوس) وأخيراً (الشيخ بدر). العمل الأول: خفارة السواحل في عام ١٩١١ بإدارة فخر الدين باشا استمرت الخدمة حتى انهيار تركيا (نقلاً عن وثيقة من أحد رفاق أبو فرد).

(١١١) Service des Informations de la Marine dans le Levant, Beyrouth, 26/12/1919, Note No. 25.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٩، ص ١٩٢.

(١١٢) Service des Informations de la Marine dans le Levant, Beyrouth, 9/1/1920, Note, No. 28.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٩، ص ١٥١ــ١٥٠.

(١١٣) Général Gouraud à Guerre, Section Orientale-Paris, Beyrouth, 12/1/1920, No 58 à 64.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٩، ص ١٦٦ــ١٦٧.

Affaires Etrangères, Beyrouth, 6, 9/1/1920, No. 27, 38, 39.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٩، ص٥١ و١٢٦ و١٢٧.

(١١٤) Armée du Levant, 4éme Division, Etat-Major, 3éme Bureau, Alexandrette, 22/1/1920, No 50/36.

(١١٥) Service des Informations de la Marine au Levant, Note No. 26, Beyrouth, 2/1/1920.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٩، ص ٢٦٧-٢٦٨.

(١١٦) Haut Commissaire de la République Française en Syrie, Comnondant en chef de l'Armée du Levant à Alexandre Millerand President du Conseil, Ministre des Affairs Etrangéres, Beyrouth, 25/1/1920, No.35, E.313.

(١١٧) Notes de M.X.de Goyon, Inspecteur-Adjoint de la Banque Imperiale Ottoman, de retour d'une inspection à Adana, Tarsous, Merseine, Alexandrette, Adalia.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٢٤، ص ٢٢٢.

(١١٨) Armée du Levant, Rapport du Lieutenant Roy du Génie sur l'attaque de Tartous, le 22 Fevrier 1920.

(١١٩) مقابلة شخصية مع علي محمد الخطيب من قرية الصوراني وسليم حبيب من الشيخ بدر وسلمان غانم وعباس خليل عمار.

(١٢٠) يذكر الملازم روا في تقريره السابق أن المهاجمين كانوا مجموعات صغيرة اختبأت خلف الصخور والجدران وأخذت برشق حامية المينا، وأن هذه الحامية كانت تتحرك خلف حائط في محاولة للمقاومة في مكانها إلا أنه إزاء تزايد اعداد المهاجمين الذين حاولوا الالتفاف حولها انكفأت إلى الملجأ.

(١٢١) كان بين القتلة الرقيب جورجان (Georgin) وبين الجرحى المساعد تيول (Thiault).

(١٢٢) يدعى (روا) في التقرير المشار له سابقاً، أن الهجوم على طرطوس استهدف فقط مستودع التموين.

(١٢٣) زرزور، ص ٧٤ــ٧٥.

(١٢٤) مقابلة شخصية مع عيسى محمود محمد، سلمان غانم، سليم عباس حبيب، عباس خليل عمار.

(١٢٥) Affaires Etrangéres, Beyrouth, 14/3/1920 No.664/6.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية، مكتبة الأسد، مجلد ٢٣، ص ١٠٠.

(١٢٦) العلواني، ص ١١٠.

(١٢٧) Diplomatie-Paris, No 726-727-728-729/9,28/3/1920.

(١٢٨) وقد نفى الأمير فيصل لغورو علاقته بغالب الشعلان. انظر الفصل الرابع.

(١٢٩) العلواني، ص ١١٠.

(١٣٠) العلواني، ص ١١٠.

(١٣١) GR. du Hays, p.158.

(١٣٢) Armée de Levant, Brigade Mix du Littoral, Gouverment Nord, No,141/O.P., 1/4/1920, Repport sur les opérations de répression exécutées les 29 et 30 Mars dans la région de Babanna.

(١٣٣) آل الجندي، ص ٣٧ــ٣٨.

(١٣٤) مقابلة شخصية مع علي محمد الخطيب الصوراني.

(١٣٥) العلواني، ص ١١١.

(١٣٦) ذكر بعض أقرباء الثوار في مقابلة شخصية أن حركة الالتفاف قام بها ضابط من المرتزقة المحليين واطلق الثوار على أمثال هؤلاء كلمة جواسيس أو متعاونين.

(١٣٧) العلواني، ص ١١٢.

(١٣٨) علي رضا، ص ٣٨.

(١٣٩) العلواني، ص ١١٢ــ١١٣.

(١٤٠) مقابلة شخصية مع بعض أقرباء الثوار.

(١٤١) GR.du Hays, Tom 1,p.163.

(١٤٢) Ibid, p.162.

(١٤٣) Rapport du Capitaine Magrin-Vernerey-Conseiller Adminstartif et Commandant du post de Babanna sur la défense du post contre les attaques cherifiennes, du 16 au 22 avril 1920.

(١٤٤) يذكــر الســعدون في مذكــراته، ص ١٠، أن المهــاجمين كانوا من أبناء كفر تخاريم وسلقين وترمانين.

(١٤٥) زرزور ص ٨٤.

(١٤٦) مذكرات الشغوري، ص ٤.

(١٤٧) يذكر المرجع نفسه أن هذه الأوراق قد احتفظ بها حتى نهاية الثورة فأعيدت سالمة بعد ذلك إلى الحكومة في حارم.

(١٤٨) مذكــرات الســعدون، ص ١١ ويضــيف السعدون أنه أُشيع بأن الجند الفرنسيين قد نفذت مؤونتهم فاضطروا إلى أكل البغال والدواب.

(١٤٩) العلواني، ص ٤٣ ويذكر المؤلف أن من بين قتلى الفرنسيين كان الكابتن: نيغريل.

(١٥٠) Syrie, Situation Générale, ètat des esprits, le gouvernement de Damas.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٢٧، ص ٢١٠.

(١٥١) يشير السعدون في مذكراته، ص ١١، إلى أن إحدى تلك الحملات هي التي توجهت إلى حارم لانقاذ الحامية المحاصرة في القلعة.

(١٥٢) المرجع السابق نفسه.

(١٥٣) GR.du Hays, p163, 164,165.

(١٥٤) مقابلة شخصية مع أقرباء الثوار.

(١٥٥) GR.du Hays, p.165.

(١٥٦) Ibid.

(١٥٧) العلواني، ص ١١٣، مقابلة شخصية تحدث فيها كل من سلمان غانم وسليم حبيب وأحمد محمد يوسف من بريصين عن هذا اللقاء.

(١٥٨) Khoury, p.101.

(١٥٩) مقابلة شخصية مع أقرباء الثوار. وأيضاً العلواني، ص ١١٤.

(١٦٠) مقابلة شخصية مع عيسى محمود محمد، سلمان غانم، سليم حبيب، عيسى محمد عيسى، خزنة محمود اسماعيل، وأحمد حمو والآخرين من المجيدل.

(١٦١) آل الجندي، ص ٣٩ـــ٤٠.

(١٦٢) GR. du Hays, p.166.

(١٦٣) Ibid.

(١٦٤) Ibid p167.

(١٦٥) Khoury, p.101.

(١٦٦) كانت مفاوضات الهدنة مع الأتراك قد بدأت في تلك الفترة، انظر الفصل الرابع.

(١٦٧) العلواني، ص ١١٧ـــ١١٨، وآل الجندي، ص ٤٠ـــ٤١.

(١٦٨) مقابلة شخصية سليم عباس حبيب، سليمان غانم، أحمد محمد يوسف.

(١٦٩) العلواني، ص ١١٨.

(١٧٠) المرجع نفسه.

(١٧١) كانت الهدنة مع الأتراك قد مددت من ٢٠ حزيران حتى غاية تموز ١٩٢٠.

(١٧٢) مقابلة شخصية مع أقرباء الثوار.

(١٧٣) العلواني، ص ١١٩.

(١٧٤) العلواني ص ١١٩ــ١٢٠ وكان من بين الشهداء المجاهدين حسين المعلم من قرية حصين البحر.

(١٧٥) انظر الفصل الأول.

(١٧٦) Ibid, p.167.

(١٧٧) Ibid, p.141.





الفصل الثالث

العمليّات العسكريّة للثورات السّوريّة
في المنطقتين السّاحليّة والشماليّة الغربيّة

المرحلة الثانية والأخيرة
صيف ١٩٢٠ ـ صيف ١٩٢١

تمهيد

تقدم الفرنسيون في تموز ١٩٢٠ إلى احتلال المدن الداخلية و لم يوقف تقدمهم المقاومة المسلحة في ميسلون، إلا أن خضوع المدن السورية لم يكن يعني نهاية الثورات المشتعلة في المناطق الريفية في الساحل والشمال الغربي[1] رغم حرمان تلك الثورات من دعم الحكومة العربية إياها ومدها بما تحتاجه من مؤن وسلاح وعتاد[2]. وخاصة بعد أن استنفدت المعارك المتواصلة ما لدى تلك الثورات من احتياطي الذخائر والمؤن فاضطربت بعض النفوس. وكان لزاماً على زعماء الثورات تجاوز صدمة الاحتلال الأولى والعمل على تقوية معنويات رفاقهم في الثورة من أجل استئناف العمل الثوري. وأمكن القضاء بهذه الوسيلة على التردد والقلق في صفوف الثائرين وتجنيد الإمكانات لحرب الفرنسيين الذين سعوا بكل ما يملكونه من قوة عاتية جمعوها للقضاء على تلك الثورات. وإن كانت الثورات قد صمدت عاماً كاملاً بعد ميسلون فذلك بسبب كثير من التضحيات المادية والمعنوية وخاصة بعد أن نسّقت تلك الثورات فيما بينها من أجل التعاون المادي والعسكري.

أ ـ صمود الجبهة الثورية الغربية اثر ميسلون:

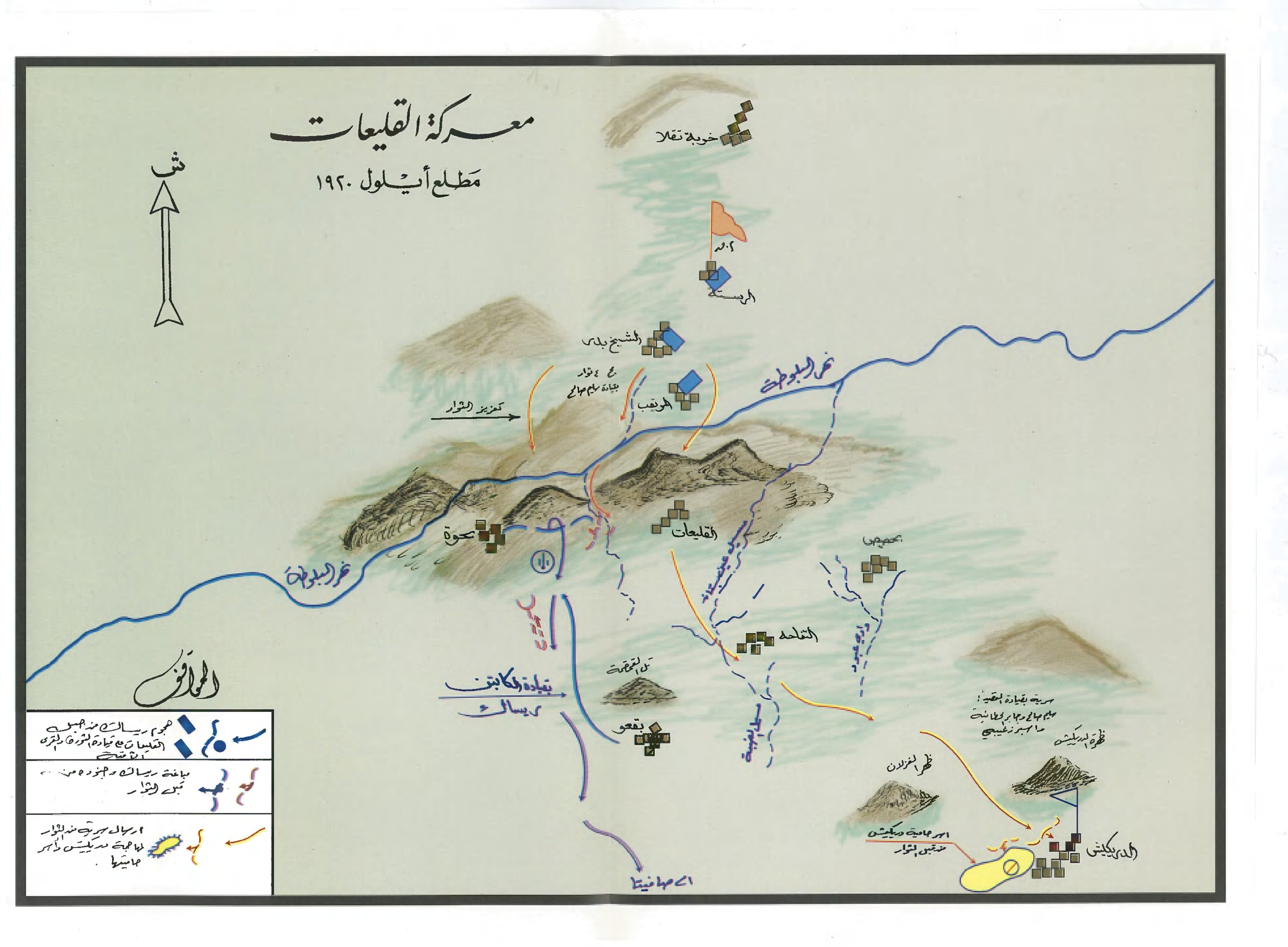
كانت صلابة الشيخ صالح وقوة إرادته وتصميمه على مواصلة القتال حتى النصر أو الشهادة قد شددت عزائم الثوار. وعقد القائد اجتماعاً سرياً بأركان حربه وبحثوا الوضع الجديد وما يترتب عليهم لمواجهته، وقرروا الاقتصاد بالذخيرة وإرسال الوفود تجوب المدن السورية لجمع المساعدات، ولبت هذه المدن المهمة واستجابت لنداء الثوار. ورغم دسائس الفرنسيين عن طريق عملائهم، ورغم السحب السود التي بدأت تخيم على المستقبل فقد بقي الثوار على ولائهم لقائدهم بنفس الحماس والتصميم السابقين وظلت الثورة مستمرة[3].

كانـــت المـــنطقة الجبلية الساحلية تشكل بالنسبة للفرنسيين مشكلة خاصة، ويقول دوهاي[٤] "كـــان من المناسب بذل الجهد العسكري هنا أولاً لتأمين النظام ودعم عملنا السياسي دعماً قوياً، فأي فشل هنا قد يشكل كارثة بالنسبة لنفوذنا". ويضيف[٥] "كان لابد من مواجهة المنطقة الجبلية الساحلية الـــتي لم ينشـــر الســـلام فيها خشية امتداد هذه الثورة ليس إلى المنطقة الساحلية فحسب بل أيضاً إلى ضواحي حمص وحماه وتهديد السكة الحديدية عملياً".

وكانـــت الثورة في الجبهة الغربية بعد فترة هدوء قصيرة، قد انبعثت من جديد في نهاية شهر آب ١٩٢٠ علـــى السفح الشرقي للجبل في منطقة مصياف. أكد ذلك غورو في برقيته إلى وزارة الخارجية في ٥ أيلـــول ١٩٢٠[٦] "الوضع لا يزال غير مستقر لأن السكان لم يعانوا من قواتنا ويتطلب ذلك تواجد ٤ كتائب سيؤخذ منها رتل متحرك لفك الحصار عن مصياف وتموينها والتي تحاصرها جماعات الثوار" وأقر غورو في برقيته في ٩ تشرين أول ١٩٢٠ إلى الخارجية[٧]: بأن المنطقة لم تستطع بعدُ استعادة توازنها وما تزال بحاجة إلى عمليات بوليسية، لقد أوكلت أمرها إلى العقيد نيجر).

وتشير المراجع العربية[٨] إلى تشديد الفرنسيين هجماتهم من أجل احتلال قرية الشيخ بدر والمنطقة المحـــيطة بها، فأرسلوا مشاة معززة بقيادة الكابتن ريساك للهجوم على القرية من الجهة الجنوبية عن طريق صـــافيتا. واتخـــذت هذه السرية طريقاً لها بين الجبال حتى وصلت جبل القليعات الشاهق العلو المطل على قرية المريقب، ونصبت مدافعها وبدأت بقصف مواقع الشيخ بدر، المريقيب، الرستة. وكانت هذه مفاجئة للـــثوار الذين لم يكونوا يتوقعون هذا التقدم العجيب في صافيتا لوعورة الطريق ولضيق مسالكه، وكانت قـــواتهم متفـــرقة في أمـــاكن كثيرة بعيدة عن هذا الموقع. وقام سليم صالح من الشيخ بدر وأربعة ثوار[٩] بالانحدار من جبل المريقب إلى أسفل الوادي وعبروا النهر وتسلقوا جبل القليعات، وباغتوا ريساك وجنوده مـــن مكـــان مـــرتفع بين الأدغال وأصلوهم ببنادقهم البدائية طلقات سريعة[١٠]. فولى هؤلاء هاربين نحو صافيتا بعد أن عطلوا أسلحتهم ومدفعيتهم وتركوها في أرض المعركة ومنيت السرية بخسائر فادحة[١١].

وفي أعقاب اندحار ريساك وسريته تابع الثوار هجماتهم الجريئة على المواقع الفرنسية[١٢]: فقد أرســـل الشيخ صالح سرية من الثوار لمهاجمة قصبة الدريكيش التي اتخذها ريساك ووحداته قاعدة لقطع المواصـــلات بين مواقع الثوار وصافيتا. ودخلت السرية بقيادة العقداء سليم صالح وجابر الحطانية واسبر زغيبي[١٣]، دريكيش وأسرت حاميتها واستولت على أسلحتها وعادت إلى مراكزها[١٤].



معركة القليعات
مطلع أيلول ١٩٢٠
ش
خربة تقلا
الشيخ بدر
الرقيب
تعزيز الثوار
القليعات
نهر السلوطة
بحوة
التاحه
بقعو
الصوافي

ب ـ الموقف على جبهة ثورة هنانو في أعقاب ميسلون:

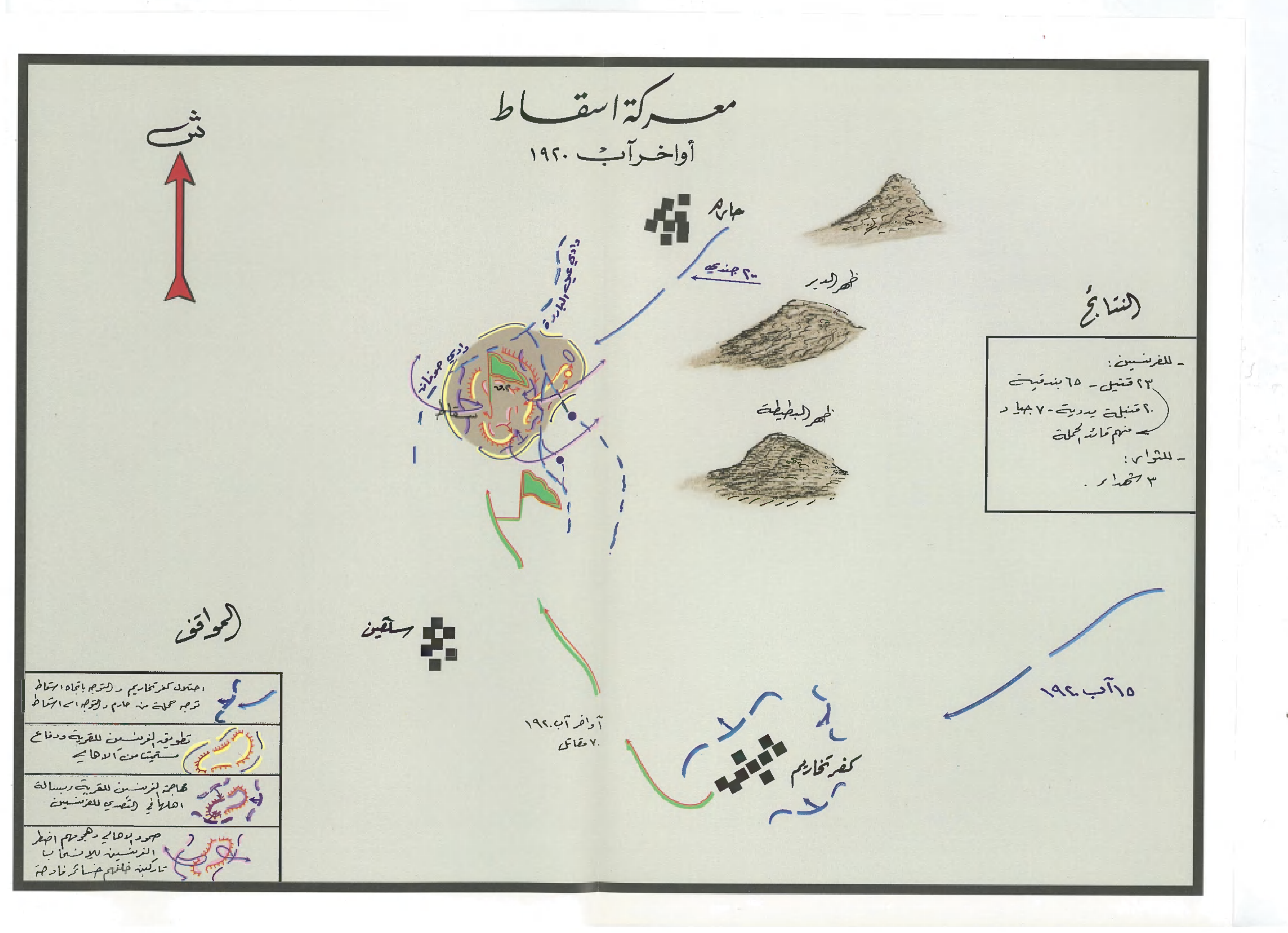
أما على الجبهة الشمالية الغربية فقد كان إبراهيم هنانو قد شعر حتى قبل احتلال حلب، بقرب الساعة العصيبة وخشي أن يقبض عليه فاستأذن المحافظ رشيد طليع وذهب إلى مزرعته في قصير ـ أنطاكية[١٥] للتربص والانتظار، وبقي في مزرعته هذه حتى فوجئ بخبر استسلام مدينة حلب دون قتال في ٢٣ تموز ١٩٢٠[١٦]. ولم تكن مدينة حلب قادرة على تولي القيام بثورة نظراً لأن معظم القيادات الوطنية كانت في السجن أو المنفى، هذا بالإضافة إلى تمركز ٥٠٠٠ جندي فرنسي في المدينة معظمهم من السنغاليين و١٥٠٠٠ قرب المدينة[١٧]. يروي إبراهيم الشغوري في مذكراته أن هنانو قد عمد وأعوانه من كبار الثوار وعلى رأسهم نجيب عويد، بعد عودته إلى مسقط رأسه في كفر تخاريم إلى القضاء على التردد والتخاذل ورفع معنويات الثوار وإثارة حماستهم[١٨]. وجرى الاتصال بالأحرار في المناطق المجاورة من أجل جمع المال والسلاح، وأمكن بذلك الاحتفاظ بأربعين رجلاً من الذين خبروا الحرب. واستمرت جباية الضرائب المتبقية في ذمم بعض المتمولين حتى توفر لدى القيادة المال الكافي لتسليح المنضمين الجدد وتأمين إعاشة وحاجات الثوار[١٩].

هذا ما كان يجري في الضفة الشرقية من نهر العاصي. أما في المنطقة الغربية منه حيث تقع منطقة القصير ـ انطاكية فقد كان ثوراها، وقد أضعفتهم صدمة الاحتلال، مترددين بين الاستسلام للسلطة الفرنسية التي تعدهم وتمنيهم بواسطة صبحي بركات (يساعده الرئيس عاصم وكان الاثنان قد التحقا بالسلطة الفرنسية بحجة أن مواصلة القتال نوع من الانتحار)، وبين رفض الاستسلام وضرورة الاتصال ثانية بهنانو وإخوانه لمواصلة المعركة[٢٠]. وقوي الأمل في إمكان استمرار الثوار على يد فئة يقودها الشيخ يوسف السعدون. وقد علم هنانو بالانشقاق الحاصل في صفوف ثوار القصير فعمل على تلافيه، ولذلك انتدب عشرة رجال من أعوانه لمرافقته، وعلى رأسهم نجيب عويد، فاتجهوا إلى ناحية القصير لاستطلاع أحوال الثورة، بعد خروج صبحي بركات منها، وللاتصال ببعض الشخصيات الوطنية. ولما وصل الجميع بساتين انطاكية في ١٣ آب ١٩٢٠ واتخذوها مكاناً لإقامتهم المؤقتة جاء الخبر عن نية الفرنسيين تطويق المكان والقاء القبض على من فيه، فاضطروا للانسحاب في حين كان صبحي بركات يعمل وبعض المتعاونين مع السلطات الفرنسية على هدم بنيان الثورة وانتزاع الأسلحة من أيدي الثوار بأساليب الاغراء والانذار[٢١]. ولم يكن وجود الفرنسيين في هذه المنطقة أمراً سهلاً، ووفقاً لما ذكر هاي[٢٢] "فإن العناصر الفرنسية الموجودة في نهاية شهر آب بين طريق الحمام وخط انطاكية ـ حارم

كانـــت تقتصر على كتيبتين من الفوج السادس عشر قناصة R.T.S وسريتين وبطارية ٦٥. وكان على هـــذه الـــوحدات أن تشغل عدة مخافر ولذا لم يكن بإمكانها القيام بعمليات في العمق في القصير ووادي العاصي". وبنظر الجنرال غوبو "أن الشرط الأساسي للنجاح هو إظهار (قوتنا)"[٢٣].

وقـــبل أن يصل هنانو وصحبه عائداً من منطقة القصير، سيّر الفرنسيون حملة تأديبية في حلب قـــوامها لـــواء كامـــل متجهة إلى قصبة كفر تخاريم[٢٤]، فدخلتها في ١٥ آب ١٩٢٠ دون أي مقاومة بســـبب تغيب الثوار عنها. وقامت الحملة باعتقال عشرة أشخاص من وجوه القصبة كرهائن حتى يتم تسليم عشرة من الثوار وعلى رأسهم نجيب عويد[٢٥]. وقضى الرهائن ثلاثة شهور في سجن قلعة حارم يســـامون الـــتعذيب والتجويع ثم أطلق سلاحهم وعادوا إلى كفر تخاريم بعد أن تأكد الفرنسيون عدم إمكان تسليم أحد من الثوار[٢٦].

وفي ١٧آب ١٩٢٠ عـــاد هـــنانو وصحبه إلى مسقط رأسه، وعلم ما كان من حملة الإرهاب الفرنســـية، فعقد اجتماعاً عاماً ضم الزعماء البارزين من الثوار في المنطقة الشمالية الغربية للقيام بتنظيم الصـــفوف للانطـــلاق بإشعال المقاومة من جديد. وفي أواخر شهر آب ١٩٢٠ توجه هنانو على رأس بعـــض قواته البالغ عددهم سبعين رجلاً إلى قرية إسقاط (التابعة لحارم ٨ كم والقائمة على مرتفع مطل علـــى سهل العمق). وقد علم الفرنسيون، عن طريق أحد العملاء، بوصول الثوار إلى قرية إسقاط[٢٧]، فسيروا إليهم حملة يزيد عددها على ٢٠٠ جندي لتطويقهم في القرية ثم إبادتهم. ولما وصلت الحملة إلى مشـــارف القرية وبدأت بعملية التطويق شعرت سيدة من نساء القرية (وكانت ذاهبة لإحضار ماء من العين التي تبعد عن القرية بمقدار ٨٠٠م) بحركة مريبة فانسلت مسرعة إلى القرية وأعلمت حرس الثورة بالأمر وقامت بالطواف لإنذار الثوار أنفسهم[٢٨]. وانقسم هؤلاء إلى ثلاثة فرقاء: تحصّن الأول بسطوح الـــدور وانتشر الفريقان في أزقة القرية لفك الحصار المضروب وإجلاء الفرنسيين عن المنافذ التي تتحكم في مـــداخل القـــرية. وعند طلوع الفجر، وحين كان الفرنسيون يقومون على شكل دوريات بحملات تفتـــيش، اندفع الثوار بعددهم القليل لمهاجمة القوات المتقدمة بصورة مفاجئة (وكان بعض أفراد القوات الفرنسية يرتدون ملابس الفلاحين للتمويه). ونشبت معركة حامية في الأزقة وعلى سطوح الدور أشبه بمعـــارك الشـــوارع وأشرف هنانو بنفسه على أعمال التعبئة وكان ينتقل من مكان إلى آخر[٢٩]. وبعد ساعتين من الالتحام القريب تراجعت القوات الفرنسية عشوائياً تحت ضربات الثوار تاركة وراءها ٢٣ قتـــيلاً، منهم قائد الحملة. وخسر المجاهدون ٣ شهداء، وكانت الغنائم ٦٥ بندقية و٢٠ قنبلة يدوية و٧


معركة اسقاط
أواخر آب ١٩٢٠
ش
حارم
٢٠ جندي
وادي عين الباردة
وادي حمنانة
اسقاط
ظهر الدير
ظهر البطيطة
سلقين
كفر تخاريم
أواخر آب ١٩٢٠
٧٠ مقاتل
١٥ آب ١٩٢٠
النتائج
- للفرنسيين:
٢٣ قتيل - ٦٥ بندقية
٢٠ قنبلة يدوية - ٧ جياد
منهم قائد الحملة
- للثوار:
٣ شهداء.
المواقف
احتلال كفر تخاريم والتوجه باتجاه اسقاط
توجه حملة من حارم والتوجه الى اسقاط
تطويق الفرنسيين للقرية ودفاع مستميت من الاهالي
مهاجمة الفرنسيين للقرية وبسالة الاهالي في التصدي للفرنسيين
صمود الاهالي وهجومهم اضطر الفرنسيين للانسحاب تاركين خلفهم خسائر فادحة

جياد[٣٠]. وكانت معركة إسقاط سبباً في تدعيم أساس الثورة في المنطقة الشمالية الغربية وبعثا لحيويتها وقدرتها على المضي بثبات. وبعد هذه الحادثة جاء هنانو إلى قرى القصير واستطلع رأي أهلها في وجوب تجديد الثورة. كما ذهب إلى قضاء جسر الشغور وقابل رجال جبل صهيون في قرية كفر دبين، ورافق يوسف السعدون هنانو في هذه الجولة وقد كلف بتحمل أعباء الأمور الحربية والإدارية في تلك المنطقة[٣١].

ج ـ ثورة هنانو والأتراك في خريف ١٩٢٠.

وفي هذه المرحلة وبعد التداول بين قيادات الثورة في المنطقة الشمالية الغربية، وجد أنه لابد من الاتصال بالقوى التركية، التي كانت تحارب فرنسا في كيليكية للاتفاق مع قادتها على تزويد الثورة بالسلاح. إذ أن في ذلك كما يقول الشغوري في مذكراته[٣٢] "غنماً ونفعاً للجانبين العربي والتركي على السواء خاصة وهما يقاتلان عدواً مشتركاً لاستعباد بلديهما واستعماره". وقد تقرر سفر هنانو مع بعض رفاقه[٣٣] للاجتماع بممثلي الحكومة التركية، فالتقوا في مرعش مقر الفيلق التركي الثاني مع قائد الفيلق الزعيم صلاح الدين عادل[٣٤]. وقد تم التوقيع على اتفاقية في ٦ أيلول ١٩٢٠ تقوم السلطات التركية بموجبها: بإمداد الثورة بالسلاح (بما فيها المدافع الجبلية) والذخيرة عند الحاجة إليها "وإن ما سيعطى إلى الجانب السوري من عتاد وسلاح يكون هدية لا قيمة له في الحال وفي المستقبل"[٣٥]، مع وعد بإرسال عدد من المدربين لتدريب الثوار على كيفية استعمال السلاح وخاصة المدافع، وأن تبقى الحدود مفتوحة لتبادل التعاون العسكري عند الاقتضاء. وقد أدرج في متن الاتفاقية النص الصريح على أن ما يقوم به هنانو وصحبه من أعمال حربية في سورية هو باسم الحكومة العربية السورية[٣٦]، وأن الفيلق الثاني يعمل لحساب الدولة التركية[٣٧].

وأذاع هنانو بعد عودته[٣٨] ١٢ أيلول ١٩٢٠ نداء على شكل منشور عنوانه "من العرب" إلى العرب حض به على الثورة وطلب من قناصل الدول الأجنبية التدخل للحد من فظائع الفرنسيين[٣٩]. وبعد انتشار خبر الاتفاق مع الأتراك، قدم إلى مقر قيادة الثورة وفد من ثوار جبل (صهيون) برئاسة عمر البيطار وأعلن رجال الوفد عن تضامنهم مع الثورة في المنطقة الشمالية والعمل معاً تحت قيادة واحدة هي قيادة هنانو وطالبوا بمدهم بالسلاح والعتاد[٤٠]. فأوفدهم هنانو إلى الأراضي التركية مع رسالة إلى الزعيم التركي صلاح الدين عادل يرجوه تزويد هؤلاء بما هم

بحاجـــة إليه من السلاح والعتاد ويستحثه على إرسال السرية التركية (وكان قد سبق وعرض أمر إرســـالها إلى هـــنانو). ولم تنقض أيام حتى عاد الوفد وبرفقته السرية التركية بقيادة الضابط بدري الجركســـي ومعها كمية من العتاد الحربي منه مدفع جبلي[٤١]. واستقبلت السرية ورفع فوق مقرها علم صنع "بشكل أوحى إلى وجود الأخوة والتعاون بين العرب والأتراك" كما يقول الشغوري في مذكـــراته[٤٢]، ويضـــيف "صـــنع أحد وجهيه علماً عربياً ووجهه الثاني علماً تركياً وزُيّن كلاهما بوشـــاح أبيض نقش على الوجه الأول منه بالقصب الآية الكريمة (إنما المؤمنون إخوة) وعلى الوجه الثاني (فأصلحوا بين أخويكم).

وقـــد نوهت دراسة الجنرال دوهاي[٤٣] إلى مشاركة القوات التركية في أعمال ثورة هنانو فقد "تجـــددت الهجمـــات في سلقين منذ النصف الثاني من أيلول وامتدت الهجمات إلى منطقة القصير عند جسر الحديد كما احتلت القوات الثائرة جسر نهر العاصي" وتعزو هذه الدراسة تلك الأعمال إلى تعزيز (الكمالـــيين) لـــثورة هنانو، وقدرت تلك القوات التركية بـــ ٨٠ ـــ ١٠٠ رجل بقيادة ضابط وهي مـــزودة بأربعـــة مدافـــع وعدة رشاشات. وتضيف الدراسة إلى أن الفرقة الرابعة القرنسية وجدت من الضـــرورة القـــيام "باستعراض عسكري يفرض نفسه بخنق حركة التمرد والتي ظهرت في منطقة كفر تخـــاريم". ويؤكد أدهم آل الجندي[٤٤] المساهمة التركية بقوله: (لقد آزرت الحكومة التركية ثورة هنانو وأوفـــدت إليه النجدة العسكرية لتقوية الروح الثورية في نفوس المجاهدين وتهديداً لفرنسا التي كانت في حـــرب مســـتمرة مـــع الجيوش التركية في كيليكية، وكانت هذه القوة ترفع العلم التركي لتدلل على وجودها في سورية. وقد اقترح هنانو على قائد النجدة التركية أن يقوم وقواته في جولة عامة في مناطق الـــثورة لـــتقوية الروح المعنوية لدى الأهلين في القرى وفي الجهة الغربية حيث يرابط الشيخ صالح، وقد سارت باتجاه الجبال الساحلية، يرافقه عدد كبير من المجاهدين السوريين وأقامت هذه النجدة المؤلفة من (٢٠٠) جـــندي نظامي يقودها بدري الشركسي وازدير بك وغيرهما من قادة الأتراك في تلك الربوع بضعة أيام قبل عودتها".

د ـــ ثورتا هنانو والشيخ صالح العلي تواجهان العمل العسكري الفرنسي أواخر ١٩٢٠.

كان قد وصل إلى مقر قيادة هنانو في تلك المرحلة رسول من قبل الشيخ صالح العلي هو أنيس أبـــو فرد وعرض عليه باسم الشيخ صالح التعاون بين الثورتين. ورحب هنانو بعرض الشيخ صالح واتفق

مع رسول الشيخ أن تقوم قوات المنطقة الشمالية الغربية باحتلال جسر الشغور الواقعة على نهر العاصي في وسط المنطقتين الثائرتين لكي تكون مكاناً لتلاقي الثائرين وبذلك تستند كل ثورة على أماكن نفوذ الثورة الأخرى(٤٥). ومنذ ذلك الحين زادت الثورتان من تعاونهما ومن تبادل المساعدات بالرجال والعتاد ضمن امكانات الطرفين.

ووضعت قيادة هنانو في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٠(٤٦) خطة لمهاجمة جسر الشغور واحتلالها، لتأمين الاتصال بين المناطق الثائرة: في الشمال الغربي والجبال الساحلية ومنطقة بابنّا مركز ثورة جبل (صهيون)، ذلك أن الاتصال بين هذه المناطق كان ضعيفاً وغير مجد في أكثر الأوقات بسبب وجود المراكز الفرنسية الفاصلة بينهما. وقسم المجاهدون إلى مفارز لا يزيد عدد الواحدة منها على عشرين مسلحاً: ثوار منطقة حلب بقيادة هنانو وثوار منطقة القصير بقيادة يوسف السعدون، وثوار جبل (صهيون) بقيادة عمر البيطار(٤٧). واجتمع قادة هذه المفارز بالقائد هنانو في قرية عاموده من أعمال جسر الشغور وساروا منها في منتصف الليل حتى الجسر. وعندما وصلوا إلى مسافة ٢,٥ كم عن الجسر شمالاً في غرب (مزرعة الشغارنة) علموا أن قوة فرنسية متمركزة على مرتفع في إحدى المزارع القريبة (وهي مزرعة آل السجري) فزحفوا عليها قبل الفجر وطوقوها رغم النيران التي أطلقت من المراكز فتهاوت أمام هجمات الثوار وعلى رأسهم يوسف السعدون(٤٨). واستسلمت القوة الفرنسية (وعدد أفرادها ٢٥ جندياً فرنسياً وعلى رأسهم ضابط ملازم و٧٠ جندياً من جنود "الملّيس" الذي أنشأه الفرنسيون من المرتزقة). واستولى الثوار على كمية من الأسلحة منها رشاشين ثقلين هو تشيكس وكمية من الذخيرة والأرزاق المحفوظة، وبعد هذه المعركة استسلمت حامية جسر الشغور (وعددها ٦٠٠ جندي أغلبهم من الخيالة) دون قتال، وفر معظم جنود الحامية. واستقبل الثوار عند دخولهم القصبة استقبال الأبطال وأرسل الجنود الأسرى الفرنسيين إلى كفر تخاريم للاحتفاظ بهم(٤٩). وأطلق هنانو سراح الجنود المرتزقة بعد ان لقنهم درساً في وجوب الإخلاص لوطنهم وترك التعامل مع العدو المستعمر(٥٠). وقد سلمت بعض الأسلحة التي غنمها الثوار في معركة جسر الشغور إلى ثوار جبل (صهيون) الذين عادوا إلى مواقعهم بقيادة عمر البيطار لتوسيع نطاق الثورة هناك(٥١).

تصف دراسة الجنرال دوهاي(٥٢) معركة جسر الشغور على النحو التالي "استولت على جسر الشغور قوات هنانو يعززها تشكيل من الجنود النظاميين الأتراك بأمرة بدري بك". وتبرر الدراسة سهولة الاستيلاء على جسر الشغور، برداءة الدفاع من قبل الدرك الذين كانت تدعمهم فصيلة

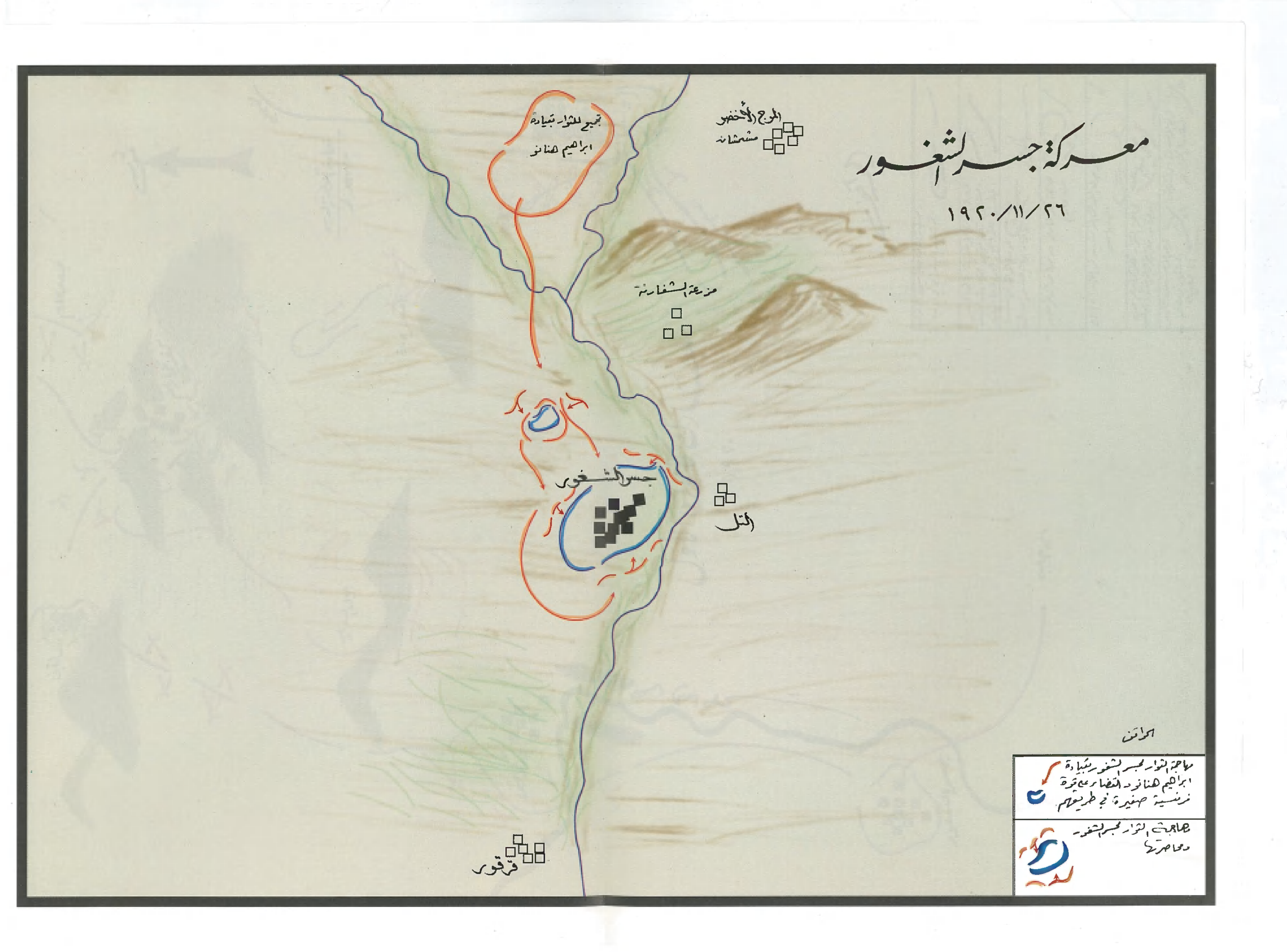
رشاشـــات مـــن الفوج الثاني والعشرين قناصة سنغاليين R.T.S. وتقرّ الدراسة بأن التمرد قد انتشر في المـــناطق المجـــاورة كلـــها (قصير، صهيون، أكراد). وتضيف: "لم يكن بإمكان الفرقة الفرنسية الرابعة التدخل في جسر الشغور لأن الجنرال غوبو كان لا يزال في ذلك الحين في عينتاب مع قسم من فرقته ولم يكـــن يـــوجد في مـــنطقة انطاكية، حارم، الحمام، سوى كتيبتين الأولى والثالثة من الفوج ١٦ قناصة سنغاليين R.T.S.

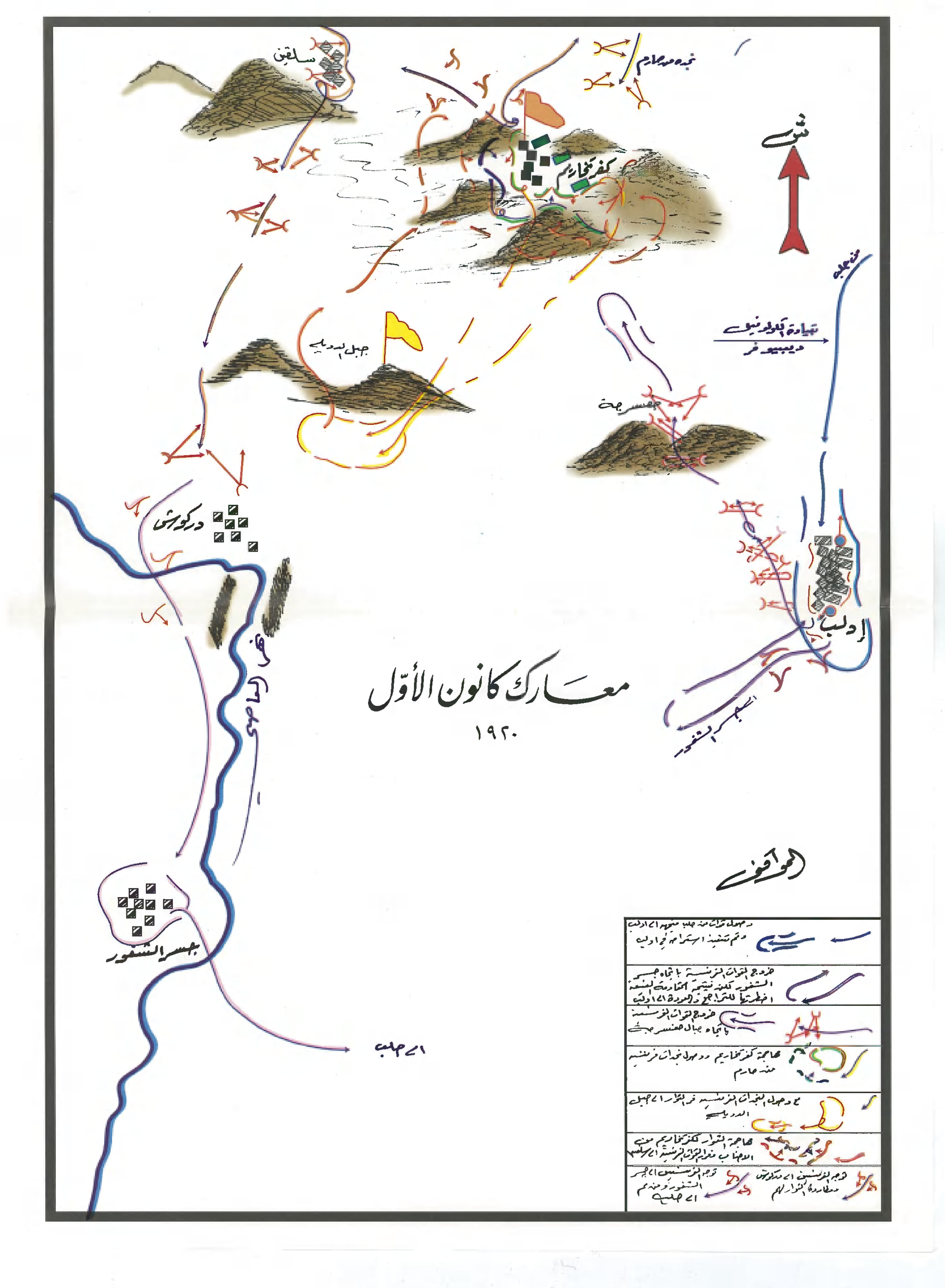
لقـــد كـــان للهزيمة التي لحقت بالقوات الفرنسية(٥٣) في جسر الشغور آثارها على وضع تلك القوات في المناطق الثائرة على كلا الجبهتين:

ففـــي مطلـــع كانون الأول تذكر وثيقة فرنسية أن مناطق (صهيون) وجسر الشغور وادلب ما تزال غير خاضعة "حيث ما يزال عملنا العسكري غير ملموس بسبب نقص الوسائل اللازمة لذلك" وإن مـــنطقة الـــثورة "قـــد غـــذت هيجاناً جديداً دفع السكان إلى المقاومة"، جاء ذلك في برقية من وزارة الخارجية غارنيه دوبليسي Garnier Duplessix (القائد العام لجيش المشرق).

وكذلك فإن منطقة الجبال الساحلية كانت مثار قلق بالنسبة للفرنسيين في الوقت ذاته. ومع أن بـــرقية المفوضية الفرنسية إلى الخارجية الفرنسية(٥٤) بشأن أحداث المنطقة في مطلع كانون أول ١٩٢٠، ادّعت بأنه "يمكن اعتبار عملية نشر السلام في الوسط والجنوب منتهية، وقد تم نزع السلاح من السكان دون صدام"، إلا أنها تشدد على ضرورة "ممارسة ضغط على سكان هذه المنطقة". وهو أمر حدث فعلاً، كمـــا تشير البرقية السابقة فقد "انطلقت مجموعة متحركة بقيادة العقيد أوزاك (Auzac) من جبله في ٢ كانون الأول ١٩٢٠ مهمتها الحصول على خضوع السكان وتجريدهم من السلاح".

واســـتقرت المجمـــوعة في اليوم نفسه في عين الشرقية (١٥ كم جنوب شرق جبلة)، وفي اليوم الـــتالي قامـــت بعملية استطلاع نحو الشرق بصحبة ٦ فصائل مشاة وفصيلة مدفعية. وقد فوجئت هذه المفـــرزة، التي لم "تتخذ الاجراءات الأمنية الضرورية، بسبب الضمانات المتفائلة التي أعطاها إياها ضابط الاستخبارات، فوجئت في (وهد) وتم تطويقها تماماً من قبل (عصابات متمردة) في حين أن الجزء الذي بقـــي منها في عين الشرقية تعرض للهجوم، وصمدت فرقة الاستطلاع في المعركة إلا أنها لم تتمكن من الإفـــلات إلا في اللـــيل. وقـــد ضلّ قسم من المفرزة طريقه وهو متجه للالتحاق بعين الشرقية وتعرض لخســـائر جسيمة، واضطر للتخلي عن مدفعيته في ساحة المعركة. وبلغ مجموع الخسائر ٢٣ قتيلاً، منهم


معركة جسر الشغور
٢٦/١١/١٩٢٠
تجمع الثوار بقيادة
ابراهيم هنانو
المرج الأخضر
مشمشانة
مزرعة الشغارنة
جسر الشغور
التل
قرقور
مهاجمة الثوار لجسر الشغور بقيادة
ابراهيم هنانو والقضاء على قوة
فرنسية صغيرة في طريقهم
مهاجمة الثوار لجسر الشغور
ومحاصرتها


معارك كانون الأوّل
١٩٢٠
ش
سلقين
كفرتخاريم
جبل الدويلي
ادلب
دركوش
جسر الشغور
الى حلب
الموقف
دخول قوات من حلب متوجهة الى ادلب وتم تنفيذ استراحة في ادلب
خروج القوات الفرنسية باتجاه جسر الشغور لكنها تتعرض لمقاومة عنيفة اضطرتها للتراجع والعودة الى ادلب
مهاجمة كفرتخاريم ودخول نجدات فرنسية من حارم
توجه الفرنسيين الى دركوش ومطاردة الثوار لهم
توجه الفرنسيين الى جسر الشغور ومنه الى حلب

ضابط واحد، و٤٥ جريحاً و٦ مفقودين" هذا الحادث كما تذكر برقية أخرى من المفوضية الفرنسية في بيروت إلى الخارجية[٥٥]، "يؤكد وجود علاقات بين (الكماليين) وبعض زعماء المنطقة الساحلية وخاصة الشـيخ صالح إذ إن عناصر العقيد نيجر احتجزت رسائل موجهة إلى الشيخ صالح من قبل قائد القوات التي احتلت جسر الشغور وتحمل خاتم مرعش".

كان على القيادة الفرنسية، العمل لمواجهة الاضطرابات التي شهدتها الجبهات الثائرة[٥٦]: وتولى الجنـرال دي لاموت قائد الفرقة الثانية في حلب مسؤولية تحريك رتلين صغيرين إلى المناطق (المهددة). الأول تحت أمرة الكولونيل ديبيوفر (Debieuvre) مباشرة يتألف من الكتيبة الثانية من الفوج ١٩ قناصة R.T.A وخـيالة وبطارية ٦٥. وكان على هذا الرتل السير إلى جسر الشغور عن طريق ادلب والقضاء علـى (العصـابة) وإعادة النظام والثقة إلى البلد. أما الرتل الثاني فهو بقيادة القائد بنشون (Pinchon) ويـتألف مـن الكتيـبة الثانـية من الفوج ٤١٢ مشاة وكان عليه السير إلى الحمام لقطع الطريق أمام انسـحاب العصابات نحو الشمال. إضافة إلى ذلك تقرر أن يأتي الرتل العامل في المنطقة الساحلية (وهو مؤلـف مـن كتيبتين من الفوج ٢٢ قناصة بأمرة المقدم أوزاك) من اللاذقية للالتحاق برتل الكولونيل ديبوفر في جسر الشغور، ولكن بما أن الرتل اشتبك في معركة (يائسة) في ٣ كانون أول ١٩٢٠ بقي في المـنطقة الساحلية و لم يلتحق بالرتل المذكور. وتدعي وثيقة فرنسية[٥٧] أن العقيد ديبوفر أعاد السلطات النظامـية إلى مراكزها وفرض غرامة مالية مقدارها ٢٠٠٠ ليرة تركية ذهبية وتلقى عدة طلبات خضوع من عدة قرى. وهذا أمر تدحضه المراجع المحلية.

ووفقاً لأحد هذه المراجع[٥٨]، فإن الثوار، حين علموا بزحف الحملة المتجهة إلى جسر الشغور عـن طريق ادلب (والمقصود بها رتل ديبوفر) صمّموا على ضربها قبل وصولها إلى الجسر، وبعث هنانو الـدوريات إلى مسافات بعيدة لاكتشاف مواقع الحملة وطرق سيرها كما بعث إلى بقية الثوار، وعلى رأسهم نجيب عويد في كفر تخاريم، يدعوهم لعرقلة سير الحملة ما أمكن إلى أن يتاح لبقية الثوار التجمع والانقضـاض علـيها. وقد تداول هنانو مع نجيب عويد بشأن خطة مهاجمة الحملة أثناء خروجها من ادلـب. ودخـل الثوار أطراف مدينة ادلب في الظلام، وعند الفجر بدأ الجند الفرنسيون يغادرون ثكنة ادلب، وما كاد آخر جندي يجتاز جدران القصبة حتى انقض الثوار على شكل حضائر صغيرة من عدة جـبهات وجهـت نيرانها بشكل خاطف سريع، فاختل نظام الرتل وعاد بعض الجند إلى داخل المدينة للاحتماء بالجدران من قسوة النيران، كما تمركزت السرايا الأمامية وردت على نيران الثوار. وقد تسلق

بعـــض مـــن في المؤخرة من الجند أسطحة المنازل المشرفة على مواقع المجاهدين وركزوا نيران رشاشاتهم علـــيهم فســـقط شـــهيدان[٥٩]. وانسحب الثوار اثر ذلك حسب الخطة المرسومة بعد أن كبدوا العدو خسائر كبيرة في الأرواح (٦٣) قتيلاً وعدداً من الجرحى[٦٠].

واضطرت الحملة الفرنسية إثر هذا الحادث إلى تغيير خطها ويذكر مرجع فرنسي[٦١] أنه "نظر للوسائل الضعيفة التي يملكها الكولونيل دييبوفر فقد قدّر أن السير إلى جسر الشغور قد يؤدي إلى كارثة فقـــرر الـــذهاب أولاً إلى كفر تخاريم حيث يواجه أضعف مجموعة (للعدو)، وقد يمكنه الالتحاق بكتيبة بينشـــون ثم يسير بعد ذلك إلى جسر الشغور بالقوات كلها. وتوجب عليه قبل ذلك تحويل قوافله إلى قوافل بغال ليعبر الطرق الترابية الجبلية الوعرة التي استخدمها".

وكان على الثوار أن يتصدوا للحملة وهي في طريقها متجهة إلى كفر تخاريم مقر قيادة الثورة، فقامـــت حضائر قليلة العدد سريعة الانطلاق والحركة بمفاجئة الحملة في أماكن مختلفة، وفي كل مباغتة كانت الحملة تخسر بعض القتلى والجرحى وتضطر للتوقف والدفاع. وظلت المناوشات مستمرة إلى أن وصلت الحملة جبال حفرجة قبيل الغروب. وبعد أن تأكد للثوار أن الحملة سوف تسلك الطريق الجبلي عـــند موقع تلاّنا المتحكم في قصبة كفر تخاريم، سبقوا الحملة إلى الموقع المذكور وكمنوا في أماكن خفية لصـــدها. وكانت القيادة الفرنسية قد حسبت أن قوات الثوار قد تفرقت وانسحبت، فأصدرت الأوامر إلى الحملة بمواصلة السير ليلاً لاحتلال الموقع المذكور، ففاجأها كمائن الثوار في عدة هجمات مركزة في المـــناطق الوعرة المحيطة بالقصبة، رغم تفوق العدو بعدده وسلاحه. ودامت المناوشات إلى وقت متأخر مـــن اللـــيل، ومع كل ما تعرضت له الحملة من خسائر وعراقيل تمكنت من الوصول إلى موقع (تلاّنا) والتمركـــز فـــيه[٦٢]. وفي الصـــباح بدأت الحملة بضرب قصبة كفر تخاريم بمدفعيتها وانبرى لها الثوار يقاتلـــونها، رغـــم ذلك واصلت الحملة بوسائل تفوقها العسكري من التقدم نحو كفر تخاريم، وكانت المعـــركة شديدة الالتحام وسقط من الفرنسيين عدد كبير من القتلى في الكمائن المتعددة لجهلهم طبيعة الأرض ولوعورة المسالك وتعددها. ولما شعر الفرنسيون أنهم لن يستطيعوا احتلال كفر تخاريم استنجدوا بفوج كامل معزز بالمدافع والخيالة من حارم.

وقـــد أمر هنانو مرافقه الشغوري ان يسير مع قوة من الثوار[٦٣] لملاقاة المدد الفرنسي في موقع العقبة بين حارم وكفر تخاريم وايقافه عن الزحف، كي يتمكن الثوار من الانسحاب ومعهم من يستطيع

القتال لئلا يمكنوا الفرنسيين من إحراز النصر عليهم. وكان التفوق الفرنسي كبيراً، مع ذلك استطاع الثوار إيقاف تقدم الحملة بضع ساعات تمكنوا خلالها من إخلاء العقبة. ودخل الفرنسيون إليها[٦٤]. وفتكوا بمن وجدوه فيها من العجزة والشيوخ. وقد انسحب المجاهدون إلى الجبل الغربي المعروف بجبل الدويلة لجمع صفوفهم بعد المعارك المتواصلة في الجسر وادلب وكفر تخاريم ولإعادة الكرة. ولا يحمل سقوط كفر تخاريم بيد الفرنسيين لهم أي فخر نظراً لكثرتهم وقلة عدد الثوار[٦٥]. وحسب ما يروي نجيب عويد[٦٦] "كان تصميم الثوار على مقاومة الهجوم الفرنسي بالنسبة لهم أهم من منع الفرنسيين من تحقيق غايتهم".

ولم تطل إقامة الفرنسيين في كفر تخاريم، ففي الأيام الأولى من كانون أول ١٩٢٠ ندب هنانو مساعده نجيب عويد لاسترجاعها ومفاجأة العدو بالهجوم عليها مهما كان الثمن. وينقل يوسف السعدون في مذكراته بعض ما كتب نجيب عويد في مفكرته عن تلك الموقعة[٦٧] (بعد دخول العدو المدينة (كفر تخاريم) تفرق أهلها أو كثير منهم في الجبال وكنت ترى منظراً يفتت الأكباد من صراخ النساء وبكاء الأطفال ولا ماء لهم ولا زاد .. فأرسلت بطلب الطعام إلى ارمناز وسلقين فجاءت أحمال الطعام بكثرة وجعلت المجاهدين الذين لبوا ندائي ثلاث فرق: فرقة تأتي العدو من الشرق وعليها محمد حمو ومصطفى أبو درويش وفرقة من الجنوب وعليها الحاج ضرغام ومحمد علي جمعة والفرقة الثالثة كنت عليها وعقيل إسقاطي فتوجهت كل فرقة إلى المكان المعين لها[٦٨] والعلامة بيننا عندما يسمعون صوتي بالآذان يباشرون إطلاق النار وعندما بزغ الفجر باشرنا بإطلاق النار والقنابل اليدوية على الجوادر (المخيم) التي بها العدو ونحن الفرقة الغربية هاجمنا الثكنة والخيام التي حولها ...وبقي الجنود أكثر من عشر دقائق ولم يخرج منهم طلقة واحدة وأكثرهم خرج من الخيام فاراً إلى الوجهة الشمالية ونحن في أثرهم ...ولا نعلم أن لهم جنداً وراهم متحصنين في الخنادق فاطلق علينا هؤلاء نيران رشاشاتهم وبنادقهم فسقط منا اثني عشر شهيداً وستة جرحى. وكان قد لحق بنا من تخلّف عنا من المجاهدين وتجددت المعركة وقد خرج العدو من المدينة ووجهته شمالاً ثم انحرف غرباً.

وقد امتد القتال من شمال كفر تخاريم إلى جوار سلقين، وجاءت حملة عن طريق حارم مدداً لهؤلاء الجنود (وفي ذلك الوقت الحذر وصل إلى سلقين ثمانية أشخاص من المجاهدين التابعين إلى ثوار القصير، وعلى رأسهم أحمد تسكرلي .. وشاهدوا هؤلاء الجنود مركزين مدافعهم فوق البلدة وأصلوهم ناراً حامية .. فلم يروا سبيلاً لهم أسلم من الفرار فتركوا المدافع وفروا عنها ...ثم بعد ذلك انسحب

أفـــراد الجيش الفرنسي من أطراف كفر تخاريم و(تحصنوا) في الجبل الواقع شمال غرب وأحضرناهم من الجـــبل إلى سلقين فتمركزوا في أطرافها فضيقنا عليهم الخناق فخرجوا منها إلى قرية العلاني، ولما كانت هـــذه القرية على ضفة نهر العاصي من الشرق وتقع قرب القصير من الغرب هب أهل قرية القصير من الضـــفة الغـــربية واستقبلوا العدو بوابل من رصاص بنادقهم. وسارت هذه الحملة جنوباً وقد نصب لها كمـــين قرب دركوش فتكبدت خسائر فادحة، واستقبلها في الطريق أهل قرى القصير الجنوبي ينازلونها ويقاتلـــونها، وقـــد فقدت خيرة جنودها. وبموجب (اخبارات) حلب أنه كانت (ضائعات) هذه الفرقة ١٠٨٠ جـــندي. وربما يكون أكثر من ذلك لأن الجنود الذين اشتركوا بهذه المعركة يناهزون ١٠,٠٠٠ جندي والمعركة دامت أحد عشر يوماً متواصلة.

وكانـــت عودة الحملة الفرنسية إلى حلب عن طريق جسر الشغور في ١٧ كانون أول ١٩٢٠ مخففـــة الهزائم التي منيت بها[٦٩] وتشير الدراسة الفرنسية للجنرال دوهاي[٧٠] بإيجاز إلى المواقع السابقة، كما تغفل كل ما لحق بالقوات الفرنسية من هزائم، ووفقاً لهذه الدراسة فإن "رتلي ديبوفر وبينشون قد سارا معاً وهما يقاتلان للاستيلاء على دركوش ودخلا جسر الشغور حين كان العلم الأبيض يرفرف في المديـــنة". وتضيف الدراسة إلى أن "ديبيوفر قام بإعادة الوضع إلى نصابه ـــ دون أن يوطده ـــ فقد ظهر تهديـــد خطر". وهذا أمر قد أقر به القائد العام لجيش المشرق الجنرال كارنيه دوبليسي، ففي تقريره إلى هيـــئة الأركان ١٩٢٠/١٢/٢٢[٧١] ألح على "ضرورة تثبيت الوضع العسكري في كامل المنطقة الواقعة بين الجبال الساحلية ودولة حلب ... بهدف القمع ونزع السلاح اللذين تتطلبهما الظروف".

هـ ـ فشل خطة فرنسية للقضاء على ثورة الشمال الغربي في مطلع ١٩٢١.

راحت القيادة الفرنسية في حلب (الجنرال دي لاموت قائد الفرقة الثانية) تعد العدة لتسيير حملة جديدة كبيرة مدعمة بكافة أسلحة التدمير، للتصدي للثوار بعد أن رأت تلك القيادة سرعة امتداد الثورة إلى أبعـــد ممـــا تقدره. وقد تمكن الجنرال دي لاموت من تشكيل طابورين الأول في ادلب في الجنوب والـــثاني في مخفـــر الحمـــام في الشمال في حين تعذر تنفيذ الخطط الموضوعة لتشكيل طابور ثالث[٧٢]. وكانـــت غاية الفرنسيين من تقسيم الحملة إلى طابورين هي حصر القوات الثائرة بين فكي كماشة في منطقة أعالي العاصي. وقد وضع الطابوران تحت أمرة الجنرال غوبو (Goubeau)[٧٣].

وفي التعليمات التي وجهها الجنرال دي لاموت إلى الجنرال غوبو في ٢٥ كانون أول ١٩٢٠[٧٤] إشارة إلى الوضع السياسي والعسكري في مناطق الثورة: وقد وضع عدة فرضيات حول أصل الاضطرابات وطبيعتها "ويبدو أننا نشهد محاولة للاتصال بين الكماليين و(العصاة) في المنطقة الغربية". ومن جهة نظر قائد الفرقة أن هناك مركزين رئيسيين يقومان بإشعال النار في غربي حلب: " الأول المركز (الكمالي) في كفر تخاريم ـــ القصير، والمركز الثائر في الجبال الساحلية وتتبعه (العصابات) في جبل (صهيون)". وتلخصت تعليمات دي لاموت إلى غوبو بما يلي: "إن القمع الفردي يجب أن يكون قاسياً ...يجب اعتبار الرجال الذين يلقى القبض عليهم والسلاح في أيديهم (عصاة)، يجب تقديم الأعيان والموظفين المتورطين إلى المحكمة العرفية، وفرض غرامات وتسليم أسلحة تتناسب مع أهمية القرى ومع جريمتها بأنها تناصر (العصاة) أو تستقبلهم، عدم جدوى نزع السلاح من السكان بشكل عام نظراً لأن مثل هذا الاجراء فوق قدرتنا حالياً، لكن من الممكن تشجيع السلطات المحلية على القيام به".

ومن جانبه وجه الجنرال غارنيه دوبليسي قائد عام جيش المشرق إلى الجنرال غوبو بكلمات شخصية وسرية خلاصتها[٧٥] "ضرورة إعادة تشكيل الفرقة الرابعة بأسرع ما يمكن ...إن الاحتياطات الضرورية لقطع الطريق أمام أي ضربة حادة قد تأتي من الجبهة الشمالية لا تتيح لي السماح لكم بتقديم الدعم الذي يأمل به العقيد نيجر للقضاء على (عصابات) الشيخ صالح في الطرف الجنوبي لقضاء جبلة. عليكم الاكتفاء بالتنسيق معه لحل المسائل المشتركة في (صهيون) والأكراد بهدف إعادة النظام إلى هاتين المنطقتين وإعلامي بعد ذلك فيما إذا كان الحفاظ على مركز عسكري في جسر الشغور يبدو لكم أمراً ضرورياً. تقومون بتنظيف ثنية العاصي ثم تتخذون الاجراءات الناجعة للحيلولة ما امكن دون السلطات (الكمالية) إيصال النجدة للشيخ صالح في حالة نجاحه الحفاظ حتى الربيع بمركز (منشق) في المنطقة الساحلية.

وسارت الحملة الفرنسية (المشكلة من طابورين)[٧٦] من حلب بقيادة الجنرال غوبو وتوجهت إلى جسر الشغور فوصلتها في ٢٨ كانون الثاني واجتازتها دون مقاومة، وكمن الثوار في تشكيلات صغيرة لممارسة حرب العصابات في أقصى صورها[٧٧]. ولم تكد الحملة تجتاز جسر الشغور نحو الغرب باتجاه منطقة القصير حتى تصدى لها الثوار المنتشرين في الجبال على امتداد الطريق وراحوا يكيلون لها الضربات على طول خط سيرها مع الحذر من الدخول معها بمعركة طويلة على جبهة واسعة. واستمرت المناوشات مدة يومين كانت أشدها في موقع جسر الحديد (والذي كان الفرنسيون شديدي الحاجة إليه لتأمين الاتصال بين ضفتي نهر العاصي واتخاذه مركزاً للانطلاق منه عند الحاجة إلى مختلف ميادين الثورة).

ولكن مقاومة الثوار بقيادة السعدون كانت تشتد ويزداد عددهم بعد أن عمّ خبر العدو القادم عموم قرى القصير وكان المدد يأتي متواصلاً[٧٨]. وقد غيرت الحملة اتجاهها لتضليل الثوار غير أن ذلك لم يجـدها نفعـاً. وكانت طبيعة الأرض من تضاريس وأودية وأشجار عوناً للثوار الذين كانوا يتقنون الالـتفاف والاختباء وتكبيد الحملة الخسائر. وفي اليوم الثالث، وبعد أن تعذر على الحملة القيام بهجوم واسع، وقعت في فخ اضطرها لاطلاق نيرانها بكثرة للتخلص من موقفها الحرج. ونفد عتادها وأجبرت علـى تـبديل وجهـتها من احتلال منطقة القصير إلى الاتجاه نحو منطقة اللاذقية للنيل من ثوار جبل (صهيون) وكان ذلك في مطلع كانون الثاني ١٩٢١[٧٩].

وكان ثوار جبل (صهيون) قد استعدوا لمنازلة الحملة في الأماكن التي يختارونها بحيث لا يمكنونها مـن الدخول معهم في معركة تفرضها عليهم. وبعد صدام متقطع دام ثلاثة أيام في مناطق مختلفة تمكن الثوار بقيادة عمر البيطار والشيخ أحمد إدريس من الانقضاض على مؤخرة الحملة واستولوا على الكثير مـن عـتادها وأرزاقها، وذلك في وقت كان عدد آخر من الثوار[٨٠] يناوشون المقدمة. وعمدت قيادة الحملة إلى مهاجمة القرى الآمنة والاعتداء عليها بالسلب والنهب والتنكيل بالسكان انتقاماً لما أصابها من هـزائم وخسائر. ورد الثوار، ومن انضم إليهم من المناضلين الذين أثارهم عدوان القوات الفرنسية على القرى، بالتصدي لسرايا الحملة المنبثة في القرى، واثخنوها بالجراح[٨١].

ولمـا رأى الجنرال غوبو فشل الخطة الفرنسية الثانية لضرب الثورة في جبل (صهيون) وما حل بـوحداته وأنها اضحت بحاجة ماسة إلى العتاد والارزاق، أمرها بالتوقف عن الهجوم والاكتفاء بالدفاع ريثما تصل إليها النجدة التي أبرق بطلبها إلى حلب[٨٢]. وأرسلت القيادة في حلب، وعلى وجه السرعة ٣٦٠ جمـلاً محمـولاً بالمـؤن والعـتاد بحراسة فوج من المشاة وسرية من الخيالة. ويشير الشغوري في مذكراته[٨٣] إلى قافلة التموين هذه "علمنا بأمرها وصرنا نتبع سيرها بواسطة العملاء المتطوعين والعملاء المسـتخدمين وعـندما اجتازت ادلب إلى الغرب تأكد لنا أنها في طريقها إلى الفرقة المشتبكة في حرب ضـروس في جـبال (صهيون) ...وتبين أنها عازمة على اجتياز مضيق دركوش ومنه تجتاز الجسر المقام علـى نهر العاصي لتواصل سيرها فتلتحق بالفرقة المنكوبة بأمرة الجنرال غوبو ...ولكن أنّى لها وإبراهيم هنانو يترصدها ويعدُّ لها القوة للوقوع في الفخ المنصوب؟".

وقـد وصـف دوهاي في دراسته[٨٤] سير مفرزة التموين "المثقلة بقافلة مكونة من ٣٢٠ جملاً ومعاقـة بعاصفة سببت خسائر فادحة في التموين. وتقدمت المفرزة ببطء شديد، وفي ٢٨ كانون أول ١٩٢١ أخذت في اجتياز وادي العاصي الشديد الانحدار حيث تعرضت لنيران عنيفة سمرتها في أرضها. وقـد قضـي على فصيلة الخيالة المتقدمة (طليعة الاستكشاف) وقتل النقيب استيف (Esteve) قائد السـرية[٨٥]. وجـرح القائد هولتز جرحاً خطيراً، وفي ٩ كانون الثاني هوجم معسكرها[٨٦] من جميع الجهات (وفر الجمالون وانهك الرجال خوفاً من التطويق). وقد اضطرت مفرزة التموين إلى الانسحاب إلى ادلب في ١٠ منه تاركة أكثر الجمال والاحمال وعشرات القتلى. وأثناء انسحاب المفرزة مع من بقي مـن الجمال والأحمال التقت قوة جديدة من الثوار على رأسها نجيب عويد (القادم حديثاً ليقود المعركة حـيث كان في مهمة أخرى)، وانقض على المفرزة واستخلص الجمال الباقية وسمح للمفرزة بالعودة إلى ادلب ومنها إلى حلب[٨٧].

وقـد بلغ الجنرال غوبو خبر الكارثة التي لحقت بمفرزة التموين وبمقتل ولده، وبعد أن التحقت بقـوته وحـدات فرنسية قادمة من انطاكية تحمل المؤن والعتاد، أمر بمهاجمة منطقة القصير وإيذاء أهالي القـرى فكان يقتل الآمنين ويحرق بيوتهم ويصادر أقواتهم وأموالهم فلا يزداد الثوار بذلك إلا استبسالاً، فينقضـون علـى جـنوده مـن كل مكان ثم ينسحبون مخلفين وراءهم عشرات القتلى والجرحى من الفرنسـيين[٨٨]. وكـان من جملة القرى التي احتلها الفرنسيون ودمروها قرية البرج الكبير[٨٩] (مركز السـرية التـركية) كمـا أحرقوا قرية قريباط لأن كثيراً من سكانها كانوا يؤيدون الثورة ويساعدونها بالرجال المسلحين عندما تدعو الحاجة إلى ذلك[٩٠].

وقـدم فوج فرنسي آخر خرج من جسر الحديد متوجهاً نحو الجنوب لشد أزر القوة العسكرية في الـبرج الكبير: فاصطدم مع عدد من الثوار فأحاطت بهم كوكبة من الخيالة الفرنسيين، إلا أن الثوار نظراً لسرعة تنقلاتهم وخبرتهم في مداخل الأرض ومخارجها استطاعوا الانسحاب إلى مراكزهم الحصينة. وقـد أراد الجنـرال غوبو بعد أن وصلته تعزيزات جديدة أن يجدد هجومه على مناطق الثورة في كفر تخاريم وسلقين عن طريق دركوش ظناً منه أن الوقائع المتواصلة قد أنهكت الثوار. و لم تكد قواته تقترب مـن مضيق دركوش، في محاولة لعبوره إلى الجهة الشرقية من نهر العاصي تنفيذاً لخطتها، حتى اصطدمت بمقاومة عنيفة من المواقع المتسلطة على دركوش والمتسلقة على الجسر الوحيد الذي لا وصول للعدو إلى أماكـنها إلا بالعبور من فوقه. وتركزت النيران على المهاجمين وأجبروا على التراجع عنه رغم هجماتهم

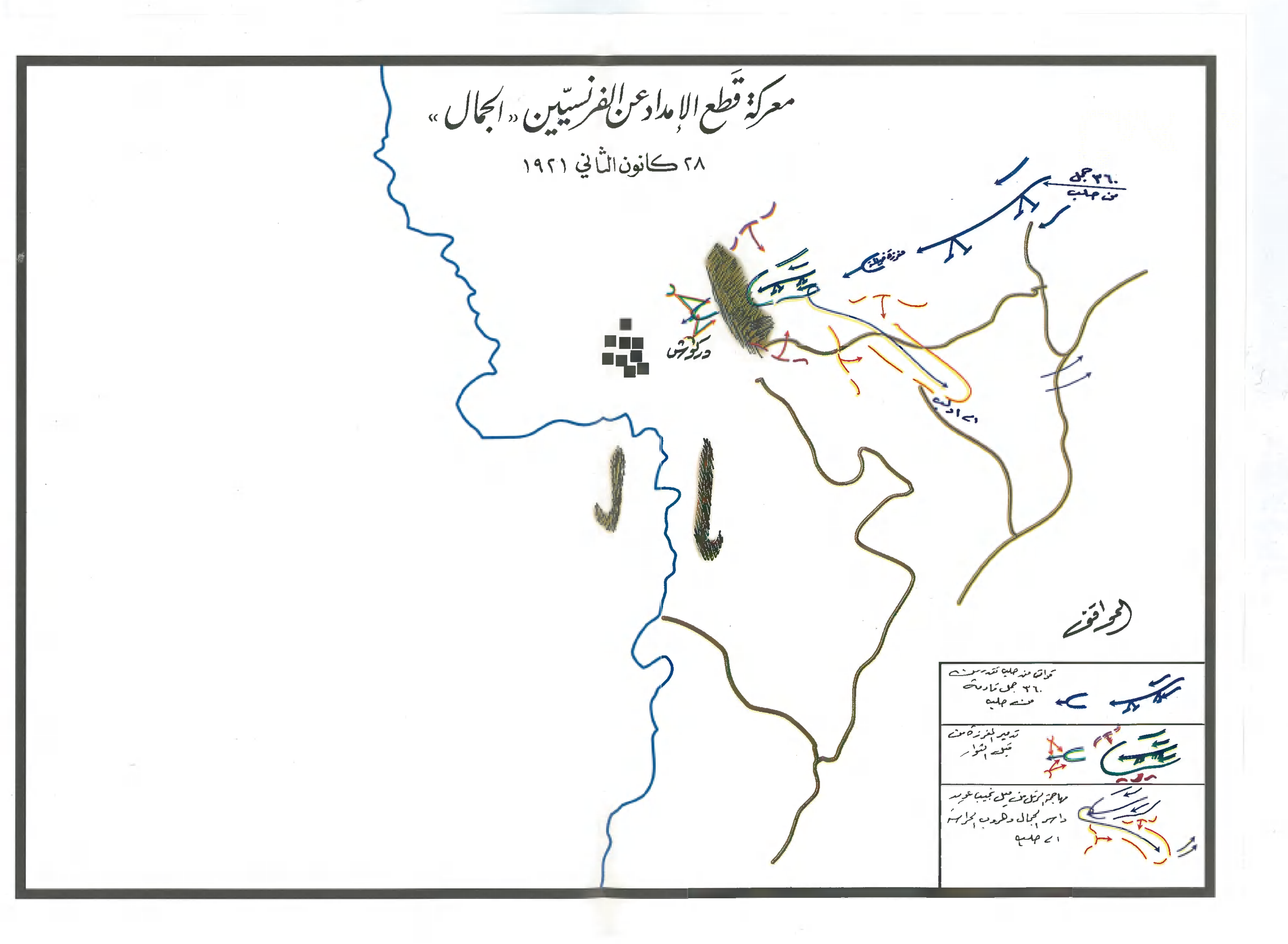
المتكـــررة بعد أن تكبدوا عشرات القتلى وتم الاستيلاء على أسلحتهم. واضطر الجنرال غوبو عندئذ إلى تغـــيير وجهـــته والعودة مع قواته إلى حلب[٩١] عن طريق جسر الشغور في ٣ شباط ١٩٢١، وهي تجر أذيال الخيبة لما أصابها من مهانة في السمعة العسكرية ومن نقص في الأموال والأنفس[٩٢].

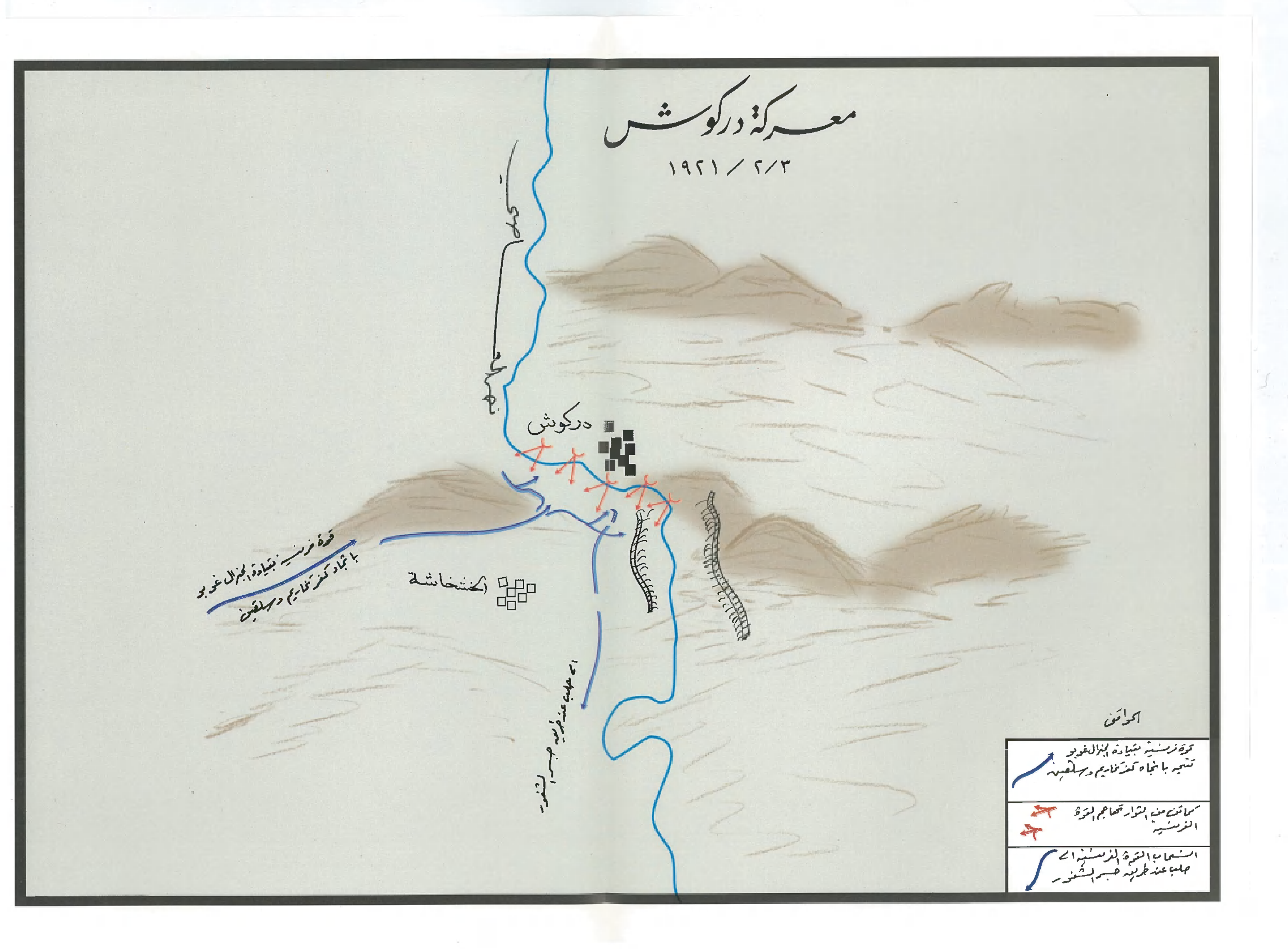
جـــرت هـــذه الأحـــداث في أواخر كانون أول ١٩٢٠ ومطلع شباط ١٩٢١. والملاحظ أن التقاريـــر الفرنسية تؤكد النجاحات العسكرية في المناطق الثائرة على الجبهة الشمالية الغربية والتي أدت إلى بعـــض الانفراج وإلى حركة خضوع ظهرت بين الثائرين "لكن لا تزال هذه المنطقة بأكملها بحاجة إلى مراقبة عن كثب لاشعار بقواتنا الجاهزة للعمل دائماً". جاء ذلك مثلاً في برقيات المفوضية الفرنسية في بـــيروت إلى وزارة الخارجـــية في شـــهر كانـــون الثاني ١٩٢١[٩٣]، وكان الخطر الحقيقي بالنسبة للمفوضـــية، يكمن في الشمال أي الخطر التركي، فإن الثوار كما تقول هذه البرقيات "يضعون بوضوح شديد أملهم في التركي السيد الفظ والاداري السيء سابقاً إلا أنه مسلم على الأقل".

مع ذلك فإن الجنرال دوهاي[٩٤] يقر بأنه في الفترة ما بين نهاية ١٩٢٠ ومطلع ١٩٢١ استؤنف العصـــيان وتطـــور في الجبال الداخلية على ضفتي نهر العاصي بمجرد رحيل الارتال، وتفسير ذلك بنظر المؤلـــف هـــو انه "نظراً لعدم قيام ارتال شهري كانون الأول ١٩٢٠ وكانون الثاني ١٩٢١ باحتلال المـــناطق الهامة فإن عملها لم يؤد إلى نتائج دائمة". ويضيف "بتحريض من الزعيم المتمرد إبراهيم هنانو أصـــبحت مـــن جديد ضواحي جسر الشغور وكفر تخاريم والقصير وجبل الزاوية معقل عصابات قوية يقدم لها ضباط وجنود أتراك نظاميون عونهم، ويرتبط هذا (التمرد بتمرد) منطقة الجبال الساحلية الذي يواصل الشيخ صالح وأعوانه، بدعم أيضاً من الكماليين تنشيطه بعزم صادق".

و ـ خطة فرنسية للقضاء على ثورة الشيخ صالح العلي في أواخر عام ١٩٢٠ وإخفاقها:

كانـــت الانتصـــارات الـــتي حققتها قوات الثورة على الجبهة الغربية منذ مطلع كانون الأول ١٩٢٠، وهـــو أمـــر أقرته برقية غارنيه دوبليسيه قائد المشرق من بيروت في ١٦/١٢/١٩٢٠[٩٥]، قد دفعت القيادة الفرنسية إلى التصميم على ضرب مناطق الثورة من ناحية الشرق وذلك بالاتجاه من حماة نحـــو مصـــياف ومن ثم الزحف غرباً[٩٦]. وحشدت القيادة لهذه العملية قوات كبيرة مدعومة بالمدفعية وأسراب الطائرات وبادرت بالهجوم خلال الجبال فاحتلت المرتفعات المنيعة الشاهقة القريبة من مصياف والمعـــروفة باســـم جـــبال قماقم والمكسوة بالأدغال. ولما بلغ الشيخ صالح نبأ مسيرة الحملة سارع إلى


معركة قطع الإمداد عن الفرنسيين «الجمال»
٢٨ كانون الثاني ١٩٢١
٣٦٠ جمل من حلب
دركوش


معركة دركوش
١٩٢١/٢/٣
دركوش
الخشخاشة
قوة فرنسية بقيادة الجنرال غوبو
باتجاه كفرتخاريم وسلقين
الى حلب عن طريق جسر الشغور
قوة فرنسية بقيادة الجنرال غوبو تتجه باتجاه كفرتخاريم وسلقين
كمائن من الثوار تهاجم القوة الفرنسية
انسحاب القوة الفرنسية الى حلب عن طريق جسر الشغور

إرســال وحــدات من الثوار للوقوف في وجهها. وبسبب طبيعة الأرض واضطرار الفرنسيين إلى تسلق الجــبال وهــبوط الأودية وتشعب حملتهم إلى مفارز لاجتياز تلك التضاريس، سهل على الثوار مهاجمة مؤخــرة الحملــة بالنيران وفصلها عن المقدمة، قبل أن تتمكن القوات المتقدمة من نجدتها. واضطر أفراد الحملة إلى التقهقر إلى مصياف بحالة من الذعر والتفكك. ولكن كتائب من الحملة وصلت إلى قرية عين قضــيب شرقي القدموس بالقرب من قرية برمانة المشايخ، وتصدى لها الثوار وأوقفوا تقدمها وتمّ تطويق الحملــة بمكان لا ماء فيه بضعة أيام[٩٧]، إلى أن قدمت نجدة من المصفحات فتحت لتلك القوات طريق العــودة إلى مصياف. وانتهى الهجوم الذي أمل به الفرنسيون ضرب مناطق ثورة الشيخ صالح وفشلت خطتهم أمام بطولة الثوار وثباتهم وسرعة حركتهم[٩٨].

وكــان على قيادة الثورة وضع الخطط الكفيلة لحماية ظهرها من ناحية المشرق فقررت مهاجمة مصــياف، وقد أصبحت المركز الرئيسي لتجمعات العدو في تلك الناحية واتخذها منطلقاً للقضاء على الــثورة. وفي منتصــف كانون أول ١٩٢٠ صب الثوار نيرانهم على مصياف إلا أنهم كانوا بحاجة إلى مدفعــية ثقيلة ليدكوا أسوارها، لهذا فإنهم رغم النصر الذي أحرزوه، جعلوا الفرنسيين يلوذون بالأسوار للاحتماء بها. وحاول بعض الثوار احراق أحد أبواب السور والدخول منه إلى المدينة غير أن الفرنسيين صــدوهم بنيران حامية. ودام الحصار تسعة أيام وفي اليوم العاشر جاءت قوات فرنسية كبيرة من حماة فانسحب الثوار إلى الجبال منتظرين الفرصة السانحة للانقضاض على الفرنسيين[٩٩]. حدث هذا في وقت عزم فيه الفرنسيون منذ مطلع ١٩٢١ على تجديد حملاتهم المتتابعة على منطقة الثورة في الجبال الساحلية وقاموا بإنشاء مخافر تسهل على قيادتهم تطويق منطقة الثورة.

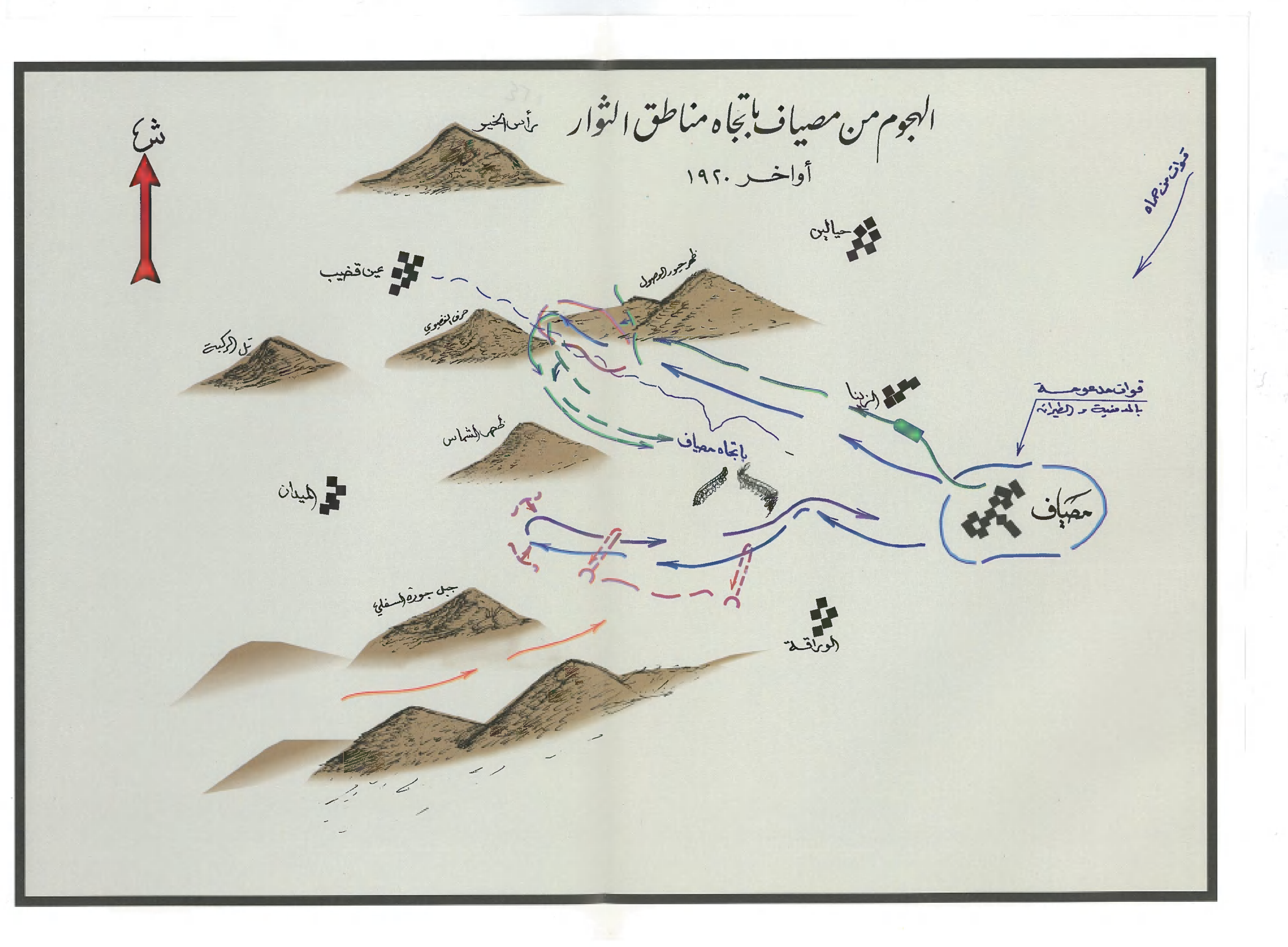
وقــد اغتنم الفرنسيون فرصة انتقال زعيم الثورة على رأس الشطر الأكبر من قواته على الشرق وانشــغاله بحصار مصياف والوقوف في وجه الزحف الفرنسي من تلك الناحية، فوجهوا حملة كبيرة في الجــنوب للهجوم على قرية الشيخ بدر قاعدة الثورة الرئيسة. وتقدمت الحملة نحو هدفها دون مقاومة وباغتت الثوار وهم على غير استعداد لملاقاتهم لاطمئنانهم أن المنطقة بعيدة عن متناول يد الفرنسيين[١٠٠]. ولم يصــعب على القوة الفرنسية احتلال قرية الشيخ بدر والمرتفعات المحيطة بها، كما احتلت وأحرقت قــرية المــريقب والمزارع القريبة منها، وتوزعت القوات الفرنسية على منطقة واسعة وانشأت المخافر والقــواعد في الهضاب والمواقع الهامة واتخذت القيادة الفرنسية مقراً لها في قريتي القمصية والشيخ بدر. وأمرت باعتقال بعض وجوه المنطقة بتهمة تأييد الثورة وشكلت مجلساً عرفياً لمحاكمتهم محاكمة صورية،

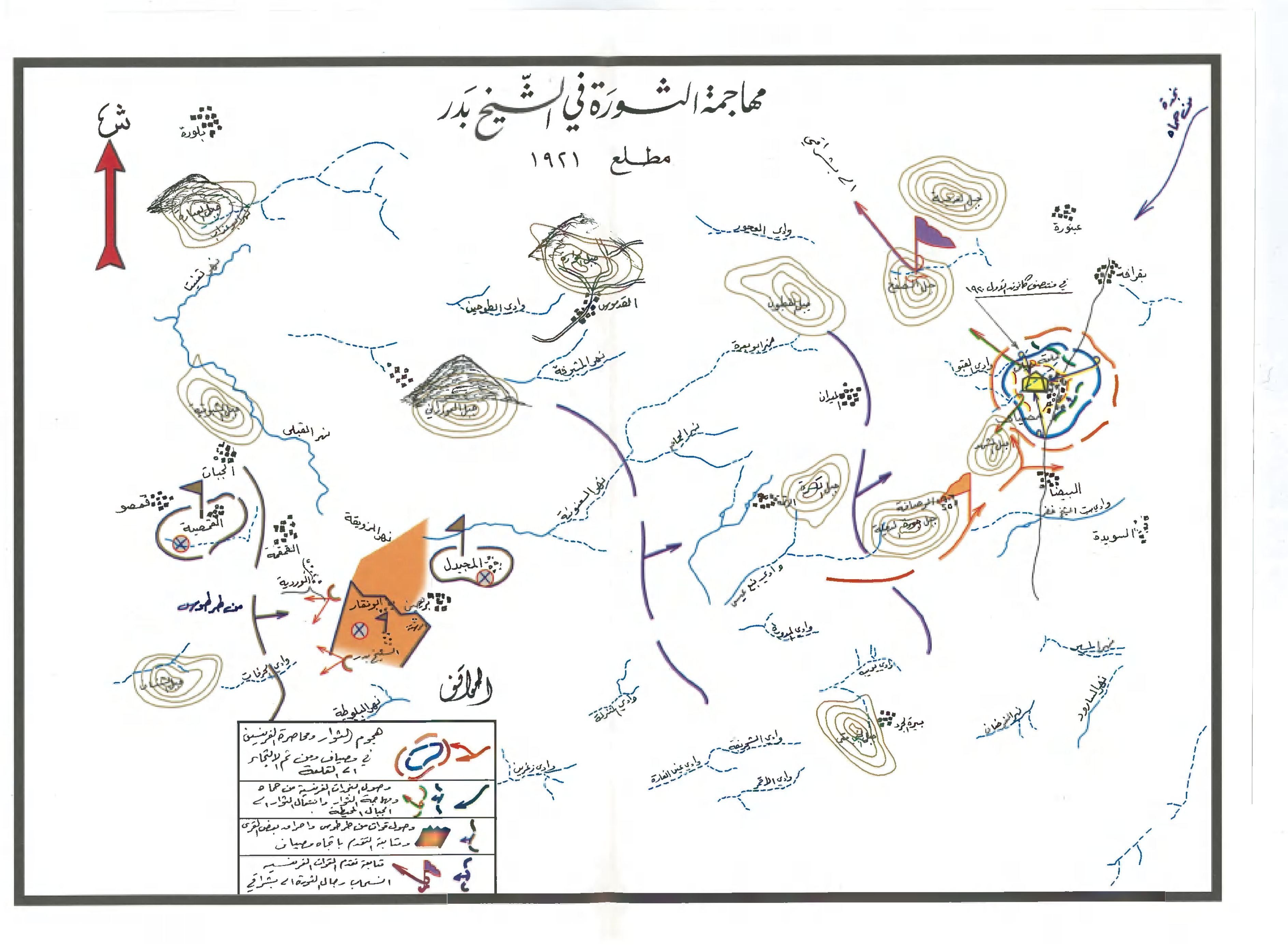
وأصـــدر المجلـــس أمـــراً بإعدامهم ونفّذ الحكم فوراً وانطلق الجنود بالاعتداء والتخريب والنهب وقتل الأبرياء.

وصـــلت أنباء التقدم الفرنسي واحتلال الشيخ بدر وجميع المناطق المحيطة بها إلى الشيخ صالح وهو لا يزال في المنطقة الشرقية (السقيلبية)، لكنه صمم على الاستمرار في قتال الفرنسيين حتى النهاية، فالتحق فـــوراً بمراكز قواته غرب مصياف. وعقد اجتماعاً هاماً مع قياديي الثورة في حيدر الضهر، وتدارس معهم الأوضـــاع وبـــيَّن حراجة الموقف وأعلن أنه سيواصل الثورة وسوف ينتقل إلى المنطقة الشمالية من الجبال الســـاحلية لتأجـــيج نار الثورة هناك. واستجاب له عدد كبير من الثوار الذين قرروا الاستمرار بالقتال إلى جانب القائد، في حين صدم آخرون وأضعف عزائمهم انقطاع الموارد التي تساعد في استمرار القتال[١٠١]. وســـار الشـــيخ مع رفاقه الثوار إلى قرية بشراغي من أعمال جبلة، وكانت أنباء سقوط مناطق الثورة في الجـــنوب بأيـــدي القـــوات الفرنســـية وتضاؤل رقعة الثورة قد سرت في أنحاء الجبال الساحلية فأثارت الاضـــطراب، إلا أن ســـكان بشراغي والقرى المجاورة أعلنوا ولاءهم للثورة واستعدادهم للدفاع عن مبادئها[١٠٢] ووجد الشيخ في هذا الحماس ما يساعد على تنفيذ خطته ومواصلة القتال[١٠٣].

وقـــد رأى الشـــيخ صالح أن يرسل اثنين من الثوار المعروفين هما حبيب محمود وهزاع أيوب (وكـــان الأخـــير مـــن العـــاملين في ثورة هنانو ولكنه كان دائم الانتقال بين المنطقتين لنقل الرسائل والمعلـــومات)، إلى إبـــراهيم هنانو لعرض حاجة الثورة إلى السلاح والضباط لمساعدة القيادة في إدارة العملـــيات الحربية. ولبى هنانو نداء الشيخ صالح وأرسل بضعة ضباط وبعض السلاح والعتاد حسب ما تسمح به ظروف الثورة في منطقته[١٠٤].

وكـــان الفرنســـيون بعد أن بلغهم وصول الشيخ صالح في مطلع كانون الثاني ١٩٢١ إلى قرية بشـــراغي وما لاقاه من نجاح في إضرام نار الثورة من جديد في تلك البقاع، قد قرروا مبادهته بالهجوم قـــبل اســـتكمال استعداداته وزيادة عدد أنصاره، فسيروا حملة من ٥٠٠٠ جندي لمباغتة الشيخ صالح وتطويـــق الثوار وافنائهم والقضاء على الثورة في المنطقة قبل أن يستفحل أمرها. واتخذت الحملة طريقها في وادي فـــتوح الواقـــع بين هضاب مرتفعة. وبلغ الشيخ صالح خبر تقدم الحملة فاستنفر أهل بشراغي والقـــرى القـــريبة منها، وهب (الأنصار) من كل النواحي بما لديهم من سلاح (بنادق صيد وسيوف وفـــؤوس وخناجر). وتولى قيادة المعركة الشيخ صالح وإلى جانبه ثلاثة من القادة القدامى للثورة[١٠٥]،


الهجوم من مصياف باتجاه مناطق الثوار
أواخر ١٩٢٠
ش
رأس الخير
حيالين
عين قضيب
ظهر جبور الجهول
حرف البنجوي
تل الركيبة
الرزينا
قوات مدعومة
بالمدفعية و الطيارة
ظهر الشماس
باتجاه مصياف
مصياف
الميدان
جبل جورة السفلي
الوراقة
قوات من حماه


مهاجمة الثورة في الشيخ بدر
مطلع ١٩٢١
ش
بلورة
نهر تنينتا
نهر المقبلي
الجبان
القمصو
القمصية
القمقه
الوردية
البونقار
نهر المزويقة
المجيدل
وادي الطوحين
القدموس
نهر المشيرفة
نهر السنونية
نهر الجماس
وادي المعجور
الدالية
وادي بنيع عيسى
وادي المحورة
وادي توبية
وادي الشرقة
وادي زلين
وادي الشريفة
وادي عين الغارة
وادي الاحجم
نهر الملوطة
عبنورة
بقراقه
البيضا
السويدة
نهر الزرقاني
نهر السارود
المواقع
هجوم الثوار ومحاصرة الفرنسيين في مصياف ومن ثم الالتجاء الى القلعة
وصول القوات الفرنسية من حماه ومهاجمة الثوار وانتقال الثوار الى الجبال المحيطة
وصول قوات من طرطوس واحراقه لبعض القرى ومتابعة التقدم باتجاه مصياف
متابعة تقدم القوات الفرنسية انسحاب رجال الثورة الى بشراغي

وتركز الشيخ ورفاقه على الهضاب المحيطة بجنبات وادي فتوح، ومر الفوج الفرنسي وجنوده وهم على ثقة بأنهم سينهون ثورة الشيخ صالح كما أوحى لهم رؤساؤهم[١٠٦]. وبعد أن توسط الفرنسيون الوادي باغـتهم الـثوار بـنيرانهم، ولم تمض ساعات قليلة حتى هرب من بقي حياً منهم تاركين جثث قتلاهم وسـلاحهم وعـتادهم واعتصـموا في أحد المراكز إلى أن أرسلت القيادة الفرنسية قوة للعودة بهم إلى قواعدهم. وغنم المجاهدون السلاح والعتاد وكان لذلك أبلغ الأثر في إنجاح المعارك التي حلت بعدئذ في تلك الجهات وتقاطر المتطوعون للانضمام إلى الثورة[١٠٧].

واشـتعلت الثورة من جديد في تلك المنطقة، وكان على القيادة الفرنسية أن تحول ضغطها إلى تلـك الجـبهات للقضـاء على الثورة قبل انتشارها وازدياد أنصارها. فسيرت حملة أقوى من سابقتها لـتطويق بشـراغي وموقع الشيخ في حيدر الضهر وقرية (أبو قبيس). وعلم الشيخ ورفاقه بسير الحملة فانـتقلوا إلى القـرية الأخيرة للوقوف في وجهها، وأرسلوا مفرزة خيالة للاستطلاع وشاهدت المفرزة طلائع القوة الفرنسية (٣٠٠ جندي مشاة وخيالة وسرية مدفعية) قادمة من حماة عن طريق محردة. وقام الشـيخ صالح بتوزيع الثوار على طرفي وادي (أبو قبيس) بين الصخور الشاهقة، ووضع جماعة من مهرة الرماة في موقع حصين قلعة (أبو قبيس) يشرف على جوانب الوادي، وبعث بجماعة آخرين من الفرسان لمناوشة الحملة ثم التراجع أمامها لجرها نحو المضيق الذي تحيط به قوات الثوار.

وكانـت رغـبة الفرنسيين ألا يدخلوا الوادي كي لا يحل بهم ما حل في وادي فتوح، ولكنهم حـين وجـدوا أمامهم الثوار ينسحبون في طريق الوادي تبعوهم وهم يحسبون أن المرتفعات خالية من الثوار، وأن الثوار هم هؤلاء الذين ينسحبون أمامهم. ووصلت الحملة في إثر الثوار موقع مزرعة الكنيسة وبلغت غدير ماء في تلك البقعة، فتدافع رجالها نحوه بعد أن بلغ بهم العطش والتعب. وجاء تنفيذ الخطة المرسـومة فسـمع صوت الشيخ يأمر بالهجوم، وانصبت نيران الثوار على جنود الحملة ودارت معركة رهيـبة انقـض الثوار فيها على عدوهم رغم اطلاق المدافع على مواقعهم وتدخل الطائرات وتكدست أجسـاد الضباط والجنود الفرنسيين في الوادي وقد فقدت قيادة الحملة قدرتها على استمرار القتال، وفرّ مـن بقي من جنودها مع حلول الظلام، وتركوا جثث القتلى والمدافع والرشاشات والحيوانات. وغنم الـثوار جميع أنواع الأسلحة والعتاد والخيم والمؤن والألبسة والمواد الطبية. وكانت خسارة الثوار قليلة لمناعة مراكزهم وقدرتهم على التنقل والحركة السريعة كلما احكمت المدفعية تسديدها نحوهم، وتراجع الفرنسيون نحو الشرق وراحت طائراتهم تقصف أماكن الثوار[١٠٨].

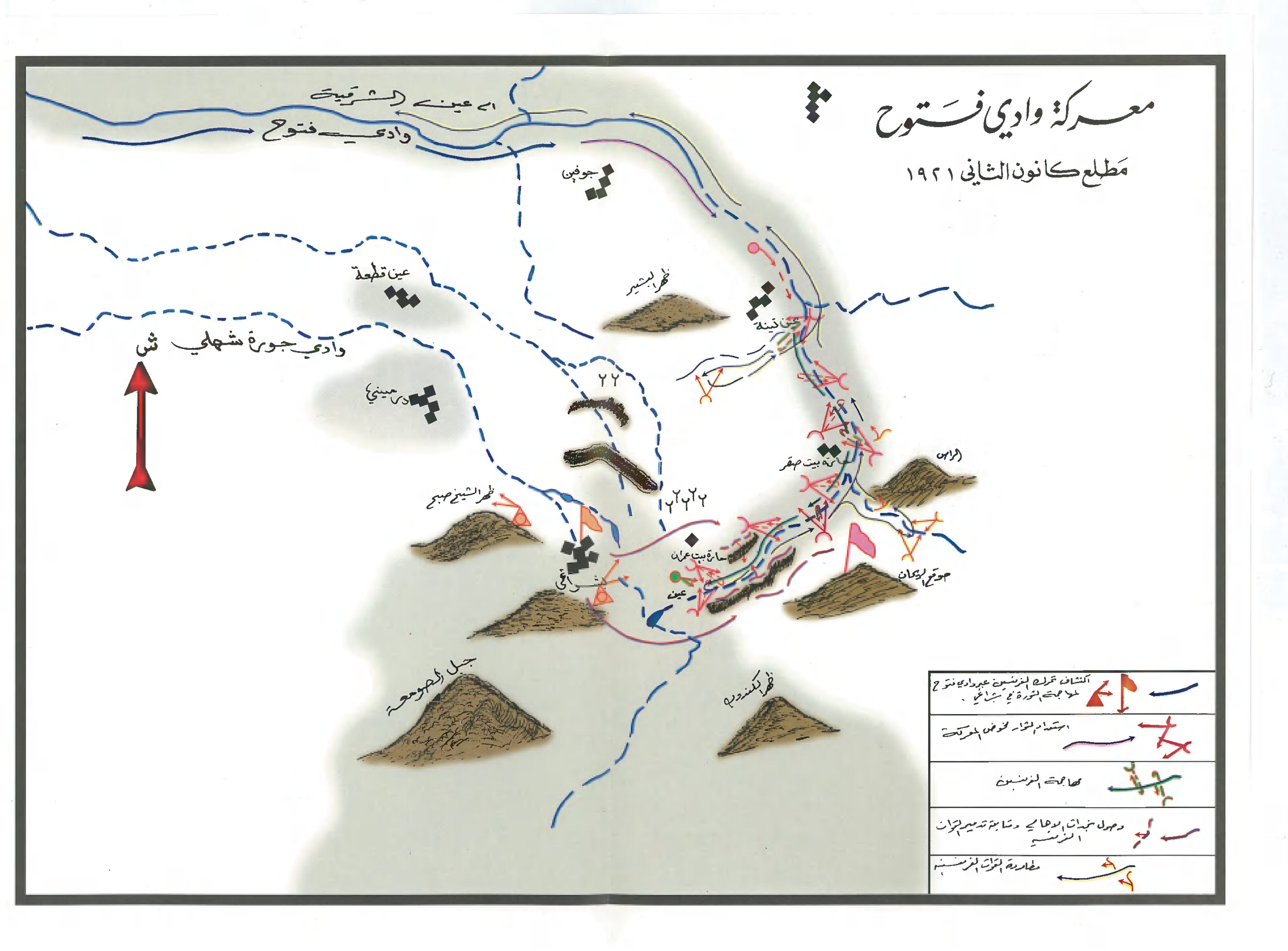
وعـاد الفرنسـيون يسـيرون الحمـلات المتـتابعة على منطقة الثورة وتواصلت المناوشات والاصـطدامات (أبـرزها معركة تل صارم قرب منطقة بصوطو)، ولما رأى الشيخ صالح أن الفرنسيين حشـدوا أكثـر قواهم في منطقة الثورة الجديدة أرسل كتيبة من قواته نحو الجنوب حيث منطقة الثورة الأولى، لاسـتئناف العمليات هناك واشغال العدو بينما يعد العدة لضربه في معاقله ضمن المدن الرئيسية في الساحل(١٠٩). وقد قامت الكتيبة الموفدة إلى الجنوب بمهمتها ونازلت العدو في عدة اشتباكات.

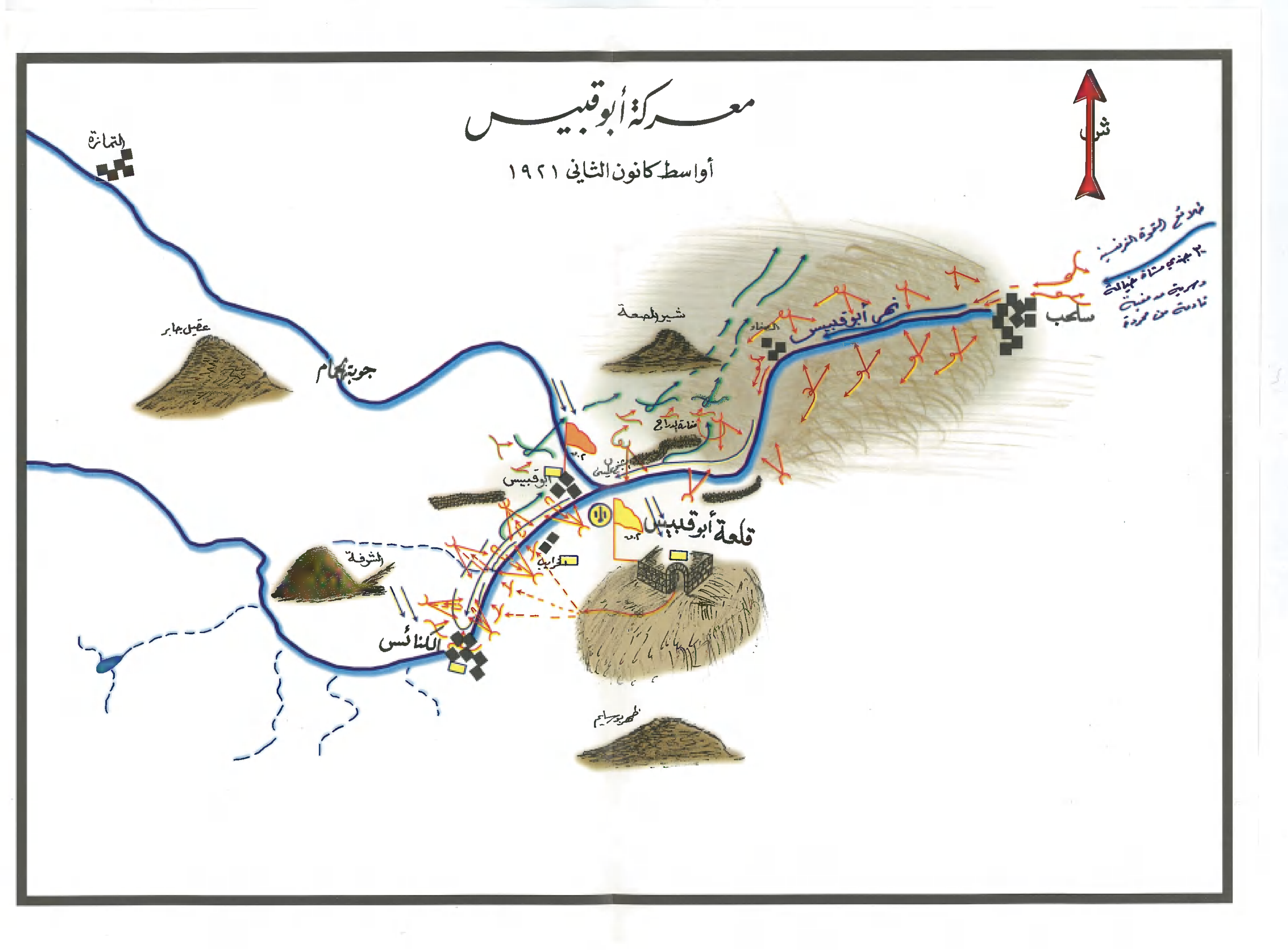
وفي ٢٣ كانـون الـثاني ١٩٢١ تصدى عشرة ثوار عند قرية الدويليه شمال غرب القدموس، لكتيـبة فرنسـية كانـت في طـريقها من مصياف إلى بانياس وعسكرت في القرية. وهوجم معسكر الفرنسـيين بغتة، ونشبت معركة انتهت بارغام الكتيبة على الانسحاب من القرية، فاتجهت نحو بانياس بعـد خسارة بضعة قتلى وجرحى واستشهد بعض الثوار(١١٠). وفي اليوم التالي حصلت معركة الديميس التي أبدى فيها الثوار شجاعة منقطعة النظير في فك الحصار عن رفاق لهم حاصرهم الفرنسيون في موقع قلعة الدريكية قرب قرية الديميس، وتمكنوا من رفع الحصار عنهم بعد أن استشهد منهم سبعة واسقطوا الكثير من الفرنسيين(١١١).

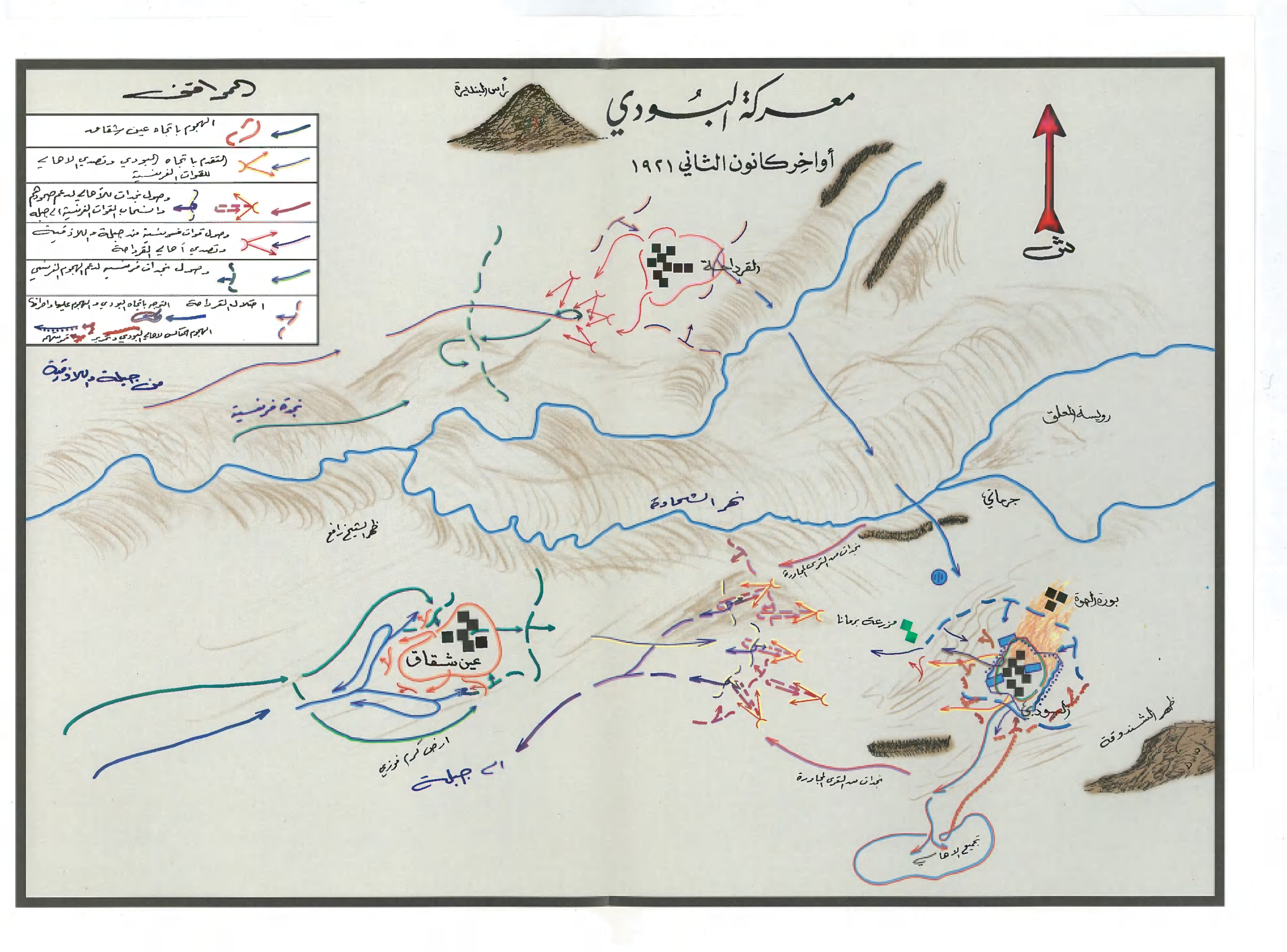
أدرك الفرنسـيون خطـورة الموقف، وخاصة في المنطقة الشمالية فحاولوا في ٢٥ كانون الثاني ١٩٢١ الـتوجه نحو جبل (رأس ماسم) للتمركز فيه وإنشاء مخفر كما هي عادتهم. وعلم الثوار بالخطة فسـارعوا بالوصول إلى الموقع وأقاموا الاستحكامات وسدوا الطريق المؤدية إليه، وأصلوا قوة الفرنسيين بنيرانهم وأرغموها على التراجع بعد تكبيدها الخسائر(١١٢).

وبعد فشل الفرنسيين بالوصول إلى (رأس ماسم) عمدوا في أواخر الشهر نفسه إلى الهجوم على مـنطقة القراحلة الشمالية لتغطية هزائمهم ونقلوا قوات كبيرة إليها، واختاروا أول الأمر الطرق المؤدية إلى قـرية عين شقاق للالتفاف حولها واحتلالها. ولم يتح لهم التمركز طويلاً في ذلك الموقع، فقد قامت فئة من الثوار(١١٣) بالهجوم على القوات الفرنسية وتشتيتها والاستيلاء على سلاحها وعتادها، منها مدفع جبلي، وكان لعنصر المفاجأة أثر كبير في التغلب على الحملة الفرنسية(١١٤).

وهال الفرنسيون ما أصاب حملتهم الجديدة من أجل القضاء على الثورة في تلك الجهات فدفعوا بقـوات كـبيرة سلكت طريق سابقتها فاحتلت قرية عين شقاق ثم تقدمت نحو قرية البودي (وكانت مركـز القيادة الثورية في المنطقة). وعند بلوغ هضبة ضهر المزرعة شرق عين شقاق تصدى لها الثوار،


معركة وادي فتوح
مطلع كانون الثاني ١٩٢١
الى عين الشرقية
وادي فتوح
جوفين
عين قطعة
ظهر البشير
خانينة
وادي جورة شهلي
ش
درمينى
٢٢
٢٢٢٢
ظهر الشيخ صبح
حارة بيت عمران
حارة بيت صقر
الراس
حوتم اليمان
عين
جبل الصومعة
ظهر بكندوسه
اكتشاف تحرك الفرنسيين عبر وادي فتوح لمواجهة الثورة في بشراغي .
استعداد الثوار لخوض المعركة
مهاجمة الفرنسيين
وصول نجدات الاهالي ومتابعة تدمير القوات الفرنسية
مطاردة القوات الفرنسية


معركة أبو قبيس
أواسط كانون الثاني ١٩٢١
ش
التمازة
عقيل جابر
جوبة برغال
شير ولمصة
نهر أبو قبيس
ساحب
أبو قبيس
قلعة أبو قبيس
المشرفة
الكنائس



معركة البودي
أواخر كانون الثاني ١٩٢١
ش
الهجوم باتجاه عين شقاق
التقدم باتجاه البودي وتصدي الأهالي للقوات الفرنسية
وصول نجدات للأهالي لدعم هجومهم وانسحاب القوات الفرنسية إلى جبلة
وصول قوات فرنسية من جبلة ومن اللاذقية وتصدي أهالي القرداحة
وصول نجدات فرنسية لدعم الهجوم الفرنسي
احتلال القرداحة
التوجه باتجاه البودي والهجوم عليها وإحراقها
الهجوم المعاكس لأهالي البودي وتحريرها
القرداحة
من جبلة واللاذقية
نجدة فرنسية
عين شقاق
أرض كرم فوزي
إلى جبلة
نجدات من القرى المجاورة
مزرعة برمانا
البودي
ظهر الشندوقة

ونشبت معركة حامية. وتوافدت النجدات من القرى المجاورة وضغطت على القوات الفرنسية واستطاعت أن تحدث ثغرة عميقة في صفوفها مما أجبرها على الارتداد إلى جبلة[١١٥].

ووجد الفرنسيون بعد فشلهم المتعاقب في تلك الجبهة، أن لا سبيل لاحتلال قرية البودي من الأمام. فسيروا قواتهم لاحتلال قرية القرداحة أولاً، ثم الالتفاف على البودي من الشرق والشمال. وصمد سكان المنطقة من أبطال (الكلبية) للفرنسيين وأقاموا في وجوههم سداً منيعاً من البطولة والاقدام. وطلب الفرنسيون نجدات جديدة وحين اجتمعت لديهم الامكانات العسكرية الضخمة هاجموا القرداحة ثانية .. فاحتلوها بعد أن تكبدوا بخسائر فادحة[١١٦]. واندفعوا نحو موقع (كتف البير المطل على قرية البودي، وبدأوا يقصفون القرية بالمدافع حتى إذا ظهر أنها لن تصمد تقدموا لاحتلالها. ووقف الثوار بقيادة إبراهيم الصالح للدفاع عنها وأخيراً قامت القوات الفرنسية بحركة التفاف حول البودي وطوقتها وتمكنت من احتلالها وإحراقها. وعزّ على الثوار أن يحل بهم هذا الأمر الجلل فقاموا وهم يشاهدون مواقعهم وبيوتهم تحترق بهجوم معاكس التحموا فيه بالسلاح الأبيض مع القوات الفرنسية، وأجبروها على الانسحاب من البودي عند المساء واستشهد عدد من الثوار[١١٧].

وبعد إخفاق الفرنسيين في حملاتهم على البودي وما تعرضوا له من خسائر مادية وبشرية ومعنوية، سيروا حملة أواخر شهر كانون الثاني ١٩٢١ من جبلة مدعمة بالمدفعية والدبابات والطائرات لاحتلال بشراغي قاعدة الثورة، وقبل أن تصعد الحملة إلى التلال المرتفعة عاجلها الثوار بالالتحام معها في معركة عنيفة، قادها الشيخ صالح ورجاله مع بعض الضباط الذين كان هنانو قد أوفدهم لمساعدته في قيادة الثورة[١١٨] وكان الشيخ ورجاله يحتلون المرتفعات ذات الموقع الاستراتيجي الهام، وجرت معارك الأجرد ورأس ملوخ سجالاً بين السلاح الجبار الذي تملكه القوات الفرنسية وبين الإيمان والبطولة ورباطة جأش الثوار. وكثرت خسائر الطرفين وكادت القوات الفرنسية تحاصر قوات الثورة، فتدخل عدد من (الأنصار) من القرى المجاورة في الوقت الملائم وانقلب الانتصار الفرنسي إلى اندحار واضطرت ميمنة الحملة الزاحفة إلى الانكفاء تحت ضغط الثوار، وأُرغمت على التراجع والانسحاب بعد خسائر في الأرواح والمعدات[١١٩].

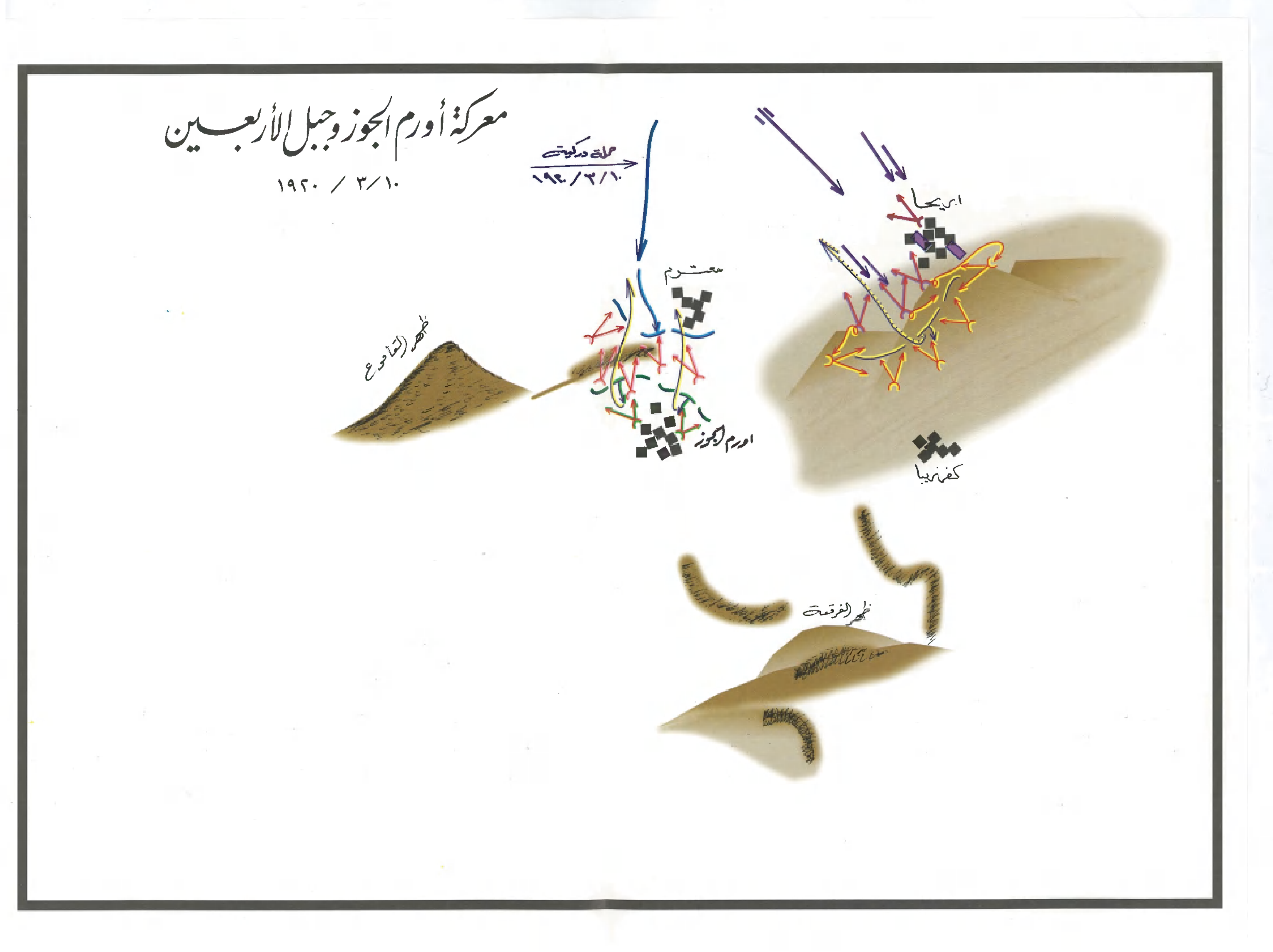
عمد الفرنسيون بعد الهزائم المتوالية وما تخللها من خسائر إلى سحب قواتهم من المراكز التي يحتلونها في الجبال الشمالية، وعسكروا على طول الساحل بين مدينتي جبلة وبانياس (أهم مراكزهم في

قرية البرجان ونبع السن)[١٢٠]. وراحوا يطلقون مدافعهم من الساحل أو من الأسطول على قمم الجبال القريبة وخاصة شرق بانياس، بقصد منع الثوار من التمركز فيها مما سبب قتل كثير من الأبرياء من نساء وأطفال. كما كانت الطائرات تقوم بغارات متواصلة على تلك الربوع، وراح الفرنسيون يرسلون دوريات ميكانيكية تطوف سفوح الجبال الغربية وتترصد الناس على الطرقات وتقتل وتنهب وتسلب وكثيراً ما تلقت تلك الدوريات ضربات مفاجئة من كمائن الثوار[١٢١].

لخص الجنرال دوهاي في دراسته[١٢٢] الوضع على جبهة الجبال الساحلية في مطلع شباط ١٩٢١ على النحو التالي "على الرغم من أن النتائج المحققة في الجبال الساحلية كانت غير كاملة إلا أن ضرورة تعزيز الفرقة الثانية، اضطرت القائد العام إلى إرسال مجموعة اوزاك المتحركة إلى حلب. بعد أن ترك أوزاك السرية الخامسة من الفيلق الثاني والعشرين قناصة جزائريين R.T.A غادر جبلة في ٦ شباط وعبر عنوة القدموس ليصل إلى حماة في ١٠ شباط ...وبدلاً من كتائب الفيلق الثاني والعشرين قناصة جزائريين R.T.A تلقى الكولونيل نييجر الكتيبة الثانية (التونسية) التي أبحرت من بيروت يومي الأول والثاني من شباط متجهة إلى اللاذقية، إلا أن هذه الوحدة لم تكن بمستوى كتائب القناصة الجزائريين R.T.A ولا يمكن استخدامها للقيام بعمليات في الجبل على وجه الخصوص. لذلك اكتفى بمحاولة حماية ورشات العمل على طريق بانياس بانتظار أن يسمح الوضع العام والطقس بجمع أعداد كافية للمباشرة بنشر (السلام) في الجبل كما أن الاضطرابات كانت في اتساع".

ز ـ تطورات متصاعدة على الجبهتين الثائرتين (شباط ـ آذار ١٩٢١)

كان لابد في هذه المرحلة بالذات، من مزيد من الارتباط والتعاون ونقل السلاح بين منطقتي الثورة في الشمال الغربي والساحل، فالمعارك كانت مشتدة بين الثوار وبين الفرنسيين في كلا الجبهتين. وكان الكولونيل دييبوفر قد تولى قيادة حملة لإعادة الهيبة في المناطق الثائرة في قضاء إدلب وبقية القرى الثائرة في ١٠ شباط ١٩٢١[١٢٣] وبدأت الحملة أعمالها بدخولها قرية (كللي)[١٢٤] من أعمال إدلب بعد أن بلغ الحملة، أن هنانو وعدداً كبيراً من الثوار قد حلوا بها وأن الزعيم هنانو جعلها مركز قيادة الثورة. وأرسل الكولونيل رجاله يطوفون في بيوت القرية باحثين عن كل رجل مشتبه به ملقين الذعر في النفوس، ناهبين كل ما وصلت إليه أيديهم من متاع ومال. ولما لم يجدوا في تلك القرية الآمنة ما يؤاخذ عليه السكان من سلاح وعتاد أو ثوار، انتقوا ٢٧ رجلاً من بين الشباب المقبوض



معركة أورم الجوز وجبل الأربعين
١٠/٣/ ١٩٢٠
حملة دركيت
١٠/٣/١٩٢٠
معترم
اورم الجوز
ظهر القاموع
اريحا
كفرنبيا
ظهر الفرقعة

علـيهم وأُعدموا جميعاً رمياً بالرصاص، ولم يُجدِ شيئاً عويل النساء وصراخ الأطفال واسترحامات الشيوخ(١٢٥).

وتوجه ديبيوفر بعد ذلك إلى قرية (زردنة)، فأمر بحرق البيادر وتخريب البيوت لأنه قد بلغه أن الـثوار بقـيادة هنانو قد مرّوا بالقرية وتزودوا منها وتلقوا المساعدة. كما أمر بالتنكيل بمختار القرية ثم بإعدامـه لأنـه نفى أن يكون على معرفة بمكان الثوار أو بما ينوون فعله. ولما بلغ هنانو أخبار التقتيل والنهب والعدوان قرر الثأر وأمر رؤساء جنده بالعمل المتواصل وأخذ العدو بكل الوسائل إلا ما حرمتها الحـروب. وعلـى هذا يقول الشغوري في مذكراته(١٢٦) "انتشر المجاهدون ما بين أبواب مدينتي حلب شـرقاً وانطاكية غرباً والحدود التركية شمالاً وجسر الشغور جنوباً يزرعون الحقد والكراهية للمستعمر ويؤلـبون علـيه أبناء الوطن الذين شعروا بثقل وطأته وخبث نواياه كما يحصدون رؤوس المرتزقة من أتباعه وجواسيسه والعابثين فساداً في الأرض بأمر منه وسيراً على خطة رسمتها يداه".

ولم يسـع سـلطة الاحـتلال بعد أن عجزت عن إنهاء أعمال هنانو إلا سلوك طريق المسالمة والمفاوضة فبعثت أحد رجالها وأرفقته بأحد أبناء عم هنانو ليفاوضه في أمر إنهاء الثورة واحلال السكينة وليعـرض علـيه ألقابـاً ضخمة وأموالاً جمة وعفواً شاملاً مع رئاسة حكومة لنفسه ومناصب لإخوانه العـاملين معـه. ووفقاً لرواية الشغوري(١٢٧). كان رد هنانو "متى كان للمجرم أن يصفح عن البريء، والدخيل أن يسمح لصاحب البيت بالإقامة فيه بعد ظلم منه". وقد مكن الزعيم هنانو رجل السلطة هذا من الاختلاط بالأهلين والتحدث إليهم لينقل إلى أسياده صورة حقيقية عن الثورة.

في هـذه المرحلة الخطرة يذكر الشغوري(١٢٨) أنه "بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٢١ أوفد الثائر الكبير الشـيخ صالح العلي هزاع أيوب للاتصال بهنانو كي يمهد للثوار في منطقته استقاء العتاد من تركيا أسوة بـثورة الشمال وتوحيد الجهود وتقويتها ما أمكن بتشديد الضغط على الفرنسيين المستعمرين. فأجيب الـزعيم الكبير إلى رغبته ووعد بتزويده بما يمكن من عتاد لتأمين توثيق الروابط بين هنانو والشيخ صالح ومـؤازرتهما بعضـهما"(١٢٩). وكـان مثل هذا الارتباط والتعاون يحتاج إلى مواصلات تتمتع بالحماية الكافـية فجـاءت الثورة التي هبت في جبل الزاوية مؤمنة لهذه الغاية "فهو حصن يمكن الارتكاز عليه يتوسط منطقتي الجهاد"(١٣٠).

وكانـــت منطقة جبل الزاوية هي المنطقة الرابعة الثائرة في ثورات الشمال الغربي (بالإضافة إلى كفر تخاريم والقصير وصهيون). ويشير الشغوري إلى انطلاقة هذه الثورة بقوله[١٣١] "لقد شعر أبناء جبل الـــزاوية الأشـــاوس بمـــا شعر به غيرهم من شديد وطأة الاستعمار كما دعتهم النخوة العربية إلى حمل الســـلاح دفاعـــاً عـــن الحمى المستباح، فعقدوا مؤتمراً فيما بينهم قرروا بنتيجته الاتصال بالزعيم هنانو وعـــرض المؤازرة عليه". بعث ثوار الزاوية لهذه الغاية وفداً بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٢١ إلى كفر تخاريم[١٣٢]، وعرض الوفد الأمر على هنانو فبارك الخطوة، وعاد الوفد مزوداً ببعض السلاح والعتاد[١٣٣].

وعقد اجتماع كبير في قرية مرعيان ضم وجوه الجبل وفي مقدمتهم مصطفى الحاج حسين[١٣٤] وبعـــد التشاور قرر المجتمعون الانضمام إلى ثورة الشمال وربط مصير الجبل ببقية المناطق الثائرة. فتسابق الشبان إلى حمل السلاح والانضمام إلى الثورة وانتقل إلى جبل الزاوية عدد من ثوار بقية المناطق لمؤازرة إخـــوانهم[١٣٥]. وقـــد تم عن هذا الطريق تبادل الاتصالات والمساعدات بين ثورتي هنانو والشيخ صالح ضمن حدود الإمكانات بحيث كادت الثورة تصبح وحدة شاملة للساحل الغربي والشمالي[١٣٦].

وكان لانضمام ثوار جبل الزاوية إلى ثورة هنانو، التي انتقلت إلى مناطق جديدة، أثره العميق في نفـــوس الفرنســـيين، وقد أقرت دراسة تاريخية فرنسية عن جيش الشرق[١٣٧] بانتشار رقعة الثورة إلى مـــناطق جديـــدة: "فتعرضـــت انطاكية لقصف نيران شديد، كما امتدت هجمات الثوار إلى الساحل فأصبحت أكثر جرأة منذ أواخر شباط ١٩٢٠ وأخذ (العصاة) يصلون أحياناً إلى ما قبل اللاذقية".

وجـــاء في التقرير الذي رفعه نيجر عن مراحل عمليات القضاء على الثورة في المنطقة الساحلية (وقد وضعه في آب ١٩٢١)[١٣٨]. "إن هجمات الثوار على الساحل منذ شهر آذار أصبحت لا تحصى بل هم يهددون المدن الساحلية مباشرة ويأتون في عدة مناسبات لاطلاق الرصاص على بانياس وجبلة". كمـــا يشير الجنرال هاي في دراسته[١٣٩] إلى توجه جماعات الثوار من الجبال الساحلية في أوائل نيسان ١٩٢١ نحو وادي العاصي بالمشاركة مع ثوار الزاوية.

واهـــتم الفرنســـيون بأمر ثورة جبل الزاوية بعد أن ثبتت لديهم بأنها حركة منظمة، فلابد لهذا الجـــبل يقول السعدون في مذكراته[١٤٠] "من حملة كبيرة منظمة تخنق حركته في مهدها قبل أن يسري عـــدوى العصـــيان إلى حماة وغيرها من المدن والمقاطعات، فعلى هذا بدأ العدو باستحضار قوة كبيرة بكامل معداتها وقد أوكل الأمر إلى (الحكومة المحلية) التي تعمل لصالح السلطة الأجنبية بمحاولة قمع ثورة

جــبل الزاوية". خرجت هذه الحملة الدركية في العاشر من آذار وبلغت قرية أورم الجوز، فبرز لها الثوار فجــأة ودارت معركة دامية أسفرت عن مقتل ٤٠٠ دركي وفرار الباقي[١٤١] وبعد هذا الاندحار سيّر الفرنســيون كتيبة مشاة معززة بالمدافع والطائرات إلى جبل الأربعين فوق مدينة أريحا، وكمن الثوار في أعالي الجبل وتركوا رجال الكتيبة يتوغلون في الجبل إلى المواقع التي قرروا منازلتهم فيها، وحين وصلت مرمــى نيرانهــم أطــبقوا عليها من كل جانب وانقضوا عليها. ورغم تفوّق القوات الفرنسية بعددها وســلاحها علــى ســلاح الثوار، الذي قد يقتصر على بندقية فقط، أصيبت بهزيمة بعد ثلاث ساعات وانســحبت بعد ترك سبعين قتيلاً واستشهد من الثوار نصف هذا العدد[١٤٢]. وقد كان للهزيمة التي مني بهــا الفرنسيون في جبل الزاوية بالإضافة إلى الضربات الموجعة السابقة، وقع كبير لدى القيادة الفرنسية فقــررت الاســتيلاء علــى جبل الزاوية "ذلك المعقل الحصين وهو الموقع الثاني للثورة بعد كفر تخاريم والتنكيل بأهله)[١٤٣].

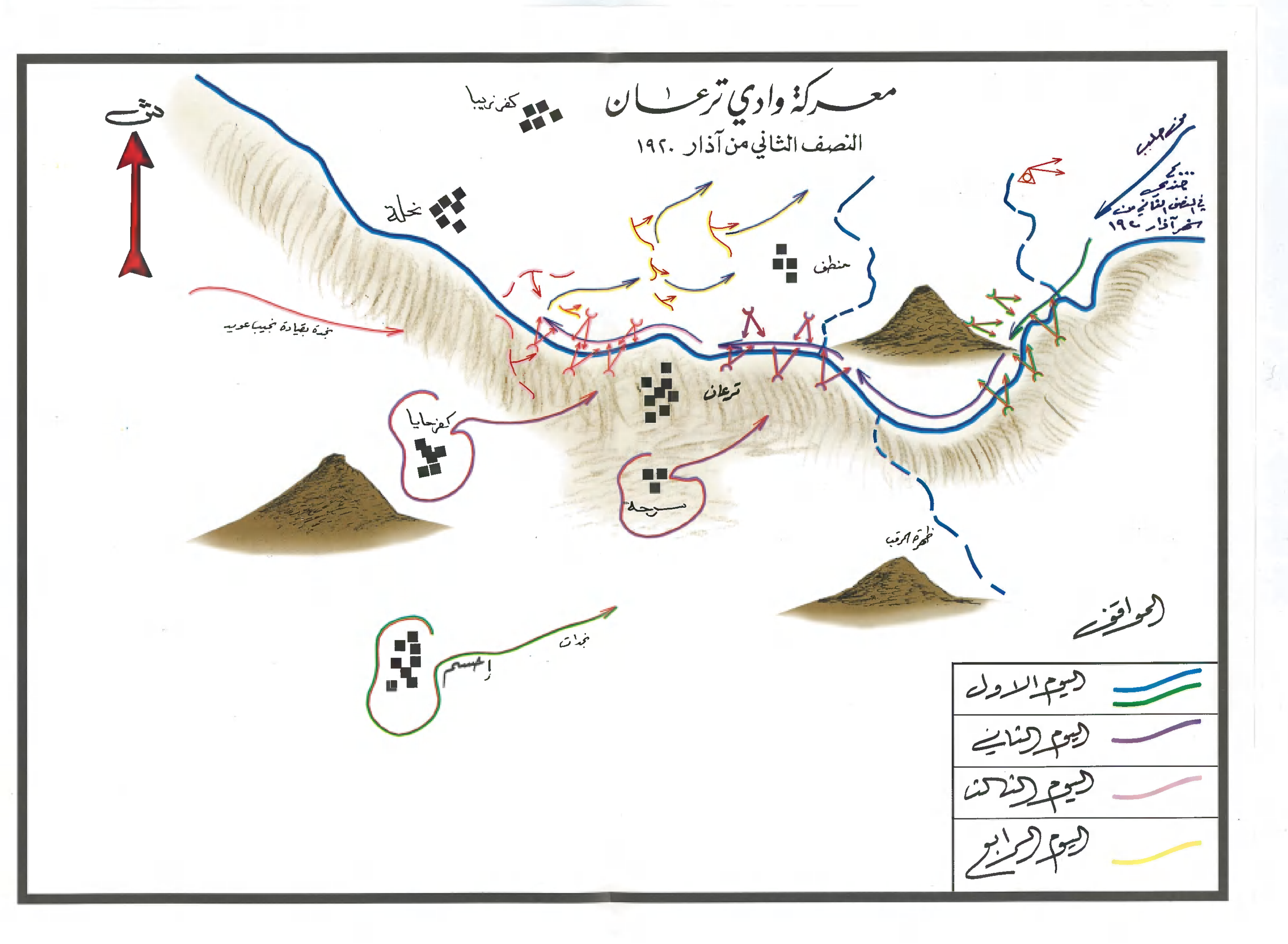
كــان ذلك في وقت صمم فيه الفرنسيون على إنهاء ثورة المنطقة الساحلية مهما كلفهم الثمن: فقد كان الثوار على الجبهة الساحلية وبعد سلسلة من الهجمات الناجحة على المواقع الفرنسية ثابتين في مراكــزهم في شــتاء وأوائل ربيع ١٩٢١[١٤٤] رغم قلة عددهم وضيق منطقة الثورة. ولكن الفرنسيين أخــذوا يضــيقون بحملاتهــم المتعاقبة على مناطق الثورة ويحكمون عليها الطوق فقد زحفت كتائب الفرنسيين عن طريق قرية عرب الملك والبرجان نحو جبل (قرفيص) المطل على نهر السن واحتلته والقرية علــى ســفوحه. ورغــم الدفاع المجيد الذي أبداه الثوار لم يتمكنوا من رد الزحف وخسروا عدداً من الشــهداء بينهم أحمد عليا وجرح كثيرون منهم العقيد يوسف عيد[١٤٥]. واستطاع الفرنسيون باحتلال جــبل (قرفيص) أن يتحكموا بالجبهة الساحلية لمنطقة الثورة، وتقدموا نحو قرية جور البقر وتل ايريس، ولكن الثوار وقفوا يذودون عن مواقعهم ويصدون القوات الفرنسية. واستطاعوا اكراهها على الرجوع من حيث أتت بعد معركة دامت بضع ساعات وكبدوها عدداً من الضحايا، واستشهد في المعركة بعض الثوار منهم علي فضل صارم[١٤٦].

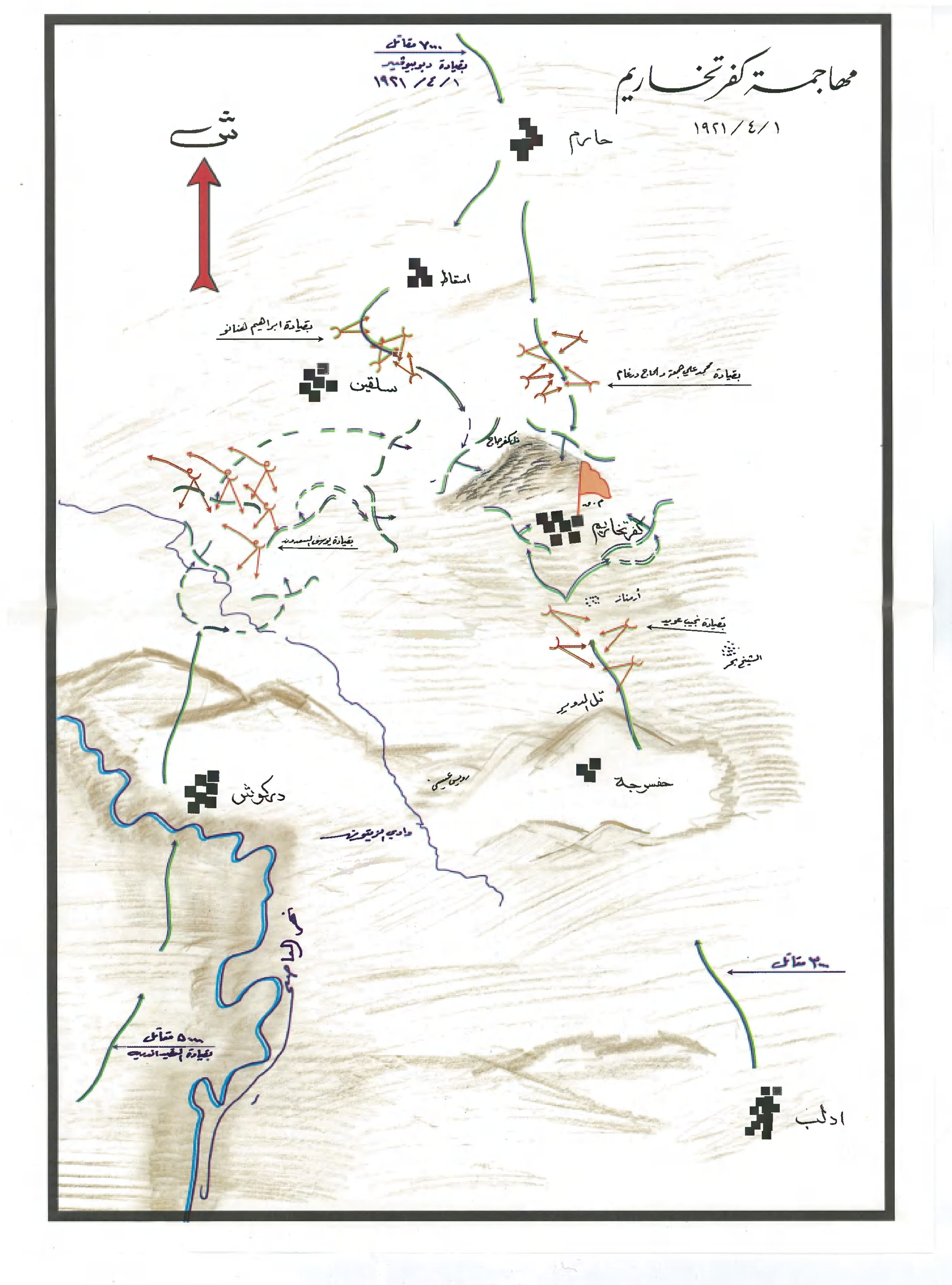
كــان هــذا يعني أن المناطق الثائرة في كلا الجبهتين لم تكن هادئة من وجهة النظر الفرنسية في أوائــل ربــيع ١٩٢١، ولخصت رسالة القنصل العام البريطاني في بيروت إلى وزارة الخارجية الوضع في شهر آذار ١٩٢١ في منطقتي الثورة[١٤٧] على النحو التالي "منطقة اللاذقية لا تزال مضطربة (بعصابات) غــير نظامية، ويزداد نشاطهم في الشمال حيث يتجهون إلى الترابط مع الثوار في جسر الشغور وجبل

الزاوية، وتضيف الرسالة، إلى أنه في المنطقة الواقعة داخل نطاق حكومة حلب "فإن القلاقل قد ازدادت في المنطقة بين حلب والعاصي وواجه الطابور الفرنسي قتالاً قاسياً، كما أن منطقة كفر تخاريم، انطاكية، القصير التي كانت هادئة منذ مطلع العام هي الآن أكثر اضطراباً، ويعزى هذا الاضطراب إلى التحريض الكمالي".

وكان على الفرنسيين أن يبدأوا العمل أولاً على جبهة الزاوية فجهزت القيادة الفرنسية فرقة من الجند الفرنسي يزيد عددها على ٤٠٠٠ مقاتل مزودين بالمدافع الجبلية وبكل أنواع الأسلحة بقيادة أحد كبار ضباطها الكولونيل أندريه[١٤٨] وأمرتها باحتلال جبل الزاوية، وقد غادرت الفرقة حلب في النصف الثاني من شهر آذار ١٩٢١ في طريقها إليه، إلا أن أخبارها سبقتها وأصبحت قيادة الثورة على علم بها وبحركاتها، رغم محاولة قائد الفرقة تضليل الثوار بتغيير اتجاهات التحرك. إلا أن هنانو أمر بإقامة المخافر القوية في أطراف الجبل وخاصة الجهة الشرقية، وهيأ بقية الثوار في نقاط متوسطة من الجبل لتستطيع بسرعة انجاد كل مخفر يتعرض للهجوم[١٤٩]. وشعرت المخافر الأمامية المقامة في الجانب الشرقي من الجبل بأن الفرنسيين يتسلقون الجبل عن طريق وادي ترعان في أراضي قرية سرجه، واستطاع الثوار الذين يتمركزون هناك أن يوقفوا الزحف الفرنسي ويحولوا دون صعود العدو الجبل واحتلال أكماته. وسارعت قيادة الثورة فأرسلت السعاة لتأمين إخبار قوات الثوار المتفرقة في القرى القريبة فتسابقوا للمعركة، وجاءت بعض النجدات بقيادة هنانو نفسه، ووقف رجالها يقاتلون القوة الكبيرة بعددها وسلاحها يشغلونها كسباً للوقت حتى يتكامل وصول بقية النجدات.

نظّم هنانو مواقع قواته (ولم يتجاوز عددهم ٥٠٠) مقاتل فجعل من جبهته قلباً وجناحين بحيث يشكلون في مجموعهم جبهة مستقيمة يضغط جناحاها ببطء على جناحي العدو، والذي أكره على التمركز على سفح الجبل والنيران تصب عليه من المرتفعات. وقاد الجناح الأيمن الملازم أول عبد الغني كلباش ولم يترك الميدان رغم جراحه، إلا بعد وصول الشيخ يوسف السعدون على رأس مجموعة من ثوار القصير واستلم قيادة الجناح. وقاد الجناح الأيسر مصطفى الحاج حسين، أما القلب فقاده الملازم أول إبراهيم الشغوري، وحاول الفرنسيون بقوة نيرانهم مراراً التقدم ببطء فلم يجدوا منفذاً إلى أعلى الجبل. واستمر القتال ثلاثة أيام والقوات الفرنسية على سفح الجبل لا تستطيع التقدم، والنجدات تتوالى على الثوار (بلغت أكثر من ٣٠٠٠) تضيق الخناق على القوات الفرنسية في جناحيها، حتى أجبروها على تقليص جبهتها. وفي اليوم الثالث وعند المغيب ظهر في الأفق غبار كثيف وإذ يتكشف عن


معركة وادي ترعان
النصف الثاني من آذار ١٩٢٠
ش
كفر زيبا
نخلة
منطف
من حلب
في النصف الثاني من
شهر آذار ١٩٢٠
نجدة بقيادة نجيب عويد
ترعان
كفرحايا
سرجة
إحسم
نجدات
المواقف
اليوم الاول
اليوم الثاني
اليوم الثالث
اليوم الرابع



مهاجمة كفرتخاريم
١٩٢١/٤/١
٧٠٠ مقاتل
١٩٢١/٤/١
ش
حارم
اسقاط
سلقين
بقيادة ابراهيم هنانو
كفرتخاريم
أرمناز
الشيخ بحر
تل الدوير
حفسرجة
دركوش
نهر العاصي
٣٠٠ مقاتل
٥٠٠ مقاتل
ادلب

نجـــيب عويد وقد وصل إلى المعركة ومعه ٤٠ ثائراً ليشد أزرها فبلغ الحماس منتهاه وشدد الجناح الأيمن بقـــيادة الســـعدون ضغطه، حتى ألجأ الجناح الفرنسي الأيسر على التخلي عن بعض مواقعه. واستطاع بـــذلك السعدون وأحمد تكرلي التقدم مستفيدين من المواقع الطبيعية حتى تمكنا من الوصول إلى هوة في ســـفح الجـــبل كانـــت مستودعاً لذخيرة الفرنسيين ففجروها[١٥٠]. وفي اليوم الرابع للقتال لم يبق أمام الفرنســـيين إلا الصمود حتى الظلام فتراجعوا منهزمين تاركين أكثر من ١٢٠٠ قتيل عدا عدد كبير من الجرحى تم نقلهم. وتركوا ما تبقى من تجهيزاتهم ومؤنهم وكانت خسائر الثوار ٥٦ شهيداً[١٥١].

بعد فشل معارك الزاوية سارعت فرنسا إلى جمع أكبر عدد ممكن من مقاتليها، وأمرتهم باحتلال كفـــر تخـــاريم المعقل الرئيسي للثورة. وقد سيرت في مطلع نيسان ١٩٢١ ثلاث حملات لاحتلال كفر تخاريم: الأولى من اسكندرون إلى حارم ومنها عن طريق جبل الأعلى والعقبة وإسقاط وهي حملة قوامها ٧٠٠٠ مقاتـــل بقيادة ديبيوفر، والحملة الثانية من إدلب إلى حفسرجه ثم كوفكو قوامها ٣٠٠٠ رجل والثالـــثة من جسر الشغور إلى دركوش ثم تل عمار قوامها ٥٠٠٠ رجل على وجه التقريب بقيادة العقيد اندريـــه. ويقـــول الشـــغوري في مذكراته[١٥٢] " كان المجاهدون على قلة عتادهم لكثرة ما استهلك في الحـــروب الطاحنة ...لا يملكون من مقومات الحروب الأساسية إلا القليل من الخرطوش والعشرات من القنابل اليدوية ورغم ذلك أبت عليهم عزتهم أن يتركوا الساحة ويلتجئوا إلى الجبال". وتفرق الثوار إلى فـــئات صـــغيرة يقـــود كلاً منها رجل خبر الحروب واشتبكوا مع العدو رغم طول الجبهة. وتصدى الســـعدون في موقع السرج (وهو موقع فيه أدغال واحراج كثيفة) للحملة القادمة من دركوش. بقيادة أندريه الذي تسلق الجبل الوسطاني في طليعة جنوده. ودارت معركة بين عشرات من الثوار[١٥٣]، وبين جـــنود فرنســـيين لا يحصى عددهم، وركز الثوار نيرانهم على اندريه، وعلى الفئة التي تسانده فأصابته بعـــض رصاصـــاتهم فخرّ على أثرها والعشرات من رجاله صرعى. وانسحب الثوار إلى الوراء تاركين للفرنسيين ضحاياهم، ونقلت جثة اندريه في طائرة حربية إلى حلب[١٥٤].

واســـتقبل نجيب عويد وعدد آخر من الثوار[١٥٥] الحملة القادمة من إدلب بما عرف عنهم من إيمـــان وصـــلابة، رغم أن عددهم لم يتجاوز الخمسين، ووقف في وجه الحملة القادمة من حارم بطريق الجـــبل الأعلـــى، مجمـــوعة أخرى من الثوار على رأسها محمد علي جمعة والحاج ضرغام، كما وقفت مجمـــوعة أخـــرى تناضل الفوج القادم من حارم بطريق العقبة. وأخذ إبراهيم هنانو على عاتقه مقاومة الحملـــة من حارم ثم إسقاط فالجبل الغربي يساعده على ذلك حرسه أبناء سلقين، ويشد من أزر الجميع

أولـــئك الذين جهزوا أنفسهم عند الحاجة إليهم. و لم يكن النضال بمثل هذا العدد القليل ليمنع احتلال كفـــر تخاريم من قبل الفرنسيين لأن هذه النتيجة يقول الشغوري في مذكراته[١٥٦] "كانت محتمة بالنسبة للـــتفاوت العظيم بيننا وبين العدو في المعدات وفي العدد". لقد كان الهدف، يضيف الشغوري، "لنُفهم بلغة السلاح التي لا يحسنون غيرها، إننا مصممون على المقاومة حتى النهاية. وإننا إذا لم نستطع إلقاءهم في البحـــر فســـنكتفي بتنغيص عيشهم وجعل إقامتهم في ربوعنا أتوناً من النار تتقاذفهم حممه وتبتلعهم حفره".

لقـــد استنفدت معركة كفر تخاريم البقية الباقية من العتاد الاحتياطي و لم يبق لدى الثائر، يقول الشغوري في مذكراته[١٥٧] إلا ما يحمله في جعبته وهذا لا يكفي لحرب كهذه تمتد لأيام. لذلك تلاشت المقاومـــة رويـــداً رويداً... وانسحب المجاهدون من جبل الزاوية وجبال دركوش والجبل الأعلى وحلّوا ضـــيوفاً كراماً ينتظرون عودة نجيب عويد الذي أوكل إليه أمر جلب العتاد من تركيا لمواصلة القتال". وارتكـــب الفرنسيون الذين احتلوا قصبة كفر تخاريم كثيراً من الفظائع، وضربوا حولها نطاقاً من الموانع والاستحكامات المسلحة وكان الثوار يكثرون من الهجمات الليلية على مخافر الفرنسيين ويلاحقون أفراد الدوريات، إلى غير ذلك من أعمال الإقلاق.

وكـــان "في ظن الفرنسيين، وقد احتلوا كفر تخاريم، أن جولات الثوار لن تكون موفقة إلا في المناطق الجبلية الكثيرة الموانع، ولكنهم قد برهنوا أنهم أشداء وأن تفوق الفرنسيين العددي لن يقعدهم"، هـــذا مـــا ذكره الشغوري في مذكراته[١٥٨]. مضيفاً القول "لقد أدركنا أن علينا واجباً فردياً، أكثر منه عسكرياً، وهو التجول بالقرب من مدينة حلب لنثبت أننا لا زلنا على ما نحن عليه من عزم صادق على مواصـــلة القـــتال وأنه لا يثنينا عن عزمنا هذا وعد أو وعيد". ويؤكد الشغوري "أن الفرنسيين كانوا يحســـبون أن المجاهدين، بفقدانهم كفر تخاريم، قد فقدوا كل شيء وأن قواهم المعنوية قد تلاشت و لم يبق بيـــنهم وبـــين تـــرك الساحة إلا القليل. لذلك أرادوا أن يبرهنوا للفرنسيين أنهم واهمون، وأن الجولة التي خســـروا فـــيها المعركة ما كانت نتيجة ضعف بل نتيجة محتومة لسلاحين غير متكافئين، ولأن الثوار لا يملكون من العتاد ما يؤهلهم لخوض المعارك التي تدوم الأيام الطوال. ورغم ذلك كانت القوة النفسية على أشدها وكان الثوار على استعداد للمهاجمة حتى لو كان الخصم يفوقهم عشرات الأضعاف[١٥٩].

حـ ـ الفرنسيون يصممون على إنهاء الثورتين:

١ـ خطة نيسان ١٩٢١ في الجبهة الشمالية الغربية.

في مطلـع نيسـان ١٩٢١ تولى القائد العام للفرقة الرابعة، الجنرال غوبو، مهمة القيام (بعملية تنظـيف) علـى حـد قـوله "في آن معاً في منطقة جنوب وجنوب شرق انطاكية وفي منطقة الجبال الساحلية"، جاء ذلك في تقريره الذي رفعه إلى غورو[١٦٠] يلخص الوضع الذي وجده بعد توليه القيادة. وكانـت القوات التي ستقوم بالعمل تحت إمرة غوبو على النحو التالي: "مجموعة لانغلاد (Langlade) التي تسير باتجاه كفر تخاريم، مجموعة كليمان غراندكور (Grandcourt) التي تتجه إلى دركوش وأريحا، رتـل فوان (Fouin) الذي يعمل في منطقة أريحا حيث يجب عليه اللحاق بمجموعة كليمان غراندكور. وأخـيراً فإن رتلاً تحت إمرة النقيب دوم (Dhoum) ستكون مهمته الانطلاق من حمص لإعادة النظام باتجاه محردة إلى شمال غرب حماة، وقد وردت هذه المعلومات في اللمحة التاريخية عن جيش المشرق[١٦١]، وتضيف هذه اللمحة أن "المعركة بين اليونانيين والأتراك قد أدت إلى توقف الحرب على الجبهة الفرنسية بحيث تسمح لنا هذه الهدنة بتكريس أعداد هامة للعمليات ضد حركة العصيان التي دبرها الكماليون في ثنـية العاصـي. وفي مناطق انطاكية وجسر الشغور وحلب، على الحدود بين الحركة الوطنية التركية والعـربية، يـوجد مركز هام للاضطراب والهياج. وتمتد هذه الحركة إلى الجبال الساحلية وهي حركة مـرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعاطفة الكره للأجانب كما ترتبط بالجامعة الإسلامية وبالحركة الوطنية التركية وكذلك الحركة الوطنية العربية، ومن المهم القضاء عليها ويعمل غوبو لتحقيق هذا الهدف".

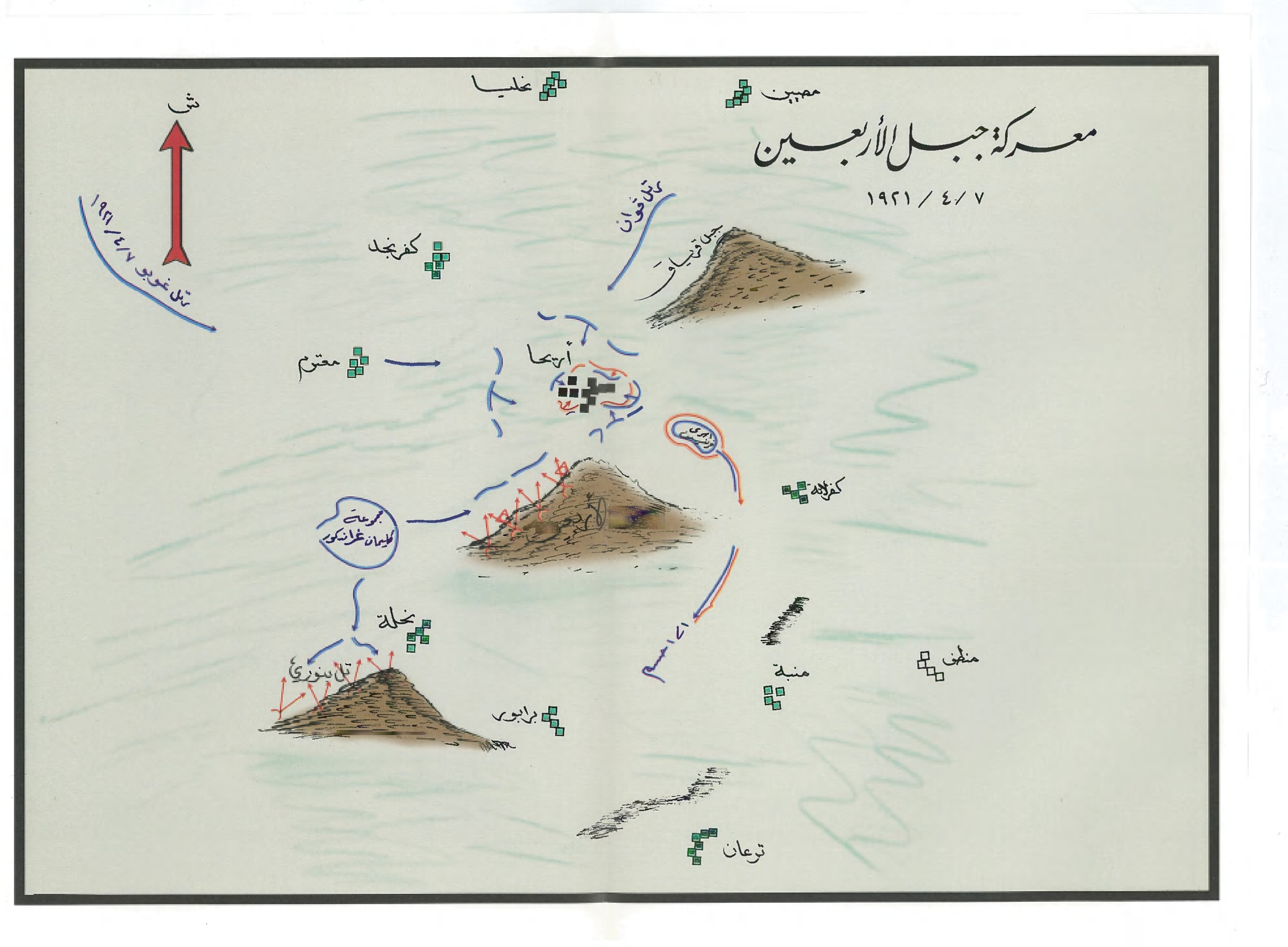
وكـان الكولونـيل نييجر بدوره قد قام بتعزيز قواته العاملة في المنطقة الساحلية بسريتين من الفـرقة المحلية التي نزلت من اللاذقية وكذلك بفصيلتين من الخيالة قادمتين من طرابلس، ونزلت الكتيبة الرابعة من الفرقة الأجنبية في اللاذقية في ٢٥آذار[١٦٢]. وفي هذا الوقت بالذات أشار مرجع فرنسي[١٦٣] بأنـه "لا يزال تهريب السلاح مستمراً على الساحل السوري وتفيد بعض المعلومات أن بواخر نرويجية مـنطلقة من موانئ ألمانية تقوم بهذا العمل. نظمت مصلحة مراقبة واتخذت اجراءات إدارية ضد القرى التي تؤوي المخربين"

ووفقـاً للخطة الجديدة انطلق رتل غوبو في ٧ نيسان ١٩٢١ من جسر الحديد وأقام مخفراً قـوياً في دركـوش بين ٨ـ١١ منه (مع السرية الثانية من الفوج الثاني والعشرين قناصة جزائريين

R.T.A. وفصـــيلة مـــن ٧٥ وفصـــيلة هندسية)، في وقت كان رتل المقدم فوان أمام أريحا بعد أن الـــتحقت بـــه مجمـــوعة كليمان غراندكور(١٦٤)، يحاول الصعود إلى جبل الزاوية عن هذا الطريق. فتصـــدت لـــه المخافر الأمامية المقاومة في جبل الأربعين واشتبكت مع طلائعه في معركة دامية. وقد خشي بعض سكان قصبة أريحا أن ينتصر الجندي الفرنسي ويحتل قصبتهم بالقوة فيعتدي على حرماتهم ومقدساتهم، (كما اعتدى سابقاً على جامع كفر تخاريم)، فرفع بعضهم على بيوتهم رايات بيضاء دفعاً للأذى. وكان الوقت قبل الغروب وظن الجند أن تلك الرايات دليل على استسلام الثوار فدخلها آمناً ظانـــاً أن الأمر قد انتهى كما يريد فما عليه إلا أن يقبل هذا الاستسلام. كما أن الثوار المتحصنين في جبل الأربعين كما يقول الشغوري في مذكراته(١٦٥) "ذهب بهم الظن أن الجند الذي دخل قصبة أريحا إنمـــا هم من المغاربة الذين يريدون اللحاق بنا ومقاتلة الفرنسيين بجانبنا ثأراً لبلادهم وانتصاراً لأبناء لغـــتهم ودينهم. وامتلأت أرجاء أريحا بالمجاهدين والجند وكل يظن نفسه هو الظافر الذي جاء عدوه مستســـلماً إليه، وحين اقترب الفريقان ظهرت لهما الحقيقة فابتدر كل منهم سلاحه ونشبت معركة دامية". ولقد لعبت نساء جبل الزاوية في هذه المعركة دوراً باهراً تجلت فيه بسالتهن العربية الموروثة، وكان لهن الأثر الحاسم بالانتصار في هذه المعركة(١٦٦).

انـــتهت المعركة بأسر قائد القوة الفرنسية الكابتن فانتيكرول وعدد من جنوده يبلغ ٢٥ جندياً مـــن الخيالة، وساقهم الثوار إلى قرية احسم في جبل الزاوية، وكان هنانو يرابط فيها، وأسر الفرنسيون ســـتة مـــن الـــثوار(١٦٧). وقد عامل الكولونيل فوان أسرى الثوار معاملة حسنة وأمر بإطلاق سراحهم وزودهم بكتاب إلى هنانو يرجوه فيه إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين مبيناً أسباب ما حدث. واستقبل هـــنانو أســـرى الفرنسيين وأعاد إليهم أسلحتهم وأرسل معهم مرافقه الخاص الملازم إبراهيم الشغوري ليوصلهم إلى الكولونيل فوان بالذات(١٦٨).

وفي الـــيوم التالي جاء كتاب من الكولونيل فوان يطلب عقد مقابلة مع هنانو علهما يصلان إلى حل يقبله الطرفان وينتهي هذا الصراع الدامي(١٦٩). ووافق هنانو وجاء مصحوباً ببعض ضباطه وبضعة عشرة جندياً وجاء "فوان" ومعه مرافقه فانتيكرول وبعض الجند وتمت المقابلة التي دامت ساعتين ونصفاً في قـــرية كفر نجل(١٧٠). ودار الحديث حول مقاصد الثورة وأهدافها "وهل للثوار طلبات يمكن التوفيق بيـــنها وبين مصالح الفرنسيين ليسعى فوان من أجل تأمينها"(١٧١) ويذكر السعدون في مذكراته(١٧٢) بأن جـــواب هنانو كان "أن للثوار هدفاً واحداً لا يحيدون عنه ولا يتساهلون فيه وهو جلاء الفرنسيين عن


معركة جبل الأربعين
١٩٢١ / ٤ / ٧
ش
غلبيا
مصيبين
كفرنجد
جبل تيناباو
معترم
أريحا
مجموعة سليمان غوانيكو
نحلة
تل بنوري
برابور
كفرلاته
منبة
منطف
ترعان

الـــبلاد السورية بكاملها". وكان جواب الكولونيل "إن هذه القضية لم أفوض بالبحث فيها". ووفقاً لما يذكـــره الشـــغوري[١٧٣] أن الكولونـــيل فوان اعترف أمام هنانو بأن ثورته على حق وأنه ورجاله إنما يذودون عن بلادهم وأمتهم وكرامتهم وأن هنانو شكره على كرمه وصدقه. وتقررت هدنة ٤٨ ساعة كي يتصل الكولونيل فوان بالجنرال دي لاموت في حلب ويطلعه على مقابلته لهنانو ويعود برأيه. وعلى هذا افترق الجانبان يقول الشغوري[١٧٤] (بعد أن لمس كل منهما في صاحبه الصراحة والوفاء).

وفشـــلت هذه المحاولة السلمية، فبدلاً من أن يرحب الجنرال دي لاموت بهذه البادرة، رفضها. وماكـــاد الاجـــتماع ينفـــرط عقده ويعود الثوار إلى قصبة أريحا وردت أخبار عن تحرك الجنرال غوبو للقضاء على الثوار في جبل الزاوية[١٧٥]. سارت حملة غوبو بعد انقضاء مدة الهدنة المؤقتة من جهة أرض الـــروج قرب تل داود باشا، ولعل غوبو كان يقصد احتلال الجبل بصعوده من جهته الغربية أي من تل النبي أيوب الذي يسيطر سيطرة تامة على معظم قرى جبل الزاوية. وأمر هنانو يوسف السعدون بالتوجه لملاقـــاة الحملة وصدها، فأسرع هذا بأربعمائة ثائر إلى ناحية (أرض الروج) واضطر الجنرال غوبو بعد قـــتال عنـــيف إلى تغـــيير اتجاهه. وبذل الكولونيل (فوان) خلال ذلك جهداً كبيراً لاقناع غوبو بقبول المفاوضـــات[١٧٦]، فأرســـل الكولونيل فوان بناء على تفويض من الجنرال غوبو إلى هنانو يقترح عقد اجـــتماع للمفاوضات في مقر الجنرال غوبو في قرية كورين بين ادلب وأريحا. ويذكر آل الجندي[١٧٧] "وقـــد اختلف المجاهدون فيما بينهم: فريق لا يرغب التفاوض مع الفرنسيين قبل جلاء جيوشهم وإلغاء الانتداب والاعتراف باستقلال سورية، وفريق هو الأكثرية، أقرّ هنانو على المفاوضات"[١٧٨].

وقـــد أيـــد الرأي الأول السعدون فقد ذكر أن "قادة الثورة قطعوا على أنفسهم عهداً لله ألاّ يتـــركوا الســـلاح إلا بجـــلاء الأجنبي عن البلاد أو الموت في سبيل الذود عن كرامة الوطن". إلا أن الســـعدون يضـــيف بأن "عروض المفاوضات قد لاقت بعض الصدى بين الثوار". اما الشغوري فيذكر[١٧٩] أن خبر المفاوضات في كورين في معسكر غوبو قد سرى بين الثوار وخافوا أن تكون فيه مؤامـــرة مدبرة للقبض على هنانو وصحبه، فاجتمع إليه رؤساؤهم وأصروا أن يكون الاجتماع لا في مقر الجنرال، بل في منطقة متوسطة بين المعسكرين. ونزولاً عند هذه الرغبة الملحة الصادرة عن رؤساء الثورة، ألحق هنانو كتابه إلى (فوان)، الذي يقبل فيه اللقاء مع غوبو، باقتراح لجعل اللقاء في كفرنجل التي تتوسط المعسكرين كما جرى في الاجتماع السابق مع (فوان). وجاء رد فوان، وفيه يقترح على هـــنانو وضع نفسه (أي فوان) وأركانه كرهائن لدى رؤساء الثورة ريثما يقابل هنانو الجنرال غوبو

ويعـــود مـــع مرافقيه إلى القيادة سالماً "وأثار هذا العرض الحماسي في نفوس الرجال الذين سيرافقون الزعيم في رحلته فاستهانوا بالأخطار، ووافقوا الزعيم هنانو على رأيه القائل يجب أن نذهب للمقابلة مهما كانت النتائج"[١٨٠].

وفي الـــوقت المحـــدد (١٧ نيسان ١٩٢١) خرج هنانو من مدينة أريحا مع عدد محدود من الثوار[١٨١] وفي منتصف الطريق بين المعسكرين استقبلهم الكولونيل (فوان) ورئيس أركانه فانتيكرول، واتجهـــوا جميعاً نحو مركز الجنرال غوبو[١٨٢]، فخرج يستقبلهم على بعد عشرين متراً من مقره، فتصافح القائـــدان وجلـــس الجميع بينما بقي بعض الثوار خارج مكان الاجتماع لأسباب أمنية، (وخلال هذا الاجـــتماع أظهر غوبو غطرسة ورعونة فأعاده هنانو إلى جادة الصواب). وبعد محادثات دامت ثلاث ساعات قدم الجنرال شروطه[١٨٣] وهي: تسليم سلاح الثوار بالكامل، تسليم الرجال الذين باغتوا الحملة في دركـــوش وقـــتلوا قائدها (وهو ابن الجنرال) وبعض الجنود وسلبوا عتادها، مرافقة الزعيم وصحبه وجـــنده إلى مـــناطق الثورة للمساعدة في عملية نزع السلاح وادخال الطمأنينة إلى نفوس الثوار، بقاء هـــنانو وصحبه في ضيافة الجنرال حتى تنفيذ الشروط الثلاثة الأولى، منح عفو عام عن الجرائم المرتكبة ضـــد الفرنســـيين ما عدا حادث دركوش[١٨٤]، تمديد الهدنة المعقودة بين الكولونيل (فوان) وهنانو ٤٨ ســـاعة أخـــرى ريثما يتصل هنانو ببقية الرؤوساء ويتشاور معهم. وبعد أن تنفذ هذه الشروط تشكلّ حكـــومة في كـــل من حارم، إدلب، جسر الشغور، المعرة، قسم من انطاكية، وقسم من جبل سمعان، وتسند رئاستها إلى إبراهيم هنانو، على أن تكون صلاحياته أوسع من صلاحيات باقي الحكام.

ويـــنقل الشـــغوري[١٨٥] ردّ هـــنانو "إن الفرنســـيين دخلوا البلاد السورية رغم رغبة أهلها، فلينســـحبوا مـــنها إلى الخارج، وليعلن في البلاد إجراء انتخابات حرة حتى إذا ما تمت الانتخابات بجو هـــادئ واجتمع المجلس المنتخب، فإن هنانو يكون في طليعة الذين يرضخون لمقرراته، ولو كانت قبول الانـــتداب الفرنســـي، علـــى أن يـــتعهد الجانب الآخر باحترام هذا القرار مهما كان نوعه ...إن من موجـــبات نقمة السوريين على سياستكم الاستعمارية قيام الدويلات، فهل أرضى لنفسي رئاسة دويلة أحـــاربكم مـــن أجـــل تمزيق البلاد إلى دويلات مثلها". وبعد مضي ثلاث ساعات ونصف على بدء الاجتماع، انفرط عقده على أن يعطى الجواب خلال ثمانية وأربعين ساعة من انتهاء الهدنة الأولى، وإلاّ فتكون حالة حرب قائمة ولكل من المتخاصمين أن يلجأ إلى وسائل القتال[١٨٦].

بعـــد انتهاء المباحثات دعا الكولونيل (فوان) هنانو ورفاقه إلى تناول الطعام باسم الجنرال وأصر على ذلك[١٨٧] ووفقاً لما تذكره دراسة فرنسية[١٨٨]، فإن هنانو صرح في ١٧ نيسان بانه لا يستطيع قبول هذه الشـــروط. وقـــد أشار القنصل البريطاني العام في بيروت في رسالته إلى الخارجية[١٨٩] فشل المفاوضات بقـــوله "إن الطلب الفرنسي لاحتلال جبل الزاوية ونزع سلاحه قد رفض"، ونوّهت الرسالة كذلك إلى أن "توقـــف الأعمـــال الحربية على الجبهة الشمالية (التركية) مكنّت الفرنسيين من توظيف قوات أكبر لمعالجة الحركة الثورية في المناطق المضطربة". وتشير الرسالة إلى استمرار غوبو بعملياته في المناطق الثائرة ما بين انطاكية، جسر الشغور، وحلب.

وقـــد عـــادت القـــوات الفرنسية تدعمها المدفعية والدبابات والطائرات لتسلق جبل الزاوية، في العشرين من نيسان، من بضع نقاط تقع في شرقه وشماله، واستبسل أبناء الجبل على رأسهم مصطفى الحاج حســـين ورفاقـــه في الدفاع، وقاتلوا في ظروف غير متكافئة. ويعبّر عن هذه الحالة إبراهيم الشغوري[١٩٠] بقوله: "لقد آلينا على أنفسنا ألا نترك الساحة وفي جعبتنا خرطوش وفي أيدينا سلاح لنبرهن مرة أخرى، كمـــا برهنا في مواقف عدة، على أن الدم المراق وحده هو الذي يغسل عار التراجع كما يسقي غرسة الحـــرية التي تعهدناها أكثر من عشرين شهراً". ولم تنقطع أسراب الطائرات من إلقاء حممها على مواقع الـــثوار بالإضافة إلى قذائف المدافع الجبلية، "إلا أن للطاقة البشرية حداً تقف عنده ولا تقدر أن تتعداه"، يقـــول الشـــغوري، واندفع حوالي ١٠٠٠٠ جندي فرنسي، رغم وقوع القتلى بينهم، لاحتلال مواقع الـــثوار الـــذين لم يـــتجاوز عددهم المئات. وعند المساء انسحب الثوار بعد أن واروا شهداءهم ونقلوا جـــرحاهم وفسحوا المجال للفرنسيين للصعود إلى الجبل، ليجدوا فيه "بيوتاً خاوية وجدرانها قائمة لا أثر للحـــياة فيها إلا للعجزة والمقعدين". وقد كانت قلة الذخيرة من العوامل التي أجبرت الثوار على الانسحاب، وكـــان هنانو قد بعث بنجيب عويد إلى منطقة حماة للحصول على الأسلحة والذخيرة فلم يتمكن من العثور علـــى مبتغاه، وبطريق عودته قام بنسف الخطوط الحديدية في محطة (أبو الضهور) بين حلب وحماة. كما أن رســـولاً آخر عاد خالي الوفاض من تركيا فقد اعتذر قائد الفيلق الثاني التركي عن تسليمه أي كمية ذخيرة تنفـــيذاً لأوامـــر وزارة الخارجية التركية (التي كانت تقوم بمفاوضات مع فرانكلين بويون مندوب الحكومة الفرنسية للاتفاق على سحب القوات الفرنسية العسكرية الفرنسية من كيليكية[١٩١].

يشـــير الجنرال دوهاي[١٩٢] إلى أن غوبو قد طاف في أنحاء الجبل في ٢٦ نيسان ١٩٢١ محدداً شروط الخضوع وناشراً (الأمن) في جبل الزاوية، على الأقل ظاهرياً لان "زعماء (التمرد) غادروا الجبل

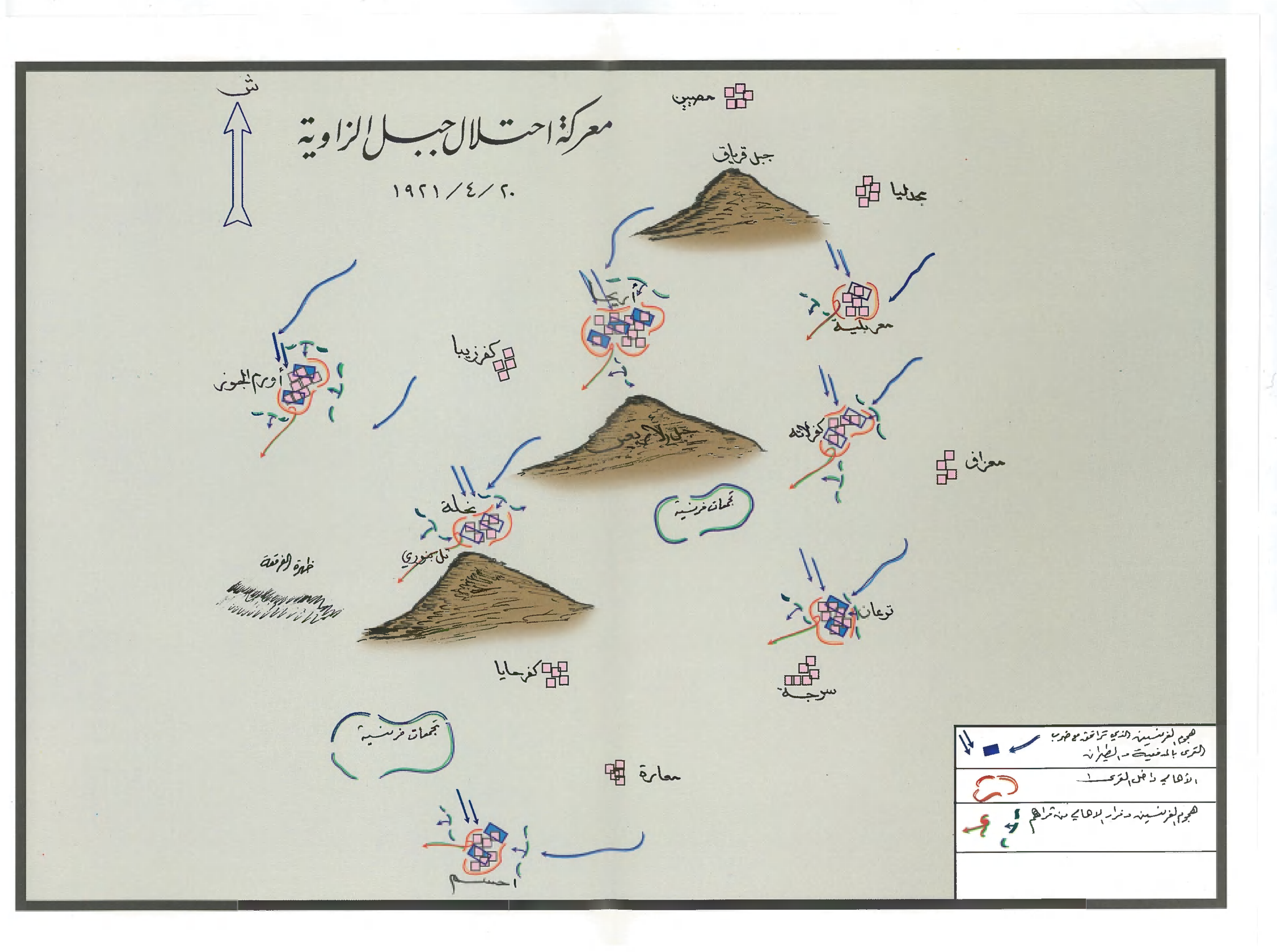
بصحبة نوى عصابتهم، وبعد رحيل هؤلاء أخفى السكان الأسلحة وأعلنوا ارتباطهم بالقضية الفرنسية". ويضيف هاي[١٩٣] "إن غوبو قد نقل رتله إلى جنوب القصير ومنطقة (الأوردو)، حيث ما يزال (التمرد) قائما، لدى وصوله إلى جسر الشغور في ٢٧ نيسان، استقبل بالعيارات النارية من قبل (عصابة) هربت نحـــو الغـــرب، ثم أقام مخفراً في الوقت الذي عادت فيه كتيبة إلى أريحا، لتدعم بوجودها تنفيذ شروط الخضـــوع، وفي ٣٠ نيسان غادر جسر الشغور المقدم كليمان غرانكور، مع كتيبتين من فوجه وبطارية ٦٥ للقـــيام بعمليات في منطقة (الاوردو). وكانت مهمته الأساسية مهمة سياسية، تهدف إلى الحصول علـــى الغرامات والضرائب والأسلحة. ثم ذهب بعد ذلك إلى (بابنا) التي دخلها في ٧ أيار ووضع نفسه تحت تصرف الكولونيل نيجر المكلف بنشر (السلام) في الجبال الساحلية".

لم يكـــن هذا يعني أن الفرنسيين قد تمكنوا من التحكم بالمواقع الثائرة فدراسة هاي المشار إلـــيها[١٩٤] تقـــرّ أنه "رغم استخدام وسائل أكثر أهمية بقيادة الجنرال غوبو في القصير ووادي العاصي خاصـــة، إلا أن (العصـــابات) كانت تتفرق أمام الأرتال لتظهر من جديد في أماكن أخرى: ففي حين كانـــت كـــتائب غوبـــو في جسر الشغور كان (المتمردون) مطلقي الحرية في الجبال شمال إدلب وبين العاصي وطريق السكة الحديدية، كما كان ثوار الجبال الساحلية، يترلون من مواقعهم ليهاجموا الساحل، وكان طريق السكة الحديدية مهدداً".

ط ــ الفرنسيون يصممون على إنهاء الثورتين:

٢ــ ضرب المنطقة الساحلية: أيار-حزيران ١٩٢١:

منذ أواخر نيسان أصبح الثوار في المنطقة الساحلية أكثر شدة، وقد قام نفر من الثوار[١٩٥] بوضع خطـــة للهجـــوم علـــى مدينة جبلة وبعض القرى الساحلية وعلى مركز الفرنسيين في (قرفيص) ومفاجأة القـــوات الفرنسية المتمركزة فيه[١٩٦]. وقسمت القوات المتوافرة إلى خمس فئات بقيادة بعض العقداء[١٩٧]. وقامـــت كـــل فئة بالهجوم على الموقع المخصص لها، ولكن بعضاً من عملاء الفرنسيين اطلعوا على خطة الهجـــوم وتوقيته، فبادر الفرنسيون بضرب القوات المهاجمة من الاستحكامات التي كانت تراقب تسلسل الـــثوار بين الأسلاك الشائكة والتحصينات حول المعسكر، فاضطر الثوار إلى التراجع بعد أن خسروا عدداً مـــن الشهداء[١٩٨]. ووقع بعضهم أسرى، وواجهت بقية الفئات التي هاجمت المراكز الأخرى نفس المصير لأن الفرنسيين كانوا قد استعدوا للدفاع وفقد الثوار عنصر المباغتة واضطروا للتراجع[١٩٩].



معركة احتلال جبل الزاوية
٢٠/٤/١٩٢١
ش
مصيبين
جبل قرباق
بحدليا
معربليه
كفرلاته
معزاف
جبل الأربعين
كفرزيبا
أورم الجوز
نحلة
تجمعات فرنسية
كفرحايا
ترعان
سرجة
تجمعات فرنسية
معارة
احسم
هجوم الفرنسيين الذي ترافق مع ضرب القرى بالمدفعية و الطيران
الأهالي داخل القرى
هجوم الفرنسيين و فرار الأهالي من قراهم

وتحسّباً لهجوم جديد فقد عزز رتل (دوم): وقد سار الجنرال غوبو في مطلع أيار باتجاه أعالي وادي العاصي مع قسم من قواته بهدف الالتحاق برتل دوم. وكانت الخطة وفقاً لما تذكره وثيقة فرنسية[٢٠٠] "أن تهاجم جميع القوات التي تحت أمرة الجنرال غوبو وتلك التي تحت أمرة الكولونيل نييجر منطقة الجبال الساحلية الثائرة: الجنرال غوبو من الشرق والكولونيل نييجر من الغرب". "وتعزو الوثيقة جهود الفرنسيين ضد ثورة الشيخ صالح العلي في هذه المرحلة إلى عنف المقاومة التي كانوا يلاقونها من ثوار الشيخ وإلى خطتهم (أي الفرنسيين) في القضاء عليه أولاً ثم توجيه قواتهم ضد ثورة هنانو[٢٠١]".

لقد ظلت الجبهة الشمالية من منطقة الجبال الساحلية متماسكة العرى منيعة الجانب، وعجز الجيش الفرنسي رغم وسائله الكبيرة عن احتلال الجبال أو النفاذ إليها، وظلت جيوشه مرابطة في الساحل تحميها البوارج وتخفرها الطائرات، والثوار كامنون على الهضاب وفي سفوح الجبال يترقبون ويتربصون ولكن فكي الكماشة قد قاربا على الالتقاء وأوشك التضييق على الثوار[٢٠٢] وقد صور سجل عمليات صادر عن المكتب العسكري الفرنسي في اللاذقية[٢٠٣] الوضع العسكري في المنطقة الساحلية في مطلع أيار على النحو التالي: "أن سكان الجبال الساحلية والمناطق المجاورة لها لا يزالون حتى الآن على عنادهم، يقودهم الشيخ صالح. ولما كانوا يقطنون القسم الجبلي الأصعب والأعلى، وتتضخم أعدادهم بالتحاق القسم الأعظم من (المنشقين) وربما تعززهم ببعض (عصابات) إبراهيم هنانو وبعض الفارين من الفرقة الأجنبية، فهم ينوون الدفاع ببسالة عن معبر جبالهم كما تشهد على ذلك الهجمات العنيفة التي قاموا بها حديثاً على مخفر قرفيص. ولم تنجح أية قوات فرنسية في التوغل بعمق في هذه البلاد، وروح (المتمردين) المعنوية وازدادت حماساً نتيجة بعض الانتصارات المفاجئة التي حققوها على رتلي مانسيه واوزاك. يقدر عدد البنادق بنحو ٢٠٠٠ بندقية". ويؤكد دوهاي في دراسته[٢٠٤] "أن غوبو قد أخذ على عاتقه نشر (السلام) في هذه المنطقة (الغربية)، والتقى الكولونيل نيجر وأرسل إليه رتل كليمان غراندكور الذي وصل إلى اللاذقية في ٨ أيار وأصبح بالإمكان البدء بعمليات نشر (السلام) في المنطقة الساحلية".

وفي تقرير وضعه نيجر[٢٠٥] (بعد الانتهاء من عملياته في المنطقة الساحلية) حدد المنطقة الثائرة بين نهر العاصي شرقاً وجبل القرداحة شمالاً وجبل صافيتا جنوباً، وأقر نيجر بأن الثوار جيدو التسليح والتموين". كان يوجد تحت تصرف الكولونيل نييجر القوات التالية[٢٠٦]:

آ ــ بداية، لدى انطلاقه من الساحل:

ــ الفيلق الحادي والعشرون قناصة جزائريون R.T.A هيئة أركان، الكتيبتان الأولى والثانية.

ــ الفيلق العاشر قناصة سنغاليين R.T.S الكتيبة الثالثة.

ــ الكتيبة الرابعة من الفرقة الأجنبية.

ــ الكتيبة الثانية الهندوصينية.

ــ الكتيبة المختلطة المساعدة (السرية الخامسة من الفيلق الثاني والعشرين قناصة جزائريين R.T.A وسريتين محليتين).

ــ ست سرايا من الفرقة الأجنبية (المحلية).

ــ سريتان من القوى المحلية.

ــ بطاريتان ٦٥.

ــ سرية نقل.

ــ مفرزة لاسلكي /راديو/.

ــ السرب ٥٢.

ب ــ لاحقاً قادمة من وادي العاصي:

ــ الفيلق العاشر قناصة سنغاليون R.T.S هيئة أركان، الكتيبتان الأولى والثانية، سرية خيالة.

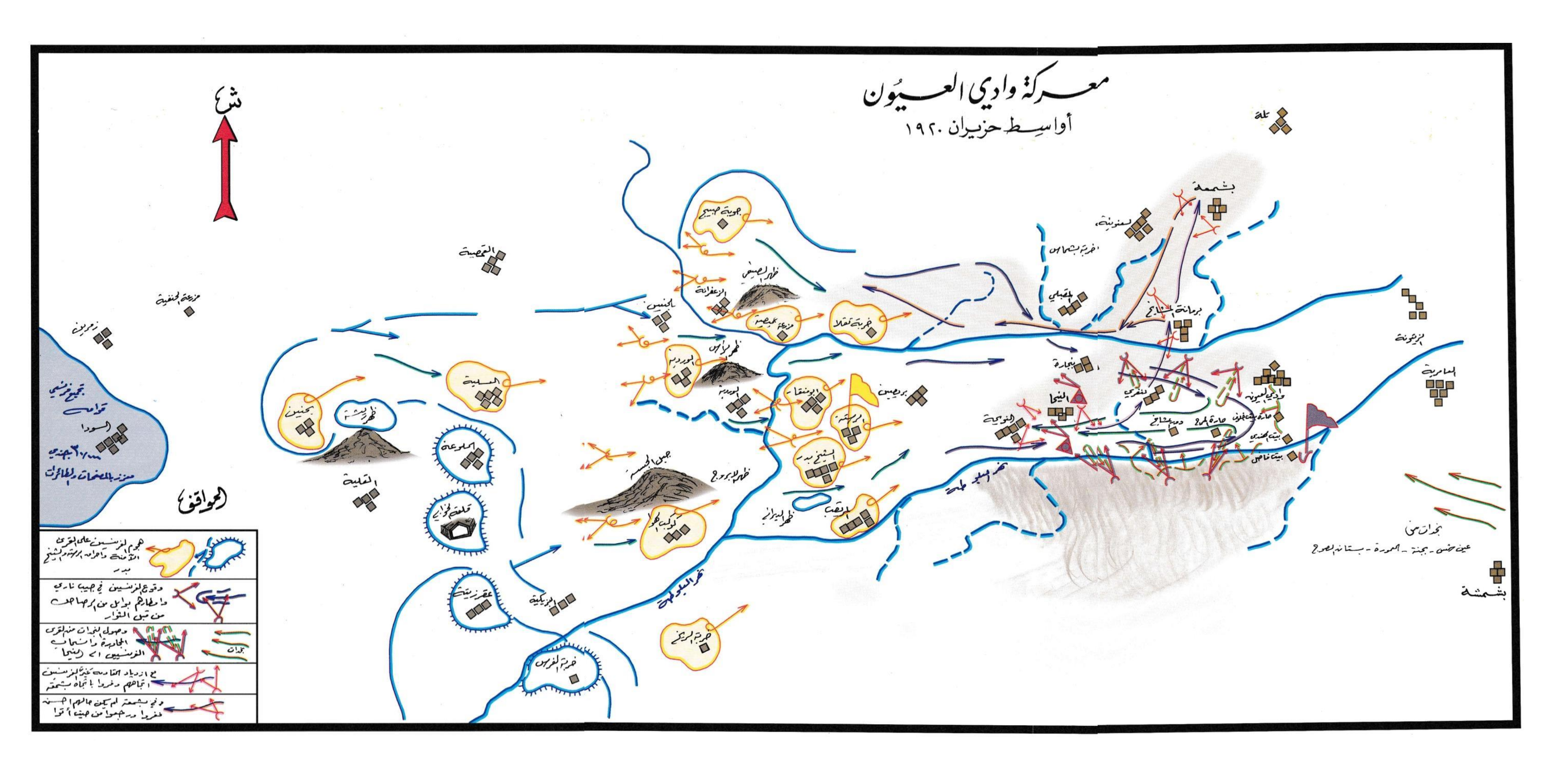
هذه القوات بمجموعها شكلت رتل دوم الذي أصبح اسمه رتل مينيان Maignan بعد رحيل المقدم دوم الذي جرح في ٥ حزيران عند (تميزه).

القوات الأولى آ ــ شكلت ثلاثة أرتال:

ــ رتل كليمان غراندكور:

الكتيبتان الأولى والثانية من الفيلق الحادي والعشرين قناصة جزائريين R.T.A سريتان (سوريتان) محليتان وبطارية ٦٥.

ــ رتل موران :



معركة وادي العيون
أواسط حزيران ١٩٢٠
ش
المواقف

الكتيبة الرابعة الأجنبية، الكتيبة المختلطة المساعدة، بطارية ٦٥.

ـــ مفرزة بولارديير ((Bollardièreالمخصصة للعمليات بالقرب من الساحل:

الكتيبة الثالثة من الفيلق العاشر قناصة سنغاليين R.T.S وكتيبة هندوصينية وسريتين محليتين وكان على القوات الأخرى حراسة المعسكرات الساحلية وتستخدم حسب الحاجة.

ولتموين هذه الأرتال في الجبل أقيمت قواعد على ساحل اللاذقية وجبلة وعرب الملك وبانياس، وفي حمـــاة. ومـــن أجل الوحدات العاملة في وادي العاصي وللانطلاق من هذه القواعد، كانت وسائل الـــنقل على عاتق وحدتين، وحدة الجمال للتموين بالقرب من الساحل ووحدة البغال للتموين في أعلى الجبل[٢٠٧].

وقد تقرر العمل على ثلاث مراحل[٢٠٨]:

المرحلة الأولى: احتلال خط المواقع القوية الممتد من الساحل إلى العاصي.

المرحلة الثانية: احتلال جبل الصرامطة وطريق بانياس ـــ القدموس.

المرحلة الثالثة: احتلال منطقة الرسته، الشيخ بدر (بهدف القبض على الشيخ صالح في مخبأه) [٢٠٩].

في بدايـــة شـــهر أيار كان هدف العمليات الأولية كما يقول الجنرال دوهاي: "اغلاق مداخل المدن الساحلية أمام (المتمردين) وتوسيع قواعد انطلاقها". وفي أيار استولت كتيبة (التوانسة) على موقع قرفيص (٥كم شرق عرب الملك) الذي يسيطر عن قرب على السهل الساحلي.

المرحلة الأولى:

هـــدفت إلى احتلال جبلي كتف البير وسنيبله (سينه) وعلى منطقة قراحله شيراكا بعد عملية تضليل[٢١٠] نفذتها مفرزة بولارديير ضد السحابة في ١٧ أيار. واستولى رتلاكليمان غراندكور وموران، دون صـــعوبة، علـــى الضهر البشري وكتف البير[٢١١] وجبل سنيبله فيما بين ١٨ ـــ ٢٠ منه. وبما أن الســـكان كانـــوا قد لاذوا بالفرار نحو الشرق والجنوب فإن رتل موران وسع منطقة نشاطه نحو الشرق ورتل كليمان غراندكور نحو الجنوب.

في ٢٥ أيار أقيم مخفر في كتف البير، وفي اليوم نفسه قامت سرية مساعدة بمحاولة توجيه ضربة إلى الشيخ بـــدر بهدف القبض على الشيخ صالح إن أمكن ذلك. إلا أن السرية اصطدمت بفرقة قوية من (المتمردين) وفشلت المحاولة.

في الأيـــام التالـــية، بينما كان رتلا كليمان غراندكور وبولارديير، يقيمان حاجزاً شرق جبلة، اجـــتاز رتـــل موران قمة الشعرة في ٢٩ أيار واستولى على عين الكروم، واتصل مع رتل العاصي (رتل دوم) في تل سحب في ٣١ منه.

فـــيما بين ٢ ـــ ١٠ حزيران قام هذان الرتلان (بتنظيف) سفوح الشعرة نحو (فقرو) والشيخ ســـليمان و(تميزه)، حيث جرح المقدم دوم، ثم اجتاز رتل موران الشعرة الثانية. وبما ان الرتل قد أنهكه مســـيرة الجبل فقد توجب إعادة تنظيمه إذ كان من الضروري العمل على إعادة تجهيز القوات ومعالجة الحيوانات.

انـــتهت عمليات المرحلة الأولى ووفقاً لما يذكره هاي[٢١٢] أنه "تمَّ إخضاع بعض الأهالي وأخذ أسلحتهم، بيد أنه على الرغم من النجاحات الأولى هذه والصدى الذي خلفه اجتياز ارتالنا للشعرة فإن نشـــر الأمن لم يمتد نحو الجنوب .. وحضر الشيخ صالح لإضرام المقاومة. فتوجب مواصلة العمليات". وهـــذه حقـــيقة أقر بها غورو في تقريره المرفوع إلى وزارة الحربية في ١٤ تشرين ١٩٢١ المشار له سابقاً[٢١٣] "بدأت دعايتنا تقطف ثمارها عندما أوقفها النشاط الشخصي للشيخ صالح".

إبان هذه السلسلة من العمليات في المرحلة الأولى بلغت خسائر الأرتال كما يذكر دوهاي[٢١٤] ١٥قتيلاً و٤٢ جريحاً و٤ مفقودين.

المرحلة الثانية:

هدفت المرحلة الثانية جبل صرامطة وإلى جنوبه المنطقة الممتدة حتى طريق بانياس ـــ قدموس ـــ مصـــياف، وتتضمن المناورة التي أعدها الكولونيل نيجر وضع حاجز إلى الشرق على الشعرة ينفذه رتل منـــيان، وعملـــية مزدوجة تتكون من هجوم جبهوي على نتوء بشراغي والتفاف حوله ينفذه الرتلان الآخران.

وقــد نفذت العملية (بنجاح)[٢١٥] في ١١ــ١٢ و١٣ حزيران، وبينما كان موران يهجم على الموقــع كــان كلــيمان غراندكور يهاجم في قرفيص ودوير بعبده وقبر محمد جوفان. ولما رأى الثوار أنفسهم مطوقين توقفوا عن المقاومة واتجهوا نحو الجنوب[٢١٦].

واســتؤنفت العملية نفسها للوصول إلى طريق بانياس ـــ القدموس ـــ مصياف. وبعد أن عاد كليمان غراندكور إلى بانياس في ١٣ حزيران انطلق إلى القدموس في ١٥ منه ودخلها عنوة. وفي الوقت نفسه استولى منيان على قمة النقطة (١٤١٠) وقاوم بنجاح هجمات (المتمردين) العنيفة[٢١٧].

وفي الــيوم الــتالي انــتقل كليمان غراندكور إلى دوير بعبدا قاطعاً بذلك انسحاب الثوار نحو الجنوب الشرقي. وبعد توقف لبضعة أيام للقيام بالعمل السياسي أي "قبول الخضوع وتسليم الأسلحة" استؤنف (تمشيط) المنطقة في ٢٥ حزيران وتراصفت الأرتال على طول طريق بانياس ـــ قدموس، ويقدر دوهاي[٢١٨] خسائر الأرتال إبان المرحلة الثانية بـــ ٨ قتلى، و٣٢ جريحاً وثلاثة مفقودين.

المرحلة الثالثة:

بدأت هذه المرحلة[٢١٩] بقول دوهاي: " بقي توجيه الضربة النهائية للتمرد المتمثلة بالذهاب للبحث عــن الشيخ صالح في مخبأه في الرسته ـــ الشيخ بدر، وعلى الأقل تأمين خضوع هذه المنطقة" ويضيف "بعد غزوة لارتالنا في ضواحي وادي العيون وعين شمس للاستيلاء على المواشي العائدة للشيخ صالح قامت ارتالنا بمســيرة نحو المراكز مع المفارز من دريكيش وطرطوس في ٦و٧ تموز، لم تلق أرتالنا مقاومة لكنها فشلت في تحقــيق هدفها فقد نجح الشيخ صالح بالإفلات". وقد أكد هذه المعلومات أمر عمليات صادر عن مركز قيادة نيجر في الرسته[٢٢٠] "وفقاً لمعلومات موثوقة لجأ الشيخ صالح إلى قمة بالقرب من (دوبرنا) ...سينظم العقيد مــوران عملــية ليوم غد هدفها تطويق المنطقة المشار إليها في الخارطة المرفقة طياً، وسيرسل فصيلة إلى قرية دوبــرونا الــتي قد يكون الشيخ صالح قد لجأ إليها. وسيكون تحت تصرف الكولونيل موران سرية ريساك وسيكون لدى مركز قيادة نيجر مرشدون يعرفون القمة المذكورة".

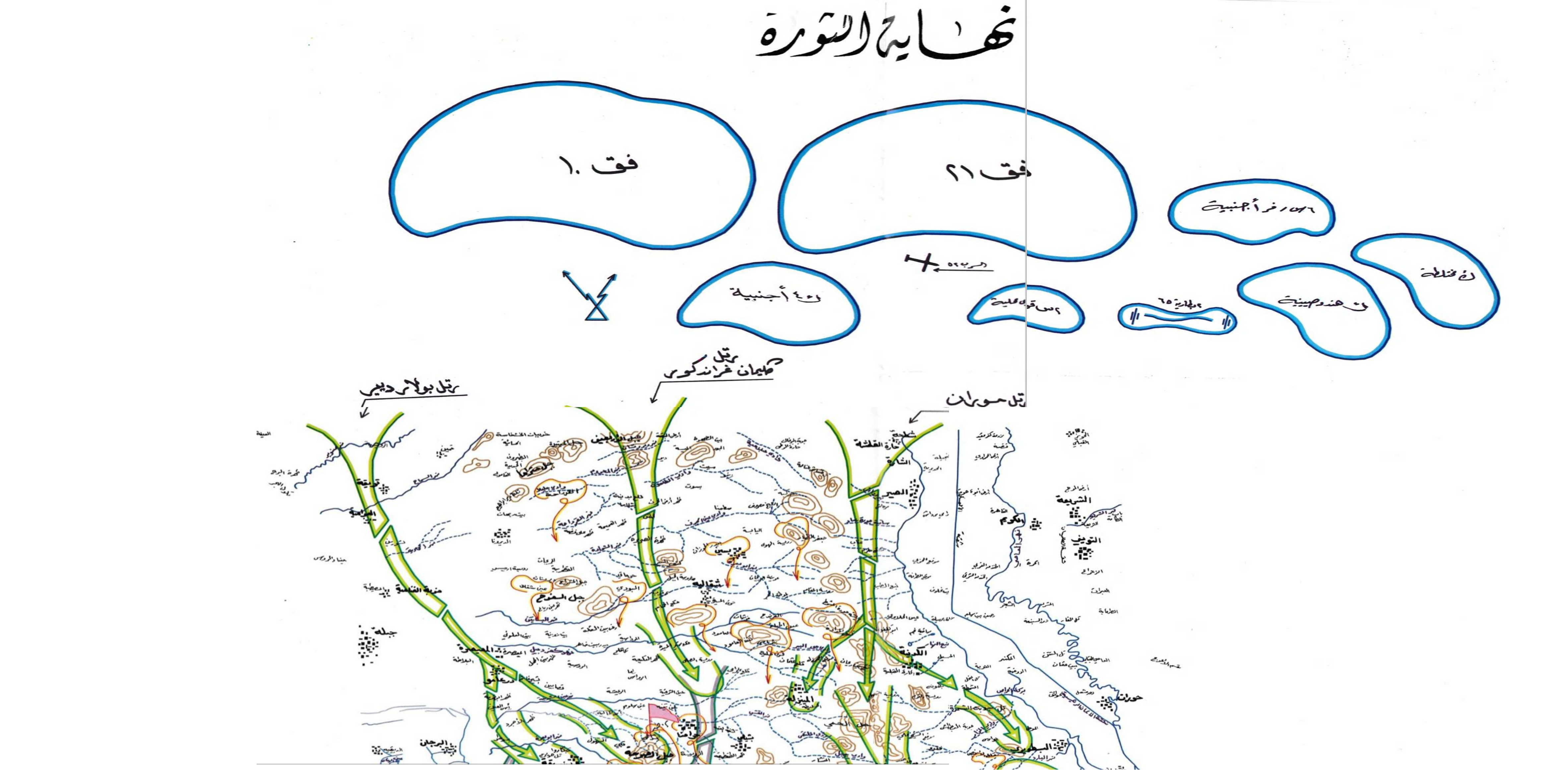
في ٧ تمــوز انــتهت العمليات[٢٢١] وغادر الفيلق ٢١ قناصة R.T.A باتجاه الساحل واللاذقية للالتحاق بالفرقة الرابعة وعاد الفيلق العاشر قناصة سنغاليون R.T.S حمص وحماة.

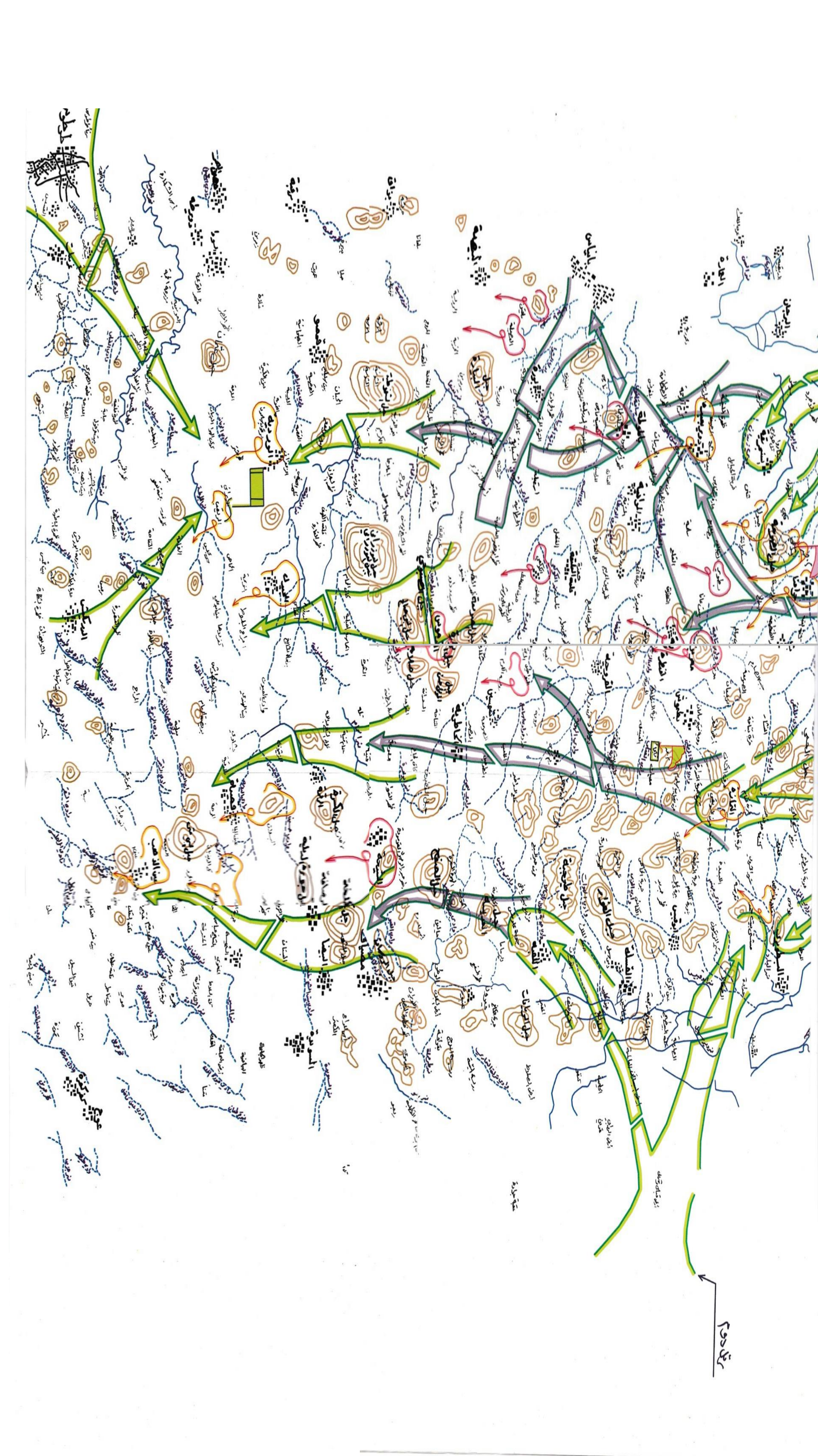
ووفقـــاً لدراسة دوهاي[٢٢٢] فإن العمليات التي جرت حسب الخطة المرسومة "كانت عمليات قاســـية ومضنية بسبب التضاريس التي زادها صعوبة الظروف المفاجئة المقيتة: في عدة مناسبات أعاقت الأمطـــار الغزيـــرة والضباب والعاصفة العمليات وأبطأها أكثر مما كانت بسبب العدو الذي يتصرف بمهارة، وكان غير قادر على مجابهة تقدم الأرتال بمقاومة قوية". ويقرّ غورو في تقريره المشار له سابقاً في ١٤ تشرين الثاني ١٩٢١[٢٢٣] "إن العدو ثابت العزم، جيد التسليح معنوياته عالية".

لقـــد أبـــدى الـــثوار على طول جبهات القتال في المنطقة الساحلية مقاومة عنيفة، وتواصلت الاشـــتبكات لمدة تقارب الشهرين سقط خلالها ضحايا كثيرون وتمكنوا من إشغال ٧ كتائب فرنسية، وأوضحت الاشتباكات التفوق الفرنسي ولكن ليس دون خسائر كبيرة[٢٢٤]. واستخدم الفرنسيون أشد أنـــواع القســـوة والإرهـــاب: وقد تباهى غورو في برقياته إلى وزارة الخارجية[٢٢٥] بالعمليات القمعية المنهجـــية في الجبل بكامله وملاحقة (العصابات المسلحة) في قلب الجبل بلا هوادة والتي يقودها الشيخ صـــالح. وفاخر بأنه تمكن من مطاردة الثوار في جبالهم "التي كانت تعتبر متعذرة البلوغ بالنسبة لقواتنا". وفي بـــرقيته إلى وزارة الحربية، بعد قيامه بزيارة المناطق الثائرة التي أخضعتها قواته، سجل غورو اعتزازه بأن هذه القوات قد فرضت نفوذها على أعلى قمة في الجبال "التي لم يتجرأ الأتراك على الاقتراب منها اطلاقـــاً"[٢٢٦]. ووصـــف غورو الشيخ صالح العلي في برقيته (المرسلة إلى وزارة الحربية في ٥ حزيران ١٩٢٢ بعد استسلام الشيخ)[٢٢٧] كان (عدواً) عنيداً ويعتبر روح (العصيان) في المناطق الساحلية، وإن عملـــيات طويلة وشاقة استخدم فيها ما يزيد على ٧ كتائب سمحت أخيراً باحتلال النقاط الرئيسية في المناطق الجبلية لكن دون الوصول إلى الشيخ صالح".

إن انتهاء المرحلة الثانية من العمليات العسكرية لم يكن يعني نهاية للقلاقل والاضطرابات، فالشيخ صـــالح مـــن وجهة نظر مذكرة فرنسية في ١٠ تموز ١٩٢١[٢٢٨] "كان ما يزال يشكل خطراً على أمتنا والـــنظام في ســـورية". وأقـــرت وثيقة فرنسية ثانية في ١٣ تموز ١٩٢١ هذا الأمر أيضاً[٢٢٩]. واستمرت عملـــيات فرض النظام في المنطقة إلى وقت تالٍ، وهذا ما ورد في تقرير المفوضية العليا للجمهورية الفرنسية في لبـــنان وسورية في مطلع أيلول ١٩٢١[٢٣٠] الذي أشار إلى عمليات تمتد من الجبل نحو بانياس حيث لجأ بعض الثوار.

نهاية الثورة





إلا أنه كان لابد من انتهاء هذه الأعمال نظراً لأن الضائقة التي نزلت في المناطق الثائرة كانت أثقل من أن تحميها كواهل السكان. فمع تزايد الضغط الفرنسي بدأت مواقع الثوار تنهار أمام القوات الفرنسية واضطربت صفوف الثوار وتفرقوا إلى مجموعات تعمل منفردة ونفذت ذخيرتهم. فكانت نهاية الثورة قدراً محتوماً مع سهولة وصول الإمدادات الفرنسية عن طريق البحر، وما كان لها أن تنتهي لو أن الظروف العامة في البلاد كانت تساعد على مدها ولو بأدنى حد من العتاد والمال والسلاح. وانتهى القتال كلياً مع استسلام قائد الثورة بعد عام تقريباً وبسط الفرنسيون سيطرتهم على المنطقة(٢٣١).

ي ـ نهاية ثورة هنانو (حزيران ـ تموز ١٩٢١)

كانت الجبهة الشمالية الغربية قد شهدت، منذ سقوط جبل الزاوية، تفرق الثوار بعد أن شحت الذخيرة إلى درجة كبيرة. وانقسم الثوار إلى مجموعات صغيرة تضرب في طول المنطقة وعرضها من منطقة حماة إلى اسكندرون ومن اللاذقية إلى حلب بحثاً عن عتاد تشتريه أو تسلبه من أيدي أعدائها. وعادت البعثة إلى تركيا خاوية الوفاض لتنقل نبأ عقد الهدنة بين الأتراك والفرنسيين(٢٣٢) في آذار ١٩٢١ وكان من شروط الهدنة تعهد الأتراك بعدم تقديم شيء من المساعدات إلى الثورة في سورية. وفي هذه المرحلة عقد اجتماع بين هنانو وقواته وضباطه بحث فيه الوضع الجديد، وتم الاتفاق على إعادة النظر في أمر التشكيلات وجعلها وحدات صغيرة تختص كل منها بنقطة معينة لها تواصل نشاطها فيها. على أن تتجنب الاشتباك في معركة تجرها إليها الوحدات الفرنسية وتسبب استهلاك الكمية القليلة من العتاد الموجود لديها، فيحل بها الوهن والعجز. وأن يقتصر نشاطها على أعمال التفجير ومفاجأة العدو والمداهمة والانقضاض على وسائل التموين وتعطيل طرق ووسائل المواصلات، إلى غير ذلك من الأعمال بانتظار ما يجيء به الغد(٢٣٣).

لم يكن يعني هذا أن الثوار قد أوقفوا عملهم: ومع أن الجنرال غوبو قد تم له إخضاع جبل الزاوية منذ أواخر نيسان كما ورد سابقاً، واستخدم قوات كبيرة في القصير ووادي العاصي إلا أن "(العصابات) كانت تتفرق لتعود وتتشكل من جديد في الجبال شمال إدلب وبين العاصي وطريق السكة الحديدية التي كانت هدفاً لهجمات متعددة". ذكر ذلك هاي(٢٣٤). وفي الوقت الذي كانت فيه القوات الفرنسية قد صممت على وضع حد للثورة في المنطقة الغربية قام القائد العام لجيش الشرق بتكليف الجنرال غوبو بمهمة تنسيق عمل الفصائل الثلاث الموجودة في منطقته (فوان في جسر الشغور، ودوم في

محـــردة، وفـــان Ving في الحمدانية)، وبإيجاد حل للوضع بين العاصي والسكة الحديدية[٢٣٥]. اجتمعت الفصـــائل الثلاث واتجهت من معرة النعمان وخان شيخون والحمدانية نحو السكة الحديدية في ١٧ أيار بهـــدف شـــن هجوم على قبائل الموالي، الذي أشار الطيران إلى تجمعهم في منطقة قطرة (١٨ كم عن معـــرة الـــنعمان). وفي ١٩ مـــنه فاجأت فصيلة (فانغ) معسكرات الموالي واشتبكت معها في معركة واستولت على قرية قطرة، ولكن عاصفة عنيفة هبت ظهراً وحالت دون متابعة القصف الجوي. وبعد بضـــعة أيـــام اكتشـــف الطيران إلى شرق الخط الحديدي معسكرات الموالي، ودفعت بعض عمليات القصف الجوي الموالي تقديم خضوعهم.

بعـــد هذه العملية انطلقت فصيلة (فوان) باتجاه إدلب ووصلتها في ٢٧ منه وبقي فانغ في الحمدانية لتغطية السكة الحديدية، وانتقل المقدم (دوم) نحو السقيلبية وجسر العشارنة، وأصبح على استعداد للمشاركة في العمليات الجارية في المنطقة الغربية. وعاد الجنرال غوبو إلى اسكندرون. وإبان هذه العمليات لم تواجه ارتال الجنرال غوبو إلا الموالي، أما بالنسبة لثوار هنانو فقد اتجهوا نحو الشمال وعادت القوات الثائرة في المنطقة الساحلية إلى الجبال وتركت وادي العاصي.

يضيف الجنرال دوهاي[٢٣٦] "في أثناء ذلك تدهور الوضع بحدة حول ادلب وفي السهل بين هذه المديـــنة وحلـــب فقد كانت (العصابات) تجوب وتقتحم القرى وتجند الرجال وتفرض المساهمات من الـــذهب والحـــيوانات، وأعلـــن قائم مقام إدلب أن المدينة محاطة بالجيتا .Tchètès. وفي أريحا ظهرت ملصـــقات تدعـــو جمـــيع العرب إلى (التمرد)، على الرغم من إصدار الجنرال دي لاموت إعلانا يدعو ســـكان جبلي الزاوية وباريشا إلى النظام والعمل، فإن الوضع لم يتحسن وصدر إعلان جديد في أريحا بحصـــار إدلب بتاريخ ٢١ أيار، كانت المدينة مهددة بقيام عصابات هنانو والزعماء (المتمردين) بهجوم ضـــخم علـــيها، في ليلة ٢٠ــــ٢١ أيار قطعت الاتصالات الهاتفية مع حلب، وبعد توصيلها صباح ٢٥ قطعت من جديد بعد الظهر. والمدينة نفسها لم تكن آمنة".

وتضـــيف الدراســـة الفرنســـية المشار إليها سابقاً[٢٣٧] (بأن زعماء (العصابات) الذين عقدوا اجـــتماعاً في ٢٥ أيـــار ١٩٢١ قرب حلب ينوون قطع خط السكة الحديدية جنوب المدينة، فأرسلت فصـــيلة بأمرة الرائد لو سينشال Le Senechal في ٢٦ منه إلى هذه المنطقة، واشتبكت في معركة أوروم الكـــبرى (٢٠ كـــم جنوب غرب حلب) مع (عصابات) مكونة من نحو ٣٠٠ ـــ ٤٠٠ رجل وقد تم

صــدّهم. وفي ٢٧ أيار وصلت فصيلة (فوان) إلى إدلب وكان لابد من عمليات عنيفة لإعادة الهدوء إلى المـنطقة الثائرة ...وأشير إلى أن المقر العام (للعصابات) هو كولي في أسفل جبل باريشا كما أشير أيضاً إلى وصول دعم من القوات النظامية التركية إلى جنوب غرب حلب في ٣١ أيار بقيادة عاصم بك[٢٣٨] قــدر قــوامها بكتيــبة مكــونة من ٧٠٠ رجل لديها مدفع واحد أو اثنان والعديد من الرشاشات. واصــطدمت فصيلة فوان مع هؤلاء الرجال في ٢ حزيران في قولي وردتهم بعنف، ثم استدعيت الفصيلة إلى حلــب ووصــلتها في ٦حزيران. أما مجموعة فانغ فقد اتجهت نحو الشمال على طول خط السكة الحديدية وفي ٥ حزيران كانت في أبو ضهور وقامت بعمليات استطلاعية نحو الغرب.

وخلال الفترة ذاتها ــ أي بين أواخر نيسان ومطلع حزيران ١٩٢١ ــ كان اقليم اسكندرون في حالــة اضطراب من وجهة نظر غوبو[٢٣٩] فقد كانت المنطقة بمجملها معبراً (للعصابات)، وبالتعاون مــع مجمــوعات من الجنود الأتراك النظاميين كانت تهدد طرق المواصلات وتهاجم قوافل البريد وتقطع خطــوط التلغراف وتنسف جسور الخط الحديدي وتهدد المخافر، وخاصة تلك القائمة عن طريق السكة الحديدية ومع أن غوبو عمد إلى تشكيل مجموعتين فرنسيتين متحركتين من أجل "حماية أمن هذا الأقليم"، يشير إلى ذلك الجنرال هاي في دراسته[٢٤٠]، فقد "انعدم الأمن على الطريق المؤدي من أقليم اسكندرون إلى حلب وأصيبت الأعمال بالشلل" ومع أن الدراسة تشير إلى شيء من الهدوء في الأقليم عند منتصف شــهر حزيــران إذ "قــيل أن (العصابات) تلقت أمراً بعدم القيام بأي عمل قبل مرور شهرين للسماح بالقــيام بأعمال الحقول"[٢٤١] إلا أن الوضع قد تدهور تدريجياً في القصير وهدد بالفشل محاولات غوبو لفرض (النظام) والسلطة الفرنسية[٢٤٢].

وظل الوضع خارج إدلب، في مطلع شهر حزيران قلقاً، ولم يحسن رتل (فوان) الوضع هناك وتشــير دراسة دوهاي[٢٤٣] إلى (العصابات المتمردة) المنتشرة في قولي واللاجئة إلى جبل باريشا والتي كانــت على استعداد للعودة إلى القرى واستئناف عملها. ويذكر هاي كذلك فشل العمل السياسي الفرنســي في المــناطق المجاورة لحلب "فقد جرد قائمقام حارم ومعرة النعمان من سطلته في مركزه، ولابقاء للقائمقامية إلا بفضل وجود الحاميات الفرنسية، وفي إدلب خاصة، بقي الوضع متأزماً فالمدينة محاطــة مــن جميع جوانبها بسكان يؤيدون القضية الوطنية، والدرك لا يجرؤ على الخروج من المدينة وأريحــا محرومة من الإدارة وجميع قرى الجبال المجاورة (الزاوية وباريشا وسمعان) وقرى سهول إدلب والــروج تحــت سيطرة (عصابات) هنانو ونجيب عويد ومصطفى الحاج حسين .. وعلى الرغم من

عملـــيات الارتـــال الجارية منذ كانون الأول ١٩٢٠ فإن منطقة جنوب غرب حلب هي بين ايدي (المتمـــردين) ...الخطـــوط الهاتفـــية مقطوعة باستمرار، التنقل خطر، والحياة الاقتصادية في المنطقة مشلولة".

وقـــدر دوهاي عدد القوات[٢٤٤] المعادية العاملة غربي حلب وجنوب غربها بنحو ٥٠٠٠ رجل في حوزتهم مدافع وأسلحة آلية. ويذكر أن هذه القوات كانت تقسم إلى مجموعتين تضم كل منها كتيبة وفـــرقة خـــيالة نظامية (تركيتين): مجموعة في الشمال في سفوح جبال باريشا تحت إمرة إبراهيم هنانو والمقـــر العام في قولي. والمجموعة الثانية في الجنوب في جبل الزاوية يقودها مصطفى الحاج حسين والمقر العـــام في عشـــيم. هـــذا بالإضافة إلى (عصابات) عثمان شاويش وعمر البيطار التي تنشط في وادي العاصي[٢٤٥].

ويعـــزو الجنـــرال دوهاي[٢٤٦] إلى الأتراك مهمة قيادة عمل (العصابات) "وأن هذه العصابات كانـــت تنوي تخريب خط السكة الحديدية والاستفادة من سفر المفوض السامي إلى حلب، (كان على المفـــوض السامي أن يأتي إلى حلب بين ٢٧ حزيران إلى الأول من تموز)، للهجوم على المراكز الفرنسية في إدلـــب وجسر الشغور ودركوش وكفر تخاريم، وبعد ذلك توجه العمليات إلى حماة. ولمواجهة هذا الخطـــر أنشـــأ قائـــد الفرقة الثانية بتاريخ ١٠ حزيران ١٩٢١ قطاع تغطية غرب حلب Secteur de Couverture Ouest d'Alep وأوكـــل قيادته إلى العقيد ديبيوفر الذي عاد من منبج بعد أن "أعاد إليها الهدوء".

كانت المهمة الأساسية لقطاع التغطية[٢٤٧].

أ ـــ الإقامـــة علـــى محور حلب ـــ حماة ومنع (العصابات) من الوصول إلى السهل بين ســـفوح الجـــبال وخـــط السكة الحديدية، وكل تسلل إلى السهل يجب أن يرد دون الاشتباك في الجبل حتى إشعار آخر.

ب ـــ تأمين تغطية خط السكة الحديدية أثناء سفر المفوض السامي.

ج ـــ إعادة الهدوء والطمأنينة إلى البلد[٢٤٨].

وقسمت عمليات قطاع التغطية إلى ثلاث فترات[٢٤٩].

أ ـــ من ١١ حزيران حتى ٩ تموز عمليات في السهل وتغطية خط السكة الحديدية.

ب ـــ من ١٠ تموز حتى ٢٧ منه عمليات في جبل الزاوية وسهل العاصي.

ج ـــ من ٢٨ تموز حتى ١١ آب عمليات في الجبال الشمالية.

وبدءاً من ١٩ تموز كان على الفرقة الرابعة أن تقوم بعمليات في غرب العاصي.

بالنسبة للفترة الأولى أي ١١حزيران ـــ ٩ تموز ١٩٢١:

توجهت مجموعة ديديهجان منطلقة من حلب في ١١ إلى معرة النعمان وخان شيخون وانتقلت بعد ذلك إلى معرة حرمة أما بالنسبة للخيالة تحت أمرة الرائد فانغ فقد قامت بعمليات استطلاع في المنطقة الواقعة إلى جنوب جبل الزاوية حتى العاصي بأكملها، ووجدت المنطقة خالية من (العدو) أيضاً، وبرأي العقيد ديبيوفر أن "عمل مجموعاته كان عملاً إيجابياً لأنه في أقل من عشرة أيام اختفت (العصابات) نحو الشمال وعاد الهدوء إلى السهل بين الحمدانية والسقيلبية".

في ٢٤ حزيران عادت المجموعتان إلى معرة النعمان لكن مجموعة ميشيل التي ضمت حديثاً إلى قطاع التغطية وصلت إلى معرة النعمان، في ٢٥ منه، واشتبكت في معركة فيها، وفي ٢٨ منه استولت على زردانه (٧ كم غرب المعرة) مركز (التمرد) وهزمت (المنشقين) واستولت على العديد من البنادق واضرمت النار في أكوام القش حيث أخفيت الذخيرة.

بدءاً من ٢٦ حزيران وضع جهاز خاص لتأمين حماية خط السكة الحديدية استعداداً لمرور الجنرال غورو، وكانت مهمة القوات المتمركزة من الشمال إلى الجنوب في المعرة وسراقب ومعرة النعمان وتيمانية تغطية خط السكة الحديدية مع الاستمرار في مراقبة جبلي الزاوية وسمعان وسفوحهما، وكان على فرقة خيالة حماة أن تكمل هذه المهمة في الجنوب حتى جسر خط السكة الحديدية على العاصي.

في نهاية شهر حزيران يشير ديبوفر في تقريره إلى إنسحاب (العصابات) نحو الشمال مع وجود بعض العناصر في الغرب في جبل فازات وروج أوفازيه. وأما في جبل الزاوية فلم يبق إلا مجموعة قوامها ٢٥٠ ـــ ٥٠٠ رجل مع مصطفى الحاج حسين، الذي هو باعتقاد ديبيوفر مستعد لتقديم خضوعه.

وقـــرر العقـــيد ديبيوفر في ٣ تموز ١٩٢١ تعديل نظم مجموعته وجعلها في أربع جماعات[٢٥٠] وضعها باتجاه الشمال والغرب بهدف منع تسرب عناصر العدو إلى السهل.

مـــنذ ٤ تمـــوز زار الجنـــرال دي لاموت برفقة حاكم دولة حلب، إدلب وأريحا، وفي ٧ تموز جددت الجماعة الثالثة العملية التي نفذت قبل شهر في قولي (وهذه القرية تعد المقر العام ومركزاً لتجمع الشيتا أو الجيته).

كانـــت نتيجة العمليات التي جرت في المرحلة الاولى وفقاً لما تقوله دراسة فرنسية[٢٥١] "إخلاء الســـهل والمناطق المجاورة لخط السكة الحديدية والطرق بين إدلب وحلب وإدلب وحماة. وقد لجأ الثوار إلى الجـــبال وكان على القوات الفرنسية ان تذهب إلى هناك للبحث عنهم ولكن في ٧ تموز علم العقيد ديبيوفـــر بوصول قوات تركية مع إبراهيم هنانو إلى جبل الزاوية. فقرر البدء بالقضاء على هذه القوات ليطمـــئن علـــى مؤخرته قبل العودة نحو الشمال". وتضيف الدراسة أنه "بهدف تنظيم خطته قام العقيد ديبيوفر بتجميع قواته في ثلاث جماعات في ضواحي أريحا، وانتقلت هذه القوات باتجاه الجنوب والغرب، لتبدأ المرحلة الثانية من خطته".

تشـــير المراجع العربية بمجملها إلى تطورات هذه المرحلة من ثورة هنانو وإلى أن الحملات الفرنسية قـــد أفـــرغت جهـــدها لمطـــاردة الثوار والقضاء على الثورة التي طال أمدها. ومع ذلك فقد واصل الثوار اشـــتباكاتهم متخذين خطة مهاجمة القوات الفرنسية والاعتصام بالجبال مما أدى إلى وقوع الارتباك والبلبلة في صـــفوف الفرنســـيين. وكانت قد انضمت إلى قوات هنانو قوات كبيرة من ثوار الشيخ صالح بعد اقتحام الفرنســـيين لمعاقلهم بجيوشهم[٢٥٢]. إلا أن تكاثر جيوش الفرنسيين التي أخذت تطوق الأماكن والمعاقل التي يـــرابط بهـــا الثوار وتتجول بأفواجها في المناطق التي لم يكونوا قادرين على التجول فيها من قبل، أدت إلى ارتداد قوات الثوار أمام القوات الكبيرة[٢٥٣]. وسددت ضربة أليمة إلى ثورة هنانو في مطلع تموز ١٩٢١ بعد أن وجهت فرنسا كل القوات التي كانت في مناوشات دائمة مع الأتراك إلى مناطق الثورة نتيجة لحالة الصلح الـــتي سادت بين الطرفين. ويذكر الشغوري[٢٥٤] أن رسولاً خاصاً من تركيا برتبة ضابط جاء يدعو القوات التـــركية الموجـــودة في سورية إلى اللحاق بتركيا تنفيذاً لاحكام الاتفاق المعقود بين فرنسا وتركيا، فبدأت الـــثورة تضمحل وينضب معينها وتتفكك عراها، إضافة إلى أن السكان كما يقول الشغوري[٢٥٥] "قد ملّوا حياة القلق والاضطراب ومالوا إلى الهدوء والاستقرار تخلصاً من النكبات التي ينـــزلها بهم الفرنسيون".

وزاد في بلبلة الموقف اعلان الفرنسيين العفو العام عن الثوار الذين يلقون سلاحهم ويستسلمون، فدبّ اليأس في قلوب الثوار بعد أن تضافرت كل العوامل على الوقوف في وجههم وشل نشاطهم[٢٥٦] فتقاطروا على هنانو يستشيرونه في أمر الاستسلام، وفي هذا الجو الخانق وقف هنانو بين رفاقه وقلوبهم تتفطر ألماً وأعلن موافقته على استسلام من يريد الاستسلام، طالباً منهم أن يظلوا محتفظين بشجاعتهم حتى يحين الوقت لمعاودة القتال. يصف الشغوري هذه اللحظات[٢٥٧] قائلاً: "كان لهذا النبأ الوقع الأليم في النفوس فهزتها المشاعر وأسال من مآقيها العبرات لا خوفاً من المستقبل المظلم ولا رهبة من العدو المستعمر بل أسفاً على جهاد لم يعد بالإمكان متابعته وعلى أوطان تسلم للغاصب وفي العروق دماء". وفي هذا الاجتماع أعلن هنانو عن عزمه على الالتحاق بشرقي الأردن، ولم يكن هذا رأي جميع قادة الثورة[٢٥٨].

إن إجبار الثوار على التوقف عن نشاطهم ورحيل هنانو إلى شرقي الأردن (١١ تموز) لم يكن يعني وضع حد للأعمال القتالية في مناطق الثورة على الجبهة الشمالية الغربية. فقد ظلت منطقة القصير على سبيل المثال تشهد معارك متقطعة بقيادة يوسف السعدون[٢٥٩]. والواقع أن الوضع في منطقة القصير كان قد تدهور وفقاً لما تشير له دراسة الجنرال دوهاي[٢٦٠] منذ مطلع تموز ١٩٢١. ويعزو ذلك إلى تحرك (عملاء كماليين) منهم اوزدمير وبدري بك الشركسي وقوة من الجنود الأتراك النظاميين ويشير دوهاي إلى إقامة نوع من الحكومة المحلية في المنطقة قامت بتجنيد الرجال وجباية الضرائب. وقد أشار السعدون في مذكراته[٢٦١] إلى اضطرار الثوار في هذه المرحلة الأخيرة لتجنيد فتيان في الثانية عشرة إلى الرابعة عشرة من عمرهم وذلك لحاجتهم الماسة إلى هؤلاء. ويذكر السعدون أن أول دفعة حضرت من المجندين كانت تتراوح بين ٨٠٠ـــ١٠٠٠ مجند، وأن القرى قد أخذت على عاتقها إعاشة المجندين الذين كان يدربهم ضباط عرب سوريون من المنطقة. ويضيف السعدون: "إن الفرنسيين لما أخذوا علماً بهذا التدريب لجيش نظامي وعلموا أن الأمر قد تطور من ثورة إلى حكومة جندوا جميع قواتهم لخنق هذه الحركة في مهدها والقضاء على هذا الجند الفتي قبل أن يشب ويقوى ساعده".

وكان على الجنرال غوبو أن يجابه الوضع المتردي في منطقة القصير[٢٦٢]: ففي الوقت الذي كان فيه الكولونيل ديبيوفر يواصل العمل في شرقي العاصي، شكل الجنرال غوبو رتلاً ليعمل في غربي النهر وكان على هذا الرتل أن يذهب من انطاكية حين وصول الرتل العائد من اللاذقية، وكان رتل القصير هذا بأمرة المقدم عبادي (Abadie)[٢٦٣] وبعد أن انطلق هذا الرتل من انطاكية في ١٩ تموز واجه عدة

صدامات في ٢٠ و٢١ منه ألحقت به بعض الخسائر. ووصل إلى الأوردو في ٢٢ منه حيث التقى كما هو مقـــرر مـــع رتل كليمان غراندكور الذي كان قد شارك لتوه في العمليات في منطقة الجبال الساحلية، ثم اســـتأنف الرتلان سيرهما باتجاه الشمال لمتابعة العمليات. وتضيف دراسة الجنرال دوهاي[٢٦٤] إلى أنه قد عُلم حينئذ أن اوزدمير وقوات بدري بك التركية النظامية غادرت القصير ليلة ٢٣ ـــ٢٤ تموز متجهة نحـــو الشمال. وفي الرسالة التي كتبها اوزدمير إلى حاكم انطاكية العسكري أعلن عن رحيله قائلاً إن الأعمـــال الحربية انتهت تنفيذاً للأوامر الصادرة عن مرعش. وبعد فترة وجيزة أشار المقدم ابادي إلى اخـــتفاء (العصـــابات) والتقدم السريع الذي أحرزه العمل السياسي. وفي ٤ آب ١٩٢١ انتقل رتل عبادي إلى شرق القصير للالتقاء مع رتل دييبوفر الذي كان يعمل آنذاك على الضفة الأخرى للعاصي ثم عاد إلى انطاكية في ١١منه.

إثر العمليات التي قام بها رتلا دييبوفر وعبادي على جانبي العاصي ورحيل الأتراك من المنطقة، كـــان من الطبيعي كما يذكر الجنرال دوهاي[٢٦٥] "أن يحقق نشر الأمن والسلام تقدماً هائلاً". ولكن كـــان على دييبوفر ان يواصل عمليات (قطاع التغطية) الذي يتولى قيادته في الجبال بين (٢٨ تموز إلى ١١ آب) أو بمعـــنى آخر "أن يقوم (بتنظيف) الجبال المحيطة بكفر تخاريم وجبال باريشا وعلى ودوفيلي وموســـواس حيث لا يزال بإمكان بعض (العصابات) اللجوء إليها"[٢٦٦] ولذا كان على المجموعات المتحركة أن تواصـــل القـــيام بمهمـــات الرقابة وإقامة المخافر وملاحقة العناصر (المتمردة) وتغطية ممرات العاصي بين دركوش وجسر الشغور بحيث تمنع (المنشقين) القادمين من الضفة الشمالية من اجتياز النهر[٢٦٧].

ومـــع أن الفرنسيين تمكنوا بعملياتهم التدريجية من فرض (الأمن) في المناطق التي كانت مسرحاً لثورة هنانو، في وقت كانت القوات الثائرة تتفكك وتتوارى[٢٦٨]، فقد أقروا أن الأوضاع في مطلع آب ١٩٢١ ظلت غير آمنة بجوار حلب "وإن (العصابات) المحلية التي كانت تتزود بالمؤن بواسطة مؤيديها في المـــدن ظلـــت علـــى نشاطها حتى الخريف[٢٦٩]". وسجلت برقيتا غورو في ٨ و١١ آب ١٩٢١[٢٧٠] تـــبجحة واطـــنابه بإخضاع المناطق الثائرة وفرض النفوذ الفرنسي بعد قيامه بزيارة استعراضية في تلك المناطق وهو يعتبر أن نجاح عمل القوات الفرنسية في المنطقة الساحلية يكمله النجاح على جبهة الشمال والشمال الغربي.



هوامش الفصل الثالث

(١) يعجب السعدون في مذكراته، ص ١٩، من سهولة استسلام المدن للجيوش الفرنسية، فيقول: "وأن الإنسان لعجيب من أحوال المدن السورية وأخص منها المدن الكبرى مثل دمشق وحلب فقد احتلتها الجيوش الفرنسية بكل سهولة من دون أن يصاب لها جندي واحد بأذى".

(٢) Khoury, p.101.

(٣) العلواني، ص ١٢٠.

(٤) GR. du Hays. P.177.

(٥) Ibid.

(٦) Affaires Etrangères, No.1695/6, Beyrouth, 5/9/1920.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣١ وص٩

(٧) Affaires Etrangères, No.1802/6, Beyrouth par Port-said, 9/10/1920

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣١ وص ٣٩١.

(٨) ومنها علي رضا، ص٤٣.

(٩) هم أحمد الحسن، سليم شاويش، عبود وسوف، (أبو منقار) علي سليم.

(١٠) مقابلة شخصية مع علي محمد خطيب، سليم حبيب، سليمان غانم.

(١١) العلواني، ص ١٢١.

(١٢) لونغريغ، ص ١٥٦.

(١٣) ذكـــر بعض أقرباء الثوار في مقابلة شخصية أن لقب العقداء كان يطلق على قادة الثورة رؤساء أركان الشيخ صالح.

(١٤) العلواني، ص ١٢١.

(١٥) مذكــرات الشغوري، ص٥، في حين تذكر المراجع الأخرى، أن هنانو انسحب إلى مسقط رأسه في كفر تخاريم.

(١٦) Khoury, p98.

يذكر المؤلف أنه قد سبق احتلال حلب تحليق طائرات فرنسية فوق المدينة واسقطت منشورات تدعو السـكان التسليم للاحتلال الفرنسي. ويذكر السعدون في مذكراته ص ١١ أن عدداً من الثوار من مـنطقة القصير وكفر تخاريم قد ذهبوا للدفاع عن حلب ولكن وصلوها بعد احتلال الجيش الفرنسي للمدينة. ويبدي السعدون أسفه لأن المدينة لم تبد أي مقاومة "رغم أنه كان موجوداً بها جيش منظم ومـدرب وكذلك أهل المدينة كانت كلها مسلحة من مخلفات الجيش العثماني ومع هذا لم يصادف العدو أي مقاومة".

(١٧) Khoury, p.108.

(١٨) يذكـر الشغوري، ص٥، أن من الاساليب التي اتبعها هنانو وأعوانه هو اعطاء أحد الرسل مبلغ ١٥٠ لـيرة عثمانية كان كل ما يملكونه. وعاد الرسول بعد أن استبدل المبلغ بعملة فضية ووضعه في كيس مختوم بالشمع للدلالة على أنه وارد من مكان آخر وبصورة مضمونة. وأعلن الرسول أن هذا المـبلغ ما هو إلا السلفة الأولى من الأجر زيد، وأن السلاح الوافر والعتاد والمال الكثير في طريقه إلى الثورة. انظر الفصل الرابع ص ٢٢٧.

(١٩) المرجع الرابع، ص ٦.

(٢٠) مذكرات السعدون، ص ١٣ـــ١٤.

(٢١) المـرجع السـابق، ص ١٤، وتشير المذكرات إلى أن صبحي بركات قد تقاضى أجر خيانته من الفرنسيين في حلب.

(٢٢) GR.du Hays, p.446.

(٢٣) Ibid.

(٢٤) Ibid, p.447.

ويذكر المؤلف أن منطقة كفر تخاريم كانت تشكل "نقطة سوداء صعبة الاجتياز ووكراً فعلياً لقطاع الطرق ومركزاً للدسائس والتمرد خارج منطقة نفوذنا كلياً".

(٢٥) آل الجندي، ص ٧٣، الثوار هم: مصطفى عويد، نجيب عويد، ابراهيم عويد، محمد محمود، جميل عـباس، سـعيد عـباس، الحاج ضرغام، محمد علي جمعة، عبد الرحمن قره دامور، مصطفى محمود درويش.

(٢٦) مذكرات الشغوري، ص٨.

(٢٧) يذكــر السعدون، ص١٥، أن هذا العميل كان مجنداً عند السلطة الفرنسية في سلك الدرك، وهو الذي أوصل كتاب المختار إلى قائد المتطوعة أو (المليس) المسمى خيرو كوجان من قرية حارم قضاء صرمدة.

(٢٨) نقلاً عن روايات شفهية من بعض رفاق وأقرباء عقيل الاسقاطي بطل هذه المعركة أن السيدة هي (أم سالم صطوف).

(٢٩) مذكــرات الشغوري، ص ١٠، تشير الروايات الشفهية السابقة إلى أن حصيلة المعركة كان مقتل كــيفان قائــد الحملة الفرنسية و٣٥ جندياً. وقد استشهد من المجاهدين محمد وهبة، عبد الهندي، مصطفى عويد، وبعد هرب الفرنسيين قتل عميلهم فيها.

(٣٠) زرزور، ص ٩٥.

(٣١) مذكرات السعدون، ص ١٦.

(٣٢) ص ٨.

(٣٣) هم شقيقه عقيل، مرافقه الشغوري، نجيب عويد، عقيل اسقاطي، هزاع أيوب.

(٣٤) يذكــر الشغوري في مذكراته، ص١٠، أن المكتب الثاني لقيادة الفيلق الثاني انصرف مدة ٥ أيام إلى التحقــيق والاستقصاء للتأكد من صدق وطنية هنانو وما يتمتع به من مكانة وأنه هو، أي هنانو الذي منع تمزيق العلم التركي في انطاكية حين انزاله عن دار الحكومة اثر انسحاب العثمانيين.

(٣٥) المرجع نفسه.

(٣٦) عــبد الكريم رافق "من تاريخ سورية الحديث: العلاقات السورية التركية ١٩١٨ــ١٩٢٦" مجلة دراسات تاريخية العددان ــ١٩ــ٢٠) نيسان ــ تموز ١٩٨٥، ص ٦٩، ويقول المؤلف أن هذا يعني اعتبار تركيا أن هنانو استمراراً للحكومة العربية.

(٣٧) مذكرات الشغوري، ص ١٠.

(٣٨) تجمــع المراجع العربية، ومنها الشغوري، إن الامدادات التركية كانت تالية لعودة هنانو، في حين يذكر السعدون في مذكراته، ص ١٧ أن هنانو حمل معه بعض الذخائر والقنابل اليدوية كدفعة أولى.

(٣٩) انظــر الفصل الرابع، ويشير خوري، ص ١٠٥، إن الحركة الثورية في المنطقة الشمالية من سورية قد تأثرت بالحركة الوطنية التركية.

(٤٠) مذكرات الشغوري، ص ١٢.

(٤١) يذكــر الســعدون في مذكراته، ص ١٨، أنه ذهب ونجيب عويد وبعض الثوار من كفر تخاريم والقصــير لاستقبال السرية عند جبل الاكراد خوف حدوث أمر لم يكن في الحسبان، إلا أن رجال الســرية توجهوا للبلاد السورية من طريق آخر. ويذكر الشغوري في مذكراته، ص ١٢، أن الدواب الــتي كانــت تحمل العتاد الحربي قد اعيدت إلى تركيا لشديد الحاجة إليها، وأن القائد نجيب عويد والــرئيس عمر البيطار، أُرسلا لاستقبال القوة في الحدود فأخذا معهما من الدواب ما يكفي لحمل الأثقال.

(٤٢) ص ١٢ــ١٣.

(٤٣) GR.du Hays, p.447-448.

(٤٤) ص ٧٤ــ٧٥.

(٤٥) آل الجندي، ص ٧٥.

(٤٦) ارتفع عدد مقاتلي ثورة هنانو إلى ٥٠٠٠ حين استأنف الثوار أعمالهم في تشرين الثاني ١٩٢٠ انظر: Khoury, p.108.

(٤٧) الهندي، ص ٧٢ــ٧٣.

(٤٨) يذكر السعدون في مذكراته، ص ١٨ــ١٩، إن من الذين أبلوا في المعركة هم قادة المفارز: عمر البيطار ومحمد ممو وسعيد عباس، وعبد الرحمن قره دامور.

(٤٩) العلواني، ص ٥١ــ٥٢.

(٥٠) مذكرات الشغوري، ص ١٤.

(٥١) آل الجــندي، ص ٧٥. ويذكــر السعدون في مذكراته، ص ١٦، أنه بعد الانتهاء من العملية في جســر الشــغور لم يشأ أن يصحب هنانو في معاركه التالية وفضل العودة إلى منطقة القصير لطول غيابه عنها ورغبته بتفقد المخافر فيها ومناوشة الحاميات الفرنسية هناك.

(٥٢) p.448.

(٥٣) Affaires Etrangères, No. 2686/2, Beyrouth, 16/12/1920.
وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الاسد، مجلد ٢٣، ص ٧٤.

(٥٤) Affaires Etrangères, No. 2084, 2085/2, Beyrouth, 16/12/1920.
وثائق وزارة الخارجية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٣، ص ٧٢ــ٧٣.

(٥٥) Affaires Etrangères, No.2090/6, Beyrouth, 17/12/1920.
وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٣، ص ٧٨.

(٥٦) GR. du Hays, p.449.

(٥٧) Général Commandant en Chef de l'Armée Française du Levant, 2éme Division Bureau Politique, No. 3127/R, Alep, 25 Déc. 1920.

(٥٨) مذكرات الشغوري، ص ١٤.

(٥٩) هما سعيد عباس، ومحمد الزردي.

(٦٠) روى السعدون، في مذكراته، ص ١٨، خبر المعركة نقلاً عن مفكرة نجيب عويد،

(٦١) GR.du Hays, p.449-450.

(٦٢) الشغوري، ص١٥.

(٦٣) منهم عقيل اسقاط، وهزاع أيوب، ومصطفى أبو درويش، وعلي طيفور وغيرهم.

(٦٤) آل الجندي، ص ٧٦.

(٦٥) الهندي، ص ٧٤، يقدر عددهم بـــ ١٥٠٠٠ ألف.

(٦٦) نقل ذلك السعدون في مذكراته، ص ١٨، عن مفكرة نجيب عويد.

(٦٧) ص ١٨ــ١٩.

(٦٨) يذكر الشغوري، ص ١٦، ان هنانو قاد بقية الرجال المناط بهم تقوية الثغرات ونقاط الضعف التي قد يهاجمها العدو وكلهم من أبناء كفر تخاريم الذين يعرفون المداخل والمخارج.

(٦٩) العلواني، ص ٧٧.

(٧٠) pp. 450-451.

(٧١) Haut Commissariat République Française en Syrie, Commandant en Chef de l'Armée du Levant, Etat-Major, 3éme Bureau, No 1.504/3, QG, 22/12/1920.

(٧٢) Khoury, p.109.

(٧٣) كـــان غوبـــو قد سبق وتلقى أمراً من القائد العام لجيش المشرق بمغادرة عينتاب، وسلمت كافة القـــوات التي تحت أمرته إلى العقيد دييوفر. أما العقيد نيجر فقد تولى العمليات العسكرية في سنجق الاسكندرون والمنطقة الساحلية.

Affaires Etrangéres, No. 2087/2, Beyrouth, 16/12/1920.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٣، ص ٧٦.

(٧٤) Général Commandant en Chef de l'Armée Française du Levant, 2éme Division, Bureau Politique, No. 3127/R, Alep, 25/12/1920.

(٧٥) Haut Commissariat République Française en Syrie, Commandant en Chef de l'Armée du Levant Etat-Major, 3éme Bureau, No 1.504/3, QG, 22/12/1920.

(٧٦) ضـــمت قوات غوبو وحدات مشاة (الأولى والثانية من الفوج الحادي والعشرين قناصة R.T.A والثانـــية مـــن الفوج السادس والثلاثين قناصة، R.T.T. بأمرة المقدم كليمان غراندكور Clement Grandcourt وســـريتين مـــن الفوج الثالث R.C.L (قائد السريتين هولتز Holtz) وبطاريتين ٦٥، (قائد السرية دلبي Delpit).

GR. du Hays. P.452.

(٧٧) آل الجندي، ص ٨١.

(٧٨) مذكرات السعدون، ص ٢٠.

(٧٩) مذكـــرات الشغوري، ص ٢٠، ويذكر أن هنانو كان يتولى قيادة الثورة في هذه المعارك يساعده الســـعدون. كمـــا اشترك في هذه المعارك السرية التركية "وكان لموقعها الجبلي ومهارة أفرادها في التصويب أجمل الأثر في نفوس الثوار".

(٨٠) هم سعيد الكلية، محمود عطور، شحادة زكريا، خيرو وصبحي اللاذقاني.

(٨١) مذكـــرات الشـــغوري، ص٢١، وهـــو يقول أن عدد القتلى في هذه المعركة المنتقلة فاق ٦٠٠ جـــندي، إلا أن دوهاي يذكر في دراسته، صفحة ٤٥٢، أن ممثلين عن ٢٠ عائلة من جبل صهيون جاؤوا ليعلنوا خضوعهم لرتل غوبو وأنه اعطى إليهم الأمر بالعودة إلى قراهم وتسليم ٦٠٠ بندقية.

(٨٢) مذكرات الشغوري، ص ٢١، ووفقاً لما ذكره دوهاي، ص ٤٥٣، كان توقف غوبو في دركوش.

(٨٣) المرجع السابق نفسه.

(٨٤) p.453.

ويذكر المؤلف أن المفرزة كانت بقيادة بينشون.

(٨٥) يذكر الهندي، ص٧٧، أن الضابط القتيل هو ابن الجنرال غوبو.

(٨٦) يذكر المرجع السابق نفسه أن المفرزة عسكرت في منطقة الجبل الوسطاني.

(٨٧) العلواني، ص ٦٠.

(٨٨) آل الجندي، ص ٨٢.

(٨٩) يشير دوهاي، ص ٤٥٣، إلى أن غوبو وصل إلى المقر العام لبدري بك في قرية Puyuk Agatch (Agadch) واستدعى غوبو زعماء القرى المجاورة لتسليمهم اشعاراً بشروط الخضوع المفروضة على القصـــير، دفـــع ٢٠,٠٠٠ ليرة ذهبية، تسليم ١٠٠ جمل أو بغل وجميع الأسلحة مع ٥٠ طلقة لكل بندقية.

(٩٠) مذكرات الشغوري، ص ٢٢.

(٩١) يذكـــر دوهاي في دراسته، ص٤٥٣، أن الجنرال غوبو عاد إلى الاسكندرون وسلم قيادة رتله إلى الكولونيل كار (Cares).

(٩٢) في مذكـــرات السعدون، ص ٢١ـــ٢٢. تفاصيل كثيرة عن الوقائع التي صادفتها الحملة وهي في طريقها إلى حلب.

(٩٣) inistére des Armées, E.M.A.T Diplomatique, Paris, 6/1/1921. Affaires Etrangéres No.90 Beyrouth. 19/1/1921.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٣، ص ١١٨.

(٩٤) p.58.

(٩٥) Affaires Etrangéres, No. 2086, 2087/2., Beyrouth, 16/12/1920.

(٩٦) آل الجندي، ص ٤٣.

(٩٧) المرجع نفسه، وأيضاً مقابلات شخصية مع أقرباء الثوار.

(٩٨) العلواني، ص ١٢٢.

(٩٩) علي رضا، ص ٤٤ـــ٤٥.

(١٠٠) آل الجندي، ص ٤٤. ويذكر المؤلف أن الهجوم الفرنسي الذي شن في الشرق لم يكن إلا بمثابة تغطية للهجوم الكبير الذي يعد في الجنوب.

(١٠١) المرجع نفسه ومقابلة شخصية مع أقرباء الثوار.

(١٠٢) في طليعـــتهم آل عيد في بشراغي وآل سيف الدين من قرية الكنيسة وغيرهم. انظر علي رضا، ص٤٦.

(١٠٣) العلواني، ص ١٢٥.

(١٠٤) العلواني، ص ١٢٦ـــ١٢٧.

(١٠٥) ابراهيم خليل شعبان، ابراهيم حبيب، عبدو مرشد.

(١٠٦) علي رضا، ص ٤٦.

(١٠٧) العلواني، ص ١٢٧.

(١٠٨) عـــن تفاصـــيل هذه المعركة (والتي يطلق عليها أحياناً اسماً آخر هو معركة وادي جهنم) انظر العلواني، ص ١٢٧ـــ١٢٨، آل الجندي، ص ٤٥ـــ٤٦، وعلي رضا، ص ٤٧ـــ٤٨.

(١٠٩) العلواني، ص ١٣٠.

(١١٠) آل الجندي، ص ٤٦، وأيضاً علي رضا، ص ٤٨ــ٤٩.

(١١١) آل الجندي، ص ٤٦، كان من الثوار الذين أبدوا بطولة فائقة عباس حبيب من قرية الاندروسية.

(١١٢) العلواني، ص ١٣١.

(١١٣) على رأسهم ابراهيم صالح البودي وعبد الهادي العباس وهما عقيدان. انظر آل الجندي ص ٤٦.

(١١٤) المرجع نفسه.

(١١٥) علي رضا، ص ٤٩.

(١١٦) آل الجندي، ص ٤٧.

(١١٧) المرجع نفسه.

ومن الثوار محمد أسعد دوبا البودي، حسن سليمان يوسف البودي، وصالح عمران يوسف من العرقوب.

(١١٨) العلواني، ص ١٣٣.

(١١٩) آل الجندي، ص ٤٧، كان بين شهداء المعركة: أحمد عبد الحميد، خليل محمد، علي وطفة، سليم نيوف، محمود محمود.

(١٢٠) المرجع السابق، ص ٤٨.

(١٢١) العلواني، ص ١٣٤.

(١٢٢) p.214

(١٢٣) كان ذلك في أعقاب الهزائم التي تعرض لها الجنرال غوبو. انظر ص ١٣١.

(١٢٤) تبعد كللي عن الطريق العام الذاهب إلى لواء اسكندرون مسافة ١٨ كم يمر خلالها المرء بمزارع خصبة كثيرة الماء في قرى الجينة وبين وحزانو، انظر علي رضا، ص ٧٢.

(١٢٥) مذكرات الشغوري، ص ٢٣ــ٢٤.

(١٢٦) ص ٢٤.

(١٢٧) ص ٢٥.

(١٢٨) ص ٢٦.

(١٢٩) يذكر آل الجندي، ص ٤٨، أن الشيخ حبيب حمود هو الذي اتصل بالزعيم هنانو في نواحي مرمس وأطلعه على أحوال الثورة وأظهر له حاجتها إلى المعدات والأسلحة بعدما تشعبت جهاتها واتسع نطاقها وكثرت مواقعها. واستمرت المراسلات وكثرت المساعدات. ثم بعث الشيخ صالح

بوفد إلى تركيا للحصول على معونة وامدادات عسكرية وعاد الوفد من تركيا ومر ببلدة كفر تخاريم واحتفى الأهلون بمقدمه. انظر الفصل الرابع.

(١٣٠) مذكرات الشغوري، ص ٢٦.

(١٣١) المرجع السابق نفسه.

(١٣٢) على رأس الوفد أبو عدلا وجميل الخبير.

(١٣٣) يشير السعدون، ص ٢٢، في مذكراته إلى أن نجيب عويد والملازم أول عبد الغني كلباش رافقا الوفد ولكن نجيب عاد بعد يومين وترك كلباش للتدريب على الأعمال الحربية.

(١٣٤) كان بين الحضور الحاج عارف الآغا واسماعيل اللاطه ومحمد صالح وهيب وسلوم البيوس وغيرهم، أنظر مذكرات الشغوري، ص ٢٦.

(١٣٥) العلواني، ص ٦٥.

(١٣٦) آل الجندي، ص ٨٣.

(١٣٧) Historique de la Prévoté de l'Armée du Levant, Année 1921.

(١٣٨) أُرفق تقرير نيجر هذا بتقرير غورو إلى وزارة الحربية في ١٤ تشرين الثاني ١٩٢١.
Haut Commissariat de la République Française en Syrie et au Liban, et Commandement en chef de l'Armée du Levant, Etat-Major, 3é Bureau à le Ministre de la Garerre Etat-Major de l'Armée, 3é Bureau-Section Orientale, No. 1070/3, Beyrouth, 14/11/142.

(١٣٩) p.214.

(١٤٠) ص ٢٣.

(١٤١) يذكر الشغوري في مذكراته، ص ٢٦، أن الثوار أنذروا رجال الدرك قبل اطلاق النار وطلبوا منهم الاستسلام والانضمام إلى صفوف إخوانهم الثوار، ولكنهم جبنوا خشية العقاب.

(١٤٢) المرجع السابق نفسه، ويضيف الشغوري، ص ٢٧: "كان على رأس الشهداء أبو عدلا والذي كان اسمه وحده يلقي الهلع في قلوب الأعداء". ويضيف أن القيادة الفرنسية عمدت إلى ستر هزيمتها بالقاء المناشير من إحدى الطائرات فوق قصبة أريحا تحض السكان على مقاومة الثورة وتمنيهم بالأماني العذاب ولاقت تلك المحاولة ما تستحقه من ازدراء وقلة اكتراث".

(١٤٣) المرجع السابق.

(١٤٤) Khoury, p.102.

(١٤٥) العلواني، ص ١٣٥.

(١٤٦) المرجع السابق نفسه.

(١٤٧) F.O.371-7/454 E-4932, Consulate Géneral, Beyrout, Syria, 14/4/1920.

(١٤٨) يذكر السعدون في مذكراته، ص ٢٥، ان أندريه هو الذي أوقف ثورة أضنه وقضى عليها وهو الذي احتل عنيثاب وقضى على الثورة فيها.

(١٤٩) تفاصيل هذه المعارك وردت في مذكرات الشغوري، ص ٢٨، وكذلك في مذكرات السعدون، ص٢٥ــ٢٧، (وكان السعدون حينذاك في زيارة إلى كفر تخاريم، بدعوة من هنانو للتباحث بشان ثورة الزاوية).

(١٥٠) انتدب مصطفى محلول من قرية احسم لتفجير مستودع الذخيرة فتطاير عدد من الفرنسيين اشلاء واستشهد مصطفى. ويذكر الشغوري في مذكراته، ص ٢٩، أن نجيب عويد وأحمد تكرلي هما اللذان اطلقا عيارات نارية على المستودع ففجر.

(١٥١) العلــواني، ص ٧٢ــ٧٥. من بين الشهداء: عبد القادر علوش من سلقين ومحمد اسماعيل لاطه من قرية البارة. ومحمد صالح الوهبي ومحمد حسن الخطيب من قرية مرعيان وسرور شعبان ومصطفى الأطرش من قرية احسم.

(١٥٢) المرجع السابق نفسه.

(١٥٣) وفي طليعــتهم عقــيل الاســقاطي، عبد القادر غزا، مصطفى أبو درويش، عمر علوش، عمر السعدون، ومحمد الحاج، عبد غزال.

(١٥٤) يذكــر الســعدون في مذكــراته، ص٢٧، أن الجنرال دي لاموت قال في تأبينه "إن الحكومة الفرنســية لا يــوجد عندها قائد آخر مثل هذا فهو الذي اخترق خطوط الألمان في الحرب العالمية الأولى".

(١٥٥) منهم: جمعة عويد، جميل عفوصة، عبد الرحمن قره دامور، خليل السيد خليل، صالح الشغوري.

(١٥٦) ص٣٢.

(١٥٧) ص ٣٢.

(١٥٨) ص ٣٤.

(١٥٩) يذكــر الشــغوري في مذكــراته، ص ٣٤ــ٣٥، بعض تلك الهجمات: أوروم الكبرى، خان طــومان، معــر تمصرين، درشيتا، وكانت الأخيرة أكثر عنفاً وقاد معركة فيها نجيب عويد بعد أن اســتدرج فــوجاً فرنســياً إلى داخل القرية وقد قتل ٨ من الفرنسيين وجرح الكثير واضطر القائد الفرنسي للانسحاب.

(١٦٠) ورد ذلك في التقرير الذي رفعه غورو إلى الخارجية:
Affaires Etrangéres, No 533, 535, 536/6, Beyrouth, 7/4/1921.
وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٣، ص ٢٤.

(١٦١) انظر ص ١٤٥، هامش (٤).

(١٦٢) GR. Du Hays, p214.

(١٦٣) انظر الصفحة السابقة، هامش (٣).

(١٦٤) GR. du Hays, p 460.

(١٦٥) مذكرات الشغوري، ص ٣٦.

(١٦٦) آل الجندي، ص ٨٦.

(١٦٧) المرجع السابق، ص ٨٥.

(١٦٨) يرفض السعدون في مذكراته ص ٢٨-٢٩، فكرة تسليم الثوار أنفسهم أسرى وذلك لعلمهم بتفنن الفرنسيين بالتقتيل والتعذيب. ويرفض فكرة وقوع أسرى من الخيالة الفرنسيين لأنه غالباً ما تتأخر الخيالة في الحرب ويتقدم المشاة. وهو يعتبر ترك الأسرى إحدى أخطاء هنانو فيقول ص ٤٠ "كيف يترك الإنسان ما يزيد على المائة جندي بخيلهم وسلاحهم من دون عهد أو وعد صريح أو تلميح ولا سيما والثورة بحاجة إلى الخيل والسلاح".

(١٦٩) يذكر الشغوري، أن الكولونيل كان فيه صفات كريمة لم تكن عند بقية المستعمرين.

(١٧٠) آل الجندي، ص ٨٦، يذكر المؤلف أن اجتماع هنانو فوان هو تمهيدي لاجتماع هنانو غوبو. الأحداث التالية المتعلقة بمحاولات التفاوض مع الفرنسيين وهنانو مستقاة من مذكرات الشغوري، ص٣٧-٤٠.

(١٧١) مذكرات السعدون، ص ٢٩، وكان قد رافق هنانو.

(١٧٢) ص ٢٩.

(١٧٣) المذكرات، ص ٣٦.

(١٧٤) المرجع السابق، ص.٣٧.

(١٧٥) لا يجزم المرجع السابق نفسه إذ كان الكولونيل فوان على علم بالمؤامرة المدبرة لاحتلال الجبل من قبل غوبو في وقت يكون فيه فيه منشغلاً بمفاوضات هدنة صورية تغطية للعمليات الحربية التي سيقوم بها الجنرال.

(١٧٦) كان الجنرال فظاً قاسياً فقد صُرع ابنه في إحدى المعارك مع الثوار فازداد ضراوة.

(١٧٧) ص ٨٧.

(١٧٨) المذكرات، ص٢٩.

(١٧٩) المذكرات، ٧٣.

(١٨٠) يقول السعدون في مذكراته، ص ٣٠، "إن هذا خطأ لأن الحرب خدعة وأخذ الحيطة والحذر من أولى واجبات الرجل المحارب" ويعجب من عمل هنانو وهو المعروف "بشدة حذره وتمام يقظته: فكيف ترك الحذر واعتمد على الشرف".

(١٨١) منهم مستشاره الإداري، عمر زكي الأفيوني، مرافقه الملازم ابراهيم الشغوري والملازم أول هاشم جمال.

(١٨٢) يذكر الشغوري، ص ٣٨، أن معسكرات الفرنسيين كانت تمتد حوالي ٢ كم، إذ أن تعداد القوة الفرنسية يبلغ ١٠ أفواج أي ما لا يقل عن ١٠٠٠٠ جندي، وبرأي السعدون، ص ٣٠، أن الذهاب إلى معسكر غوبو أكبر خطأ إذ جرت العادة "إن صاحب الحاجة يذهب إلى من له عنده الحاجة".

(١٨٣) يقول الشغوري، ص ٣٨، أن الجنرال استدعى الزعيم لا ليفاوضه بل ليملي شروطه.

(١٨٤) وردت الشروط في دراسة دوهاي، ص ٤٦٠، على النحو التالي " احتلال حر للقوات الفرنسية لجبل الزاوية، قيام السكان بتسليم الأسلحة، قيام هنانو وأركانه بتقديم العون لإعادة النظام، اعادة الاسرى والمعدات الفرنسية، تعهد ابراهيم هنانو بالعمل على خضوع البلاد التي يمارس فيها نفوذا قوياً".

(١٨٥) المذكرات، ص ٣٩.

(١٨٦) وفقاً للمرجع السابق نفسه، فإن الجنرال غوبو حاول أن يغري الزعيم بقبول شروطه بكلمات فيها الاغراء والترغيب والوعود والوعيد، فرد عليه هنانو بأن له من المُلْك ما يكفل له العيش الهنيء "وأنا لم أثر في وجهكم جزاء لمغنم أو طلباً لرفعه أو منصب وهما الضعة بعينها". وللسعدون في مذكراته، ص ٣١، رأي متشدد حول لقاء بين هنانو وغوبو. ويراه من غلطات هنانو إضافة إلى ترك الأسرى، وبرأيه "فقد خسرت الثورة خسارة كبرى إذ بعد هذه المقابلة "تفكك عرى الجبل وتخاذل أبناؤه وتركت المقاومة فيه".

(١٨٧) يقول الشغوري في مذكراته، ص ٤٠، أن فوان ظل صديقاً لهنانو حتى بعد مغادرته سورية واحالته إلى المعاش.

(١٨٨) GR. du Hays, p. 460.

(١٨٩) F.O 371-6/454, E5715, No. 63 Consulate Général Beyrouth-Syria, 3/5/1921.

(١٩٠) المذكرات، ص ٤٠ــ٤١.

(١٩١) الهندي، ص ٨٠، انظر الفصل الرابع.

(١٩٢) p.460.

(١٩٣) Ibid, p.460-461.

(١٩٤) Ibid.

(١٩٥) هم محمد عيسى، علي مفلح، مرشد شيحا.

(١٩٦) آل الجـــندي، ص ٤٨ــ٤٩، وكان الشيخ صالح غائباً عن مقر قيادته لتفقد بعض مناطق الثورة بعدما وصلت إليه من شدة الضغط وقوة الحصار ومن نقص في الذخائر والمعدات.

(١٩٧) عبود المرشد، محمد سلمان، محمد صالح عيد، علي حسن زينة، جبور مفلح.

(١٩٨) هم عزيز حربا، سليمان محمد خليل.

(١٩٩) العلواني، ص ١٣٥، عاد الشيخ صالح حين بلغته أخبار الفاجعة ليحاسب المسؤولين.

(٢٠٠) انظر ما سبق.

(٢٠١) رافق، ص ٧١.

(٢٠٢) آل الجندي، ص ٤٩.

(٢٠٣) Territoire des Alaouites, Gabinet Militaire, No. 133/3CM, Ordre d'opération, Lattaquié, 5/5/1921.

(٢٠٤) pp.214, 215.

(٢٠٥) ارفق التقرير بتقرير غورو إلى وزارة الحربية في ١٤ تشرين الثاني ١٩٢١.

(٢٠٦) تفاصـــيل العمليات التي اتبعتها القوات الفرنسية بقيادة نيجر لضرب الثورة في الجبهة الساحلية مأخوذة من: GR. du Hays, pp. 215-216.

(٢٠٧) GR. du Hays, p.215-216.

يذكـــر المؤلـــف ان القـــيام بالعملـــيات "يجب أن يكون من الشمال إلى الجنوب لقطع اتصالات (المتمـــردين) مع الشمال ولمنعهم من الانسحاب إلى صهيون والاكراد والقصير، وبتلازم العمليات العسكرية مع العمل السياسي في المناطق المنوي نشر (السلام) فيها".

(٢٠٨) Ibid.

(٢٠٩) تقارن هذه الخطة الفرنسية بما أورده الهندي، ص ٦٥ــ٦٦.
"الإحاطة بمواقع الثوار لاحكام الطوق عليها، وفي الأماكن المؤدية إلى منافذ الجبال ومسارب الوديان وفي الوقت نفسه تشديد الضغط على السكان لاجبارهم للتخلي عن نصرة الثوار".

(٢١٠) يقــر نيجــر في أمــر عملــيات صادر عن مركز القيادة في ضهر البشري أن عملية التضليل اصطدمت بمقاومة جادة وتأكد أن الصرامطة سيدافعون عن مدخل جبلهم.
Colonne des Alaouites, P.C. Dahr el Bechra, 18/5/1921, Order d'Opérations.

(٢١١) في أمــر عمليات صادر عن الكولونيل نيجر اشارة إلى "أن تحصينات ضهر البشري توجد على القمــة العسكرية ...أما التحصينات كتف البير فهي أكثر خطورة وقد استخدمت لحماية القوات التي تدافع عن المرتفع". وكان نيجر يخشى ان يحتل الثوار الخنادق المحفورة من قبل القوات الفرنسية خلال عمليات اوزاك.
Colonne des Alaouites No. 12/3, P.C, 14/5/1921, Suite à l'Ordre. d'Opérations No. 4/3 du 13/5/1921.

(٢١٢) p.217.

(٢١٣) انظر ما سبق. وقد أشار نيجر كذلك إلى هذه الحقيقة في أمر عمليات صادرة عن مركز القيادة في حــرف مــتور في ٨ حزيران ١٩٢١ بقوله "أن المنطقة كانت على وشك اعلان الخضوع لولا (تحريض) من الشيخ صالح، يجب إذن الاستعداد لشن معركة حامية الوطيس".
Colonne des Alaouites, No. 299/3, P.C Harf el Mittouar, 8/7/1921, Ordre d'Opérations.

(٢١٤) p.217.

(٢١٥) أشــار أمر عمليات صادر عن مركز القيادة في حرف متور في ١٠ حزيران إلى المقاومة العنيفة الــتي لاقاها رتل موران أمام الشعرا وان القوات كانت مرغمة على الاستمرار بالهجوم "لأن مغادرة الــبلد يعــني تعريض النفس لخيبة أمل خطيرة". وكان على الرتل أن يتراجع الامر "الذي قد يستغل على أنه انتصار".
Colonne des Alaouites, No. 73/3/P.C, Harf el Mettouar, 10/6/1921, Ordre.

(٢١٦) GR. du Hays, p. 217.

(٢١٧) Ibid.

وقد أقرَ غورو في تقريره ١٤ تشرين الثاني ١٩٢١، المشار له في الصفحة السابقة، إلى أن (عصابات) الشيخ صالح "واصلت صمودها أمامنا في منطقة بشراغي وكلي وحمام وجوراني ومحمد جوفان".

(٢١٨) p. 218.

(٢١٩) Ibid.

(٢٢٠) Colonne des Alaouites, P.C. (Raste), 1/7/1920, Ordre d'Opérations, No. 541/3.

(٢٢١) رافقـــت هـــذه المرحلة اعلان الخضوع وتسليم الاسلحة ورد ذلك في أمر عمليات صادر عن مركز القيادة بالقدموس في ٢ تموز ١٩٢١.

Colonne des Alaouites, No. 502/3, P.C, Kadmus, 2/7/1921, Ordre d'Opérations.

(٢٢٢) p. 218.

(٢٢٣) انظر ماسبق.

(٢٢٤) لونغريغ، ص ١٥٦ وأيضاً Khoury p.102.

(٢٢٥) Affaires Etrangères, No.1096, 1044, 1100/6, Beyrouth, 8/8/1921.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٤، ص ٢٢٧ــ٢٣١.

(٢٢٦) Etat -Major de l'Armée , Section de Chiffre, Beyrouth, 3/8/912,
Général Gouraud à Guerre,No. 491.

(٢٢٧) A.F. L à Diplomatie à Guerre (Section Afrique-Orient), 294,
295, 296/k Beyrouth, 5/6/1922.

(٢٢٨) هذه المذكرة تتعلق بالرسالة التي قيل أن الملك قد بعثها للشيخ من جدة بعد ميسلون قبل توجهه إلى العراق. وتعد الرسالة بإرسال المساعدات وتحث الشيخ على الثبات في الدفاع بينما "تتم مخابرتنا مع العشائر وتكون الحركة سواء وتطرد العدو في ضواحي سورية".

Note concernant la lattre ci-joint adressée par Fayçal à Cheikh Saleh.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الاسد، مجلد ٣٤، ص ١٦٢ــ١٦٣.

(٢٢٩) Affaires Etrangères, No. 486/6, Beyrouth, 31/7/1921.

وثائــق وزارة الخارجية الفرنسية، مكتبة الأسد، مجلد ٣٤، ص ١٦٥ــ١٦٨؛ انظر الفصل الرابع. ص٢٣٠ــ٢٣٣.

(٢٣٠) Haut Commissriat de la République Française en Syrie et au Liban.

وثائق وزارة الخارجية، مكتبة الأسد، مجلد ٣٤، ص ١٨١ــ١٨٢.

(٢٣١) لونغريغ، ص ١٥٦. انظر الخاتمة.

(٢٣٢) العلواني، ص ٨٠.

(٢٣٣) المرجع السابق، ص ٨١.

(٢٣٤) p.461.

وقـد أشـار أمـر عمليات صادر في ١٣ أيار عن المنطقة الساحلية إلى تشكل "مجموعة هامة من (العصاة) على الضفة اليمنى من العاصي في منطقة السقيلبية ـــ قلعة المضيق، وتتكون من بعض فرق هنانو والبدو و(عصابات) الشيخ صالح". وقد احرقت هذه المجموعة بعض قرى نهر العاصي وهاجمت رتل دوم وهددت حماه.

Territoire des Alaouites, No. 4/3, 13/5/1921.

(٢٣٥) حول تحرك هذه الفصائل وعملياتها على الجبهة الشمالية الغربية انظر:

.GR. du Hays, p.p.462-472

(٢٣٦) p.462.

(٢٣٧) Ibid p.463.

(٢٣٨) يروي آل الجندي، في ص ٩٠، أن البكباشي أركان حرب عاصم بك كان أحد القادة في ثورة صبحي بركات واستسلم للفرنسيين ثم ذهب إلى تركيا وأقام فيها. وفي إحدى رحلات نجيب عويد إلى تـركيا رغـب إلـيه أحد كبار قادة الأتراك أن يقود عاصم بك قوة تركية لمؤازرة ثورة هنانو: فتناسـى نجيب عويد الماضي وأتى عاصم بك مع قوة تركية وكان مرتبطاً بأمرة قائد ثورة الشمال السيد نجيب عويد. أما عن نهاية عاصم بك فانظر الفصل الرابع.

(٢٣٩) GR. du Hays. P.463.

(٢٤٠) pp.464-465.

كانت المجموعة المتحركة الأولى بأمرة المقدم بوزيه Beauser، قائد الفوج السادس والثلاثين قناصة. وتـتألف المجموعة من الكتيبة الأولى من الفوج السالف الذكر، وسرية المشاة من الكتيبة الثانية من الفـوج نفسـه وسرية خيالة وبطارية واحدة. أما المجموعة المتحركة الثانية فهي بأمرة المقدم لانجلاد Langlade قائـد الكتيبة الثالثة في فوج خيالة المشرق، وتتألف المجموعة من الكتيبة الثالثة من الفوج السـابع والعشرين قناصة، وسرية مشاة من الفوج السادس والثلاثين قناصة، وفصيلة خيالة وفصيلة مدفعية، وبعد فترة وجيزة شكلت مجموعة ثالثة بأمرة أمانريك Amanric مع سريتين خيالة وفصيلة مدفعية.

(٢٤١) Ibid, p.470.

(٢٤٢) Ibid, p, 471.

(٢٤٣) Ibid, p. 466.

(٢٤٤) Ibid.

(٢٤٥) Ibid, p.467.

ينقل دوهاي عن تصريحات عمر زكي الأفيوني (وهو رفيق هنانو الذي اعتقل في ٢٠ تموز ١٩٢١) "يـــبدو أن تقدير اعداد العدو مبالغ بها جداً ويبدو أن الرقم ٢٠٠٠ على أقصى حد هو أكثر تطابقاً مـــع الواقـــع. أمـــا بالنسبة للوحدات النظامية (التركية) فلم يلاحظ وجود إلا وحدة واحدة خلال العملـــيات وهـــي عبارة عن كتيبة مكونة من ٥٠٠ رجل مع مدفعين ورشاشين يقودها بدري بك (الدمشـــقي) الذي اصطدم معه رتل فوان في ٢ حزيران في قولي يجب أن يضاف إلى هذه الكتيبة في بداية تموز في القصير مجموعة تتكون من ٧٠ إلى ٨٠ خيالاً بقيادة بدري (الآخر) والجميع تحت أمرة اوزدمير".

(٢٤٦) Ibid.

(٢٤٧) Ibid.

(٢٤٨) كانت قوات قطاع التغطية تتضمن في البداية:

مجموعة فان ـــ فرقة خيالة.

فرقة خيالة.

فصيلة رشاشات من فرقة الخيالة الحادية والعشرين.

مجموعة ديديهجان (Didiehjean) ـــ السرية الأولى والثانية من الفرقة ١٩ قناصة جزائريين R.T.A، فصيلتا مدرعات، ورشاشان آليان وبطارية عيار ٦٥.

سرية راكبة من الفرقة (المحلية) وحامية ادلب (سرية واحدة من الفرقة السابعة عشرة قناصة سنغاليين R.T.S.

ولاحقـــاً في ٢٣ حزيران ١٩٢١ عزز قطاع التغطية بمجموعة ميشيل (Michel) المكونة من السرية الثانية من الفرقة الثانية والعشرين قناصة جزائريين R.T.A. وفصيلة مدرعات ووحدة عيار ٧٥.

(٢٤٩) نقلاً عن تقرير ديبيوفر بتاريخ ١٥ أيلول، ١٩٢١، كما ورد في: GR. du Hays pp.467-468.

(٢٥٠) هذه الجماعات هي:

ـــ جماعة فانغ: فرقة خيالة ونصف فصيلة رشاشات في جن، تغطية باتجاه الشمال جبل سمعان).

ـــ جماعة رقم ١: الرائد ديديهجان: السرية الأولى من الفرقة ١٩ قناصة جزائريين R.T.A فصيلة خيالة، وحدة عيار ٦٥ في أريحا، تغطية باتجاه الغرب ـــ جماعة رقم ٢: الرائد هامل Hamel: السرية الثانـــية من الفرقة ١٩ قناصة جزائريين R.T.A، فصيلة خيالة وحدة عيار ٦٥ في ادلب تغطية باتجاه شمـــال غـــرب جماعة رقم ٣: الرائد ميشيل: السرية الثانية من الفرقة ٢٢ قناصة جزائريين R.T.A،

فصيلة مدرعة ووحدة عيار ٧٥، في معرتمصرين تغطية بتجاه الشمال في ادلب كان مركز القيادة مع بعض عناصر الاحتياط: رشاشات آلية سرية راكبة من الفرقة المحلية مع GMZ.

(٢٥١) GR. du Hays, p 469.

ويقـــول المؤلـــف: أن نتيجة التحقيق مع عمر زكي الأفيوني تبين أن القوات النظامية التركية كانت آنذاك في القصير حيث وصلها ازدمير نفسه وأن هنانو المستاء من الأتراك كان موجوداً مع خلصائه في جبل الزاوية وان مجموعة صغيرة كانت في طريقها إلى فلسطين.

(٢٥٢) آل الجندي، ص ٩١.

(٢٥٣) السفرجلاني، ص ٧٤.

(٢٥٤) المذكرات، ص ٤٤.

(٢٥٥) المرجع السابق نفسه.

(٢٥٦) وفقاً لرواية آل الجندي، ص ٩١، أن الثوار تداولوا الأمر في الوضع الراهن الخطر فرأوا ألا فائدة ترجـــى مـــن المقاومة والنضال والصمود أمام قوات فرنسا بعد اتفاقهم مع الأتراك وتخلي هؤلاء عن مؤازرة الثوار، "وأمام هذا المصير المحزن قرر هنانو ترك ميدان الثورة".

(٢٥٧) المذكرات، ص ٤٤ــ٤٥، ويروي فيها تفاصيل ما دار في الاجتماع بين هنانو والثوار.

(٢٥٨) الهندي، ص ٨١، انظر الخاتمة.

(٢٥٩) مذكرات السعدون، ص ٤٥ــ٤٦، التي تعطي تفاصيل دقيقة عن تلك المعارك، وأيضاً.
GR. du Hays. Pp. 470-471.

(٢٦٠) Ibid.

(٢٦١) ص ٣٦.

(٢٦٢) GR.du Hays. P. 471.

حـــول العملـــيات الأخيرة في منطقة القصير، ويذكر المؤلف أن خسائر الفرنسيين في منطقة القصير كانت ٦ قتلى و ١٩ جريحاً في ٢٠ــ٢١ تموز.

(٢٦٣) كان رتل القصير يتكون من كتيبتين: الثالثة من الفوج السابع والعشرين قناصة أناميين R.T.A والثالثة من الفوج السادس عشر قناصة سنغاليين R.T.S. وبطارية ٦٥ وميليشا محمولة.

(٢٦٤) p.471.

(٢٦٥) Ibid.

(٢٦٦) Ibid, p. 472.

(٢٦٧) Ibid.

(٢٦٨) لونغريغ، ص ١٥٥.

(٢٦٩) أشار إلى ذلك تقرير المفوضية العليا للجمهورية الفرنسية في لبنان وسورية في أيلول.

Haut Commissariat de la République Française en Syrie et au Liban.

وثائق وزارة الخارجية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٤، ص١٨١ــ١٨٢.

(٢٧٠) Affaires Etrangères No. 1099/6, Beyrouth, 8/8/1921.

وثائق وزارة الخارجية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٤، ص٢٢٧ وأيضاً.

Haut Commissariat de la République Française en Syrie et au Liban, Bureau Diplomatique, No, 22, Aley, 11/8/921.

وثائق وزارة الخارجية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٥، ص١ــ٢.



الفصل الرابع

هيكلية الثورتين

ومصادر دعمهما الداخلي والخارجي

(دراسة تحليلية)

تمهيد

تميزت الأعمال الثورية بين عامي ١٩١٨ ــ ١٩٢١ بالترابط الزماني فهي تشكل وحدة متكاملة من حيث الزمان كما أنها متصلة من حيث المكان، فثورة هنانو تتصل بثورة الساحل بقيادة الشيخ صالح العلي. وكما اتسمت الثورات بالترابط الزماني والمكاني فقد اتسمت بالشمولية من الناحية الاجتماعية كما تميزت باللاإقليمية واللاطائفية، وانتفى في هذه الثورات الغرض الشخصي.

ورغم التفاوت في المعلومات بين ثورة وأخرى إلا أنه من الممكن معالجة مظاهر معينة اشتركت بها ثورتا الساحل والشمال الغربي والتي تساعد على اعطاء نماذج أو أنماط رئيسة نوعاً ما عن تلك الثورات.

أ ــ دوافع الثورات:

كانت دوافع الثوار في المناطق الثائرة كافةً وبشكل جلي قومية سياسية، واعتبر الثوار أنفسهم جزءاً من الحكومة العربية التي تشمل سورية كلها، وشعروا أن الوحدة السياسية والجغرافية للمناطق السورية قد تهددت بعد كل الوعود والمواثيق التي قطعها الحلفاء على أنفسهم خلال الحرب وذهبت أدراج الرياح كل ما كانت تحلم به سورية من الآمال القومية والعيش بحرية واستقلال ورأت نفسها ممزقة الأوصال نهباً للأطماع الأجنبية.

لقد نادى الشيخ صالح العلي في مفاوضاته مع الفرنسيين بانسحاب فرنسا من الساحل السوري كله، وبضم المنطقة إلى حكومة دمشق العربية[١]. وأصر هنانو كذلك خلال مفاوضاته مع الفرنسيين في نيسان ١٩٢١ على وحدة سورية التي عمد الفرنسيون إلى تقسيمها[٢].

ومــع أن الدوافــع، كما ذكر سابقاً، كانت قومية إلا أنها صيغت بعبارات دينية: ففي رسالة وجهها هنانو إلى الشريف علي بن الحسين قائد الحملة الشمالية (جواباً على رسالة الشريف تاريخ ٢٩ آذار ١٩٢١) نجــد أن هنانو الذي يلقب نفسه في هذه الرسالة (قائد الدفاع الوطني لسورية الشمالية) يذكر في هذه الرسالة أنه يحارب في سبيل الدين والحفاظ على شرف ما أسماه "إيماننا" ورفع راية القضية العربية[٣].

لقــد أدى الإيمان بالوطن الدور الأساسي في دفع الثوار وشحن عزيمتهم للنضال ضد المحتل وإن اصطبغ بمسحة دينية: ولا أدل على ذلك من محاولة الحصول على دعم من تركيا بدعوى احياء التضامن الــديني بــين الأتــراك والعرب ضد عدو مشترك. وأن الاتفاقية بين هنانو والأتراك الموقعة في ٦ أيلول ١٩٢٠، والــتي تعهدت تركيا بموجبها الاعتراف بهنانو ممثلاً للحكومة العربية في سورية كما تعهدت بدعمه عســكرياً[٤]، إن هــذه المعاهــدة احيت التضامن الإسلامي بين الأتراك والعرب، وقد تبنى الثوار علم الفصــيلة التــركية التي أوفدت لمساعدتهم[٥] (وبالمقارنة كان عَلَم ثورة الشيخ صالح أخضر اللون وفي وسطه نجمة وهلال)[٦].

وفي بيان لهنانو وجهه للسوريين (عقب الاتفاقية مع الأتراك) بدأ بقوله: "من العرب إلى العرب" ولكــنه انــتقل إلى مناشدة العواطف الإسلامية للشعب أكثر من مناشدته عروبتهم[٧] وقد كان مشهد مصطفى كمال يتحدى أوروبا قد أثار تلك العواطف[٨]، وفي رسائل وجهها قادة الثورة في الشمال في ٢٩ آذار ١٩٢١ إلى قناصــل الــدول الأجنبية في حلب أكدوا رفضهم للاحتلال الأجنبي وعملهم إلى جانب الخلافة الإسلامية[٩]، أي العثمانية، التي تشكل جزءاً من الوحدة الإسلامية.

لقــد صــورت هذه الحرب الثورية ضد فرنسا بأنها جهاد أي حرب مقدسة، وقد أصدر مفتي ثــورة هنانو فتوى بليغة بالجهاد الإسلامي وألحق ببيان هنانو السابق الذكر. تقول الفتوى: "سئل مفتي الاتحــاد الإسلامي عن الحكم فيمن يسعون في الأرض فساداً بانحيازهم إلى طرف الأعداء الذين يحاربون الإســلام ويســتولون على بعض البلاد الإسلامية وعمن يتخذهم أولياء أو يعد لهم أسباب القوة بتقديم المؤن والذخائر، فأجاب حفظه الله إن أولئك من أكبر السعاة بالفساد فيثاب قاتلهم"[١٠].

وقــد وصــف السعدون في مذكراته[١١] الذين يدعمون فرنسا بأنهم ضعفاء الإيمان واستشهد بآيــات مــن القــرآن من أجل التشكيك بهم. وكان الثوار خلال هجماتهم العسكرية يرتلون الأذان

ويدعــون الله أن يشد من أزرهم في القتال. ومن الجدير بالذكر أن تلك الروابط الدينية هي التي حملت الحكــومة العربية على توجيه نداء إلى الجزائريين في الجيش الفرنسي ألا يقاتلوا إخوانهم في سورية[١٢]. وقد جاء في أحد التقارير البريطانية أن الفرنسيين اعيقوا في قتالهم في منطقة إدلب لأن القوات الجزائرية لم تكن متحمسة لقتل مسلمين آخرين مثلهم[١٣].

والحــق يقــال أن الدين كان يعطي الأهالي توجهاً، ومع ذلك لم يكن يضعف من عروبتهم، وكان تأكيد تصميم الثوار على المقاومة والدفاع عن أرض الوطن يعني أكثر من التضامن الديني بالنسبة للمدافع عن الحرية. وكذلك لم يمنع هذا التضامن الديني بين الثوار والأتراك الأخيرين من قطع المؤن عن الثوار عقب الاتفاق الفرنسي ـــ التركي[١٤]. وكما ذكر السعدون[١٥] فإن هنانو نفسه، رغم تحالفه مع تركية، كان يشك دوماً بنوايا الأتراك، وهذا ما يفسر قيامه باللجوء إلى شرق الأردن (وهو المكان الذي تجمــع فــيه القــادة السياسيون العرب) خلافاً لبعض الثوار الذين التجاؤا إلى تركيا[١٦]. ويعزو مرجع فرنســي[١٧] أسباب توجه هنانو إلى الأردن إلى استيائه من الأتراك "الذين لم يكن هدفهم كهدفه وهو استقلال العرب".

والملاحــظ أن الحمــاس الديني أعطى الثوار أحياناً دافعاً، إلى درجة التعصب، ولم يكن زعماء الــثورة يجيــزون مــثل هــذا الاتجاه. وهذا واضح من قيام الشيخ صالح العلي في خريف ١٩٢٠ برد المنهوبات من السقيلبية إلى أصحابها بنفسه، وأن يعاقب الذين تجرأوا على فعل ذلك[١٨]. وكذلك أدين الأشــخاص الخارجون على القانون الذين هاجموا مسيحيي إدلب[١٩]، كما أعدم القائد التركي عاصم بــك الــذي نهب قرية السقيلبية[٢٠]. ويجدر التنويه أن الفرنسيين كانوا هم الذين أثاروا الفتن الطائفية لتشويه سمعة الثورات وبث روح التفرقة[٢١]، وكلما زادت تحركات الثورة انتشاراً ازداد نشاط دعايات الفرنسيين المناوئة لها.

ب ـ عناصر الثورات ومناصروها وقادتها.

استعملت عدة مصطلحات لوصف الثوار فقد أطلق الثوار على أنفسهم، وكذلك أطلق عليهم مؤيدوهم من رجال الحكومة العربية كلمة ثوار أو مجاهدين، فالجهاد حسب وصف السعدون له[٢٢] "أن يفقهه أصحابه بمعناه الصحيح وغايته المثلى فالجهاد بذل ما في الوسع من القول والفعل". أما البريطانيون والفرنســيون فقــد كانوا يميزون (في بلاغاتهم ومراسلاتهم عن النشاط الثوري) بين الثوار الذين كانوا

يســـمونهم عصابات Band, Bande وبين النهابين أو السلابين الذين كانوا يلقبونهم بـــ (Chetes) أو (Tchetes) الجيـــتا أو الشتا وهو مصطلح تركي يعني رجال السلب أو الغازين. اما مذكرات الثوار فلا تســـتخدم المصـــطلحات الأخـــيرة والـــتي تعني في الاستعمال العام (الخارج عن النظام) إلا أنهم كانوا يستخدمون عبارة عصابة التي تؤدي معناها في الواقع (العصبة)[٢٣].

ولم يكن تعداد القوى معروفاً لدى الثوار، لأنه كان مرتبطاً بتعداد السلاح المتوفر، من توفر له الســـلاح كان ثائراً محارباً[٢٤] فمثلاً لم يزد عدد الثوار تحت قيادة هنانو من كفر تخاريم في البداية على ســـبعة، وعندما توفرت الأموال والأسلحة ارتفع العدد إلى أربعين ثائراً. ولم تزد قوات الثوار في ذروة تجمعاتها في كلا الجبهتين على ٣٠٠٠ــــ٤٠٠٠: فمثلاً قدّرت قوات الثوار في معركة القدموس في آذار ١٩٢٠ بــــ ٤٠٠٠ مقاتل[٢٥]. وقدّر أعلى رقم لتعداد أفراد ثوار هنانو في معركة واحدة بـــ ٣٠٠٠ مقاتل. وقد ذكر هذا الرقم عند الدفاع عن جبل الزاوية ضد المحاولات الفرنسية احتلاله لعزل ثورة الشـــيخ صـــالح عـــن ثورة هنانو. إلا أنه كان بوسع هنانو أن يحشد ٥٠٠٠ من المشاة و٣٠٠ من الخيالة[٢٦].

وإضافة إلى الثوار المنصرفين كلياً للثورة على كلا الجبهتين والممولين من قبلها والذين لا عمل لهـــم إلا القـــتال وحفـــظ الأمن وتنفيذ الأوامر الصادرة عن قائد الثورة، كانت هناك قوات أخرى تســـتدعى في حالات الطوارىء من القرى وهي المعروفة باسم القوات المساندة أو الأنصار ومعظمهم غـــير مـــدربين[٢٧]، ومع مرور الزمن تم تشكيل قوات احتياطية في كل قصبة قرية تتألف من وحدات يتـــراوح عدد أفراد كل منها من عشرين إلى ثلاثين مقاتلاً تلتحق بالثوار عند حدوث معارك تستدعي انضـــمامها، وتعـــود بعد ذلك إلى قراها للعمل وكأنها لم تحمل السلاح أو تستعمله. وكانت كل قرية تقدم وحدة واحدة، أما في حالات الطوارئ فقد كانت جميع الوحدات تلتحق بالثوار[٢٨]. وكان الشيخ صـــالح يحـــتفظ بقوة احتياطية لزجّها عند الحاجة إلى المكان الملائم[٢٩]. ويُذكر أنه بعد النصر الرائع في معركة الشيخ بدر الأولى والتي تعد فاتحة لانتصارات متوالية، انضم كثير من الرجال إلى صفوف الثورة، وراحوا يتدربون على القتال واستعمال السلاح الذي صار يوزع عليهم من الغنائم والهبات التي يقدمها القادرون على الدفع[٣٠]. ويشير الشغوري[٣١] أنه بعد الانتهاء من الجولة الأولى لاسترداد كفر تخاريم في كانـــون الأول ١٩٢٠ قرر هنانو الإكثار من عدد الجنود المتطوعة خاصة وقد توفر لديه السلاح والعتاد بما غنمه من الأعداء. ولم تمنع فظاعة الفرنسيين وما أحدثوه من خراب ودمار في معاركهم الاخيرة على

جبهتي الثورة في القرى التي دخلتها قواتهم، أبناء تلك القرى من الانضمام إلى صفوف الثوار بل كانت أحد الدوافع للقتال[٣٢].

وقـــد شـــكل في مناطق ثورة الشيخ صالح العلي فوج من المتطوعين بقيادة عزيز هارون من اللاذقــية سمـــي (الفـــوج الملّي) لأنه يحتوي على متطوعين من حماة وحمص واللاذقية وجبلة والحفة وبانـــياس ومصـــياف وضم ما يزيد على خمسمائة مقاتل واتخذ مقراً له في مصياف وظل يعمل حتى احتلال مصياف في أعقاب ميسلون[٣٣]. وكان في هذا الفوج (كتيبة فدائية) ضمت ما ينوف عن مائة وخمســـين فدائياً يقودها جميل ماميش من اللاذقية، مهمتها حماية الطرق الموصلة لمناطق الثورة وجمع المعلومات عن تحركات العدو[٣٤]. وكان في صفوف ثوار هنانو وحدة مغاوير أطلق عليها اسم (فرقة الحـــرس الحديدي الفدائية). وقد أوكل هنانو لهذه الفرقة في المعارك الأخيرة للثورة عام ١٩٢١ مهمة الاستيلاء على حلب، إلا أنه بسبب قصف الطيران الفرنسي عدل عن الفكرة وأعادها إلى الجبال[٣٥].

لقـــد تمكـــنت ثورتا الساحل والشمال في تصديهما للفرنسيين من كسب دعم ومساندة أبناء الـــوطن جميعاً على اختلاف مواقعهم وفئاتهم ومهنهم[٣٦]، وتمت مشاركة البدو في القتال، إذ حاولت الثورتان السوريتان إقامة روابط مع أهالي البادية، وهناك إشارات عديدة حول اتصالات تمت بين هنانو والـــزعيم القبلي حاجم بن مهيد زعيم قبيلة الفدعان من قبيلة عنزة التي كانت تسيطر على المنطقة بين حلب ودير الزور. وأشارت وثيقة فرنسية في ٨ كانون الثاني ١٩٢١ موجهة من وزارة الحربية الفرنسية إلى غـــورو[٣٧] إلى أن حـــاجم ورجاله بدأوا حرب عصابات في الأراضي الواقعة إلى الشرق من حلب فهاجمـــوا القـــوافل الفرنسية، وأن الزعيم البدوي قد اقترب حتى ٢٥كم جنوب شرق حلب. وأنه لما هاجمته القوات الفرنسية استطاع بفضل حركيته الانسحاب تاركاً بعض الأسرى واختفى باتجاه جنوب شـــرق في محاولـــة إثارة القبائل في جنوب جبل الحصن. وتتهم الوثيقة الأتراك بأنهم هم الذين يزودون حاجم بالوسائل التي تسبب القلق شرقي حلب. وقد نوهت برقية أخرى من وزارة الخارجية إلى غورو في ١٩٢١/١/١٩[٣٨] إلى أن منطقة شرق حلب قد تخلصت من "عصابات محجم التي فشلت في منبج". وكـــان هـــنانو ومحجم قد اتفقا على اجتياح حلب سوياً، إلا أن حاجم اضطر إلى إلغاء الهجوم بسبب الغارات الجوية الفرنسية التي أدت إلى إخفاق الخطة بكاملها[٣٩].

ولا شـــك أن محاولة الثورات الريفية إقامة روابط مع البدو قد أدت إلى تحويل جزء من القدرة العسكرية الفرنسية إلى محاربة القبائل، ولهذا السبب جرت محاولات فرنسية لحصر عشائر البادية، شرقي الخـــط الحديدي حلب ـــ بيروت الذي يلامس خط الصحراء ويستخدم لنقل القوات الفرنسية ومؤنها، ومـــنع هذه العشائر من الاتصال بزعماء الريف الثائرين في المنطقة الغربية. وقد أدت هذه المحاولات إلى إثارة عداوة القبائل البدوية التي كانت تنتقم بقطع الخط الحديدي ونهب القطارات ومهاجمة العمال من القـــوات المـــوفدة لاصلاح الخط[٤٠]. وكان الفرنسيون يرهبون العشائر بواسطة سلاحهم الجوي[٤١]. واتسمت العمليات التي قام بها الفرنسيون رداً على أعمال القبائل البدوية، بعنف غير عادي فقد أحرقت مـــناطق سكن القبائل ووقعت إصابات كثيرة. وقد فرض الفرنسيون تدابير إدارية لبسط سيطرتهم على العشـــائر بتحديد منطقة خاصة لكل عشيرة، وبذلك تفككت المقاومة القبلية قبل تراجع ثورات الريف، فاضطر الموالي مثلاً إلى رمي سلاحهم والخضوع لفرنسا[٤٢].

وشاركت النساء من حين لآخر في القتال، وبالإضافة إلى القيام بحركات استطلاع (كما فعلت المرأة في قرية اسقاط في آب ١٩٢٠[٤٣] التي حذرت الثوار بوجود عدد من الخيالة الفرنسيين عند منافذ القرية وتمكن الثائرون بذلك من فك الحصار المضروب). وكانت النساء نشيطات في ثورة الشيخ صالح العلي تمثلاً بزوجته حَبّابة، التي قامت بدور كبير في سبيل الدفاع عن كرامة وطنها وضربت أروع أمثلة الـــبطولة في ســـاحات القتال[٤٤]. وفي معركة الشيخ بدر الأولى كان بين رتلي الثوار نساء يحملن الماء والطعـــام والعـــتاد ومنهم من يتسلحن بالبنادق ويتمنطقن بأجندة الخراطيش[٤٥]. وشاركت نساء جبل الـــزاوية في معارك آذار ونيسان ١٩٢١ مشاركة فعلياً، وأظهرن من الشجاعة والاستهانة في المعارك برصاص الأعـــداء وقنابلهم ما يسجل لهن بمداد الفخر، وكن يثرن الحماس ويجلبن الماء والعتاد للمقاتلين[٤٦]. وسقط عـــدد من النساء شهيدات: بينهن عزيزة ابنة مصطفى خير بك من قرية وادي العيون فقد سقطت مع والدها وهما يخوضان ساحة القتال بجرأة وبسالة[٤٧]، وكذلك دفعت إحدى مقاتلات جبل الزاوية، وهي شقيقة الشهيد أبو عدلا حياتها.

ولم يمـــنع الاندفاع والحماسة والشعور الوطني لقضية الثورة بعض مَنْ في نفوسهم مرض جهلاً وحـــباً في المال، من أن تستدرجهم فرنسا للعمل معها ضد أبناء وطنهم للقيام بمهمة الارشاد إلى بيوت رجال الثورة أو تقديم المعلومات حول ما يجري في المناطق الثائرة. وأوعزت إليهم بالاعتداء على الآمنين وقطـــع الطرق والإغارة على القرى ونهبها[٤٨]. وكان الثوار يطلقون على هؤلاء الأخيرين من النهابين

اسم الطمّاعين[٤٩]، وقد تسلل بعضهم إلى صفوف الثوار[٥٠] كما تطوع بعض هؤلاء في الجيش المختلط أو في صفوف الدرك، وكان الثوار يشيرون إلى هؤلاء بعبارة (متطوع). وكان دور هؤلاء المتطوعين في الجانب الفرنسي أساسياً في القتال ضد الثوار، بسبب معرفتهم للأرض وأيضاً بسبب التأثير النفسي الذي كانوا يمارسونه على القرويين بإخافتهم من مغبة التعاون مع الثوار إلا أن هزائم القوات الفرنسية كثيراً ما حملت العديد من (المتطوعين) إلى الهلع والالتحاق بصفوف الثوار[٥١]. وكان بعض المدنيين من الإداريين المحلـــيين قد جندوا من قبل فرنسا أو من قبل جواسيسها، ويصفهم السعدون بقوله[٥٢]: "وكان بعضهم لاهّم لهم سوى تقاضي الرواتب ولا يفرقون بين القيام بالواجب أو خيانة الأمة لصالح عدوهم".

وحرصت فرنسا على كسب ود بعض ضعاف النفوس لدعم مصالحها[٥٣]، ولا تغفل مذكرات الثوار عن ذكر أسماء بعض من تعاون مع الحكم الفرنسي رغبة بالمال والنفوذ بعيداً عن المصلحة الوطنية، وقد يصل بهم الامر إلى الالتحاق بميليشيات تخدم الأجنبي[٥٤]. وفي سعي فرنسا لاستمالة زعماء عشائر البادية في منطقة حمص ـــ حلب، وهو أمر لم يكن هيناً، تمكنت من التقرب إلى أحدهم بجوار قرية كفر حلب وأمدته بقوة كبيرة لمضايقة هنانو وقطع الطريق عليه لدخول حلب، وقد ضاق الناس به وبجماعته وأرادوا الـــتخلص منه[٥٥] ولم تكن قيادة هنانو والعلي غافلة عن أعمال العملاء فقد كانت عين ترقب ساحة المعركة وأخرى ترقب سلامة الثورتين[٥٦].

وما كان يعوض الثورتين في مواجهة العملاء والأتباع، تلك العيون التي كانت للثورة في الجهاز الحكومـــي وضمن دار المندوبية السامية في حلب وغيرها من المدن. ويصف الشغوري[٥٧] هؤلاء "بأنهم عـــيون متـــيقظة تراقب وتخبر عن كل جديد في الكثير من الحالات التي كانت أعمال الثورة وتنقلات الـــثوار تســـير علـــى ضوء تلك الأخبار التي ترد تباعاً"، وكذلك فقد انضمت بعض القوى الأجنبية الموجـــودة في الصفوف الفرنسية إلى جانب الثوار، وتشير إحدى الوثائق الفرنسية[٥٨] إلى أن من أسمتهم (متطوعـــي الشرق) لم يكونوا موضع ثقة القادة الفرنسيين فقد "استجاب خيّالان من هؤلاء المتطوعين لإغراءات (العدو) وانضما إليه".

وذكر الشغوري[٥٩] أن قسماً من القوة العاملة بأمرة الفرنسيين من درك (وملّيس) والتي لا تقل عـــن ستمائة جندي نصفهم من الخيالة، هرب في معركة جسر الشغور ١٩٢٠/١١/٢٦ والتحق بالثوار واستسلم الباقي، ورغب إليهم هنانو ألا يعودوا إلى الخدمة. وفي المراحل الاخيرة لثورة المنطقة الساحلية

التقـــى الشيخ صالح قوة فرنسية في موقع قصابين شرق الخوابي وأسر بعض الجند، كان بينهم أربعة من الألمـــان واثـــنين من البلقان، وقد أخلصوا للشيخ صالح وحاربوا في صفوفه، وبعد انتهاء ثورته التحقوا بـــثورة هنانو[٦٠]. كما التحق عدد من البلغاريين في الفرقة الأجنبية الفرنسية، ومعهم كميات وافرة من الذخيرة بثورة هنانو في ربيع ١٩٢١، وكان هنانو يعتمد على خبرتهم في المعارك وقد أبلوا بها، وأصروا على مرافقته حينما عزم على الرحيل إلى الأردن[٦١]. وهناك إشارة إلى أن عدداً من الجنود المغاربة الذين كانـــوا يعملـــون مع القوات الفرنسية في معركة جبل الأربعين في آذار ١٩٢٠ قاموا، حين أمرت تلك القـــوات بالانسحاب لما لحق بها من خسائر، بطمر الذخيرة وبخاصة رصاص البنادق، في التراب وتركوا شـــارات تـــدل الثوار على مكان هذه الذخيرة المطمورة. " ولقد كانت هذه الذخيرة عوناً عظيماً على مواصلة القتال ضد العدو المشترك وهو المستعمر الفرنسي"[٦٢].

أمـــا قادة الثورات[٦٣] فقد كانوا من أصل ريفي، أو كان لهم نفوذ في الريف وكانوا يتمتعون باحتـــرام ومحـــبة الأهـــالي، وهذا ما عزز قيادتهم الثورية ومتّن الأواصر فيما بعد بين هؤلاء القادة وبين قاعدتهم الريفية[٦٤]. وكثيراً ما كان قادة الثورات يستعملون الريع العائد إليهم من أملاكهم الخاصة من أجـــل تمويل ثوراتهم، والجدير بالذكر أن أملاك الزعيمين الشيخ صالح العلي وإبراهيم هنانو كانت عدة قرى.

وقـــد حرص قادة الثورات على المحافظة على التوازن الاجتماعي والاقتصادي وعدم المساس به والخـــروج على الأعراف السائدة، وحين كان بعض المتهورين يقومون بأعمال تخرج على المألوف كان القـــادة يتدخلون لاحتوائها (مثال ذلك الهجوم الذي شنه نورس طيبا ضد الأعيان من عائلة الحراكي في معـــرة الـــنعمان)[٦٥]. وحين عزم أحد ضباط الفصيلة التركية المؤيدة للثوار قتل اثنين من أعيان احدى القـــرى (قرية قريباص) لأنهما ثريان، تقدم السعدون أحد زعماء الثورة لمنعه من فعل ذلك بدعوى أن الأعداء هم الفرنسيون وليس الأغنياء[٦٦].

ج ـ تنظيم الثورات وتمويلها وتسليحها.

لقـــد تطـــورت تنظـــيمات رجال الثورة حتى أصبحت جيشاً حقيقياً لا ينقصه التنظيم وتسلسل القيادة والانضـــباط، بل تنقصه الأسلحة الثقيلة والدولة التي تحتضنه. ولم يسع سلطات الاحتلال إلا أن تعترف بالثورتين وكأنهما حكومة أو بقايا الحكومة العربية في دمشق، وكان هذا الاعتراف ضمنياً ومستتراً في أول أمره. وقد أصبح

هذا الاعتراف الضمني علناً عندما بعثت تفاوض زعيمي الثورتين لأمر انهاء القتال والتأثير عليهما بالألقاب والأموال والعفو والمناصب(٦٧). وكان كلا الزعيمين زاهداً في المال بذل كل ما يملكه في سبيل ثورته، فلم ينقادا للمستعمر.

وكان الثوار من جانبهم يتصرفون بمسؤولية على أساس أنهم قوة نظامية مسؤولة تجاه حكومة، فكانـــوا يحافظون على حياة أسراهم في معسكرات قروية خاصة، وبعد ذلك يتفاوضون مع الفرنسيون لتـــبادل الأسرى(٦٨). وقد حُذّر قادة المفارز الثورية بعدم استعمال القوة والقسوة مع الذين يستسلمون ســـواء كانـــوا (متطوعين) أو فرنسيين، كما كان الجرحى ينقلون إلى حيث تضمد جراحهم ويعنى بهم حـــتى تنجلي المعركة. وعلى الجبهتين جرت مفاوضات ولقاءات تجلت فيها روح المسؤولية والفروسية رغم الحذر من الغدر والتحفظ.

كان الشيخ صالح قائد الثورة في المنطقة الساحلية، قد نظم رجال الثورة تنظيماً عسكرياً وإدارياً رائعـــاً ولم يترك ناحية تنظيمية لم يعرها اهتمامه الكامل، وبدت هذه التنظيمات شاملة لجميع النواحي: فقـــد أنشـــأ لجهازه ديواناً للبريد يربطه بمناطق الثورة وبالحكومة العربية قبل سقوطها لمسك السجلات والقيود من أجل تدوين الواردات مع اختلاف أنواعها وكذلك النفقات. وأقام إدارة للتموين. كما أنشأ ديـــواناً لبيت المال وهيئة للتفتيش وهيئة للأمن، وكذلك أنشأ فرقة من الدعاة(٦٩). وفيما يتعلق بالجانب العســـكري فقد كان الشيخ صالح قائداً عسكرياً فذاً فقد كان يجمع الكتائب ويعين القادة ويعفيهم من مناصـــبهم(٧٠). وقد شكل مع مجموعة من أعوانه ما يمكن تسميته (هيئة أركان حرب الثورة) وتشمل الضباط الذين كانت حكومة دمشق العربية قد أرسلتهم كمستشارين للشيخ. وكان هناك (العقداء) ممن تطوعوا للثورة من الضباط القدامى. أما (الرؤساء) فقد كانوا أدنى مرتبة من العقداء اختارهم الشيخ من الـــوجهاء المحليين أو الشيوخ الذين برزوا في الثورة. وتلي مرتبة الرؤساء عدة مراتب أخرى مثل الملازم (المعـــاون) رئيس الخفراء، ولكل من هؤلاء عمل وصلاحيات معينة(٧١). وكان الجميع يرتبطون بقيادة واحدة هي الشيخ صالح وأركان حربه. وقسّم الشيخ صالح قواته إلى كتائب أو عشائر وضع على رأس كل منها عقيداً من شيوخها، وقسّم الكتائب إلى وحدات أصغر، وجعل لكل وحدة قائداً يرأسها وألحق بهـــا مفـــارز من الخيالة لاستطلاع العدو(٧٢). وكان الهدف من إعطاء الألقاب والرتب العسكرية تأمين الـــنظام في القـــوات الثائـــرة وقد أُشير سابقاً إلى أن للثورة عَلَمها الخاص هو عبارة عن قطعة من القماش الأخضر يتوسطها هلال ونجمة(٧٣).

وفي الجبهة الشمالية والشمالية الغربية، ومنذ أن بدأت الثورة، كان أول سبعة ثوار في كفر تخاريم تحت قيادة هنانو، ثم ألفّت بعد ذلك لجنة رباعية في كفر تخاريم أطلق عليها اسم اللجنة التشريعية، كُلّفت بجمع الأموال والتبرعات لتقوية الجهاز الثوري وتغذيته بما يحتاج إليه من أسلحة وما يجب اعطاؤه لافراده من الرواتب. واخذت التشكيلات الثورية تتوسع عدداً وعتاداً[٧٤]. وقُسم الثوار إلى فرق صغيرة أو حضائر يقود كل منها نقيب وجميعهم مسؤولون أمام قيادة عليا[٧٥]. ورغم أن القرى المجاورة كان لها ثوارها الخاصون الذين يشار لهم بكلمة (أبناء) كأبناء سلقين أو أبناء أرمناز[٧٦]، إلا أن الثوار قد انضموا إلى ما عرف بثورة كفر تخاريم التي كانت تحت الرئاسة المباشرة لنجيب عويد والقيادة العليا لهنانو. وقد امتدت ثورة هنانو لتشمل منطقة انطاكية، والقصير بقيادة رئيس محلي هو الشيخ يوسف السعدون، ومنطقة (صهيون) بزعامة عمر البيطار. أما المنطقة الرابعة للثورة فكانت جبل الزاوية وزعيم الثورة فيها هو مصطفى الحاج حسين. وأقرت المناطق الأربعة بالقيادة العليا لهنانو الذي عهد لكل جماعة من الثوار بدورها في القتال، وتولت كل منطقة أعباء الأمور الحربية والإدارية[٧٧]. وهكذا أصبحت ثورة هنانو مكونة منذ أواخر آب ١٩٢٠ من أربع مناطق ثائرة.

ولما اتسع نطاق الحركات العسكرية في المنطقة الشمالية والشمالية الغربية ضد الفرنسيين وازداد عدد الثوار، وجد هنانو من الضروري، حفاظاً للأمن في تلك المنطقة وتأميناً للمال اللازم لسد حاجات القوات المقاتلة من المؤن والعتاد، أن تؤلف حكومة للأشراف على هذه الشؤون. وتم تشكيل حكومة محلية مدنية مؤقتة مركزها قصبة أرمناز كلفت الاشراف على الأمن الداخلي وجباية الضرائب وفقاً للقواعد الأصولية المتعارف عليها. ويقول الشغوري[٧٨]. "كانت الضرائب تجبى من أصحاب الأملاك والمواشي ومن الزراع والمستثمرين أسوة بالحكومات وسيراً على سنّتها وعاداتها". ويذكر السعدون[٧٩] أنه كان يؤخذ من أهل المناطق بدل العشر ورسم الأغنام. أما العشر فمعلوم وفيه تتريل ٢٥٪ ورسم الأغنام، على كل دابة خمسة قروش والتتريل ٢٥٪"، وقد عينت حكومة الثورة المدنية المؤقتة عدداً من جنود الدرك والجباة لتحصيل الضرائب، وتصدت قوات الثورة لجباة الضرائب التابعين للسلطة الفرنسية الذين حاولوا جباية الضرائب من الأهلين ومنعهم من دفعها إلى حكومة الثورة، وصادر الثوار نقود هؤلاء الجباة كي يضمنوا للثورة مصدراً إضافياً للمال. وقد حرصت حكومة الثورة وخشية أن تمتد أيدي النهب والاتلاف إلى السجلات الحكومية (المدنية والعدلية والتمليك) على أخذ هذه القيود والاحتفاظ بها ريثما يستقر الأمر فتسلم إلى الجهات المختصة[٨٠].

وكان زعماء الثورتين في الساحل والشمال حريصين على تحقيق العدالة بين أتباعهم في المناطق التي كانت تحت إشرافهم، وعمدوا إلى تنقية الثورة من المستغلين والمستهترين وغير المنضبطين لتحافظ الثورة على مصداقيتها واحترام الشعب والأعداء لها، وطبقوا ذلك حتى على القادة الأتراك(٨١). وكان زعماء الثورتين مصممين على عدم السماح بحدوث أي سلب أو نهب أو تخريب أو اعتداء. وطُلب من الثوار البطش بكل من يستحل أموال الناس أو يستغل الظروف لمصلحته الخاصة (وقد أشير سابقاً إلى التحاق بعض"الطماعة" بصفوف الثورة بتحريض من الفرنسيين لتشويه سمعة الثورة)(٨٢)، إذ إن مصلحة الوطن يجب أن تكون هي العليا وأن تذوب فيها كل المصالح الفردية والمنافع الخاصة. ولو امتدت أيدي البعض إلى أموال الأهلين بالنهب كانت قيادة الثورة تجّرد دوريات خاصة للضرب على أيدي الناهبين وإعادة المنهوبات، بما فيها الأموال والحيوانات إلى أهلها (مثال ذلك: ما أشير إليه سابقاً من إعادة منهوبات السقيلبية في الحادثة الأولى في تشرين الثاني ١٩٢٠ على يد الشيخ صالح، وملاحقة الشغوري بعض من سلب الأموال مستغلين حالة الفوضى بعد احتلال كفر تخاريم في ٧ آذار ١٩٢١). ووصلت عقوبة من اقترف أعمال النهب حد الإعدام كما جرى لقائد القوة التركية في ثورة هنانو عاصم بك بعد نهب السقيلبية في حزيران ١٩٢١ وهو عمل كانت الثورة تعتبره ضاراً بسمعتها(٨٣).

وكانت القيادات الثورة يقظة لاعمال العملاء وأتباعهم(٨٤) وتصرفت بحزم تجاه الجامحين وتجاه الأهالي المحليين الذين تعاونوا مع فرنسا وأوقعت بهم أشد العقوبة(٨٥) (مثال ما حدث مع هنانو في حادثة اسقاط فقد أعدم الثوار بعد انتهاء معركة اسقاط الجاسوس الذي أعلم الفرنسيين بوجودهم في القرية كما أعدموا الرسول الذي حمل تلك الرسالة إلى الفرنسيين)(٨٦).

واعتبرت الهيئات القضائية التابعة للثورتين وما يلحق بها من درك وسجون وقضاة، ضرورة ماسة إذ أنها كانت تساعد على الحفاظ على النظام في صفوف الثورة(٨٧) كما كانت تضفي على الثورات الاحترام أمام حلفائها وأعدائها على السواء(٨٨). وقد ارتبطت بثورة الشيخ صالح محكمة عرفية عسكرية أوكلت إليها مهمة إصدار الأحكام القضائية ومحاكمة الأشخاص الذين خانوا الثورة، كما أوكل إليها القيام بالأعمال المالية والتفتيش الإداري وحلّ الخلافات بين الأهلين(٨٩).

أما عن مصادر تمويل الثورات: فإنه إضافة إلى مساعدة حكومة دمشق والأتراك في مراحل معينة من مسار تلك الثورات، فقد ظل الأهالي في المناطق الثائرة أكبر المساهمين(٩٠). ونظراً لأن الثورات كانت بمجملها خارج المدن لأن الريف والجبال المحيطة بالمدن كانت أكثر ملاءمة، إلا أن أهل المدن

الكــبرى كانوا يؤمنون الدعم المالي وبذلك اعتبرت مقاومتهم داعمة أكثر منها قتالية[٩١] وقد أشير سابقاً إلى أن الــثورات كــان تجبي من الأهالي الضرائب كضريبة العشر على المنتوجات الزراعية وضريبة المواشي[٩٢]، وكــان بعــض الفلاحين في حماسهم للثورة، يدفعون ضريبة العشر مرتين[٩٣]. ولم يشأ زعماء الثورات الإثقــال علــى السكان بطلباتهم المستمرة للإسهام كي لا ينقلبوا ضد الثورة[٩٤]، إلا أن حماس الأهالي للثورات كان يدفعهم للتبرع بالإعانات المالية. (والملاحظ ان الزعامات كانت حريصة على مصالح الناس ولــو أدي ذلــك إلى وقف الاشتباك مع القوات الفرنسية لفترة محدودة)[٩٥]. وقد نشط الأغنياء على وجه الخصــوص في تقــديم المــال ويُذكر أن المحسنين من معظم وجهاء العائلات في المنطقة الساحلية كانوا يساهمون بأموال لدعم الثورة وكانت تلك الأموال تحمل باستمرار إلى الشيخ صالح[٩٦] وكذلك وردت الامــوال إلى ثورة الشيخ صالح من المغتربين في المهاجر الأمريكية[٩٧] وكان فاتح المرعشي، من وجهاء حلــب، الممول الأكبر لثورة هنانو وتزويدها بالسلاح والخيول من مركزه في مرعش[٩٨]. كما أن كثيراً من وجهاء حلب وتجارها أمدوا ثورة هنانو بالسلاح والرجال والمال[٩٩].

وكان هنانو والشيخ صالح ينفقان من واردات أملاكهما على تمويل الثوار وتزويدهم بالسلاح وكانت تلك الأملاك ـــ كما أشير سابقاً ـــ تشمل عدة قرى وضعت كلها تحت تصرف ثورتهما[١٠٠] وقــد ضــمنت هجمات الثوار ضد جباة الضرائب التابعين للحكومة ومصادرتهم للنقود مصدراً إضافياً للــتمويل وكان الثوار يهاجمون مؤن القوات الفرنسية المرسلة إليها من قبل المتعهدين المحليين ويستولون علــيها مثال ذلك (ما حدث لقافلة التموين في معركة دركوش في ١٩٢١/١/٢٢)[١٠١]. وكان أولئك المــتعهدون بدورهم مهددين بمصادرة قطعانهم من قبل الثوار. ونظراً لأن القوات الفرنسية كانت تقوم بــتدمير المحاصــيل والمؤن كي لا تقع بأيدي الثوار، اضطر الأخيرون إلى حماية مؤنهم بتخزينها في بعض القرى وأحكام الحراسة عليها[١٠٢].

وظلت مسألة السلاح الشاغل الرئيسي للثوار إذ لم يكونوا يملكون في البداية إلا البنادق القديمة المخــتلفة الأنــواع مع مقدار ضئيل من العتاد كان يجري تأمينها بصعوبة ومشقة[١٠٣] ولم يكن بأيدي المقــاتلين ســوى الســيوف والخناجر والفؤوس (السلاح الأبيض)[١٠٤]، فكانوا يهاجمون العدو بتلك الأدوات وينتزعون السلاح من يده عنوةً ولذا فإن جلُ ما كانت تعتمد عليه الثورة في البداية من سلاح وعــتاد هــو ما كانت تنتزعه من أيدي القوات الفرنسية خلال المعارك أو ما كان يتركه الفرنسيون في ســاحاتها[١٠٥] وهكذا راح الثوار يحاربون بأسلحته ويتمونون بذخائره ومعداته، ويذكر الشغوري[١٠٦]

أن العـــتاد الزائد على الحاجة كان يوضع في أماكن جبلية وفي محلات متعددة مستورة للاستعانة به عند الحاجـــة إلـــيه. ويقدر تقرير عسكري فرنسي[١٠٧] صادر عن سنجق اللاذقية في ٦ نيسان ١٩١٩ عدد الأسلحة الموجودة بأيدي الثوار في المنطقة الجبلية الساحلية ٣٠,٠٠٠ ـــ ٥٠,٠٠٠ قطعة.

ولم يعـــد من السهل على الثوار الحصول على هذه الامدادات من هذا المصدر (أي من العدو) منذ أن اتسعت رقعة الأعمال الحربية وتعددت الوقائع، وفي حين كانت الامدادات والجنود تأتي للقوات الفرنسية تباعاً كان الثوار يفقدون كل يوم عشرات الشهداء وأقواهم وعتادهم في تناقص مستمر[١٠٨]. ويذكـــر أنه في معارك جبل الزاوية الأخيرة (في ٢٠ نيسان ١٩٢١) أخذ الثوار يقسمون المشط الواحد فـــيما بيـــنهم ليطلق كلٌّ منهم آخر رصاصة في صدر عدوه[١٠٩] وفي المراحل الأخيرة من الثورتين كان تـــأمين العتاد اللازم للمعارك المستمرة أمراً صعباً، وجال مندوبو الثوار البلاد بحثاً وتنقيباً دونما جدوى، وكانوا يعودون بأيد فارغة أو بكميات قليلة من العتاد بأغلى الأثمان والمال غير موفور[١١٠].

وحتى عشائر البادية التي كانت تعمل على جلب السلاح والعتاد من البلدان المجاورة، ويشتريه الـــثوار مـــن أموالهم الخاصة[١١١]، حتى هذه العشائر توقفت عن تزويد الثوار بسبب تشديد الفرنسيين قبضتهم على تلك العشائر ومصادرتهم السلاح[١١٢]. وقد توقف توريد السلاح للثورات من المصدرين الخارجـــيين: حكـــومة دمشق والأتراك لعوامل سياسية (سقوط حكومة دمشق وتغيير طبيعة علاقات الأتراك بالثورات السورية).

د ـــ أساليب الثوار القتالية ووسائل الفرنسيين لمواجهتها.

بـــرهن الثوار على مستوى عال من البسالة والاقدام وامتازوا بأهلية حربية مقرونة بالبطولات العربية الموروثة وروح الفداء وقوة العزيمة التي لا تهن ولا تقهر. ونظراً لأن الجيش الثوري كان يفتقر إلى العناصـــر الضـــرورية للقيام بهجوم عام، كالمدفعية والآليات والطائرات فقد اتسمت عمليات الثوار في المنطقتين الرئيسيتين بحرب متقطعة تقوم بها فرق صغيرة هي أشبه بالحروب التي صارت تسمى فيما بعد (بحروب الأنصار) أو (حروب العصابات). كانت هذه الفرق تعمل في كل مكان وتنتقل بسرعة بطريقة أشبه ما تكون بعمليات الإغارة التي تعتمد على التدمير والانسحاب[١١٣]. وكان الشيخ صالح العلي مثلاً يـــرى أن العدول عن الحرب النظامية إلى (حرب العصابات) هو السبيل الوحيد لانقاذ الموقف. وكان يطلب من عقداء الكتائب أن يتجنبوا الاشتباك مع العدو المتفوق في معركة طويلة وان يباغتوه في معارك

خاطفة، وأن يوجهوا الضربة الأشد إلى الجهة الأكثر ضعفاً وينسحبوا إذا تقدم ويضربوه إذا توقف ويتعقبوه إذا تقهقر[١١٤].

وبوجه عام استهدفت العمليات الثورية مهاجمة المراكز العسكرية المنعزلة ومحاصرتها لجذب قوات العدو إليها، وبذلك يجري تشتيت القوات وتفكيكها فتسهل مهاجمتها، وكذلك استهدفت مهاجمة أرتال العدو أثناء سيرها في الممرات الإجبارية والانقضاض على وسائل التموين والامداد[١١٥] وعمدت قيادة الثورة على الجبهتين إلى إصدار الأمر لوحداتها بتجنب الاشتباك مع القوى الفرنسية الكبيرة في الأراضي المكشوفة السهلية التي تفتقد إلى حواجز وموانع طبيعية وتضاريس، كما أمرتها بالإكثار من الحركات الليلية ومباغتة العدو بكتل قوية قليلة العدد سريعة الانتقال تكيل الضربات الموجعة المتتالية، مع الاحتراز من الدخول مع الحملات الفرنسية بمعركة طويلة على جبهة واسعة[١١٦]، تجرها إليها الوحدات الفرنسية في معركة غير متكافئة القوى والوسائط تسبب استهلاك العتاد الموجود لديها وخاصة خلال المعارك الاخيرة[١١٧].

وكان استخدام الثوار الجيد لطبيعة الأرض في أثناء التنقل والقتال والتمركز في منطقتي الثورة وبشكل خاص في المنطقة الغربية، عوناً كبيراً للثوار. فقد كان العدو يسقط في الكمائن المتعددة لجهله طبيعة الأرض ولوعورة المسالك وتعددها كما كان الأهلون دون استثناء يرشدون الثوار إلى تحركات العدو وتعداده وما هو عليه من خوف وترقب. ويعطي السعدون[١١٨] وصفاً للخطة التي كانت تتبع في معارك القصير "كانت العادة المتبعة عندما تأتي قوة من جيوش العدو عن طريق من الطرق وتصل إلى قرب منطقة الثورة يمتطي خيّال متن جواده إلى أقرب قرية ويخبرها بوجود العدو القادم ووجهته ثم يخرج من تلك القرية خيّال آخر ويخبر القرية التالي، وهكذا يعم الخبر عموم قرى القصير وكل من بلغه الخبر ممن يملك السلاح كان ملزماً أن ينكب سلاحاً ويسرع ولا ينتظر، فهكذا كنت ترى المدد يأتي متواصلاً".

وأقر الفرنسيون بصعوبة مواجهة هذا النوع من الأسلوب الثوري والعمل في ظروف طبيعية صعبة: وفي تقرير حاكم اللاذقية العسكري مينو إلى قائد القوات الفرنسية في المشرق في ٣ حزيران ١٩١٩[١١٩] شكوى من التعب الشديد من العمل في بلد وعر إذ أنه يصعب اعداد رتل متكامل في معظم شهور السنة. ويعزو الجنرال دوهاي في دراسته[١٢٠] نجاح الثوار في المنطقة الغربية في مواجهة الفرنسيين إلى وعورة الجبال وصعوبة الوصول إليها وعدم وجود طرق مرصوفة مما يشكل خطورة على

الحـــيوانات وســـائقيها كمـــا يحدث مشكلة دائمة للتموين. ويصف خط الذروة (الشعرة) الذي يبلغ ارتفاعـــه ١٥٠٠م بأنـــه "منطقة خالية حيث لا يغامر المرء فيها إلا بحذر". ولا يتوقع تقرير فرنسي وضـــع بعـــد أيـــار ١٩٢١[١٢١] بشأن الأوضاع في المنطقة الجبلية بين انطاكية وحماه واللاذقية نهاية العمليات الحربية في المنطقة الغربية بسبب "تكتيك حرب العصابات وصعوبات المنطقة".

وعـــندما كان يصعب على الثوار تفادي المجابهة مع العدو كانوا يتصرفون مثل الجيوش النظامية وبطرق تقليدية تنظم فيها مواقع القوات فيجعل منها قلب وجناحان (كما حدث مثلاً في معركة الشيخ بدر ١٥ حزيران ١٩١٩، ومعارك الزاوية ٨ آذار ١٩٢١).

ويبدو أن الثوار كانوا يهدفون في عملياتهم الثورية إلى برهنة أمرين: أولاً تأكيد تصميمهم على المقاومـــة، وكمـــا ذكر أحد قادة الثوار[١٢٢] خلال معركة كفر تخاريم "لنفهمهم بلغة السلاح التي لا يحســـنون غيرها أننا مصممون على المقاومة حتى النهاية واننا إذا لم نستطع القاءهم في البحر فسنكتفي بتنغيص عيشهم وجعل إقامتهم في ربوعنا أتونا من نار". أما الأمر الثاني فهو إيقاع أكبر عدد ممكن من الاصابات في صفوف القوات الفرنسية بغاية منعها من بسط حكمها[١٢٣] ووفقاً لما تذكره إحدى وثائق وزارة الخارجـــية الـــبريطانية في ١٩٢١/١/١٩[١٢٤] فـــإن خسائر الفرنسيين التي اعترفوا بها في إحدى المعارك شمال حماة في الأيام الأولى من عام ١٩٢٠ بلغت ٣٠٠ قتيل، وأن القوات التي ارسلت لتخفيف الضـــغط علـــيهم فقدت نصف عددها. ورغم أن الثوار كانوا يبالغون أحياناً في تقدير إصابات الجانب الفرنســـي مـــن أجـــل رفع المعنويات، إلا أن هناك الكثير من الحقيقة في التقديرات المعطاة حول تلك الإصـــابات من قبل الثوار. ولا أدل على شدة ما أوقعه الثوار في صفوف القوات الفرنسية في الفترة ما بـــين ١ تشـــرين الـــثاني١٩١٩ ـــ ٣٠ حزيران ١٩٢١ ما أوردته وثيقة فرنسية[١٢٥] قدرت الخسائر الفرنسية من قتلى ومفقودين في هذه الفترة على النحو الآتي:

ضـــباط فرنســـيون (١٣٧)، جنود فرنسيون (١٩٨٤)، شمال أفريقيون (٢١٠٨)، من أهالي المستعمرات (١٤٢١)، عناصر محلية (١٣٣).

وفي بـــيان للحكـــومة الفرنسية أمام مجلس النواب الفرنسي في جلسته بتاريخ ٥ تشرين الثاني ١٩٢٥[١٢٦] وقدر عدد القتلى الفرنســـيين عام ١٩٢٠ بـــ (٢٨٩٣) وفي عام ١٩٢١ بلغ عدد القتلى (٢٠٣٢)، هذا باستثناء من قتل من أفراد القوات العاملة في الجيش الفرنسي من أفريقيا الشمالية أو من

العناصـــر (المحلية). إن الأعداد المرتفعة من قتلى القوات الفرنسية في عامي ١٩٢٠ و١٩٢١ وفقاً لوثيقة بريطانية "تدل دلالة واضحة على الخسائر الفادحة التي أوقعتها ثورتا إبراهيم هنانو والشيخ صالح العلي وشـــركائهما في صفوف جيش الانتداب، كما تدل على أن تقديرات مصادر الثورة حول الخسائر التي منيت بها فرنسا تحوي الكثير من الصدق"[١٢٧].

ولم تقتصـــر أســـاليب الثوار في مقاومة الفرنسيين على العمليات العسكرية بل تعدتها إلى قطع وتخـــريب خطوط المواصلات: فقد كانت المواصلات السلكية تهاجم وتعطل من قبل الثوار[١٢٨]، إلا أن الخطـــوط الحديديـــة (على وجه الخصوص الخط الممتد بين حلب وحماه والذي يصل سورية بلبنان عن طـــريق رياق) كانت هدفاً رئيساً بالنسبة للثوار، نظراً لأن الجنود والمعدات العسكرية كانت تنقل بين بيروت وكيليكية عبره.

وقـــد اســـتهدف الثوار، بمن فيهم البدو، المحطات الرئيسية كمحطة (أبو الضهور) جنوب حلـــب[١٢٩] ومحطـــة الحمدانـــية ومحطة كوكب. وقد شاركت عشائر البادية وخاصة قبيلة الموالي، في مهاجمـــة محطات السكك الحديدية في أيار ١٩٢١: فكانوا يهدمون الجسور على طريق السكة الحديدية بـــين حمـــاة وحلب[١٣٠]. واضطر غوبو بهدف حماية طريق السكة الحديدية في أيار ١٩٢١ إلى تشكيل مفـــرزة خاصـــة تمكنت بعد فترة وبعد أن رافقتها عمليات قصف طيران إلى إخضاع الموالي ومصادرة مواشـــيهم[١٣١]. وقـــد نـــوه القنصل البريطاني في دمشق في ١٨ أيار ١٩٢١ في رسالته إلى وزير الخارجية[١٣٢] إلى "أن الخط الحديدي وأسلاك التلغراف بين حلب ودمشق قد قطعت مرة أخرى قرب حماه من قبل قبائل بدوية وثوار المنطقة الساحلية، وأعلن ضابط فرنسي في حماه أن (العصابات) النشطة هناك يرأسها (ضباط أتراك) وأن لديهم بنادق آلية وان القطار قد أطلقت عليه النيران".

وقـــد ادعـــى الفرنسيون بأن قوات الثوار كانت تفوقهم عدداً وعدة وأن انتصاراتهم في جميع المعـــارك، كما يزعمون، كانت بفضل بسالة ضباطهم، وجنودهم وصلابتهم وشدة بأسهم وتمرسهم في القتال. والوقائع تثبت كذب دعواهم إذ كانوا يملكون العناصر الحربية مجتمعة من الفرق والألوية الكاملة المدربـــة أحســـن تدريب والمنتمية إلى مختلف صنوف الاسلحة والمعززة بأفتك أنواع الأسلحة الثقيلة والمدافع والمصـــفحات بالإضافة إلى قوات الطيران[١٣٣]، وبمعين لا ينضب من النجدات وإمدادات الذخيرة والعتاد والمـــؤن ســـهلة الوصول عن طريق البحر[١٣٤]. وشاركت النسافات والزوارق المسلحة في تعزيز عمل الحمـــلات العسكرية وتقديم النجدات إليها وقصف القرى الثائرة بالقنابل، وهو أمر أشارت إليه إحدى

الوثائــق الفرنســية[١٣٥] مبينة أن "هذه الأحداث قد بينت النفوذ الذي يحتفظ به سلاحنا البحري بين الاهالي، فوجود أي نسّافة بحرية يرعب مثيري الشغب والفوضى".

ومــع أنــه يبدو من عمليات القتال أن الفرنسيين كانوا يفتقدون إلى القوات الضرورية لمحاربة جمــيع الــثوار في آن واحد[١٣٦]، إلا الهم تمكنوا من حشد ١٥٠٠٠ جندي، في معركة واحدة وجهت ضــد كفر تخاريم في هجوم على ثلاثة محاور. كما أشير إلى أن الفرنسيين لم يستطيعوا إخماد لهب ثورة الشيخ صالح إلا بحملة تضم ٧ كتائب فرنسية عام ١٩٢١[١٣٧]، وذكر أن عدد جنود الحملة تجاوز ثلاثة وعشرين ألفاً[١٣٨].

وقــد عمــل الفرنسيون في المرحلة الأولى من نشوب الثورات والتي بدأت بشن الغارات على ثكــنات الفرنسيين، على الاكثار من الدوريات ورجال الدرك، ولم يحد هذا من الهجمات[١٣٩]. وبعد تصــاعد العمليات الثورية استخدم الفرنسيون خطة هدفها قمع الثورة بأقصر وقت ممكن وتلخصت بما يأتي[١٤٠]:

أــ إقامــة مراكــز منتشــرة في طــول الــبلاد وعرضها غرضها توطيد الأمن وحفظ النظام من جهة واستخدامها كمراكز اتصال بين الأرتال المتحركة من جهة أخرى.

ب ــ تجمــيع القوات المتحركة في أرتال متكاملة إدارياً وتعبوياً تحميها مقدمة ومؤخرة ومجنبة وتتقدمها قــوات مهاجمة قوامها الفرسان والمصفحات على مسافة أمن كبرى تغطيها استطلاعات طيران متعاقبة.

جــ ــ السير نهاراً بصورة دائمة والتوقف ليلاً في مخيمات محكمة الحراسة.

د ــ قصف تجمعات الثوار بالمدفعية والطيران.

هــ ــ القضاء على الثورة في المناطق السورية بالتتابع.

وراحــت القيادة الفرنسية تستبدل فرقها العسكرية معتمدة على القوى التي تمرست على القتال في الأحوال الخاصة (قتال الليل والجبال والغابات والشوارع)[١٤١]. واستقدمت كتائب من المستعمرات مــن أفريقية والهند الصينية. واتسمت العمليات التي قام بها الفرنسيون رداً على العمليات الثورية بعنف غــير مألوف بهدف إرهاب السكان وإجبارهم على التخلي عن الثورة وعدم مناصرتها[١٤٢]. وارتكب الفرنسيون على كلا الجبهتين كثيراً من الفظائع من حرق وتدمير قرى وبيوت ومدن بالقنابل والطائرات

وقتل الأبرياء والتنكيل بهم في المناطق الثائرة أو من يظنون أنها تساعد الثوار، بالإضافة إلى نهب جميع ما يملكـــه أهل القرى والأماكن التي يدخلونها وسوق المواشي ومصادرة الاموال والأثاث وفرض الغرامات بـــلا مـــوجب[١٤٣]. وكان لهذا أثر بالغ في نفوس أبناء البلاد. وتعطي مذكرات المعاصرين والكتابات المتعددة عن أحداث الثورات الامثلة الكثيرة:

من الأمثلة على فظائع الفرنسيين في معارك الجبهة الساحلية الغربية ما حدث في معركة الشيخ بـــدر ١٥حزيران ١٩١٩، فقد كانت القرى المحاصرة تحترق تحت وقع القنابل المتفجرة وأمام سمع الثوار وأبصـــارهم، ومن أراد النجاة من الحريق تلقته شظايا القنابل عند الأطراف. وخلال هجوم الفرنسيين على قرية كاف الجاع في تموز ١٩١٩ (وكانت خالية من المدافعين لبعدها عن منطقة الثورة الرئيسية)، قتل الكثيرون من السكان وحشر الآخرون ضمن البيوت وجعلوا طعماً للنيران ونهبت الأموال وقطعت آلاف الأشجار امعاناً في الدمار والتخريب.

وفي معـــارك الســـودة الكـــبرى (قرب طرطوس) في آذار ١٩٢٠، اشتركت مدافع الأسطول بقصـــف القرى والمواقع التي يستند إليها الثوار، كما أن الثوار الذين وقعوا أسرى بيد العدو في المعارك نفســـها نكّـــل بهم وأعدموا رمياً بالرصاص. وبعد معارك نيسان ١٩٢٠ الدامية، تمكن الفرنسيون من احـــتلال بعـــض القرى في الجبال الساحلية، التي انضم أبناؤها إلى صفوف الثوار، بعد أن هدمتها قنابل مدافعهم، وبعد أن دخلتها قواتهم أحرقت ما بقي قائماً منها حتى غدت كتلاً من رماد. ولم يخرجوا من قـــريتي كـــوكب الهوى وقلعة الخوابي في مطلع تموز ١٩٢٠ إلا بعد أن أحرقوها وخرجوا منهما وهما أطـــلال. وخلال هجوم الثوار على بانياس في الشهر نفسه، أخذت قطع الأسطول بقصف بيوت المدينة قصفاً همجياً، وبدأت بعض البيوت تتداعى والحرائق تشب مما اضطر الثوار للانسحاب. وبعد أن احتل الفرنســـيون قرية الشيخ بدر (أواخر ١٩٢٠) والمرتفعات المحيطة بها أحرقوا قرية المريقب وسائر القرى القـــريبة مـــنها وجعلوها أرضاً محروقة. كما قاموا باعتقال بعض زعماء المنطقة ووجوهها بتهمة تأييد الـــثورة ومناصرتها، وشكلوا مجلساً عرفياً لمحاكمتهم وأصدر المجلس حكمه بإعدامهم، ونفذ الحكم فيهم فوراً. كما أطلقوا يد جنودهم بالاعتداء والتخريب والنهب والسلب وقتل الأبرياء.

وبعد الهزائم المتوالية التي تكبدها الفرنسيون في معارك كانون الثاني ١٩٢١ في الجبال الساحلية عمدوا إلى اطلاق نيران مدافعهم على طول الساحل بين جبلة وبانياس على الجبال القريبة والقرى المطلة

علـــى الســـاحل بقصد منع الثوار من التمركز فيها، مما تسبب في قتل الكثيرين من العزل الأبرياء. كما كانـــت الطائـــرات تقوم بغارات متواصلة وتلقي كميات كبيرة من متفجراتها على تلك الربوع. وراح الفرنسيون يرسلون دوريات آلية تطوف بعض سفوح الجبال الغربية وترصد الناس على الطرقات وتقتل بعضـــهم، وتـــنهب وتسلب ما يقع بيدها من أموال متبعة سبل القرصنة. وفي المراحل الاخيرة من ثورة الساحل قامت القوات الفرنسية المعززة بكل وسائل الحرب في الإطباق من كل جهة على مناطق الثورة، وأخذت في الوقت نفسه تشدد الضغط على السكان وتعتقل المزيد منهم زيادة في التنكيل وتثبيط العزائم لاجبارهم على التخلي نهائياً عن نصرة الثوار وتقديم العون لهم.

واتســـمت عمليات الفرنسيين في المنطقة الشمالية والشمالية الغربية الثائرة بعنف مماثل وخاصة بعـــد أن تلقت القوات الفرنسية ضربات على يد الثوار في منطقة جبل صهيون (نيسان ١٩١٩). وقد عمـــدت قـــيادة الحملـــة الفرنســـية العاملة في منطقة جبل (صهيون) إلى الانتقام بمهاجمة القرى الآمنة والاعـــتداء علـــيها بالسلب والنهب والتنكيل بالسكان انتقاماً لما أصابها من هزائم وخسائر. وفي منطقة القصـــير (وإثـــر إصـــابة حملة النجدة التي طلبها غوبو من حلب في شباط ١٩٢١)، أمر الجنرال غوبو بمهاجمـــة قـــرى المنطقة وايذاء أهلها لأن الكثيرين منهم يؤيدون الثورة ويساعدونها بالرجال المسلحين عـــندما تدعـــو الحاجـــة إلى ذلك. وانتقاماً لهزيمة حملة حلب ١٠ شباط ١٩٢١ (حين سيرت القيادة الفرنســـية من حلب حملة بقيادة دييبوفر لإعادة الهيبة في منطقة قضاء إدلب)، دخلت القوات الفرنسية قرية كللى من أعمال إدلب، وجمعت رجال القرية لإلقاء الذعر في نفوس الأهلين، ونهبت كل ما وصلت إليه أيدي رجالها من مال ومتاع، كما أحرقت المؤن وأتلفت ما وجدته منها عند الأهلين ليموتوا جوعاً خلال تطويق القرية. وقد انتقى قائد الحملة ٢٧ رجلاً أمر بإطلاق الرصاص عليهم فخروا شهداء.

وفي معـــركة جبل الزاوية الاخيرة في آذار ١٩٢١ انسحب الثوار، وفسحوا المجال للعدو أن يصعد الجبل لـــيجد فـــيه قرى خاوية وبيوتاً خالية إلا من بعض الشيوخ والعجزة. وارتكب الفرنسيون بعد احتلال كفر تخاريم (نيســـان ١٩٢١) كـــثيراً من أعمال الأذى والنهب والتدمير ونالوا حتى المسجد، كما هدموا دور عدد من الثوار وعلى رأسهم نجيب عويد.

ولقد عمل الفرنسيون، جرياً على عادة المستعمرين في مختلف الأصقاع وبكل الأدوار، جاهدين على تفريق الكلمة وإلقاء الفتنة والبغضاء بين أبناء الوطن الواحد وإحياء الأحقاد الدفينة بينهم ليشتبكوا

في منازعات تستنزف قواهم متخذين كلمة فرق تسد نبراساً للعمل وقانوناً للإدارة في البلاد المنكوبة باستعمارهم[١٤٤]. وهم إذ يسعون وراء غايتهم هذه كانوا يبحثون عن ضعفاء النفوس، وهم قلة، لاستغلال جهلهم وتدعيم نفوذهم وإغرائهم بالوجاهة الفارغة من أجل تحقيق ما يصبون إليه إلا أن المشاعر الوطنية الصادقة ظلت وستظل هي السائدة والغالبة.

هـ ـ مصادر الدعم الداخلي والخارجي.

قامت ثورتا الشيخ صالح وهنانو بالاعتماد على موارد قادتها وأهالي المنطقة، إلا أنه لم يعد باستطاعتها الاكتفاء بالموارد المحلية، فعمد زعماؤها إلى أن يستمدوا العون من مصادر خارج مناطقهم الثائرة، وكان المصدر الأول الذي لجأوا إليه للدعم هو الحكومة العربية في دمشق من أجل امداد الثورات بالسلاح والمال والعتاد والاستعانة بضباطها لتدريب رجالهم ومساعدتهم في القيادة والتوجيه. وحدث هذا على وجه الخصوص بعد ازدياد حدة الضغط الفرنسي على المناطق الثائرة. وكان من مصلحة الحكومة في دمشق دعم تلك الثورات، للعامل القومي من جهة، وكإحدى وسائل الضغط على السلطات الفرنسية من جهة أخرى، والتي كانت العلاقات معها تزداد توتراً. وحاولت بريطانيا أن تستغل هذا التوجه لدفع مصالحها في المنطقة على حساب فرنسا[١٤٥].

وكانت مسألة مد الثورتين بالمال والسلاح من القضايا التي زادت في توتير العلاقات بين حكومة دمشق والسلطات الفرنسية في الساحل[١٤٦]، وقد منع الإنكليز الشريف حسين من إرسال المال إلى ابنه زيد في سورية في ربيع ١٩٢٠، خشية وصول هذا المال إلى الثائرين على حلفائهم الفرنسيين في سورية[١٤٧]، ومع ذلك لم يتمكن الانكليز أن يحولوا دون دعم الحكومات العربية للثائرين. وفي تقرير للمدير العام الفرنسي للمنطقة الغربية في ٤ تموز ١٩١٩[١٤٨] إشارة إلى الدعاية التي تمارسها سلطات دمشق في (المنطقة الغربية) وإلى الدور الذي تقوم به هذه السلطات في القيام بالثورة والعصيان في تلك المنطقة، وخاصة في بانياس، والتي كان لها أصداؤها في المناطق المجاورة كجبلة وصهيون. وقد رفض سكان تلك النواحي دفع الضرائب، وينقل التقرير عن الفلاحين سبب هذا الامتناع قولهم: "بما أن الحكومات العربية ستشكل عن قريب في البلد فيجدر ان تدفع هذه الضرائب إليها، لذلك يجب ألا تستفيد منها الإدارة العسكرية التي تأخذها معها بعد زوالها القريب".

وبــرأي التقريـــر أن هـــذه النظـــريات لم يبتدعها سكان هذه المناطق انفسهم، فالواضح "أن الأشـــخاص المهـــتمين بخلق (المتاعب)، أمام الإدارة العسكرية الحليفة قامت بترسيخ هذه النظريات في أذهـــانهم". ويــــرى غورو في برقيته إلى وزارة الحربية الفرنسية في ١٢ كانون الثاني ١٩٢٠[١٤٩] وجود (تواطؤ) بين السلطات العربية والحركات الثورية على طول حدود المنطقة الغربية، والدليل على ذلك هو "أن (مفقوديـــنا) قد سلموا إليها من قبل زعماء (العصابات)، وأنه سرها أن تعيدهم (إلينا). ويعد غورو أن يـــزود وزارة الحربية بوثائق صادرة من دمشق تبرهن "بشكل قاطع (تواطؤ) الحكومة (الشريفية) في تنظيم (العصابات) وفي الحركة التي اندلعت في شمال وجنوب المنطقة الشرقية". وتتالت التقارير الفرنسية بشـــأن الأحـــداث والوقائع على حدود منطقة حكومة دمشق التي يقودها زعماء وضباط من (المنطقة الشرقية): في أحد هذه التقارير[١٥٠] إشارة إلى قيام الحركات الثورية في سنجق اسكندرون "وأن القوات المهاجمة كانت تلوح بالعلم (الشريفي) الذي أصبح شعار النضال ضد فرنسا". وفي تقرير آخر[١٥١] يرد تنويه إلى تزويد دمشق الشيخ صالح بالرجال والأسلحة والذخائر. هذا الشيخ، يقول التقرير "أصبح بطل المقاومـــة ضد فرنسا ... وقد (عيّن من قبل الأمير فيصل أميراً) على المنطقة الجبلية الساحلية مكافأة له على خدماته".

وكان هنانو وهو يدير حركات المقاومة في منطقة حلب، يعمل إلى جانب محافظها رشيد طليع (ممـــثل حكومة دمشق)[١٥٢]. وأمدّت هذه الحكومة إبراهيم هنانو بالدعم العسكري والمالي وبالضباط، وكذلك أمدّت ثورة الشيخ صالح العلي. وربما كان نصيب ثورة الشيخ صالح من اهتمام حكومة دمشق أكـــبر، بسبب اتساع رقعة الثورة وتشعب جبهاتها وشدة الضغط الفرنسي عليها واتباع سياسة الأرض المحـــروقة على أهاليها ونضوب الموارد المحلية لمد الثورة (تثبت هذه الحقائق بعض التقارير الفرنسية منذ نهاية ١٩١٩ وحتى أيار ١٩٢٠)[١٥٣].

بـــدأ الاتصـــال الفعلـــي بـــين الشيخ صالح وحكومة دمشق في أيار ١٩١٩، (بعد أن نقض الفرنســـيون الهدنة الأولى مع الشيخ صالح في أيار ١٩١٩). وقد ذهب مبعوث الشيخ وهو عبد القادر المحمـــود إلى دمشـــق وقابل وزير الداخلية فأمر له بـــ ٣٠٠ بندقية و١٠٠ شوال طحين و١٠٠٠ ليرة عثمانية ذهباً وحملت على البغال ووصلت عن طريق حماه مصياف[١٥٤].

وبعد فظائع الفرنسيين في قرية كاف الجاع، ايلول ١٩١٩واعداد الشيخ صالح العدة لاحتلال القدموس، كان لابد من طلب امدادات سريعة من حكومة دمشق، فأوفد الشيخ أحد مرافقيه يحمل تقريراً وافياً عن حالة الثورة، وقام الرسول المذكور بمقابلة الأمير فيصل الذي أصغى إلى مطالب الزعيم بدقة وعناية. وعاد رسول الشيخ إلى منطقة الثورة برفقة الشريف عبد الله (ابن عم الأمير فيصل) في منتصف شهر تشرين أول ١٩١٩، مصحوباً ببعض السلاح والذخيرة فاستقبل استقبالاً حافلاً وطاف في مراكز الثورة وميادين المعارك واطلع على مدى التخريب الذي أحدثه الفرنسيون في تلك المناطق، وأخذ بعض الصور الفوتوغرافية للقرى التي نكبت بدخول الفرنسيين لها. كما دوّن الحاجات الجوهرية لمد الثورة بها وأشرف على بعض التمرينات العسكرية وحفر الخنادق والمرابطة خلف الاستحكامات. فأثنى على الشيخ وعلى المدربين والمتدربين، ثم عاد إلى دمشق بعد ان مكث في منطقة الثورة قرابة الأسبوعين(١٥٥).

ومنذ ذلك الحين بدأت الأمدادات من سلاح وعتاد ومؤن تصل إلى قيادة الثورة باستمرار حيث تم توزيعها حسب الحاجة، كما قامت لجان أهلية في دمشق لجمع الاعانات والتبرعات لمناطق الثورة (من أعضائها نسيب حمزة والشيخ كامل قصاب وغيرهما من رجالات دمشق)(١٥٦). وكان أنيس ابراهيم (أبو فرد)(١٥٧)، الذي أوفدته قيادة الثورة إلى دمشق عدة مرات، يحمل هذه الاعانات وينقلها عن طريق حماه وإلى منطقة الثورة. وقد أشارت وثيقة فرنسية(١٥٨) إلى دور أنيس أبو فرد وإلى أنه كان موضع ثقة الشيخ صالح. وقد ورد في أحد ملاحق الوثيقة نفسها صورة عن ترخيص صادر عن مكتب الأسلحة في وزارة الحربية (الشريفية) إلى شخص اسمه محمد سليمان أحمد من رجال الشيخ صالح يخوله بنقل ١٠٠ بندقية و٣٠٠٠ مشط إلى حماه وذلك في ١٩ نيسان ١٩٢٠.

وقد زار منطقة الثورة الساحلية كثير من الرجالات الرسميين كمحافظ حماه وقائمقام مصياف الأمير فايز الشهابي وعدة مسؤولين وضباط آخرين(١٥٩). وفي ١٥ آذار ١٩٢٠ وصل القائد غالب الشعلان موفداً من حكومة دمشق ليكون همزة وصل ما بين منطقة الثورة في الساحل والحكومة العربية بعد تعزيز الفرنسيين قواتهم أثر معركة القدموس. وكان مع الشعلان بعض الضباط مثل مصطفى الملا للاشتراك مع الشيخ صالح بالتنظيم والتدريب. وقد اتخذت البعثة العربية العسكرية مركزاً لها في قرية الرستة، وظلت تقدم العون حتى سقوط دمشق(١٦٠). وكما أشير سابقاً(١٦١)، وأن الحكومة العربية أرسلت الضابط جميل ماميش ليقود كتيبة الفدائيين في (الفوج الملّي). وقد شعر الفرنسيون بأهمية هذه

المســـاعدات القادمة من حكومة دمشق وخاصة بعد اعلان الاستقلال ٨ آذار ١٩٢٠. وفي برقية غورو ٢١ آذار ١٩٢٠[١٦٢]، أشـــير إلى اســـتخدام كـــل من التخويف والاقناع في المنطقة الغربية من أجل الاعتـــراف بالسلطة الملكية والانضمام للدولة الجديدة وأن (عصابات)، يعززها جنود (شريفيون) بالزي الرسمـــي، تقـــوم (بإرهـــاب) ضـــواحي بانياس وطرطوس، وقد احتلت قرية القدموس ورفعت (العلم الشريفي) (زاعمة) بذلك الإشارة إلى امتلاك البلد بشكل فعلي".

وأكـــدت برقية غورو في ٢ أيار ١٩٢٠[١٦٣]، عمل (الحكومة الشريفية)، رغم جميع تأكيدات حســـن النـــية الصـــادرة عن فيصل، "لجعل الوضع لايطاق بالنسبة (إلينا)، ولطردنا تدريجياً من المنطقة الغـــربية. وخاصـــة في الشـــمال، (الذي هو على صلة بالحركة الكمالية)، تمارس الحكومة (الشريفية)، جهـــدها (الماكر)، ففي حلب، تجند (عصاباتها) المسلحة وتمونها علانية، وتستقبل هذه (العصابات) أطراً مـــن الجيش (الشريفي) وذخائر وأسلحة أوتوماتيكية ... إن فكرة (أعدائنا) التكتيكية تتمثل في دفعنا تدريجـــياً باتجاه البحر، وذلك بقطع اتصالات اسطول دي لاموت". وكان ما يقلق غورو بوجه خاص، ليس فقط مشاركة حكومة دمشق بتقديم العون إلى (العصابات) المسلحة، بل أيضاً حظر استخدام طريق السكة الحديدية رياق ـــ حلب على وسائل النقل العسكرية الفرنسية. وأشار تقرير آخر في ٢٨ حزيران ١٩٢٠[١٦٤] (نقـــلاً عما يدعى أنه تصريح ضابط شريفي فار من الخدمة) إلى عمليات التطوع في داخل حلب وتشكيل مجموعات وكتائب وطنية مع التنويه إلى الدور التركي في هذا المضمار.

وكـــان على فيصل أن يرد على اتهامات السلطة الفرنسية بدعوى أن هذه الأعمال كانت دون علمـــه واعد بالحيلولة دونها والعمل على وضع حد لأعمال الاضطراب. وقد بعث إلى القائد العام اللنبي برقية في ٤ حزيران ١٩٢٠[١٦٥] يخبره أنه قد اتخذ "كافة الاجراءات في المنطقة (الشرقية) للحيلولة دون القـــيام بأعمـــال مضادة لمصالحكم". راجياً إعلامه بكل مخالفة بهذا الخصوص. وقد أرسل فيصل، كما يقـــول في بـــرقيته السابقة، "إخطاراً رسمياً إلى غالب الشعلان المقيم لدى الشيخ صالح، وسأقوم بما يلزم ضـــده وضـــد علـــي كولكي الذي استغل غيابي عن دمشق لإثارة الاضطراب. بعد عودتي إلى دمشق وســـيزودكم المقـــدم كوس (Cousse) بتفصيلات حول الاجراءات المطبقة ضد أولئك الذين يحاولون اســـاءة العلاقات الجيدة بيننا". ولم يمنع موقف فيصل هذا وتعهده بضبط أتباعه ونفيه مسؤولية حكومته عـــن الهجمـــات، مـــن فرض القيود على استخدام الفرنسيين لسكة حديد رياق ـــ حلب واستمرار الهجمات على الحدود[١٦٦]. وكذلك لم يمنع هذا الموقف من أن يقوم يوسف العظمة وزير الحربية بزيارة

مناطق القتال على الجبهة الساحلية، وقد اجتمع بالزعيم الشيخ صالح بقرية السوده (من أعمال مصياف) وبعـد أن شـرح له الشيخ صالح أوضاع الثورة وظروفها وعد الوزير بإمداد الثورة بكل ما تحتاجه من سـلاح ومعـدات ومـؤن. وتعاهدا على النضال ضد الأجنبي الطامع حتى النهاية، وكان لقاء واحداً استشهد بعدها يوسف العظمة وترك نبأ استشهاده أثراً موجعاً في نفس الشيخ صالح[١٦٧].

وكان آخر نداء وجهته الحكومة العربية إلى الثائرين ذلك الذي وجهه الشريف زيد بن الحسين حين أرسل برقية من حماه في ٢٥ تموز ١٩٢٠ إلى هنانو يقول فيها[١٦٨]: "داوموا على أعمالكم السابقة ولا تصـغوا إلى أوامـر حلب". ويقول الشغوري[١٦٩] "وقد استنتجنا من هذا النداء ان أعمالاً حربية سـيقوم بهـا أحـرار الـبلاد لذلك أوفد هنانو القائد نجيب عويد إلى منطقة المعرة لاستقصاء الاخبار والاتصـال بالأحرار ودعوتهم للتعاون، إلا أنه بعد غياب اثني عشر يوماً قضاها متنقلاً بين ادلب والمعرة وجبل الزاوية عاد بخفّي حنين ورفع الأمر إلى هنانو لاطلاعه على حقيقة الموقف". والواقع أن نداء زيد لم يكـن له أي أثر محسوس، وانسحب القائد غالب الشعلان وبقية ضباط بعثة حكومة دمشق العسكرية من مناطق الثورة الساحلية، وتم انسحابهم بموافقة قائد الثورة الشيخ صالح[١٧٠].

جاء سقوط حكومة دمشق ضربة قاصمة للثورات السورية في الساحل والشمال الغربي، بعد أن حـرمها مـن مصدر هام للتزويد بالمال والسلاح ، وخاصة بعد ان استنفدت المعارك المتواصلة ما لدى الـثوار من احتياطي الذخائر والمؤن. ووجد قادتها انهم وحيدون في ميدان المعركة، فالبلاد وقعت تحت الاحـتلال الفرنسي وسيطرت على حكومتها، وأصبحت جميع الموارد الحكومية تحت تصرفهم ولم يبق لهـؤلاء الثوار من مصدر يساعدهم على التموين بما يحتاجونه من قوة سلاح وعتاد. ومع ذلك فقد بقي الثوار على أمل باستمرار الدعم من السلطات العربية في كل من الحجاز والأردن والعراق[١٧١] وقد ذكر أن الـثورات تلقت تشجيعاً من الأمير عبد الله بعد وصوله إلى شرقي الأردن في بداية ١٩٢١، ومع أن هـذا التشجيع لم يتجاوز الوعد بالمساعدة فقط[١٧٢]، إلا أنه أثار حفيظة الفرنسيين لأنهم اعتبروه تعبيراً لـيس عن طموح عبد الله الشخصي وإنما عن خطة بريطانية لاخراجهم من البلاد. وقد وجهت وزارة الخارجـية الفرنسية برقية إلى غورو في ١٩٢١/١/١٩[١٧٣] تفيد ما يلي: "وجه الأمير عبد الله نداء إلى الزعماء في الجبال الساحلية للقيام بالثورة، والبدو متأثرون أيضاً فالاتصال بين (أعدائنا) في الشمال وفي الجنوب قائم عملياً عن طريق الدعاية عبر سورية.

وبعث إبراهيم هنانو برسالة إلى الشريف علي بن الحسين[١٧٤] (قائد عمليات الشمال)[١٧٥] يذكر فيها أنه تلقى رسالة من الأمير عبد الله بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٢١ ويضيف هنانو أنه يحارب لأجل الدين باسم الشريف علي وباسم (اللنبي) وأنه بمساعدة الشريف علي قد وحد جهوده مع الشيخ صالح العلي ومع حاجم باشا[١٧٦]، وأنه أي هنانو أسس ٤ دول في سورية الشمالية (ربما يشير إلى الثورات الأربع التي كان يرأسها) باسم الملك حسين. واختتم هنانو رسالته بالقول "أنه يحارب من أجل عقيدتنا ولدعم القضية العربية"، ويلقب هنانو نفسه في التوقيع بأنه (زعيم الدفاع الوطني في سورية الشمالية).

وقد بعث الجنرال غورو إلى رئيس الحكومة الفرنسية وزير الخارجية بريان Briand في ٢٨ أيار ١٩٢١ مجموعة من الرسائل[١٧٧] موجهة من الشريف علي بن الحسين الحارثي (زعيم عسكري في خدمة الأمير عبد الله شرقي الأردن) موجهة إلى زعماء الأكراد من نسب إبراهيم باشا الميلي في شمال شرق حلب. كما بعث غورو مع هذه الرسائل ترجمة لرسائل جوابية على رسائل مماثلة مرسلة من قبل ابراهيم هنانو وزعيم قبائل الموالدة في (دولة حلب) على الفرات. وهذه الرسائل الجوابية كانت مرسلة إلى الشريف علي بن الحسين الحارثي وإلى الأمير عبد الله. وتبدو الرسائل من وجهة نظر غورو رسمية، لأنها تحمل خاتمي الأمير عبد الله والشريف علي بن الحسين الحارثي وتحملان تاريخي ٢٦، ٢٩ جمادى الثاني الموافقين ٦ و٩ آذار ١٩٢١. ويضيف غورو أن الزعماء المحليين الذين سلموا الجنرال دي لاموت هذه الرسائل ذكروا أسماء أخرى لزملاء لهم استلموا رسائل مماثلة. ويستنتج غورو من كل ذلك "أن نداء الأمير عبد الله للثورة قد وزع على الزعماء الأكراد المحليين في (منطقتنا) وأن الثورة الحالية التي تمتد من نهر العاصي وجبل الزاوية حتى شرق خط حلب — حمص تترجم عملياً بمحاولات متكررة لقطع الاتصالات على خط السكة الحديدية والتي اندلعت عقب وصول هذا النداء لمن وجه إليهم". ويستدرك غورو قائلاً: "بلا شك انطلق النداء نفسه من عمان قبل لقاء القدس[١٧٨]، حيث تعهد الأمير عبد الله بحضور السيد ونستون تشرشل بعدم الشروع بأي عمل عدواني ضد دولة الانتداب في سورية والتي يفضل نعتها بالدولة الحليفة في خطابه ٢٨ آذار ١٩٢١، إلا أنه لم يفعل شيئاً بعد ذلك لوقف الثورة التي بذل كل ما بوسعه لقيامها. من جهة أخرى فإنه على أثر هذه التصريحات الرسمية ذكر الميجر سومرست (Sommerset) "بأن في هذا ما يخفف يقظة أصدقائنا الفرنسيين، وأنه في ظل هذا التصريح سيكون بإمكاننا التحرك". وينهي غورو رسالته إلى بريان بالقول: "اعتقدت أن علي أن أضع هذه الاعتبارات المطولة بين يدي سعادتكم لتسهيل استخدامها متى سنحت الفرصة لدى وزارة الخارجية البريطانية".

وقيل أن الملك فيصل ظل يرسل الدعم إلى الثوار السوريين بعد خروجه من سورية، وأنه قد أرسل قبل سفره إلى العراق رسالة (لا يعرف مدى صحتها) للشيخ صالح العلي من جدة بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٢١ الموافق ٥ شوال[١٧٩] يقول فيها إنه تلقى رسالة من الشيخ صالح وانه أمر الشريف (شناد) حاكم المدينة بالذهاب إلى معان ومنها يتوجه إلى الشيخ صالح. وأفاد فيصل في رسالته إليه أنه سيذهب إلى العراق ويتابع من هناك الاتصال بالشيخ صالح وينسق العمليات معه. وطلب من الشيخ صالح ألا يوقف الاتصال مع شرق الأردن وأن يثابر في العمليات العسكرية. وأنهى فيصل رسالته بالقول "حيث أخذت كلاماً قطعياً في لندن بأن لا تنازل عن سورية وأرجو ثباتكم (هكذا) على الدفاع إلى بينما (هكذا) تتم مخابرتنا مع العشائر وتكون الحركة سواء وتطردون العدو من ضواحي سورية".

ويعتبر التقرير الفرنسي الذي نقل الرسالة الموجهة من فيصل للشيخ صالح العلي[١٨٠] "أن الشيخ صالح أهم (أعدائنا) في سورية الوسطى وصانع الاضطرابات الأولى في الجبال الساحلية، والتي كانت استجابة للتحريضات التي قام بها فيصل في بداية ١٩٢٠ و لم يتوقف منذئذ عن محاربتنا بالدعاية والسلاح ولا يزال يشكل خطراً على أمننا والنظام في سورية و لم يتوقف الشيخ صالح من البقاء على اتصال مع (شريفيي) الجزيرة العربية وكماليي تركيا وحاول إشراك عشائر البادية من الصحراء السورية في (عصيانه) ومن هنا يستنتج التقرير قيمة رسالة فيصل إلى الشيخ ولا يغفل التقرير الإشارة إلى خطر استمرار دعم البريطانيين لفيصل وعبد الله وما يمكن للأميرين أن يفعلا بالمساعدة البريطانية، والاحتمال الاكبر من وجهة نظر التقرير أن تنشط الصدامات مع (الشريفين) في الجنوب والشرق مما قد يضطر الفرنسيين إلى نقل قواهم من الشمال إلى هاتين المنطقتين.

وقد نفى فيصل رسالته هذه كما نفتها الحكومة البريطانية. وجاء في رسالة موجهة من نائب وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطاني إلى القنصل البريطاني في بيروت ٣٠ أيلول ١٩٢١[١٨١] وفقاً (لتوجيهات) ونستون تشرشل وبمعرفة (كيرزون) أنه "قد أبلغ برقياً من قبل المندوب السامي البريطاني في العراق بأن الملك الذي تحدث معه (أي المندوب السامي) حول الموضوع قد أنكر كلياً أنه قد كتب هذه الرسالة، وهو يرجو إصدار نفي لها. ويلاحظ بيرسي كوكس (Percy Cox) المندوب السامي أن الرسالة بلا شك مزيفة، وأضاف "أن الملك قلق إلى حد كبير بما يمكن أن يعتبره دليلاً على الموقف العدائي المستمر الذي يتبناه الفرنسيون تجاهه". وينقل نائب وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطاني رأي تشرشل حول هذا الموضوع "بأن الظروف تجيز اصدار هذا النفي للصحافة وتوجيهه إلى علم الحكومة الفرنسية".

وفي المرحلة الأخيرة من ثورتي هنانو والشيخ صالح وهما تتلقيان الضربات الفرنسية المتتالية، اتفق القائدان على ايفاد رسالة مع المجاهد هزاع أيوب إلى الأمير عبد الله أمير شرقي الأردن، يطلبان فيها مد الـــثورات بالمساعدة التي كان يعلن في كثير من المناسبات عن استعداده لتقديمها(١٨٢). ولكن الأمير عبد الله لم يجـــب على هذه الرسالة وظلت مساعدته مقتصرة على الوعود والأماني، وعلى بعض الأعداد من جريدة (الحق يعلو) التي كانت تستنسخ في اربد وترسل بعضها إلى مناطق الثورة حاملة الأماني المعسولة (الفارغـــة فقـــط)(١٨٣). وكان القرار الذي اتخذه هنانو بعزمه على الالتحاق بالاردن التي تجمعت فيها أكثـــر العناصر الوطنية التي غادرت سورية أعقاب معركة ميسلون، كان ذلك القرار نابعاً من الأمل في تلـــك الظروف أن يكون الأردن مركزاً لتأليف جيش عربي لانقاذ سورية، خاصة بعد أن كان هنانو قد اتصل بالأمير عبد الله فوعده خيراً، وأبدى استعداده لمؤازرته متى تيسرت الظروف المناسبة(١٨٤).

وتطلعـــت المـــناطق الثائرة في الساحل والشمال والشمال الغربي إلى مصدر آخر للدعم وراء الحـــدود السورية هو تركيا. وكانت القوات البريطانية والفرنسية قد أقامت إبان ربيع وصيف ١٩١٩ حاميات غير مستقرة وإدارة خاضعة للاشراف الفرنسي في كيليكية. وقد تعرض هذا الوجود البريطاني ـــ الفرنســـي لعداء الأهالي ولمناوشات القوات التركية غير النظامية والنظامية(١٨٥) أحياناً. وفي الوقت نفســـه اكتســـبت الحـــركة القومية في الأناضول قوة متـــزايدة عكس الحكومة العاجزة في استنبول، وعقـــدت جمعـــية في أواخر تموز عام ١٩١٩ في انقرة. وفي شهر أب ١٩١٩ بدأ عدد من الشخصيات البارزة المتعاطفة مع (الحركة الكمالية) يفر من العاصمة للالتحاق بالحركة الجديدة في كيليكية التي أدت إلى تعزيـــز الدعايـــة المســـتندة إلى أسس إسلامية وتركية تقليدية والموجهة ضد الفرنسيين في كيليكية. واشـــتملت هذه الحركة على كل عناصر الانتفاضة القومية، وامتازت بقوتها المتولدة من اليأس وبقيادتها الحازمة وقواتها العسكرية الوفيرة وبالتأييد الشعبي لها. وقد أدى ظهور هذه الحركة في ميدان ظن الحلفاء في عـــام ١٩١٨ إلى أن مهمـــة عقد الصلح فيه مع عدو عاجز ستكون أمراً سهلاً. كما أدى إلى زيادة تعقـــيد الصـــورة في منطقة المشرق كله، وإلى تدهور العلاقات الفرنسية البريطانية الناجم عن مشاكل الفرنسيين في سورية الساحلية(١٨٦)، والزعم المتواصل بأن البريطانيين يلعبون دوراً في (الدعاية الشريفية) ويعرقلون منح فرنسا يداً طليقة في سورية كلها.

وقد أصبح وضع الفرنسيين في كيليكية وجنوب الأناضول (بعد استبدالها الحاميات البريطانية أخـــرى فرنسية) أصبح ضعيفاً في أواخر ١٩١٩ وحافلاً بالصعوبات فالحركة القومية التركية بزعامة

مصطفى كمال كانت في أوجها وقواتها ناشطة في كيليكية وسط أجواء من كره الأجانب(١٨٧). وفي محـــاولات الفرنسيين إدارة تلك المناطق والمحافظة على المواصلات كان الوضع أشبه بحملة منهكة من أجـــل البقاء. وفي الأشهر الخمسة الأولى من عام ١٩٢٠ تكبدت الفرق الفرنسية عدة خسائر وتخلت عـــن عدة مواقع (مرعش، بوزنتي، أورفه، عينتاب). وقيل إن هذه العمليات الدفاعية، بما فيها الدفاع عن سكة حديد طوروس أمانوس بواسطة سلسلة من المواقع الثابتة، قد شكلت عبئاً ثقيلاً على قوات الجنرال غورو المنهكة، وكانت أحد أسباب تأخير تحركه ضد حكومة دمشق(١٨٨).

وعـــندما كان الفرنسيون يحاربون الأتراك في كيليكية وجنوب الأناضول بدأ العديد من رجال الحـــركة الوطنية في سورية، وبمعزل عما تبقى من مشاعر الولاء للعثمانيين، يعتبرون أنه قد يكون ممكناً الاستفادة من القوة التركية لمواجهة الضغط الأوروبي. ومن جهة أخرى فإن عنف الأحداث التي شهدتها تـــركيا في هذه الفترة لم يصرفها عن الاهتمام باحداث سورية خلال عهد حكومة دمشق. وفي الواقع أدى احـــتلال الحلفاء لأجزاء كبيرة من سورية وتركيا، واستمرار قواهم في توسيع العمليات، وبخاصة تصـــميم الفرنســـيين على احتلال سورية بكاملها، أدى إلى التقارب بين المسؤولين في البلدان إلى حد الدعم العسكري(١٨٩). وتحدثت الأنباء عن عقد اتفاقية سرية(١٩٠) بين الأمير فيصل ومصطفى كمال في حلب بتاريخ ١٦ حزيران ١٩١٩ بواسطة متصرف الكرك أسعد بك (وكان أسعد بك عضواً في جمعية الاتحـــاد والترقـــي). وتتألف الاتفاقية من ٩ بنود يذكر أولها أن الطرفين المتعاقدين الأمة التركية والأمة العـــربية، يشـــهدان بكل أسف انقسام العالم الإسلامي وإن واجبهما رأب الصدع وتأكيد التعاون بين الأمـــتين اللـــتين تربطهما المصالح المادية والروحية والدينية، وأن على الأمتين التعاضد والدفاع بقواهما المـــوحدة عـــن الدّين والوطن. وجاء في المادة الثانية "أنه في هذه اللحظة التي تهدد فيها استقلال العرب ووحـــدة وحرية الأتراك بنسبب رغبة الدول الأجنبية أن تقتسم فيما بينها العراق وفلسطين وسورية وما جاورهـــا، بالإضـــافة إلى جزء كبير من آسيا الصغرى، فقد عزمنا غداة انعقاد مؤتمر الصلح في باريس واصـــداره قـــراراً بشأننا على إعلان الجهاد المقدس للدفاع عن الدّين والوطن. ولبلوغ هذا الهدف فإن الطـــرفين المـــتعاقدين يتفقان على عدة بنود تالية". وينص البند السادس على ما يلي: "لكي يبدأ الجهاد المقدس وتتأكد وحدة الأتراك فإن صاحب السمو الشريف يوجه بياناً، بلغة تتناسب والأوضاع في كل الـــبلاد العربية شارحاً لها الموقف العدواني للقوى الأجنبية تجاه الدّين الإسلامي. وللبدء بالجهاد المقدس يجمـــع الشـــريف حسين جميع شيوخ وزعماء القبائل العربية ويعقد معها اتفاقات ومعاهدات. وينظم

الشـــريف جيوشاً وطنية مماثلة للتنظيمات الوطنية في الأناضول بشكل تكون فيه هذه القوى عند اعطاء الإشـــارة جاهـــزة تماماً للمساهمة مباشرة الجهاد المقدس". ونص البند السابع على أن "يتعهد الشريف بمســـاعدة القـــوى الوطنية في الأناضول" بجمع قواته المتوفرة وغير المنشغلة بمهام أخرى ويتعهد الطرفان المـــتعاقدان بالتعاون المتبادل مادياً ومعنوياً في الهجوم كما في الدفاع حتى تحقيق أهدافهما". ومما يلفت النظر أن أياً من الكتابات العربية المعاصرة للأحداث أو مذكرات السياسيين المعاصرين لم تذكر الاتفاقية ربمـــا لكونها سرية، ولكن الجدير بالذكر أن الأمير فيصل كان قد قَدِم إلى حلب في ٩ حزيران ١٩١٩ وألقـــى خطابـــاً في الـــنادي العربي[١٩١]. وقد أشار القنصل الأمريكي في حلب إلى قيام اتصالات بين مصـــطفى كمال وفيصل وإلى طلب فيصل دعم تركيا ملمّحاً إلى إمكان إقامة اتحاد بين سورية والحجاز وتـــركيا، وأن ملـــك الحجـــاز أرســـل وفـــداً إلى السلطان للمصالحة والاتحاد في ظل الروابط الدينية والسياسية"[١٩٢].

وقـــد تـــتالت علائـــم التعاون العربي ـــ التركي، بعد عقد ما سمي بالاتفاقية، على المستويين السياســـي والعســـكري: فعلى المستوى السياسي كثرت تصريحات المسؤولين الأتراك وتوجهاتهم إلى عواطـــف العرب الدينية للوقوف معاً في وجه الاستعمار الأوروبي، ومن الطبيعي أن تكون حلب مركزاً هامـــاً لهذا النشاط السياسي، مثال ذلك تصريح وجهه مصطفى كمال إلى السوريين بواسطة مؤيديه في حلـــب في حـــوالي ٩ تشـــرين أول ١٩١٩[١٩٣]، يدعوهم لإزالة سوء الفهم بين الطرفين وانقاذ البلاد والاسلام من أيدي الأعداء والدعوة إلى العيش كأخوان في الدين. ويشير مصطفى كمال إلى انتصاراته في قونـــية وبروســـه "وأن المجاهدين الأتراك سيؤيدون إخوانهم العرب ويمزقون الأعداء". وكانت تصل حلـــب تباعاً رسائل من مصطفى كمال موجهة إلى زعماء العرب والأتراك تحضهم على توجيه الجهود ضد القوى الأوروبية: مثال ذلك مجموعة من البرقيات بعث بها غورو إلى الخارجية في ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٠[١٩٤]، وكلـــها تحمـــل توقيع قائد الحركة الوطنية التركية (الفريق الأول مصطفى كمال باشا) وتضـــم نـــداء إلى الشعب السوري بأكمله يدعوه لإعلان الحرب المقدسة وألا يثقوا إلا بأولئك الذين يعتـــنقون دينهم" داعياً السوريين بقوله "لا تدعو الفرنسيين بسلام في مناطقكم، نظموا فرقاً ومجموعات وابذلـــوا كـــل ما في وسعكم لمناوشة القوات الفرنسية وليكن الله ودين نبيه عوناً لكم فاتحاد الإسلام يأمركم بالجهاد، الجهاد يا أيها المؤمنون".

ويـنوّه مصطفى كمال في ندائه إلى أن المقدم ضابط أركان عادل بك الذي بعث به إلى السوريين سيعمل على تنظيم برنامج معهم بتشكيل تعليمات الحركة الوطنية، ويضيف "أنني على ثقة أنكم ستطردون قريباً هؤلاء الأعداء المنافقين من الأماكن والمباني الإسلامية السورية"، ويعد السوريين أنه بعد أن يستولي قريباً على ازمير سيتقدم نحو سورية.

أما بقية الرسائل التي يرفقها غورو ببرقياته المشار إليها سابقاً فكانت مرسلة إلى محمد بك في دمشق وإلى وكيلين شريفين يصفهم غورو أنهم "أكبر (أعداء) فرنسا هما نوري باشا الشعلان ومحمود فاعور". وورد في الرسالة الأولى قول مصطفى كمال "تهانينا على العمل الذي سبق تنفيذه في دمشق، نظموا فرقاً نظامية للعمل في سورية كلها، ضعوا مبعوثي على اتصال مع كافة القبائل التي جاء ليدفعها للقيام بالثورة" أما الرسائل الموجهة إلى نوري الشعلان والفاعور فحوت ما يلي: "من واجبكم اليوم وواجب كل مؤمن تنظيم قوات، ومع ما سيكون لديكم من قوات وسلاح عليكم بمحاربة الفرنسيين من الجوانب كافة، كما يحارب متطوعونا في ضواحي مرعش، أطمئنكم حين أقول لكم إن الفرنسيين في وضع نفسي منهار، لأن الألمان يريدون محاربتهم براً وهذا يشكل فرصة بالنسبة لنا ... حوالي بداية شهر آذار القادم سأرسل جيشاً تركياً ضخماً ليساعدكم في حربكم الصليبية الإسلامية". ولم يقتصر مصطفى كمال في جهوده السياسية على الاتصال بالسوريين وزعمائهم بصفة شخصية، بل أوعز إلى القوات التركية العاملة في مرعش وعينتاب وما جاورها من المناطق الحدودية بضرورة الاتصال والمراسلة مع زعماء دمشق ولبنان وحماه وحمص وانطاكية مشيراً إلى أنه على يقين "بأن جميع هؤلاء الزعماء سيقدمون لكم مساعدتهم المادية والمعنوية"[١٩٥].

وقد واكب الاهتمام التركي بسورية على المستوى السياسي في هذه المرحلة تقديم الأتراك المساعدة للثائرين على الحكم الفرنسي في سورية على المستوى العسكري. وعندما كان الفرنسيون يحاربون الأتراك في كيليكية كان الاخيرون يساندون الثورات الريفية التي تفجرت في غرب سورية وشمالها ضد الفرنسيين. وكانت المصلحة التركية قد اقتضت ذلك، لأن الثائرين السوريين شغلوا قوات كبيرة كان من الممكن أن تدعم القوات الفرنسية العاملة ضد الأتراك في كيليكية[١٩٦]. وترقب الثائرون السوريون الدعم من تركية لأنه كان أمراً حاسماً في مواجهتهم لفرنسا، التي كانت تعمل للسيطرة على أكبر مساحة ممكنة من غرب وشمال سورية ورأوا أن التحالف مع الحركة الكمالية وكلاهما يحارب العدو نفسه فرنسا يمكن أن يتعزز بفضل التضامن الديني[١٩٧].

وقـــد ذكر أنه في الفترة الاولى من ثورة جبال الساحلية، وهي في أوج قوتها وشدتها، أرسل الأتراك إلى الشيخ صالح يعرضون عليه المساعدات ويعلنون تأييدهم له وتضامنهم معه في تلك الحرب الناشبة ضد عدو مشترك[١٩٨] وقد ظهرت في ثورات القصير ـــ انطاكية، منذ البداية عناصر تركية وكـــان ذلك كما أشير سابقاً[١٩٩] بسبب وجود الأتراك بين سكان المنطقة من ناحية ولأن عدداً من قـــادة الثورة سبق لهم أن خدموا في الجيش التركي أو شغلوا مناصب في الإدارة العثمانية، هذا مع أن الثوار الذين قاتلوا تحت أمرتهم كانوا من العرب الأقحاح.

وكان عمل الجماعات الثورية بنظر السلطات الفرنسية بوجه عام منذ البداية يعرقل استخدام السكة الحديديـــة وبالتالي يحدث آثاراً سلبية على العمليات ضد الأتراك. أشارت إلى ذلك برقية غورو في ١٧ آذار ١٩٢٠[٢٠٠] وإلى أن هدم جسر راجو قد حرم الجنرال دي لاموت من اتصالاته بالسكك الحديدية، وأن الجنـــرال لا يمكـــنه أيضاً استخدام طريق اسكندرون الذي يتطلب إعادة فتحه جهداً عسكرياً جديداً. وكان قد سبق لغورو في برقيته في ١٧ شباط ١٩٢٠[٢٠١] أن برهن على (التواطؤ) بين الوطنيين الأتراك والعـــرب من خلال العرقلة المستمرة التي يضعها الأمير فيصل فيما يتعلق باستخدام السكة الحديدية التي تتيح بإرسال تعزيزات ومؤن للقوات الفرنسية في كيليكية الواقعة تحت خطر هجمات مستمرة ويشير في هذا المجال إلى أن رشيد بك (طليع) استطاع بعد تعيينه حاكماً على حلب أن يمنع العربات الفرنسية من مغـــادرة مدينة حلب للذهاب إلى رياق. وقد سعى غورو إلى عقد تسوية مع الأمير فيصل تسمح فيها الحكـــومة العـــربية بنقل القوات الفرنسية بطريق السكة الحديدية دمشق حلب مقابل تخلي غورو عن الـــبقاع، لكن بعد عشرة أيام أعلن الأمير ثانية، كما يشير غورو في برقيته السابقة، "أنه غير قادر على الوفاء بوعده بحجة أن العناصر المتطرفة تعارض نقل القوات".

وكانت حكومة دمشق العربية في الأسابيع الأخيرة من وجودها وفي محاولة لتجنيد القوى كافة لمجابهـــة الخطر الفرنسي المحدق، قد أوفدت يوسف العظمة وزير الحربية إلى حلب في ٨ حزيران ١٩٢٠ واجـــتمع بقائـــد القوات الوطنية التركية العاملة في كيليكية في قرية ترجمان قرب كلس لتنسيق الجهود العســـكرية. ولم تقترن هذه الزيارة بالنجاح نظراً للتحسن الذي حصل آنذاك في العلاقات بين الأتراك والفرنسيين (والذي وصل فيما بعد حد الاتفاق) في محاولة من الأتراك لاستخدام الفرنسيين ضد القوى الأوروبية الأخرى[٢٠٢]. وحضر فيصل نفسه إلى حلب في ١٥ حزيران وقيل أنه حاول الاتصال بالأتراك

من أجل الحيلولة دون الاتفاق بينهم وبين الفرنسيين. وذكر أنه فشل في ذلك، وبدلاً من أن يذهب إلى دير الزور في اليوم التالي عاد إلى دمشق(٢٠٣).

ومع ذلك ظلت حكومة دمشق حتى الأيام الأخيرة من وجودها في سورية تدعم الأتراك في نضالهم ضد الفرنسيين. وعارضت استخدام الفرنسيين سكة حديد رياق ــ حلب لنقل الجنود والعتاد إلى الشمال باتجاه أورفه وكلس وعنتاب. ومن وجهة نظر ساطع الحصري(٢٠٤) وزير المعارف آنذاك، أن موقف حكومة دمشق ساعد الأتراك مساعدة ثمينة وأزعج الجنرال غورو إلى درجة كبيرة وكانت هذه القضية موضوع البند الأول في الإنذار الذي وجهه غورو في ١٤ تموز ١٩٢٠ إلى حكومة دمشق واحتل دمشق في أعقابه(٢٠٥). وحتى بعد مغادرة فيصل سورية أرسل الحصري إلى تركيا للاتصال بالكماليين لتنسيق الجهود معهم(٢٠٦).

وبعد أن قضى الفرنسيون على حكومة دمشق واحتلوا المدن الرئيسية في سورية في تموز ١٩٢٠ أغروا صبحي بركات بالاستسلام فتخلى وبعض من جماعته عن الثورة في منطقة القصير ــ انطاكية وارتد في تلك الظروف عن خطه الوطني وراح يتملق الفرنسيين(٢٠٧) (كوفئ صبحي بركات فيما بعد بتعيينه رئيساً للاتحاد السوري الذي ضم دولتي دمشق وحلب والمنطقة الساحلية في ٢٩ حزيران ١٩٢٢)(٢٠٨) وقد خشي عاصم ابن خالة صبحي الإيقاع به من قبل الفرنسيين فلجأ بمن معه من الثائرين إلى حيث دعموا الثوار الأتراك ضد الفرنسيين(٢٠٩). وقد رفض بقية الثوار في المنطقة بقيادة يوسف السعدون، رغم صدمة الاحتلال الفرنسي للمدن الداخلية، الاستسلام وصمموا على الاتصال بالزعيم هنانو واخوانه ومواصلة القتال(٢١٠).

وشعرت ثورة هنانو، شأنها شأن ثورة الشيخ صالح العلي، بعد انهيار الحكومة العربية أن لا مندوحة لها من الاتصال مباشرة بالقوات التركية، التي كانت هذه الأخرى تحارب الفرنسيين في تركيا، للاتفاق مع قادتها على تزويدهما بالمال والسلاح والعتاد لمواصلة الثورتين في مقاومة الفرنسيين. وكانت الحالة تجبر الجانبين العربي والتركي على التعاون في سبيل مكافحة العدو المشترك. وقرر هنانو وزعماء الثوار في قصبة كفر تخاريم والقصير بعد تقليب الأمر على شتى الوجوه الاتصال بالأتراك. وسافر هنانو في ١٧ آب ١٩٢٠ مع وفد من الثوار مكون من عشرة رجال على رأسهم نجيب عويد، إلى تركيا. وبعد مفاوضات وأبحاث في مرعش مع صلاح الدين عادل بك قائد الفيلق الثاني التركي، وبعد أن تأكد

الأتـــراك بمـــا كـــان يتمتع به هنانو من مكانة طيبة في بلادهم، وافقوا على تضافر الأعمال الحربية بين الجانبين العربي والتركي ضد العدو المشترك(٢١١) ووقعت اتفاقية بين الطرفين في ٧ أيلول ١٩٢٠: واتُفق كمـــا يروي الشغوري(٢١٢) (عضو الوفد ومرافق هنانو) أن ما يقوم به هنانو من أعمال حربية هو باسم الحكـــومة العربية السورية، أي أن تركيا اعتبرت هنانو استمراراً للحكومة العربية وأن ما يعطى للجانب السوري من عتاد وسلاح يكون "هدية لا قيمة له في الحال والمستقبل". وتقرر أن تبقى الحدود السورية بين تركيا مفتوحة لتبادل التعاون العسكري عند الاقتضاء. ويضيف يوسف السعدون(٢١٣) (زعيم الثورة في منطقة القصير ـــ انطاكية) أن من جملة بنود الاتفاقية أن تقدم تركيا الخرطوش ومدفعاً واحداً أو أكثر حسب اللزوم، وألا تحدد الحدود بين سورية وتركية إلا بعد جلاء العدو عن أراضيهما وحصولهما على الاســـتقلال الـــتام، فعندئذ تعين لجنة مشتركة لوضع الحدود. كما تقدم الحكومة التركية بعض الجنود المدربين على المدفعية لتدريب الثوار، وحين يتوفر بين الثوار المتدربون على المدافع بأنواعها، يعود هؤلاء الجنود الأتراك إلى بلادهم.

وعاد هنانو ورفاقه إلى الأراضي السورية في ١٢ أيلول ١٩٢٠(٢١٤) وقد وجه هنانو في أعقاب عودته إلى الشعب بياناً بدأه بعبارة " من العرب إلى العرب" جاء فيه "ما بالكم ترضخون صاغرين لحكم المســـتعمر الجائـــر وأنتم خير أمة خلقت لأن تحكم بالعدل ولا تحكم بالظلم .. وما كانت جريمتكم إلا أنكم من أبناء الشرق المسلمين". ونبّه إلى اتخاذ الفرنسيين الأديان شعاراً للمطامع وأهاب بابن سورية أن ينهض للمحافظة على حريته ودينه، وأشار إلى الخونة وعقابهم. ووجه نداء إلى قناصل الدول يناشدهم التوســـع لوضـــع حـــد لسفك الدماء. واختتم البيان بالقول "أننا لا نقصد من قيامنا هذا إلا حفظ استقلالنا .. نحن السوريين نموت ونتبلشف (أي نصير شيوعيين) ونجعل البلاد رماداً ولا نخضع لحكم الظالمين"(٢١٥). ويتجلى في بيان هنانو إلى الأهالي وفي بنود الاتفاقية التي عقدها مع تركيا التوجه العربي الإسلامي في آن واحد، فقد خاطب العرب باسم العرب كما أنه استشار الأخوة الاسلامية بين العرب، والأتراك للوقوف في وجه العدو المشترك(٢١٦).

وقـــد لاحظ هنانو أن الشعب يكاد لا يصدق عقد مثل هذه الاتفاقية سيما وأن الثورة تلاقي المصاعب، فقرر قبول العرض التركي بإرسال سرية من الجيش التركي مجهزة بالرشاشات ومدفع واحد علـــى الأقـــل، لا لزجها في الحروب بل لتهدئة النفوس المضطربة التي تشكك بوجود حكومة تشد أزر الثائـــرين(٢١٧) وبالفعـــل وصلت هذه السرية المؤلفة من ٢٠٠ جندي نظامي بقيادة الرئيس بدري بك

الشركسي[٢١٨]. وقد تحولت السرية التركية في مناطق الثوار بما في ذلك منطقة ثورة الشيخ صالح العلي لتدلل على وجودها كقوة تركية[٢١٩] ولتقوية الروح الثورية. ولم يقتصر الدعم التركي على ثورة هنانو، فقد اتصل الشيخ صالح في شباط ١٩٢١ بهنانو نظراً لاشتداد المعارك بينه وبين الفرنسيين من أجل الحصول على السلاح من تركيا، ووصلت وفود الشيخ صالح إلى هناك وتم تزويدها بالذخيرة والسلاح. وعادت الوفود من تركيا ومرت ببلدة كفر تخاريم واحتفى الأهلون بقدومها[٢٢٠]. وهكذا فإن ثورة الشيخ صالح العلي اعتمدت كثورة هنانو على المساعدات القادمة من الحركة الوطنية التركية[٢٢١].

وقد أشارت الوثائق الفرنسية إلى أهمية المساعدة التركية للثورتين السوريتين فقد جاء في برقية من وزارة الحربية إلى غورو في ٦ كانون الأول ١٩٢٠[٢٢٢] بأن ما تخشاه الحكومة الفرنسية بعد أن ساد الهدوء في القسم الجنوبي من سورية هو استمرار الثورة في الشمال وهنا، تقول البرقية، "يأتي الخطر الحقيقي. أن سلطة مصطفى كمال لا تتوقف عند جبهة كيليكية ... النشاط الكمالي يغطي سورية باكملها بشبكة متزايدة التماسك من المخبرين والعملاء. يجب تركيز انتباهنا على تصرفات حكومة أنقرة، لأن جميع الجماعات المعادية لنا وعدد من المسلمين الذين لا يشتغلون بالسياسة تتجه نفوسهم نحوها". وفي برقية أخرى موجهة إلى غورو من وزارة الحربية في ٨ كانون الثاني ١٩٢١[٢٢٣] تصوير لفداحة الخطر التركي في الشمال: "أن عدونا الوحيد الجاد هو مصطفى كمال في كل مكان حيث يكون الوضع مضطرباً نجد يد الوطنيين الأتراك، فهم يزودون حاجم بالوسائل التي تسبب لنا القلق في شرقي حلب، وهم الذين يغذون عصابات بدري بك وإبراهيم هنانو، في القصير وهم الذين يمونون حتى بالذخيرة (المتمردين) في الجبال الساحلية مثل الشيخ صالح. يمارسون عملهم حتى في جنوب سورية ربما كانوا قد أقاموا هوائياً T.S.F في معان يسمح بالاتصال مع أنقره. باختصار أن التهديد الجاد بالنسبة لنا هو الخطر الذي يسببه لنا الكماليون على جبهتنا الشمالية من مرسين إلى عنتاب".

وما كان يخشاه الفرنسيون على وجه الخصوص هو خطر التضامن الإسلامي، وهذا ما نوهت إليه وزارة الحربية الفرنسية في برقيتها إلى بيروت في ١٧ كانون أول ١٩٢٠[٢٢٤] "إن الحركة الوطنية العربية التي نشأت أثناء الحرب والتي كانت منذ ذلك الوقت مناهضة إلى حد كبير للأتراك، أخذت تحل محلها الآن حركة تضامن إسلامي لها نتائج مادية هامة". وتشير رسالة القنصل البريطاني في حلب[٢٢٥] إلى خطر التضامن الإسلامي وذلك في معرض نقلها الرسائل التي وجهها قادة ثورة هنانو في ٢٩ آذار ١٩٢١ إلى قناصل كل امريكا وبريطانيا وإيطاليا واسبانيا بحلب يؤكدون فيها رفضهم لاحتلال الأجنبي

وعملـــهم إلى جانـــب الخلافـــة الإسلامية، أي العثمانية، التي تشكل جزءاً من الوحدة الإسلامية التي تدعمهم.

إلا أنـــه لا يمكـــن المـــبالغة بدور المساعدة التركية التي لم تكن خالصة النية وهو أمر أشار إليه معاصرو الأحداث، فيذكر الشغوري[٢٢٦]، (مرافق هنانو والذي خاض معه المعارك)، أن "القوة التركية لم تدع لأي عمل حربي واحتفظ بها كرمز للتآخي". بل هو يرى أنها بالعكس سببت الكثير من المضايقة لقيادة الثورة "فإنها وضعت اليد على مالية الحكومة في معرة النعمان موزعة المال على الثوار"[٢٢٧]. وقد ســبب أحـــد ضـــباط هذه المفرزة إساءة لسمعة التسامح التي كسبتها الثورة حين هاجم ونهب قرية السقيلبية[٢٢٨].

ولا يتطـــرق الســـعدون في مذكـــراته إلى أي نشاط عسكري للقوة التركية، وهو رغم تدينه ووصـــفه تـــركيا بالدولـــة الإسلامية التي تقاتل المشركين، يؤكد أن الثورة في سورية لم تكن لحساب الأتراك، ويرى أن هنانو "كان لا يطمئن قلبه للأتراك ولمساعداتهم الصورية". ودليله على ذلك أن هنانو لجـــأ بعـــد فشل ثورته إلى شرقي الأردن وليس إلى تركيا[٢٢٩]. ونُقل عن هنانو رده على نجيب عويد (الـــذي اقتـــرح الالـــتجاء إلى الأراضي التركية)[٢٣٠] "والله لو خيرت على أن أكون مسلماً تركياً أو مســـيحياً عـــربياً لاخترت الثانية ولذا فإني أفضل اجتياز الصحراء الشاسعة إلى شرق الأردن لأعيش في كنف حكومة عربية على أن التجئ لتركية التي لا تبعد عنا أكثر من ٣٠ كم".

ومـــا يـــؤكد عدم جدية واخلاص الأتراك بمد يد المعونة النـــزيهة الغرض، هو ما ذكر عن أن الشيخ صالح، حين أصبحت ثورته بحاجة ماسة للمساعدات، بعث برسول إلى الأتراك يطلب مده ببعض السلاح والعتاد، وقد وصل الرسول إلى هناك وأبلغ المسؤولين رسالة الشيخ، ولكنه لم يلق أي استجابة ورجـــع الرسول ليخبر الشيخ بهذه النتيجة[٢٣١]. وكذلك فعل هنانو في مرحلة الثورة الأخيرة حين بعـــث برسول إلى تركيا فعاد خالي الوفاض واعتذر قائد الفيلق الثاني التركي عن تسليمه أية كمية من الذخيرة[٢٣٢].

لقـــد كـــان واضحاً أن غاية الأتراك من التظاهر برغبتهم بالتعاون واستعدادهم لمد الثورات بما تحـــتاجه من أدوات الحرب في أول الامر، إنما هي زيادة الضغط على الفرنسيين الذين كانوا بحالة حرب معهـــم في كيليكـــية، وبقي الأتراك المورد الرئيسي للسلاح والمال إلى الثورات السورية، ما دامت تخدم

غايـــتهم. فقـــد أفادت القوات التركية المشتبكة مع الفرنسيين في كيليكية من أشغال الثوار السوريين لقوات فريق كبير وكان من الممكن أن توجه ضد الأتراك في غياب الثورات السورية[٢٣٣].

ومـــنذ نيســـان ١٩٢١ حـــدث تـــبدل عام هام في موقف تركيا من الثوار، وفي موقف هؤلاء العســـكري: فقد كانت فرنسا وتركيا قد توصلتا إلى اتفاقية هدنة وقعت في لندن في ١١ آذار ١٩٢١[٢٣٤]. وقـــد ذكـــر الشغوري[٢٣٥] أن نجدات فرنسية تزيد على ٥٠,٠٠٠ جلبت من كيليكية إلى سورية في أعقـــاب الاتفاقـــية، فرفعت أعداد الجيش الفرنسي الذي يقاتل الثوار السوريين إلى ٧٥,٠٠٠ جندي. وأكـــد ذلـــك تقرير للمخابرات البريطانية في ٢٠ نيسان ١٩٢٠[٢٣٦]. وبذلك فإن القدرات الفرنسية العســـكرية قـــد قـــويت ضد الثوار وغدا من الصعب عليهم الانتصار على الفرنسيين[٢٣٧]. وقد تلت الاتفاقية مفاوضات لانهاء حالة الحرب بين الفرنسيين والأتراك[٢٣٨] وأدى التقارب التركي ــ الفرنسي فـــيما بعـــد إلى عقد اتفاقية فرانكلين بويون (Franklin Bouillon) بين الطرفين في ٢٠ تشرين الأول ١٩٢١). يقـــول السعدون[٢٣٩]: أن الحكومة التركية عقدت صلحاً مع فرنسا على أن يخلي الفرنسيين كيليكـــيا ويسلموها للأتراك وتلتزم الحكومة التركية مقابل ذلك ألا تمد يد المساعدة إلى الثوار السوريين ولا تعاونهم بشيء مما يضر بمصالح فرنسا في سورية ... وعلى هذا أوفدت (تركيا) بريداً تعلم أوزدمير (علـــي شـــفيق) بالنبأ وأن من أراد الالتجاء إلى تركيا من زعماء الثورة تعتبره لاجئاً سياسياً فتقبله في أراضيها".

وكـــان لهذه التطورات آثار مهلكة على الثوار فقد أعقب الاتفاقية التركية الفرنسية انسحاب القوات الفرنسية من كيليكية إلى ما وراء حدود جديدة كانت أفضل بالنسبة للأتراك من اتفاقية لندن. تضمّن الانسحاب التخلي عن مقاطعات عينتاب، روم قلعة، كلس، مرعش، أورفه وكلها كانت ضمن ولايـــة حلـــب، وعـــن كـــل سكة حديد بغداد في القسم الجنوبي من آسيا الصغرى[٢٤٠]. أما إقليم اســـكندرون ــ انطاكية فقد تقرر أن يظل ضمن سورية على أن يخضع لنظام خاص[٢٤١]. وقد شعرت القـــيادات الوطنـــية في ســـورية بأن تركيا قد خانتها. وراقب الوطنيون بغضب، وهم بحالة من اليأس والهـــزيمة، أن الأتراك بموافقة الفرنسيين ضموا إلى تركيا تلك المقاطعات الشمالية التي كانت تابعة لولاية حلـــب. كما شعروا أن الفرنسيين لم يبذلوا أي جهد لمقاومة النشاط التركي في أقليم اسكندرون الذي كانت تطالب به تركيا ولكنه بقي جزءاً من الأراضي السورية طبقاً للاتفاقية الفرنسية التركية[٢٤٢].

ولم يكـــن إعـــلان الاتفاقـــية بين الأتراك والفرنسيين يعني تأمين أوضاع هادئة في أقصى شمال سـوورية ذلك أن بعض الثوار قد رفض الاستسلام، وفضل اللجوء إلى تركيا وأخذ هؤلاء ينقضون على مراكـــز الفرنسيين ويباغتون دورياتهم بضربات قوية متلاحقة ثم يعودون إلى مراكزهم، إلى أن توقفت هذه الأعمال بعد سنوات حين سعت فرنسا إلى الحفاظ على علاقات ودية مع الأتراك، بسبب أن قرب الحدود التركية يسهل على القوات الثائرة العاملة في سورية الدخول والخروج عبر الحدود.



هوامش الفصل الرابع

(١) انظر الفصل الثاني.

(٢) انظر الفصل الثالث.

(٣) Rafiq, Society, Economics and Political Power, p.52, footnote 197.

(٤) انظر الفصل الثالث.

(٥) كما ذكر سابقاً في الفصل الثالث، إن هذا العلم شكل من العلمين العربي والتركي وكان واحد من الاثـــنين يظهـــر على وجهي العلم وكل وجه يحمل إحدى الآيتين إنما المؤمنون أخوة، فأصلحوا بين أخويكم.

(٦) آل الجندي، ص ٣٤.

(٧) "مــــا بــــالكم ترضخون صاغرين لحكم المستعمرين الجائر وأنتم خير أمة خلقت لأن تحكم بالعدل ..أرواح الأنبـــياء ترفـــرف فوق رأسكم تبشركم بالنصر وتدعوكم للدفاع عن وطنكم مهد الهداية والنبوة".

(٨) مذكرات الشغوري، ص ١٠ــ١١، ومذكرات السعدون، ص ١٣ــ١٤.

ومن المعروف أن سمعة مصطفى كمال كبطل قومي وصلت إلى شمال أفريقيا وبخاصة الجزائر، وكان الناس يحملون صوره.

(٩) رافق، ص ٧١.

(١٠) آل الجندي، ص ٦٧.

(١١) ص.٢٨، ٢٤.

(١٢) Rafeq, p.53. Footnote 208.

F.O. 371/5039, E10449/2/44, Cairo,25/8/1920.

(١٣) Ibid, Footnote 206, F.O. 371/6454 E3354, Aleppo, 1/4/1921.

(١٤) مذكـرات السـعدون، ص ٨٠، ويضيف أن هذا التضامن لم يمنع الثوار من العمل ضد الأتراك عندما تضاربت مصالح الطرفين حول قضية الاسكندرون عام ١٩٣٦.

(١٥) المرجع السابق، ص ٣٦.

(١٦) انظر الخاتمة.

(١٧) GR. du Hays. P374.

(١٨) آل الجندي، ص ٤٤.

(١٩) المرجع السابق، ص ٦٨.

(٢٠) المرجع السابق، ص ٩٠ــ٩١، وانظر ما سبق من هذا الفصل.

(٢١) المرجع السابق، ص ٨٩.

(٢٢) المذكرات، ص ١٢.

(٢٣) Rafeq, p.33.

(٢٤) الهندي، ص٥٣.

(٢٥) آل الجندي، ص ٣٦.

(٢٦) المرجع السابق، ص ٧٨.

(٢٧) مذكرات الشغوري، ص١٧ــ١٨.

(٢٨) المرجع السابق، ص ١٩.

(٢٩) الهندي، ص ٥٥.

(٣٠) العلواني، ص ١١٥.

(٣١) المذكرات، ص ١٨.

(٣٢) العلواني، ١١٢.

(٣٣) المرجع السابق، ١١٠.

(٣٤) المرجع نفسه.

(٣٥) أدهم آل الجندي، ص ٩١.

(٣٦) المرجع السابق، ص ١١ــ١٢.

(٣٧) Ministére des Armée, E.M.A.T. à Gouraud, 8/1/1921.

(٣٨) Affaires Etrangéres, No. 90, Pour Général Gouraud, Beyrouth, 19/1/1921.
وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٣، ص ١١٨.

(٣٩) مذكرات الشغوري، ص ٢٤. ومذكرات السعدون، ص ٣٤ـــ٣٥.

(٤٠) انظر ما بعد في هذا الفصل.

(٤١) لونغـــريغ، وكان القسم الأعظم من الخط الحديدي الذي تعرض بشكل أكثر لهذه الهجمات يمتد بين محطتي أم رحيم والحمدانية وكانت تسيطر عليهما قبائل الموالي والحدادين، ص ١٥٦.

(٤٢) Rafeq, P.29.

(٤٣) انظر الفصل الثالث.

(٤٤) آل الجـــندي، ص ٥٨. مـــن المأثـــور عن الشيخ صالح أنه كان يخوض المعارك حاملاً بندقيتين ويســـتعين بـــزوجته حبابة، فإذا أفرغ البندقية الأولى من الرصاص ناولها إياها لتحشوها من جديد وتقدمها إليه. وكانت ترمي الأعداء بالرصاص وتحسن إصابة الهدف وتذكي في نفوس الثوار النخوة والحمية العربية.

(٤٥) زرزور، ص ٦٤.

(٤٦) مذكـــرات الشـــغوري، ص ٢٦، ومذكرات السعدون، ص ٤٣، يروي السعدون "إني أذكر إني كـــنت جالساً وراء صخرة وإذ بصوت امرأة وراء ظهري تناديني خي ما تاكل خبز ما تشرب ماء، فانـــدرت إلى الـــوراء لأنظر من المتكلم وإذ أرى امرأتين منتصبتي القامة واقفتين فوق رأسي فقلت اجلســـن أمـــا ترين رصاص العدو كالمطر فأجابتني إحداهما لا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" ويضيف "وكنت ترى بعض النساء والدماء تترف من جرح أصابها من رصاص العدو الغادر وهي سائرة دائبة إلى عملها".

(٤٧) العلواني، ص ١٠٢.

(٤٨) المرجع السابق، ص ٦٢.

(٤٩) مذكرات السعدون، ص ٥٥.

(٥٠) غالب العياشي، الايضاحات السياسية وأسرار الانتداب الفرنسي في سورية، مطابع أشقر، بيروت ١٩٥٥، ص ٢١٤ـــ٢١٨.

(٥١) مذكرات الشغوري، ص ١٣.

(٥٢) المذكرات، ص ٤، ويوجه الشغوري في مذكراته، ص ٢٩، الاتهام للفرنسيين لأنهم "فتحوا أبواب التطوع على مصراعيها فدخلتها الجهلة بكثرة خاصة والورق السوري المحدث آنذاك الذي كان من جملـــة أســـباب الاحـــتلال التي تذرع بها الجنرال غورو، لم يكن يكلف الخزينة التي يشرف عليها الفرنسيون أكثر من ثمن طبعه".

(٥٣) Rafeq, pp.35,36.

مـــثال ذلـــك ما حدث خلال مفاوضات الشيخ صالح والفرنسيين في حزيران ١٩٢٠، وما حدث خلال مفاوضات هنانو مع غوبو في نيسان ١٩٢١.

(٥٤) Ibid, p.44.

(٥٥) جميل ابراهيم باشا (مذكرات)، نضال الأحرار في سبيل الاستقلال، مطبعة الضاد، حلب ١٩٥٩، ص٣٠.

(٥٦) انظر ما بعد من هذا الفصل.

(٥٧) المذكرات، ص ٢٧.

(٥٨) Rapport du Capitaine Magrin -Vernerey commandant du Post de Babanna, Sahioune, 23/4/1920.

(٥٩) المذكرات، ص ١٤.

(٦٠) آل الجندي، ص ٥٢.

(٦١) المرجع السابق، ص ٩٣.

(٦٢) علي رضا، ص ٧٦.

(٦٣) ولد معظم زعماء الثورة في الفترة ما بين ١٨٧٠ ـــ ١٨٩٠ فقد ولد الشيخ صالح ١٨٨٥، هنانو ١٨٦٩، نجـــيب عـــويد ١٨٧٠، مصـــطفى الحاج حسين ١٨٨١، عمر البيطار ١٨٨٦، يوسف السعدون ١٨٨٨.

(٦٤) Rafeq, p.35.

(٦٥) آل الجندي، ص ٨٨ـــ٨٩، كان نورس طيبا من ثوار جبل صهيون وقام بأعمال لم يقدر عواقبها وانفرد برأيه دون التشاور مع قادة الثورة. وارتكبت جماعته النهب والسلب في ادلب ومعرة النعمان. وخـــروجاً عـــن التقالـــيد تقدم نورس بطلب الزواج من ابنة أحد كبار الملاكين والتجار في معرة الـــنعمان، وقـــد تمكـــن الأهلون من التغلب عليه وتشتيت جماعته فعادوا أدراجهم إلى جبل الزاوية وأبدى هنانو استياءه من تصرفات طيبا.

(٦٦) مذكرات السعدون، ص ٢٨.

(٦٧) نقل عن الشيخ صالح العلي أنه رد على اغراء الفرنسيين له بقوله: "أنه مسلم وهذا كتابه، وأشار إلى القرآن الذي كان يلازمه بشكل دائم وأنه لن يلقي سلاحه طالما وجد أجنبي في هذا الشرق".

(٦٨) مذكرات السعدون، ص ٢٠، ٢١، ٢٨، مذكرات الشغوري، ص ٣٦.

(٦٩) عبد الرحمن باشا، ص ٧٩.

(٧٠) المرجع نفسه.

(٧١) الهندي، ص ٥٦.

(٧٢) العلواني، ص ١٢٧.

(٧٣) المرجع السابق، ص ١٠٢، انظر الفصل الثاني ص ٦٥.

(٧٤) علي رضا، ص ٥٧.

(٧٥) العلواني، ص ٤١.

(٧٦) مذكرات الشغوري، ص ١٧، ٣٢.

(٧٧) علي رضا، ص ٦٠ ومذكرات الشغوري ص ٤، ٢٠.

(٧٨) المذكرات ص ٤.

(٧٩) المذكرات ص ١٦،

(٨٠) يذكر الشغوري، في مذكراته، ص ١٩، الحادثة التي واجه بها نجيب عويد مع مجموعة من الثوار جباة السلطة الفرنسية في سلقين وصدّهم. وقد رد أهل سلقين بدفع العشر للثورة مضاعفاً كما أشير في الفصل الثاني، ص ٧٠، إلى أن جباية الضرائب في المنطقة الساحلية لم تكن ممكنة إلا بمساعدة القوات العسكرية واضطر الجباة مراراً إلى الانسحاب أمام تهديدات السكان.

(٨١) مثال على ذلك ما حدث في حارم في نيسان ١٩٢٠، انظر مذكرات الشغوري، ص ١٩.

(٨٢) رافق، ص ٧٠.

(٨٣) الــشyوري، ص٤، علي رضا ص٨٠، وكان يطلق على المواطنين الذين أطلق الفرنسيون أيديهم في النهب والسلب والقتل والاعتداء وانتهاك الحرمات اسم (الحرس السيار). وكان إذا ارتكب أحدهم جرماً مهما كان شنيعاً ودامياً فإن السلطة الفرنسية لا تسلمه إلى يد العدالة أبداً.

(٨٤) وفقاً لرواية السعدون في مذكراته، ص ٣٥، أن نجيب عويد هو الذي أعطى الأمر باعدام عاصم في موقع بين قرية بسلية وملس ودفن هناك. ويضيف السعدون أن الحكومة التركية بعد أن استولت على لواء الاسكندرون جاء وفد من ضباط الجيش التركي وأهالي انطاكية بعدة سيارات ونبشوا قبره ونقلوا عظامه إلى انطاكية وجرت له مراسيم دفن هناك.

(٨٥) وفي فضح العملاء وأعوان الاستعمار يقول الشيخ صالح العلي.

برئت ذمة العروبة ممن ... عن لقاكم يكل أو يتقهقر

لا يغرنكم رجال طغى الجهل ... عليهم فإنهم شر معشر

(٨٦) الشغوري، ص ٩ـــ١٠، مذكرات السعدون، ص ١١ـــ١٢، العلواني ص ٤٩.

(٨٧) العلواني، ص٥٠.

(٨٨) Rafeq, p.50.

(٨٩) آل الجـــندي، ص ٣٧، كانـــت المحكمة برئاسة علي زاهر من حمام واصل وعضوية محمود علي اسماعيل الخطابية ومحمود ضوا من العصيبة وظلت هذه المحكمة تقوم بأعمالها حتى انتهت الثورة بكل تجـــرد واخلاص وقد اعتقل الفرنسيون رجالها وأعدموا في القرية القمصية ومثل بجثثهم وبقوا معلقين على أعواد المشانق ٣ أيام.

(٩٠) مذكرات السعدون، ص ١٧.

(٩١) Khoury, p.106.

(٩٢) مذكرات السعدون، ص ١٦.

(٩٣) آل الجندي، ص ٧٧.

(٩٤) مذكرات الشغوري، ص ٢٩.

(٩٥) GR. du Hays-p.70.

ويشـــير المؤلـــف إلى حدوث هدوء في اقليم اسكندرون في المراحل الاخيرة للثورة "فتوقف نشاط (العصـــاة) وقيل أن (العصابات) تلقت أمراً بعدم القيام بأي عمل قبل مرور شهرين للسماح بالقيام بأعمال الحقول".

(٩٦) آل الجندي، ص ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩، ويذكر المؤلف من هذه العائلات: العيد والشمسين وعدرا ومحمود ورمضان.

(٩٧) عبد الرحمن الباشا، ص ٦٧.

(٩٨) آل الجـــندي، ص ١٢٥. وكـــان فاتح المرعشي قد لجا إلى مرعش بسبب ملاحقة الفرنسيين له لدعمه الثوار فكان هو الوسيط بين هنانو وصلاح الدين عادل باشا قائد القوات التركية في المنطقة.

(٩٩) Khoury,p. 107. من هذه العائلات الجابري والرفاعي، والمصري.

(١٠٠) أيمـــن أحمد شعبان، صالح العلي، ثورة وعقيدة، دار الحياة، دمشق، آذار ١٩٨٩. وقد ورد في وصـــية الشـــيخ صـــالح في ٨ آذار ١٩٥٠ "أنني قد أوصيت النبع، كاف الجاع، بتناخا، بشراغي، الرســـي، المزرعة، على اتمام قبة المسجد الكائن في الرسي وبناء المسجد المذكور الذي لم يتم تشييده

واحداث مدرسة بجوار المسجد المذكور وانشاء بنائها وتأمين فتحها واحضار اساتذة كافية على أن تكون المدرسة متوسطة فيها العلوم الدينية والعلوم الحديثة وانشاء مستوصف بجانب المدرسة ووضع علاجـات فيها كافية لمداواة الفقراء من الأهلين". وأكدت وصية الشيخ على الأوصياء "ألا يصرفوا شيئاً من المنقولات وأثمانها إلا في الوجوه التي بينتها في وصيتي هذه المنصرفة لأعمال البر والخير".

(١٠١) انظر ما بعد من هذا الفصل.

(١٠٢) انظر الفصل الثالث. يقول السعدون في مذكراته، ص ٢٠، أن الثوار أخذوا ٣٠٠٠ جمل دفعة واحدة "وأن هذه الجمال تركناها إلى نجيب عويد فأخذها إلى كفر تخاريم ودفع قسماً منها إلى الثوار بـدل الـرواتب الـتي لهم والقسم الآخر أرسله إلى أطراف حماه وباعه هناك والجمال التي أُرسلت للقصير أخذها أهل القرى".

(١٠٣) الهندي ص ٨٣.

(١٠٤) زرزور، ص ٦٩.

(١٠٥) العلـواني، ص ١٢٧. ومثال ذلك ما غنمه الثوار في قلعة أبو قبيس ومعارك السودة في كانون الـثاني ١٩٢١ مـن كمـيات هائلة من أنواع الأسلحة والعتاد والحيوانات والخيل والمؤن والألبسة والأدوات والمواد الطبية.

(١٠٦) المذكرات، ص ٣٥.

(١٠٧) O.E.T. Zone Ouest, Vilayat de Beyrouth, Sandjak de Lattaquié, No. 392. Rapport au sujet des Troupes d'occupation du District Lattaquié, 6/4/1416.

(١٠٨) علي رضا، ص ٨٦.

(١٠٩) العلواني، ص ٧٩.

(١١٠) آل الجندي، ص ٨٦.

(١١١) مذكرات الشغوري، ص ٣٦، ٣٩، مذكرات السعدون، ص ٣٠.

(١١٢) Rafeq, p.43.

(١١٣) علي رضا، ص ٥٧.

(١١٤) عبد الرحمن الباشا، ص ١٣٨.

(١١٥) العلواني، ص ٨٠، وزرزور ص ٧٣.

(١١٦) Rafeq, p. 42.

(١١٧) الهندي، ص ٦٨، ٧٩.

(١١٨) المذكرات، ص ٢٠.

(١١٩) T.E.O. Zone Quest-Vilaye de Beyrouth, Sandjak de Lattaquié,
Le Chef d'Escadron Minault, Couveneur Militaire de Lattauquie, à Le Général Commandant le T.E.L, Beyrouth, Lattaquié, 3/6/1919.

(١٢٠) p.157.

(١٢١) Fernand David, Ancien Ministre.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية مكتبة الأسد، مجلد ٣٤، ص ٦٦ــ٦٧.

(١٢٢) الشغوري في مذكراته، ص ٣٢.

(١٢٣) Rafeq, p.14.

(١٢٤) Ibid p.47. Footnote 173, AE. Vol, 117 Constaniople 9/1/1921.

نقلاً عن وثيقة للخارجية الفرنسية في ١٩٢١/١/٩.

(١٢٥) GR. Du Hays, Pertes éprouvées au Levant, du 1/11/1919 à 1/1/1928.

(١٢٦) FO 371/3558 E1085 Paris 7/11/1920. Rafeq, pp. 47-48, Footnote 174

(١٢٧) Ibid, p. 48.

(١٢٨) الجندي، ص ٦٥.

(١٢٩) مذكرات السعدون، ص ١٣٢ ـ ١٣٣، ويصف الأسلوب الذي اتبعه الثوار في تخريب الخطوط الحديدية باستخدامهم آلات لتفكيك مسامير الحديد أو وضع صخور ضخمة على الطريق فوق القضبان الحديد.

(١٣٠) انظر ما بعد من هذا الفصل.

(١٣١) GR. du Hays, pp. 461-462.

(١٣٢) FO. 371/6455 Eastern (Syria) E 6628/117/89 Consal Palmer to Earl curso, Damascus 18/5/1921.

(١٣٣) زرزور، ص ٥٥.

(١٣٤) Rafeq, p.42.

(١٣٥) Syrie, Situation Militaire 2, Gouvernent de Damas.

وثائق وزارة الخارجية في مكتبة الأسد، مجلد ٢٧، ص٢٠١.

(١٣٦) Rafeq. P.44.

(١٣٧) Ibid. p.24. Footnote 1528, Ministére des Affaires Etrangéres.
/A.E/ Quai d'Orasy, Levant 1818-1929, Syrie-Liban, Paris. Vol 117, p.132, Beyrouth, 5/6/922.

نقلاً عن وثيقة للخارجية الفرنسية في ١٩٢٢/٦/٥.

(١٣٨) زرزور، ص ٨٠.

(١٣٩) المرجع السابق، ١٢٠ــ١٢٢.

(١٤٠) الهندي، ص ٥٣.

(١٤١) زرزور، ص ٥٣.

(١٤٢) لونغريغ، ص ١٥٥.

(١٤٣) محـــي الـــدين السفرجلاني، تاريخ الثورة السورية، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر، دمشق ١٩٦١، ص٤٢.

(١٤٤) رد الشيخ صالح العلي (الشاعر) على أساليبهم قائلاً:

بـــني وطـــني واخـــواني سلاماً   عـــلام أرى تفـــريقكم علامـــاً
دعـــوا هـــذا التخاذل والخصاما   وســـيروا للعـــلا نفـــرا كـــراما

وتوجه للفرنسيين قائلاً:

تـــودون باســـم الدّين تفريق أمة   تســـامى بنوها فوق لون ومذهب
وما شرع عيسى غير شرع محمد   وما الوطن الغالي سوى الأم والأب

(١٤٥) Rafeq, p.51.

(١٤٦) انظر الفصل الأول.

(١٤٧) رافق، ص ٦٨، هامش ٢٩

FO 371/5035 E 4459/2/44, Cario /20/4/1920.

(١٤٨) Commisariat de la République Français en Syrie et en Arménie,
277, Beyrouth 4/7/1919. Politique Asie Océanid. No.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية، في مكتبة الاسد، مجلد ١٢، ص ١٠٢ــ١٠٥.

(١٤٩) Général Gouraud à Guerre-Section Oriental, Paris No. 58 à 64,
Beyrouth 12/1/1920.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٩، ص ٦٦ــ١٦٧.

(١٥٠) Actes d'hosttilité caractériée Contre Notre Corps d'Occupation.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣١، ص ١١٤ــ١١٦.

(١٥١) T.E.O. Zone Ouest, Cabinet Politique Troubles Fomentés en Zone Oust.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣١، ص ١٣٨.

(١٥٢) العلواني، ص ٤٥.

(١٥٣) انظر هامش الصفحة السابقة.

(١٥٤) الهندي، ص ٥٦ــ٥٧.

(١٥٥) أيمــن شعبان، ص ٤٦ــ٤٨.وفي الصفحة ٤٧ من الكتاب صورة فوتوغرافية للشريف عبد الله يتجول في منطقة الثورة وبرفقته الشيخ صالح العلي.

(١٥٦) انظر الفصل الأول حول تشكيل اللجنة الوطنية العليا.

(١٥٧) انظر الفصل الثاني.

(١٥٨) T.E.O.Zone Ouest, Cabinet Politique, Troubles Fomentes en Zone Ouest, Annexe 1. No, 837, C.C.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣١، ص ١٤١.

(١٥٩) الهندي، ص ٥٧.

(١٦٠) آل الجندي، ص ٣٧، ويذكر آل الجندي أن أحمد جمعة الثائر الحموي كان رسول الشعلان في المخابرات الرسمية يرافقه فارس أبو كف.

(١٦١) انظر الفصل الثاني.

(١٦٢) Affaires Etrangéres, No 675/6, Beyrouth, 21/3/1920.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٣، ص ١٣٣.

(١٦٣) Affaires Etrangéres, No. 944/6.Beyrouth, 2/5/1920.

(١٦٤) T.E.O. Zone Ouest, Cabinet Politique, No. 1198/C.P., Annexe No les bandes de l'intérieur d'Alep, Beyrouth, 28/6/192, Troubles Fomentes en Zone Ouest.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣١، ص ١١٩ــ١٢١. تشير هذه الوثيقة إلى أمر صادر عن قائد الفرقة الثالثة في الجيش العربي رشدي بك صفدي حزيران ١٩٢٠.

(١٦٥) T.E.O. Zone Ouest, Cabinet Politique, Troubles Fomentés en Zone Ouest Annexe No. 5.4/6/1920.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣١، ص ١٣٨

(١٦٦) لونغريغ، ص ١٢٤ــ١٢٥.

(١٦٧) آل الجندي، ص ٣٨، والعلواني ص ١١٤.

(١٦٨) مذكـــرات السعدون، ص ١٥، مذكرات الشغوري، ص ٥؛ الحكيم سورية والعهد الفيصلي، ص١٦٧. وكانت القوات الفرنسية قد احتلت حلب في ٢٣ تموز ١٩٢٠ وذلك بعد أن غادرها في اليوم السابق رشيد طليع (الوالي) ونبيه العظمة مدير الشرطة وغيرهما.

(١٦٩) المذكرات، ص ٥.

(١٧٠) العلواني، ص ١٢٥.

(١٧١) Khoury, P.108.

(١٧٢) مذكرات الشغوري، ص ٤١.

(١٧٣) Affaires Etrangéres, No. 92/6, Beyrouth, 19/1/1921.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٣، ص ١٢٠.

(١٧٤) لعل المقصود من هذا الأسم هو الشريف علي بن الحسين الحارثي وليس الشريف علي بن الملك حسين.

(١٧٥) رافق، ص ٧٣.

(١٧٦) يشـــير المـــرجع السابق نفسه إلى أن حاجم باشا قد يكون الأمير البدوي من قبيلة العنـــزة في مـــنطقة الرقة. وأن حاجم آل مهيد تقليد المشيخة على الفدعان ولقب بباشا في عهد الملك فيصل، وأن أهالي قضاء الرقة كلفوه بالاستيلاء على حلب، التي احتلها الفرنسيون فسار إليها بقوة بدوية مع سرية من الجند التركي ولكن الفرنسيين صدوا المهاجمين.

(١٧٧) Haut Commissariat de la République Française en Syrie et au Liban, No. 247/K, Beyrouth, 26/5/1921.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية من مكتبة الأسد، مجلد ٣٤، ص ٢٣ــ٢٤.

هذه الرسائل والرسائل الجوابية كان قد بعثها دي لاموت إلى غورو.

(١٧٨) هـــو اللقاء الذي تم في القدس بين تشرشل وزير المستعمرات البريطاني والأمير عبد الله للتباحث بشأن مستقبل المنطقة التي تقع شرقي نهر الأردن. حول معلومات تفصيلية عن هذا اللقاء انظر عوني عـــبد الهادي. أوراق خاصة، اعداد د. خيرية قاسمية، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت ١٩٧٤، ص ٤٤ــ٤٩. وقد حضر هذا اللقاء بالإضافة إلى المذكورين لورنس وعبد الهادي.

(١٧٩) F.O. 371-6 455 E9385, No, 102, Brithish Counsulate Général, Beyrouth, 1/8/1921.

تؤكد رسالة القنصلية العامة البريطانية في بيروت إلى الخارجية إن هذه الرسالة وحاملها الرئيس السيد سليم قد أخذا من قبل إحدى الطوابير الفرنسية العاملة في الجبال الساحلية.

(١٨٠) Note Concernant la Lettre ci-jointe addressee par Fayçal à Cheikh Saleh Aley, 10/7/1922.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٤، ص ١٦٣ـــ١٦٤. أنظر الملحق رقم ١١.

(١٨١) F.O.371 – 6/ 450 E 10890.

(١٨٢) العلواني، ص ٨٠.

(١٨٣) مذكرات الشغوري، ص ٤٢.

(١٨٤) علي رضا، ص ٨٧.

(١٨٥) لونغريغ، ص ١٢١ عرض لتطور الأوضاع في تركية أثر الهدنة.

(١٨٦) انظر الفصل الأول.

(١٨٧) لونغريغ، ص ١٢٥.

(١٨٨) المرجع السابق نفسه، هامش ٨.

(١٨٩) رافق، ص ٦٠.

(١٩٠) المـــرجع السابق، ص ٦٠ـــ٦٢، هامش ١١. وقد نقل تقرير للمخابرات البريطانية في استنبول مـــوجه إلى هيـــئة الأركان العامة البريطانية فيها تاريخ ٣ آب ١٩١٩ نص الاتفاقية بالفرنسية دون الإشـــارة إلى اللغـــة التي كتبت بها الاتفاقية في الأصل. ويصف التقرير هذه الاتفاقية بأنها (مزعومة) ويذكـــر أن المخابرات البريطانية حصلت على النص الفرنسي بواسطة عميل حصل عليه بدوره من موظـــف في مكـــتب المراسلات الخاصة في وزارة الداخلية التركية. ويقول التقرير إن النص الأصلي حملـــه إلى استنبول الجنرال كجك جمال باشا (جمال باشا الصغير) الذي رفعه إلى السلطان. ويقول تقريـــر المخابـــرات إن مصـــطفى كمال كان قد تلقى أوامر من وزير الحربية ومن غيره في الوزارة بالوصول إلى اتفاق مع العرب لمقاومة الاحتلال الأجنبي بتشكيل عصابات من الثائرين وأنه بناء على هذه التعليمات وقع هذه الاتفاقية.

النص الكامل للاتفاقية بالفرنسية وتقرير المخابرات البريطانية

F.O., 371 /4233 E 6779, I.C. 537 (C'ple), 3/8/1919 Traité secret entre les gouvernements Tyre et Arabe Signé par Emir Fayçal et Moustafa Kémal, le 16 juin 1919, à Alep.

(١٩١) الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، ص ٧٤. نص خطاب فيصل، في الحصري ص ٢١٣ـ٢١٧.

(١٩٢) رافق، ص ٦٣، نقلاً عن وثيقة للخارجية الأمريكية في ٢٨ شباط ١٩٢٠.

National Archives, Washington (Naw) Records Of the Dept Of State M 722, Roll No. 8, Dispatch No. 463 Aleppo 28/2/1920.

(١٩٣) المـــرجع السابق، ص ٦٤، هامش ١٦، نقلاً عن وثيقة للخارجية البريطانية في حلب حوالي ٩/١٠/١٩١٩.

F.O., 371/4233 F, 6778.

(ترجمة بيان أصدره حزب مصطفى كمال).

(١٩٤) Affaires Etrangéres, No. 179, 180, 181, Beyrouth, 25/1/1920.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٢٠، ص ٢١ـ٢٤ـ٢٧ـ٨٢.

(١٩٥) Le Commandant en Chef des Forces Naionales Ottomanes, Premier Ferik Moustapha Kamal, 20/3/1920.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣١، ص ١٨٠ـ١٨١.

(١٩٦) رافق، ص ٦٦.

(١٩٧) Khoury, p. 105.

(١٩٨) العلواني، ص ١٢٧.

(١٩٩) الهندي ص ٦٩، انظر الفصل الثاني.

(٢٠٠) Affaires Etrangéres No. 667/6, Direction Politique et Commerciale, Beyrouth, 17/3/1920.

(٢٠١) Encouragement aux Troubles, Actions des Bandes contre nos postes et nos Partisans.

وثائق وزارة الخارجية في مكتبة الأسد، مجلد ٢٧، ص ١٣٢ـ١٣٦.

(٢٠٢) رافق، ص ٦٤، هامش ١٩، نقلاً عن وثيقة أمريكية صادرة عن حلب.

Naw, M. 722, R.8. Aleppo, 14/6/1920.

(٢٠٣) المرجع السابق، ص ٦٥، هامش ٢٠.

(٢٠٤) يوم ميسلون، ص ١٠١.

(٢٠٥) الحصري، ص ١٢٠ يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي ص ١٧٩ـ١٨٠.

(٢٠٦) الحصري، ص ١٧٨.

(٢٠٧) العلواني، ص ١٤٧. انظر الفصل الثالث.

(٢٠٨) يوســف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص ١٢٧، ويقول المؤلف أن هناك من يرى أن

تعـــيين صبحي بركات لهذا المنصب كان بإلحاح تركيا وإرضاء لها من قبل الفرنسيين وبقي في هذا المنصب حتى كانون أول ١٩٢٥.

(٢٠٩) رافـــق، ص ٦٧. وقـــد عهد الأتراك فيما بعد إلى عاصم بأمرة قوة أرسلوها لدعم ثورة هنانو وكان برفقته بدري بك. آل الجندي، ص ١٣٠.

(٢١٠) العلواني، ص ٤٨.

(٢١١) العلواني، ص ٥٠.

(٢١٢) المذكرات، ص ١٠ــ١١.

(٢١٣) المذكرات، ص ١٣.

(٢١٤) العلـــواني، ص ٥٠، ويذكر أن الوفد عاد يحمل معه ما قدم من عتاد، في حين يذكر آل الجندي ص ٧٤ أن هـــنانو لما كان في تركيا عرض عليه المسؤولون مؤازرته بفئة من الضباط والجند ومدفع مـــيدان فـــرفض آنذاك، ثم رأى من المصلحة طلب المؤازرة المعروضة عليه فكتب إلى الأتراك يطلب منهم إيفاد هذه القوة والمدفع. يمكن العودة إلى الفصل الثالث من أجل بقية التفاصيل.

(٢١٥) مذكرات الشغوري، ص ١٠ــ١١، آل الجندي، ص ٧٤.

(٢١٦) رافق، ص ٦٩، وارفق بيان هنانو بفتوى من مفتي الاتحاد الإسلامي (لا يعرف من يمثل) الحاج محمد أفندي أبي زاده تبيح دم من يتعاون مع الذين يحاربون الإسلام. انظر هذا الفصل ص ١٨٩.

(٢١٧) المرجع السابق نفسه.

(٢١٨) العلـــواني، ص ٥١، ويمكـــن العودة إلى الفصل الثالث، ص ١١٨، حول وصول السرية والعلم الذي كانت تحمله، ومذكرات الشغوري، ص ١٢ــ١٣.

(٢١٩) رافق، ص ٧٠.

(٢٢٠) مذكرات الشغوري، ص ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٣. مذكرات السعدون، ص ٢٢، ٢٧، ٣٢.

(٢٢١) Khoury, p. 106.

(٢٢٢) Ministére des Armées. E.M.A.T, Diplomatie (pour Général Gouraud), Paris 2045-2048 /G, 6/12/1926.

(٢٢٣) Ministére des Armées, E.M.A.T, Diplomatie, Paris 48 -49-50 51 pour Général Gouraud, 8/1/1921.

(٢٢٤) Affaires Etrangéres No. 2091/6, Beyrouth, 17/12/1920.

وثائق وزارة الخارجية في مكتبةالأسد، مجلد ٣٣، ص ٧٨.

(٢٢٥) F.O 371/6/454, Brithsh Consul, Aleppo.

(٢٢٦) المذكرات، ص ٤٥.

(٢٢٧) المرجع السابق، ٤٢.

(٢٢٨) مذكرات الشغوري، ص ٤٢ـــ٤٣، انظر ما سبق في هذا الفصل.

(٢٢٩) مذكـــرات الســـعدون، ص ٣٦، وقـــد نقل السعدون ذلك عن مقال لمنير الريس رئيس تحرير جريدة بردى عنوانه: صفحات من ذكريات الجهاد القومي في سورية، في كتاب سورية بين عهدين، إصدار جريدة بردى دمشق ١٩٤٨، ص ١٨٩.

مـــع ذلك يقول السعدون في مذكراته، ص ٤٥، بمناسبة الحديث عن محاكمة هنانو وإطلاق سراحه في آذار ١٩٢٢ إن ذلـــك تم بتدخل تركيا وباتفاق دولي كما أن السعدون يروي في مذكراته، ص ١٢ـــ١٣، أنه ونجيب عويد رفضا تنفيذ طلب تركيا بعد لجوئهما إليها حينما حاولت مساعدتها في ضم الاسكندرون. ويعلق د. رافق في مقاله السابق، ص ٧٠، بقوله "يظهر كلام الثائر السعدون هذا حساً وطنياً عالياً تدعمه روح دينية تبعث فيه الاخلاص للجهاد في سبيل الوطن فقط".

(٢٣٠) الهندي، ص ٨٠.

(٢٣١) العلواني، ص ١٢٧.

(٢٣٢) الهندي، ص ٨٠.

(٢٣٣) رافق، ص ٧٢.

(٢٣٤) المـــرجع الســـابق نفسه. وقد ناب عن تركيا سامي بك باكير مندوب المجلس الوطني الكبير في أنقره وعن فرنسا رئيس وزرائها ووزير خارجيتها بريان.

(٢٣٥) المذكرات، ص ٤١.

(٢٣٦) رافق، ص ٧٢، هامش ٤٨ نقلاً عن .F.O., 371/6454 E 5715/117/89, Beriut 3/5/1921

(٢٣٧) جميل ابراهيم باشا، ص ٣٠.

(٢٣٨) علي رضا، ص ٨٧.

(٢٣٩) المذكرات، ص ٤٥.

(٢٤٠) لونغريغ، ص ١٥٢.

(٢٤١) المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٢٤٢) Khoury, p. 111.



خاتمة

تضافرت عوامل كثيرة عملت عملها في كيان الثورتين، وكان موعد اضمحلالهما ونهايتهما متقارباً جـــداً، منذ بدأت موارد الثورتين المالية والعسكرية بالنضوب بعد أن طال الأمد بهما واستنفدت المعارك كل طاقاتهما المحدودة.

على جبهة الجبال الساحلية بوجه خاص، التي هي بحكم موقعها الجبلي ضعيفة الموارد الزراعية، عمـــد الفرنسيون إلى تطويق سلسلة الجبال وسدوا عليها السبل وقطعوا طرق الاتصال بينها وبين المدن الساحلية والداخلية، فتعطلت الأعمال وأصبحت قضية التموين على جانب كبير من الصعوبة.

ومـــع أن أحـــداً من الأهالي في المناطق الثائرة على كلتا الجبهتين، لم يتخلَ في حدود استطاعته وامكاناتـــه، مهما كانت ضعيفة وضئيلة عن تقديم العون للثوار سواء من حيث تأمين الطعام والإيواء أو تقـــديم الخـــدمات رغم شح موارد الرزق. ولكن لابدِ لطاقة الإنسان أن تنفذ، فقد كانت الضائقة التي نزلت في مناطق الثورة أثقل من أن تحملها كواهل الرجال. وكانت شدة الفرنسيين قد بلغت حداً كبيراً مـــن القســـوة مـــن حرق القرى والبيوت والأرزاق، فضعفت على مر الأيام قدرة الثوار على القتال والمقاومة.

وكان انغلاق أبواب تزويد الثوار بالسلاح والعتاد (سواء استخلاصه من أيدي العدو أو شراؤه من المناطق المجاورة أو احضاره من تركيا) من أهم العوامل التي دفعت إلى التراجع والانكسار، وفي الأيام العصيبة مـــن مراحل الثورتين حين كان الثوار، مع اشتداد الضغط عليهم، يزدادون وهناً ويفقدون كل يوم عشرات الشـــهداء وجرحاهم ينـــزفون دماء ولا يجدون ممرضاً أو طبيباً يضمدها، ويبقون في الساحة يهزؤون بالموت وقـــوتهم وعـــتادهم في تناقص مستمر فيتقاسمون المشط الواحد ليردوا برصاصاته جنديًاً عدواً، في تلك الأيام كـــان الخصم يزداد قوة ولا يكاد سيل الأسلحة والذخائر والأقوات ينقطع وأفواج الجند ترسل تباعاً مجهزين

بأحدث ما وصل إليه التقدم من أسلحة، ولديهم من العتاد والسلاح ما يجعلهم في حلٍّ من التقنين في الإنفاق والاطلاق يؤازرهم أسطول وسلاح جوي ينشران الذعر والدمار.

وقـد بلـغ القيادة الفرنسية ما تعانيه قيادة الثورتين من نقص خطير في السلاح والعتاد والمؤن وصـعوبة تدبيره، ولو وجدت الأموال، مما أدى إلى خروج عدد من المقاتلين لتفقّد أسرهم، التي شردها الفرنسيون وتفرق الآخرون الذين صمدوا، إلى مجموعات صغيرة تمارس حرب العصابات في نطاق ضيق وفقـاً لمتطلـبات الظـروف القائمة وبهذا بعدت المجموعات عن القيادة المباشرة للثورة. وهذا ما دفع الفرنسيين إلى تشديد قبضتهم من أجل الاجهاز على الثورتين.

وربما كان بإمكان الثورتين أن تصمدا لفترة أطول لو كانت الظروف العامة الداخلية في البلاد تساعدهم على مدهما بحد أدنى من أسباب الصمود. إذ أنه منذ ميسلون فقدت الثورتان الدعم والاهتمام مـن حكومة مسؤولة بعد أن خضعت البلاد بمجملها للانتداب الفرنسي. يضاف إلى ذلك أن الظروف الخارجية لم تتح للثورتين سبل الاستمرار فلم تحظ كلتاهما بدعم دولة مجاورة، ومساعدة الأتراك لم تكن منـزهة الغرض. فقد تبع مرحلة المساعدات الأولى وعرض القوة، مرحلة أخرى امتنع فيها الأتراك عن امـداد الـثوار بالسـلاح والعتاد حين أنهى الأتراك حالة الحرب مع فرنسا. وكان أن نقلت السلطات الفرنسية الجنود الموجودين على الجبهة التركية وزجتهم إلى جبهة القتال في المناطق الثائرة. ولا يمكن أن نهمـل عاملاً آخر هو هيمنة الدول الاستعمارية على أجزاء الوطن العربي في مشرقه ومغربه، وهو أمر لم يكـن يتـيح نجـاح الثورات التحررية للتخلص من هذه الهيمنة. لقد تضافرت جهود الدول الأوروبية الكـبرى علـى توطيد سيطرتها لضرب كل نفس تحرري وخنقه في مهده. وبانتهاء الثورتين انسحب بطلاهما عن الساحة الثورية.

لقـد مر بنا أن الشيخ صالح العلي ظل مع عدد من مغاويره حتى اللحظات الأخيرة مصراً على مواصـلة القتال والتصدي للمحتل. ولكنه اضطر إلى التواري مع نفر من أتباعه في غار يبعد عدة كيلو متـرات عن قرية الشيخ بدر التي دخلها الفرنسيون وهي خالية من أهاليها، وراحوا يبحثون عنه في كل مكان ويبثون العيون والأرصاد ويضعون المكافآت لمن يرشد عن مخبأه، ولكنهم أخفقوا. ولما عجزوا عن القبض عليه لمحاكمته موجوداً شكّلوا محكمة عسكرية لمحاكمته غيابياً. وقد أصدرت هذه المحكمة حكماً بالإعـدام علـيه، ونشر هذا الحكم في بلاغ مطبوع ألقته الطائرات الفرنسية في سائر أنحاء الجبل. ومع

بلاغ حكم الاعدام على الشيخ ألقت الطائرات ببلاغ آخر تهدد فيه بإعدام كل من يخبيء الشيخ في بيته أو يراه ولا يخبر السلطات الفرنسية عنه. ووعدت المخبر بمكافأة قدرها ١٠٠٠ فرنك فرنسي.

وذهبت كل التدابير والوسائل التي اتخذتها السلطات الفرنسية هباءً، وكانت السلطات تعلم أن الشيخ مازال في الجبل و لم يغادره. وفعلاً كان بالجبل، وظل يتنقل من مكان إلى آخر حوالي سنة كاملة، والفرنسيون يجدّون في أثره ويتعقبون خطواته. وأثناء انتقاله من مكان إلى آخر تكلؤه عناية الله وتحرسه قلوب الأهالي، كثيراً ما التقى به جنود الفرنسيين ولكن براعة التمويه وقوة الأعصاب التي كان يواجه به الموقف جعلاه في مأمن من شرهم. وكان ما يزيد حيرة السلطات الفرنسية وقلقها هو ما كان ينتشر من أخبار عن قرب تجديد الثورة واتصال زعيمها ببعض الجهات التي قررت مده بالسلاح والمعونات اللازمة، وهذا ما أجبر تلك السلطات على الاحتفاظ بالقوات العسكرية رغم النفقات الهائلة التي كانت تتحملها.

وبعد أن عجز الفرنسيون عن الوصول إلى الشيخ صالح، ولخشيتهم من أن بقاءه مختبئاً سيجعل أنصاره متحفزين لمعاودة القتال في أي وقت يدعوهم فيه، وجدوا أن من الأفضل أن يسلكوا طريقاً آخر وهو وضع حد نهائي للثورة من الناحية السياسية بعد أن انتهت من الناحية الحربية. فأصدر الجنرال غورو في مطلع صيف ١٩٢٢ قراراً بالعفو عن الشيخ وأعوانه شرط عدم عودتهم إلى الثورة. واعلن هذا العفو بشتى وسائل الدعاية والاعلام، وعمدت الطائرات إلى إلقاء الآلاف من نسخه على مدن وأرياف المنطقة. وبلغ الشيخ قرار العفو عنه، وكانت حوادث عدوان الفرنسيين على الناس والتنكيل بهم وإحراق القرى بكاملها بذريعة مروره بها وعدم اعلام أهلها السلطة، كل تلك الأمور كانت تحز في نفسه، ووجد أنه لا سبيل لانهاء هذه المتاعب إلا باستسلامه فقرر ذلك مكرهاً.

وتم الاستسلام في قرية بشراغي في ٢ حزيران ١٩٢٢. ورد ذلك في برقية صادرة عن رئيس هيئة أركان جيش الشرق إلى وزارة الحربية[1]، وتضيف البرقية أن الشيخ قد مُنحَ الأمان مع الإقامة الجبرية في الشيخ بدر "حيث سيكون تحت رقابة مركزنا العسكري". ويقر رئيس هيئة أركان جيش الشرق أن هذا الاستسلام "ينهي فترة طويلة الأمد من (الانشقاق)... كان خلالها الشيخ (عدواً عنيداً) وروح (العصيان) في المنطقة. وبرأي مرسل البرقية أن هذا الاستسلام حقق "واحدة من النتائج السعيدة التي حصلنا عليها من إقامة السلام مع تركيا وهي التي طال أمد انتظارنا لها في سورية". وفي مقابلة





الشيخ صالح العلي

جـرت مـا بـين الشيخ والجنرال بيوت (Billotte) قائد حامية اللاذقية سأله الجنرال عما أخَّره عن الاستسـلام فأجاب "والله لو بقي معي عشرة رجال مجهزين بالسلاح والعتاد الكافيين لمتابعة الثورة لما تركت ساحة القتال"[٢].

ولزم الشيخ بعد ذلك بيته فارضاً على نفسه عزلة شديدة، ولكن هذه العزلة لم تكن تمنع الشيخ مـن المجاهرة برأيه في المواقف الوطنية الحاسمة، وعمل في النشاط السياسي قدر استطاعته وكان مستعداً لتلبـية نداء الوطن. ورفض كل العروض المغرية التي تقدم بها الفرنسيون حتى وافاه الأجل في ١٣ نيسان ١٩٥٠.

وعلـى جـبهة ثورة هنانو قام الثوار (كما مرّ بنا) وبعد أن تضافرت كل العوامل على الحد من نشـاطهم، قاموا بقبول الخيار الذي طرحه هنانو (وخاصة أولئك الذين أقعدهم كبر السن وكثرة الأولاد) باستسلام من يريد الاستسلام استجابة لوعد فرنسا بالعفو العام، دون أن يتخلوا عن تصميمهم على افتداء وطـنهم بالغالي والرخيص متى وجدوا السلاح. ولكن فئة أخرى[٣] أخذت برأي نجيب عويد الذي أعلن

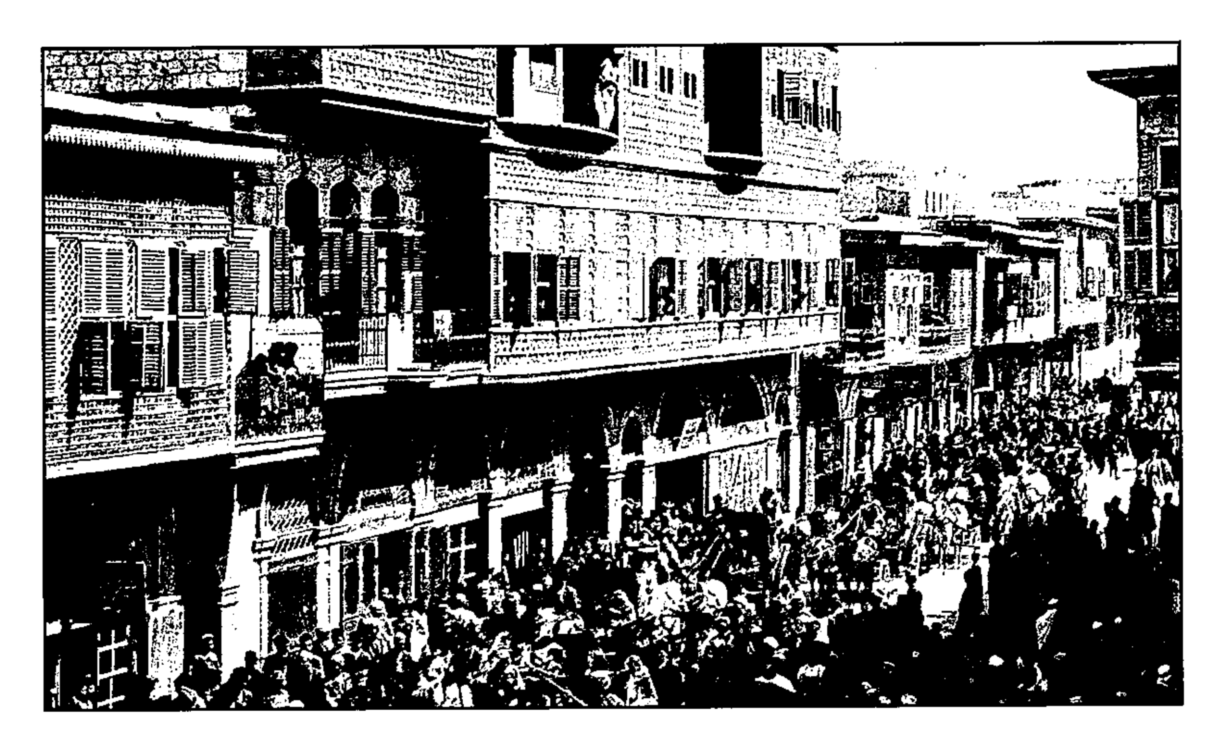
أنــه لــن يُلقي السلاح ويستسلم للفرنسيين وأنه سينــزح إلى تركيا ليكون على مقربة من موطنه وليــتمكن مــن شن الغارات على المحتلين كلما مكنته الظروف(٤).



إبراهيم هنانو

أما هنانو نفسه فقد غادر مع أربعين من رجاله على رأسهم إبراهيم الشغوري(٥)، على أن يتولى هزاع ايوب مهمة الدليل إلى منطقة شرقي الأردن(٦) وقبل أن تذهب كل من الفئات الثلاث في الــوجهة الــتي اختارتها، اجتمع هنانو ثانية بالقادة نجيب عويد، يوسف السعدون، مصطفى الحــاج حسين في اوقات مختلفة واستحثهم على اللحاق به في شرقي الأردن مع أتباعهم، إذا وجد أنه بالإمكان تأليف قوة مزودة بالسلاح والعتاد اللازمــين ليســتطيع مهاجمــة الفرنسيين في الأراضي السورية واشعال نار الثورة من جديد. فقد كان هنانو يأمل في تلك الظروف أن تكون الأردن مركــزاً لتألــيف جيش عربي لانقاذ سورية، وخاصة أن أكثر العناصر الوطنية التي غادرت سورية بعد ميســلون تجمعــت هــناك وكــان هنانو قد أوفد رسولاً إلى تلك العناصر يطلعهم على مصير الثورة ويستشــيرهم في الأمــر، فــزينوا له أن الأمير عبد الله على استعداد لمساعدته في استئناف كفاحه ضد الفرنسيين(٧).

انطلــق هــنانو ورفاقــه في ليلة ١١ــ١٢ تموز ١٩٢١ من المعرة نحو الجنوب عن طريق الحد الفاصــل مــا بين البادية والمعمورة، وكان اجتياز بادية الشام شاقاً وطويلاً ومحفوفاً بالمخاطر، فعشائر البادية التي تسيطر عليها قوات فرنسية تساعدها بعض قوات من (الفرقة الأجنبية) كانت تترصد الطرق وكــان فــريق الثوار هذا يسير في الليل ويرتاح في النهار اختفاء عن عيون الطائرات المعادية التي تقتفي أثره(٨). ولكن هنانو لم يستطع الوصول بأفراد جماعته إلى مقصدهم بل تمكن هو فقط بعد سلسلة طويلة



حلب، شارع الخندق، آذار/مارس ١٩٢٢ عند إعلان براءة هنانو

مـــن المعـــارك والمتاعب في جبل الشعرا وحمص ودمشق من الوصول إلى جبل العرب (وحل ضيفاً على سلطان الأطرش) ومنه إلى عمان فوصلها في ٣١ تموز ١٩٢١(٩).

ولكن لم يطل بهنانو البقاء في شرقي الأردن، وبعد أن فقد الأمل بالحصول على ما وعد به من نجـــدة مـــن الأمـــير عبد الله ليشعل نار الثورة من جديد، يمم وجهه شطر فلسطين لزيارة القدس وفي منتصـــف آب قبضت عليه السلطات البريطانية بعد مخابرة تمت من غورو إلى هربرت صموئيل لتسليم هـــنانو. واحـــتج رجالات الحركة الوطنية في فلسطين وطلبوا اطلاق سراحه و لم يجد ذلك نفعاً. إذ أنه تطبيقاً لاتفاقية عقدت بين المفوض السامي في سورية ولبنان وبين المفوض السامي الانكليزي في فلسطين بشأن تبادل (المجرمين) في كلا البلدين تم ترحيله عن القدس. وقد وسمت حكومتا الانتداب ثورة هنانو بالجـــريمة العاديـــة مع أن العدالة كانت تقضي ألا يسلم هنانو إلى الفرنسيين لأنه ثائر سياسي.ويعتبر غورو(١٠) أن "اعتقال هنانو وتسليمه سيكون لهما أفضل النتائج، إذ سيبرهن للسكان أن فرنسا وانكلترا ليستا أعداء في الشرق، بل على العكس، أنهما يتبادلان العون لقمع أعمال التخريب (واللصوصية)".

أرسل هنانو مخفوراً إلى بيروت حيث سلم للسلطات الفرنسية، وفي منتصف شهر آب ١٩٢١ جـــيء به إلى حلب وأودع السجن العسكري (وكان يومئذ في الخان المعروف ـــ خان استنبول). وبعد

ستة أشهر بدأ الفرنسيون محاكمة هنانو[11] أمام محكمة عسكرية في دار الحكومة (السرايا القديمة)، وفي الغرفة المعدة لمحكمة الجنايات الأهلية. وتولى الدفاع عن هنانو ببلاغة وحماسة عظيمتين المحامي فتح الله الصقال وكانت الجلسات صاخبة وعدد الحضور كبيراً وكلهم من رفاق هنانو ورجال الحركة الوطنية.

وقد عمد الصقال إلى تفنيد التهم التي وجهتها المحكمة العسكرية إلى هنانو وأوضح أن موكله ليس مجرماً عادياً بل بطلاً وطنياً وأنه قام بثورته مطالباً بحرية بلاده، والمطالبة بالحرية لا تعد جرماً بل حقاً طبيعياً اعترفت به الدول الكبرى، وأن هنانو إنما كان يعبّر، في حمله السلاح، عن تطلعات الشعب العربي في سورية في الدفاع عن عزته واستقلاله. وقال الصقال أن الوطنية ليست وقفاً على فرنسا وإنما هي عاطفة طبيعية في أعماق النفوس تشعر بها كل أمة. وقد دحض هنانو أمام المحكمة العسكرية مزاعم فرنسا لاحتلالها غير المشروع لسورية، وأكد أن من حق أبناء البلاد أن يثوروا ضدها دفاعاً عن كرامتهم واستقلالهم، وصوناً لحريتهم.

وقد قال هنانو مضيفاً في صيغة سؤال "لقد طلبت من الجنرال غورو أن تستفتوا الشعب استفتاء حراً ليقرر الشعب مصيره، فلماذا لم تفعلوا ذلك، إنكم كنتم تدركون تماماً أن الشعب سيرفضكم وسيطالب بالحفاظ على استقلاله، إنكم أغراب عن هذا البلد، معتدون، ولاحق للمعتدي الغاصب في أن يحاكم الأبرياء".

وبعد مرافعات عديدة دامت بضعة أشهر قضاها هنانو مسجوناً قيد المحاكمة، لم تجد المحكمة مناصاً من تبرئة ساحة هنانو فأطلقت سراحه[12].وعاد هنانو إلى ميدان الكفاح الوطني ليقود المقاومة السياسية ضد الانتداب حتى وافته المنية في ١٩٣٥/١١/٢١.

لقد كانت المقاومة المسلحة أو حرب التحرير الشعبية التي أبدتها المناطق الريفية الثائرة بين ١٩١٨–١٩٢١ كبيرة الشأن إذا ما قورنت بالمعارضة السياسية التي أبدتها القوى المدنية فالمجموعات الريفية المتلاحمة كانت في وضع أفضل من المجموعات المدنية للقيام بمواجهة الاحتلال الأجنبي وتحمل المقاومة الطويلة الأمد، بفضل طبيعة الأرض وأيضاً بفضل عرى التضامن التقليدية في الريف[13]. وقد ألقيت المسؤولية الأولى في النضال ضد المستعمر في مختلف أصقاع الوطن العربي على القوى الثورية في الريف، التي ظهرت في الساحة فهبت إلى النضال دون تقاعس وضربت أمثلة من الأساطير في صلابة صمودها، وشجاعة وحنكة قادتها،

والـتفاف السـكان مـن حولها. وأمثلة ذلك على امتداد الوطن العربي، ستبقى حية على الدوام، بدءاً بثورات الجزائر (١٨٣٠) فالمغرب وليبيا وامتدادا في الشرق حتى العراق "١٩٢٠" على سبيل المثال لا الحصر.

ولم تكن الجولة التي خسر بها الثوار المعركة نتيجة ضعف بل كانت نتيجة محتومة لسلاحين غير متكافـئين، واضطر الثوار إلى رمي سلاحهم بعد أن نفدت ذخيرتهم مستسلمين لجبروت فرنسا وقوتها العسـكرية. وإن فشلت تلك الثورات في تحقيق أهدافها الأساسية بطرد فرنسا إلا أنها قبل أن تتلاشى، ألحقـت خسـائر عسكرية فادحة بالفرنسيين. وجعلت مهمة فرنسا الأولى في فرض "القانون والنظام" بوصفهما الشرط الأول للانتداب أمراً عسيراً، ولم تنتقل معظم المناطق إلى ظل السلطات المحتلة بسهولة.

وكمـا أن هاتين الثورتين كانتا استمراراً لأهداف الثورة العربية الكبرى في عام ١٩١٦ فإنهما، بالمقابـل، رسختا تقاليد ثورية توارثتها الأجيال من بعد، في رفض سياسة التجزئة والطائفية، وفي العمل الثوري المشترك خالصاً نقياً، وقد انتزعتا اعتراف العدو، قبل الصديق بأهميتها.

ولا تعـني نهايـة هـذه المرحلة من الثورات نهاية الكفاح الوطني، فقد ظلت هذه الإرهاصات المبكرة المثال الذي يحتذى على الدوام إلى أن حققت سورية ما تصبو إليه من نعمة الاستقلال.



هوامش الخاتمة

(١) A.F.L. à Guerre (section Afrique orient), 294. 295. 296/k, 5/6/1922.

(٢) العلواني، ص ١٣٩، على رضا، ص ٥٣.

(٣) من هؤلاء: يوسف السعدون، مصطفى الحاج حسين، عقيل الاسقاطي، عمر البيطار، عمر علوش، عمر نقوش، وأتباعهم.

(٤) غادر هذا الفريق من الثوار البلاد تباعاً إلى تركيا (وكان آخر من غادرها الشيخ يوسف السعدون أوائل كانون أول ١٩٢١) كي يتواجدوا على مقربة من حدود سورية لمهاجمة المخافر والقوات الفرنسية ونزلوا ضيوفاً على الحاج فاتح المرعشي مع أسرهم ورواحلهم. إلى أن أجبرتهم تركيا بعد سنتين على وقف النشاط. مذكرات السعدون، ص ٤٥ـ٤٦.

(٥) كان من الذين رافقوا هنانو هاشم الشغوري، عمر زكي الأفيوني، المقدم الركن خالد مظهر السباعي، محمود صيداوي، خليل بيروتي، راسم سلطان من طرابلس الشام، صبحي خيرو اللاذقاني، حقي هنانو، والكابتن البلغاري الذي التحق بالثورة مع عشرة من جنوده البلغاريين والنمساويين الذين هربوا من الفرقة الأجنبية الفرنسية.

(٦) لم يشأ هنانو الذهاب إلى تركيا لأنه لا يطمئن للأتراك وفقاً لما ذكره السعدون (كان في استطاعتي أن أنسحب بسهولة إلى تركيا لقرب الحدود الشمالية من منطقة الثورة ولكن كنت لا أرجو خيراً لقضيتنا من جيراننا الأتراك).

(٧) التفاصيل حول رحيل هنانو نحو عمان من المعرة يمكن الاطلاع عليها من مذكرات الشغوري، ص٤٥ـ٤٨.

(٨) مذكرات السعدون، ص ٣٦. ويعلق السعدون في مذكراته على قول هنانو الذي أورده نجيب الريس عن ثورة هنانو في كتاب سورية بين عهدين، جريدة بردى، دمشق ١٩٤٦، ص ١٨٨ ـ ٢١٥، بأنه يترك ميدان الثورة بما تبقى حوله من الثوار. فيقول السعدون أن من ذهب برفقة هنانو

لـيس كل من تبقى من الثوار بل كانوا يذودون العدو عن مناطقهم، والسعدون لا يقبل قول هنانو بأن "جيوشاً كثيفة من الفرنسيين كانت تطاردنا"، ويضيف السعدون "أن ذهاب هنانو كان فجأة لم يشعر به أحد حتى تناقلت إليهم أخباره، وأن ذهابه كان لمجرد اجتهاده ونتيجة لمخابرة سابقة جرت بينه وبين بعض رجال سورية الذين كانوا يقيمون في شرق الأردن".

(٩) بعث غورو إلى وزارة الخارجية الفرنسية تقريراً عن "إحدى المواجهات التي جرت بين مجموعة هنانو وبعض أعوان فرنسا من العشائر والخيالة المرتزقة والتي انتهت بقتل عشرة من مجموعة هنانو وأسر مجموعة أخرى، منهم المقدم خالد بك (رئيس هيئة أركان جمال باشا سابقاً في سورية) وملازم أول ومرشحان من الجيش العثماني وخمسة بلغاريين ونمساويين و٣شراكس و٦ سوريين).

Affaires Etrangéres, No 1033, 1034/6, Beyrouth 20/7/1921.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٤، ص ١٨٧.

(١٠) Haut Commissariat de la Répeblique Française en Syrie et au Liban, No. 1191/6, à Diplomatie-Paris.

(١١) عن تفاصيل محاكمة هنانو انظر فتح الله الصقال، من ذكرياتي في المحاماة في مصر وسورية، هدية مجلة الكلمة لقرائها مطبعة الضاد، حلب ١٩٥٨، ص ٦٠ـ٩٦ (كتاب خاص في مركز الوثائق التاريخية بدمشق). وكان اختيار الصقال وكيلاً عن هنانو قد جرى من قبل النائب العام العسكري الفرنسي وموافقة هنانو.

(١٢) يذكر جميل ابراهيم باشا، ص ٣٠ "أنه قيض الله لهنانو بعضاً من الضباط الفرنسيين ممن ما زال بهم بقية من ضمير، وأن عقاب من صوّت على براءته كان إعادته إلى فرنسا بأمر من السلطة الفرنسية في بيروت".

(١٣) Rafeq, p.33.



مصادر البحث ومراجعه

أولاً ـ المصادر والمراجع العربية:

آ ـ مذكرات وأوراق غير منشورة:

إبراهيم الشغوري، مذكرات غير منشورة، دار الوثائق التاريخية بدمشق، القسم الخاص.

بدر الدين الكيلاني، **أوراق خاصة** دار الوثائق التاريخية بدمشق، القسم الخاص.

يوسف السعدون، **مذكرات غير منشورة**، دار الوثائق التاريخية بدمشق، القسم الخاص.

ب ـ المؤلفات المنشورة:

إحسان الهندي، **كفاح الشعب العربي السوري ١٩٠٨ ـ ١٩٤٨**، إدارة الشؤون والتوجيه المعنوي، دمشق ١٩٦٢.

أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية**، دمشق ١٩٥٦.

أدهم آل الجندي: **تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي**، مطبعة الاتحاد، دمشق ١٩٦٠.

أسعد داغر، **مذكراتي على هامش القضية العربية**، القاهرة ١٩٥٩.

أيمن أحمد شعبان، **صالح العلي ثورة وعقيدة**، مطبعة دار الحياة، دمشق ١٩٨٩.

جميل إبراهيم باشا (مذكرات)، **نضال الأحرار في سبيل الاستقلال**، مطبعة الضاد، حلب ١٩٥٩.

جميل العلواني، **نضال شعب وسجل خلود ١٩١٩ ـ ١٩٤١**، مطبعة الأداب والعلوم دمشق ١٩٧٣.

جورج انطونيوس، **يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية**، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت ١٩٦٦.

خيرية قاسمية، **الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ ـ ١٩٢٠**، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١.

زيـــن نـــور الدين زين، **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان**، دار النهار للنشر، ١٩٧١ (مترجَم).

ساطع الحصري، **يوم ميسلون**، دار الاتحاد، بيروت، طبعة١٩٦٤.

ستيفن همسلي لونغريغ، **سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ترجمة بيار عقل، دار الحقيقة، بيروت ١٩٧٨.

صبحي العمري، **أوراق الثورة العربية**، دار رياض الريس للنشر، لندن ١٩٩١ (مجلد ٣).

عبد الرحمن الباشا، **الراية الثالثة**، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٦٣.

عبد الرحمن الشهبندر، فيصل بن الحسين، مجلة المقتطف جزء ٣، مجلد ٨٣، ١٩٣٣.

علي رضا، **قصة الكفاح الوطني في سورية**، ١٩١٨ ـــ ١٩٤٦، حلب ١٩٧٩.

عبد الكريم رافق، من تاريخ سورية الحديثة العلاقات السورية التركية ١٩١٨ـــ١٩٢٦. **مجلة دراسات تاريخية**، دمشق العددان ١٩ـــ٢٠ تموز ١٩٨٥.

غالـــب العياشي، **الايضاحات السياسية وأسرار الانتداب الفرنسي في سورية**، مطابع أشقر، بيروت ١٩٥٥.

فارس زرزور، **معارك الحرية في سورية**، دار الشرق، دمشق ١٩٦٢.

فايز العضين، **مذكرات عن الثورة العربية**، دار الترقي، دمشق ١٩٥٦.

فـــتح الله ميخائيل صقال، **من ذكرياتي في المحاماة في مصر وسورية**، هدية مجلة الكلمة، مطبعة الضاد، حلب ١٩٥٨ (دعوى إبراهيم هنانو ص ٦٠ـــ٩٦).

محمد كرد علي، **المذكرات ج١**، دمشق ١٩٤٨.

محـــي الـــدين الســـفرجلاني، **تاريخ الثورة السورية**، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق ١٩٦١.

مـــنير الـــريس، **صفحات من ذكريات الجهاد القومي في سورية مغامرة الزعيم هنانو بعد ثورته التي هـــزت أولى أركان الاستعمار الفرنسي** في كتاب: **سورية بين عهدين، يوم القومية العربية لجلاء الجيوش الأجنبية عن سورية**، جريدة بردى، دمشق ١٩٤٦ (ص ١٨٨ ـــ ص٢١٥).

منير الريس، **الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي، الثورة السورية الكبرى**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٨.

نـــادين بيكودو، **عشر سنوات هزت الشرق الأوسط**، ترجمة عبد الهادي عباس، دار الأنصار، دمشق ١٩٩٦.

يوسف الحكيم، **سورية والانتداب الفرنسي**، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٨٣.

يوسف الحكيم، **سورية والعهد الفيصلي**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٦.

ج ـ الصحف

جريدة الحياة، بيروت ١٩٥٢

جريدة الدفاع، دمشق ١٩٢٠.

جريدة العاصمة، دمشق ١٩١٩ ـــ ١٩٢٠.

د ـ مقابلات شخصية مع أقرباء الثوار على الجبهة الساحلية.

ثانياً ـ المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

آ- وثائق ودراسات غير منشورة:

وثائق وزارة الدفاع الفرنسية، الأرشيف التاريخي لجيش البر، قصر فانسين.

Ministère de la Défense, Service Historique de l'Armée de Terre, Archives, Château de Vincennes.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية المحفوظة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق بعنوان:

Document Français des Affaires Etrangères Concernat le Levant, Syrie-Liban durant les années 1918-1929.

وثائـــق وزارة الخارجية البريطانية Foreign Office (F.O) في دار المحفوظات العامة Public Record Office في لندن.

دراسة غير منشورة للجنرال الفرنسي دوهاي.

Gènèral du Hayes, Les Armée Françaises au Levant (1919-1939), 2 Tomes, (1978-1979).

Ministère de la Dèfense, Etat-Major de l'Armée de Terre, Service Historique, château de Vincennes.

ب ـ المؤلفات المنشورة:

Cumming, Henry, **Franco-British Revalry in the Post-War Near East**: The Decline of French Influence, 1914-1923, Oxford, London, 1938.

Garnett, D. (ed), **The Letters of T.E. Lawrence**, New York, 1938-1939.

Howard, Harry, **The King-Crane Commission (An American Inquiry into the middle East)**, Khayat, Beirut 1963.

Kedourie, Elie, **England and the Middle East: The Destruction of the Ottoman Empire 1914-1921**, Bowes and Bowes, London, 1956.
Khoury, Philip, **Syria and the French Mondate: the Politics of Arab Nationalism, 1920-1945**, Princeton University Press, U.S.A 1987.
Jeffries, J., Palestine, **The Reality, Longmans-Green**, London, 1939.
Rafeq, Abdul-Karim, **Society, Economics, and Political power in Syria 1918-1925** (Paper presented to the colloquium **"Middle East in the inter war Period** The Interaction of Political, Economic and cultural Development", Organized by Instut Fur Europaeche Geschichte, Bad Hombury 28 August- 1September 1984).
Salibi, Kamal, **Modern History of Lebanon**, London, 1959.
Tibawi, Abdul Latif, Syria from peace Conference to the fall of Damascus, **Islamic Quarterly**, December 1967.
Wavell, Archibald, **The Palestine Compaigns**, Constable, London 1965 (first published 1928).
Yale, William, **The Near East, A Modern History**, University of Michigan Press, USA 1958.
Young, Hurbert, **The Independent Arab**. London 1933.



المَلاحِق

الملحق رقم (١)

تقرير من حاكم اللاذقية العسكري (الفرنسي)
في حزيران ١٩١٩ يصور صعوبة الوضع العسكري على الجبهة الساحلية
والتكتيك المستخدم لدى الثوار من وثائق المنطقة الغربية
T.E.O. Zone Ouest

قائد السرية مينول حاكم اللاذقية العسكري.

إلى السيد الجنرال قائد القوات الفرنسية في المشرق.

ع/ط السيد مدير ولاية بيروت

بالرسالة رقم ٢/٨٤٠٧ تاريخ ٢٥ أيار ١٩١٩."الوضع في قضاء بانياس"، أعلمتم أن:

١ـــ المحافظة على توجيهاتكم السابقة التي ترتكز على مبدأ "تجنب الأرتال الصغيرة وإظهار القوة لتجنب استخدامها".

٢ـــ عدم إمكان زيادة العدد الثابت حالياً لقوات احتلال صنجق اللاذقية.

يـــنجم عـــن ذلـــك بوضوح أنه في كل مرة يضطرب الوضع اضطراباً حقيقياً في نقطة ما من منطقتي يجب علي أن أوجه نداء إلى بيروت لطلب وسائل القمع.

مـــن حـــيث المبدأ، فإن هذا ممكن لكنه عملياً ينجم عنه نتائج خطيرة، فالفترات الطويلة التي تفصـــل بـــين لحظة وقوع الاضطرابات ولحظة وصول القوات القادمة من بعيد إلى مكان الاضطرابات لقمعها هي من أسوأ الفترات: يتصور (المتمردون) أنهم أسياد الوضع ويتسع الاضطراب في الوقت الذي يصاب فيه القسم الآخر من السكان بالذعر. وتأخر القمع يجعله عديم الجدوى. فمع اقتراب رتل بطيء

وثقيل، الذي يعرف (المتمردون) تحركاته مقدّماً يجد هؤلاء لديهم الوقت الكافي للذهاب لبضعة أيام إلى المنطقة الشرقية، ثم يعودون من جديد بعد زوال الخطر.

إضـــافة إلى ذلك من المشكوك فيه كليا أنه، على الرغم من حسن التفاتة القيادة بإمكانية إعداد عملية بوليسية في كل مرة يكون ذلك ضرورياً، فالمراحل المتعددة في بلد وعر تسبب تعباً شديداً للجنود لا يمكن تكراره غالباً. خلال قسم كبير من السنة ليس من السهل إعداد رتل بدءا من تموز حتى تشرين الأول بســبب الحر، ومن تشرين الثاني حتى منتصف آذار بسبب الأمطار التي تجعل الانتقال والسير في غاية الصعوبة.

هكذا بدراسة المسألة عن قرب أرى أنه محكوم علي بلعب دور المستجدي اللجوج الذي يُعمل على إبعاد (فترات) الزيارات.

أنحني أمام ضرورات الساعة لكنني أطلب النظر في زيادة إعداد قوات احتلال الصنجق من الآن لكي يتم تحقيق ذلك عندما يسمح الوضع به.

آمل ألا يحدث حتى ذلك الوقت أحداث تجعل المرء يندم على تأجيل زيادة عدد القوات.

التوقيع

مينول

T.E.O. Zône Ouest

Vil[illegible]outh

[illegible]

OBJET:
Effectifs [illegible]
Lattaquié.

N° 800

Lattaquié, le [illegible] Juin 1919.

Le Chef d'Escadron [illegible]ingault
Gouverneur Militaire de Lattaquié.
à Monsieur le Général Commandant les T.F.L.
s/c de Mr. l'Administrateur du Vilayet
Beyrouth.

Par lettre N° 8407/2[illegible] du [illegible] Mai 1919 "Situation du Caza de Banias" vous avez fait connaître :

1°.- le maintien de vos directives antérieures qui consistent à "éviter les petites colonnes et à manifester la force pour en éviter l'emploi".

2°.- l'impossibilité d'augmenter à présent la dotation fixe des troupes d'occupation du Sandjak de Lattaquié.

Il en résulte clairement que chaque fois que l'ordre sera vraiment troublé dans un point de mon district, je devrai faire appel à Beyrouth et demander des moyens de répression.

En principe, cela est faisable mais présente en pratique de sérieux inconvénients, de longs délais séparant forcément le moment où se produisent les désordres et celui où arrivent sur place des troupes venues de loin pour les réprimer. Ces délais sont des plus fâcheux : les rebelles s'imaginent être les maîtres de la situation et l'agitation s'étend pendant que l'autre partie de la population s'affole. La répression pour être tardive n'en est pas plus efficace. Bien au contraire, à l'approche d'une colonne lente et lourde, dont ils connaissent à l'avance les mouvements, les agitateurs ont beau jeu de passer pour quelques jours dans les territoires accueillants de la zône Est, et de revenir une fois le danger disparu.

En outre, il est tout à fait douteux, malgré la bienveillance du Commandement qu'il soit possible de monter ainsi une opération de police chaque fois qu'il serait nécessaire. Les étapes nombreuses en pays accidenté imposent au soldat des fatigues très grandes qu'on ne peut répéter souvent. Pendant une bonne partie de l'année, il ne serait pas aisé de faire colonne: à partir de Juillet jusqu'en Octobre à cause de la chaleur, et de Novembre à mi-Mars à cause des pluies qui rendent la circulation extrêmement difficile.

Ainsi en examinant de près la question, je vois que je suis voué au rôle du quémandeur importun dont on tâche d'espacer les visites.

Je m'incline devant les nécessités du moment mais je demande que l'augmentation des effectifs des troupes d'occupation du Sandjak soit envisagée dès maintenant pour être réalisée dès que la situation le permettra.

Je souhaite que d'ici là il ne se produise pas d'événements tels qu'on regrette d'avoir ajourné cette mesure.

Signé: [illegible]

الملحق رقم (٢)

مساع فرنسية بريطانية للتفاوض مع الشيخ صالح العلي في آب ١٩١٩
وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ١٤، ص٥٩ـ٦٠
Affaires Etrangres

برقية

بيروت ٩ آب ١٩١٩ الساعة ٧,٥٠

استلمت في ١٠ الساعة ١٥,٣٥

عودة على برقيتي رقم ١٠٦٣

(عقـــب) مجلـــس الحرب الذي عقد في بيروت بحضور السيد ج. و(الناظر) وكوبان والجنرال هاملن والجنرال بولس، رئيس هيئة أركان الماريشال اللنبي، الذي كان قد تقرر فيه أن تقوم بعثة سياسية مخـــتلطة مـــؤلفة مـــن مقـــدم إنكليـــزي والمقدم الفرنسي نيجر تدعمها كوكبة من القوات الفرنسية والإنكليـــزية، أن تقـــوم بمحاولة للاتصال بالشيخ صالح في طرطوس. وفي حال فشلها، سوف تستأنف العملـــيات العسكرية من قبل قوات مختلطة فرنسية إنجليزية (مع) كل ما يمكن أن يؤدي ذلك من نتائج بالنسبة لسكان البلد.

في نهاية المطاف يبدو لي أنه من غير المرغوب فيه اللجوء إلى استخدام القوة.

(يتبع)

التوقيع

لافوركاد

برقية

بيروت ٩ آب ١٩١٩ الساعة ١٩,٥٠
استلمت ١٠ آب الساعة ١٨

تابع للرقم السابق

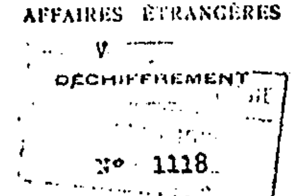
بهـــدف دعـــم البعثة السياسية السابقة الذكر، أرى أن من المفيد جداً أن يصاحب هذه البعثة عـــرض (عضلات) بحري تقوم به البارجة "لوفيرنيو" "LeVerignaud" بعد أصبح أمر قيامها بذلك ممكناً بسبب عدم استخدام الأمير فيصل لها للحضور إلى باريز.

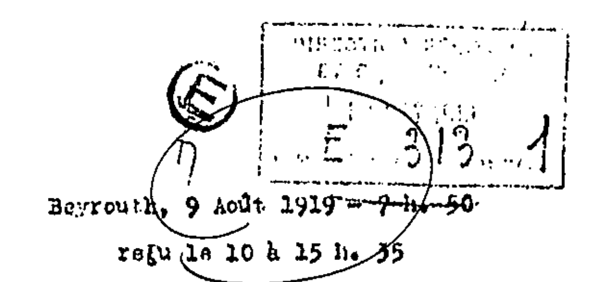
مـــن جهة أخرى، قد يكون من المفيد خاصة خلال غياب (البارجة) "الكاسارد Le Cassard" أن تقوم بالبارجة لوفيرنيو بنزهة على طول السواحل السورية. وسوف يكون بإمكانها بعد أن تنطلق من بورسعيد بأن تتوقف في حيفا وصيدا وطرابلس، حيث يجب أن تكون جاهزة اعتباراً من ١٣، للذهاب إلى قـــبالة طرطوس في الوقت الذي تبدأ فيه المحادثات مع الشيخ صالح في ١٤. بعد ذلك يمكن أن تظهر لوفيرنـــيو في اللاذقـــية ثم في الإسكندرونة ومرسين، وذلك لتجنب العواقب المشار إليها في البرقية رقم ٩٦٠ الصـــادرة عـــن جـــورج بيكو. ومن المستحسن ألا تصل هذه البارجة إلى بيروت إلا بعد انتهاء رحلتها البحرية المذكورة، وفي كل الأحوال ألا تظهر أمام بيروت قبل ١٩.

وسأكون ممتناً لسيادتكم بالتدخل لدى وزير البحرية لكي يصدر الأوامر بهذا المعنى إلى البارجة لوفيرنيو.

التوقيع
لافوركاد

AFFAIRES ÉTRANGÈRES TÉLÉGRAMME A L'ARRIVÉE DUPLICATA 59





Beyrouth, 9 Août 1919 = 7 h. 50

reçu le 10 à 15 h. 35

Je me réfère à mon télégr. 1062.

Depuis l'incident de Kawabi, la colonne française des Ansarias s'est bornée à assurer dans la mesure de ses moyens la protection des Ismaïliens contre les Alaouites. Mais le chef des rebelles Cheik Saleh, réfugié dans la Haute-Ismaïlia n'a pu être atteint.

A la suite d'un Conseil de guerre tenu à Beyrouth et auquel assistaient avec M. Georges Picot l'intendant Copin, le Général Hamelin et le Général BO(gr.fx.)S, chef d'Etat-Major du Maréchal Allenby, il a été décidé qu'une mission politique mixte composée d'un Lieutenant-Colonel anglais et du Lt-Colonel français Nieger et appuyée par une escorte de troupes anglaises et françaises, feraient une tentative pour rentrer en relations avec Cheik Salah à Tartous. En cas d'échec les opérations militaires seraient reprises par des forces combinées franco-anglaises avec toutes les conséquences qu'elles peuvent entraîner pour les populations du pays.

Il me paraît très désirable d'éviter ce recours ultime à la force. (à suivre) ./.

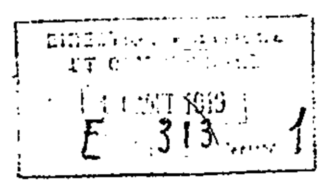
LAFORCADE

AFFAIRES ÉTRANGÈRES | TÉLÉGRAMME A L'ARRIVÉE | DUPLICATA

60

DÉCHIFFREMENT

A-L.



N° 1119

BEYROUTH, le 9 août 1919 à 19 h. 50

Reçu le 10 à 18 h.

cit Marine ff.

Suite du n° précédent.

Aussi, en vue d'appuyer la mission politique précitée, verrais-je un grand intérêt à ce qu'elle soit combinée avec une démonstration navale effectuée par le cuirassé "Le Vergniaud" actuellement rendu disponible (du) fait que l'émir Feyzal ne l'utilise pas pour venir en France.

Il serait d'ailleurs utile, surtout pendant l'absence du "Cassard" que cette unité fit une croisière le long des côtes de Syrie. Elle pourrait, partant de Port-Saïd, s'arrêter (à) (Jaffa), Kaïffa, Saïda et Tripoli où elle devrait se trouver à partir du 13 prête à venir mouiller devant Tartous, au moment de la négociation avec Cheikh Salah qui doit commencer (le) 14. Le Vergniaud pourrait par la suite se montrer à Latakieh, Alexandrette et Mersina (pour) éviter les inconvénients signalés par le télégr. de N° 960 de M. Georges Picot, il y aurait avantage à ce que ce cuirassé ne touche Beyrouth qu'au (terme) de sa croisière, et en tout cas n'y paraisse pas avant le (19) au plus tôt.

Je serais reconnaissant à V.E. de vouloir bien intervenir auprès de M. le Ministre de la Marine pour que des instructions en ce sens soient données au "Vergniaud"./.

LAFORCADE.

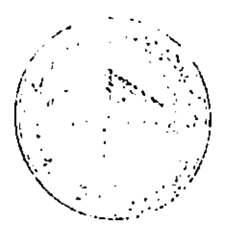
الملحق رقم (٣)

البيان الذي بعث به الجنرال غورو إلى أهالي سورية عشية معركة ميسلون محاولاً ثني السوريين عن مقاومة القوات الفرنسية واستمالتهم

(دار الوثائق التاريخية في دمشق)

مـــع النســـخة الفرنســـية كما أوردها الجنرال دوهاي في دراسته المشار إليها في قائمة مصادر البحث.

الجنرال غورو قائد جيش الشرق العام والمندوب السامي للجمهورية



ايها السوريون ،

في هذه الساعة التي تقذفكم فيها حكومتكم الى القتال وتستهدف بلادكم لاخطار الحرب وويلاتها اوجه اليكم الخطاب لاقول لكم السبب الذي من اجله ستقتتلون :

قيل لكم ان فرنسا ترغب في استعماركم وانها تريد استعبادكم وما ذلك الا افك مبين !

ان فرنسا قبلت الانتداب الذي عهد به اليها مؤتمر السلم على سوريا .

وهي ترغب بل ترى من واجباتها ان تقوم بهذا الانتداب لكنها مراعاة لماضيها المجيد ترمي من القيام بالانتداب الى مصلحة البلاد واسعادها مع تأمين استقلال اهالي سوريا الذي سبق الاعتراف به بصورة جهارية .

انها تريد ان تمدكم بمساعدة الفنيين الفرنسويين لتحسن تنظيم المصالح العمومية وتقدم لكم الاموال لاستثمار ثروة البلاد .

وستحترم فرنسا الحرية على اختلاف انواعها لاسيما حرية الضمير فانها تضمنها للجميع دون استثناء على انها لاتسمح لطائفة من الطوائف ان تتعدى على حقوق غيرها .

وهي عازمة على ان تدع الموظفين الوطنيين يزاولون اشغالهم بشرط ان لايعملوا بسلطتهم ضدها فيخونون هكذا العهود والمواثيق المقطوعة .

هذا ولا يخفى عليكم ايها السوريون ان حكومة دمشق التي تديرها اقلية متطرفة قد تجاوزت منذ ستة اشهر كل الحدود باتباعها السياسة الاكثر عداء للفرنسيين فابت على جيوشهم التصرف بالخط الحديدي الممتد بين رياق وحلب مع ان هذه الجيوش مابرحت منذ اشهر طويلة تقاتل الاتراك دفاعاً عن سوريا

وقد اجازت الى المنطقة الغربية عصابات عديدة قدمت لها الضباط والاسلحة والذخائر لتقتيل سكان القرى الآمنين.

وقد منعت تداول العملة السورية الجديدة وتصدير الحبوب واقامت بين دمشق والساحل حواجز اقتصادية كان من شأنها ان الحقت بكم اجسم الاضرار .

واخيراً تابعت سياستها الخرقاء ففرضت عليكم ضرائب كثيرة اثقلت عواتقكم وامرتكم بالتجند الاجباري لادفاعاً عن استقلالكم وحقوقكم اذ لاشئ يهددها وانما خدمةً لمطامع سياسيين اكثرهم غريب عن اوطانكم

ولقد صبرت فرنسا الى الآن لان الصبر من شيم القوي على انه لكل اصطبار حد ينتهي عنده.

فقد بلغتْ حكومة دمشق من قبل حكومة الجمهورية الفرنسوية اقتراحات عادلة معقولة اذا تم قبولها كان ضامناً لحفظ السلام .

ومن هذه الاقتراحات الغاء الخدمة العسكرية الاجبارية .

فاذا جارت حكومة دمشق بعض المتهورين كأن تأبى مصافحة اليد التي تمدها اليها فرنسا وتقرر الحرب [illegible] هي المسئولة عنها .

على اني مازلت آملا بان السوريين الاذكياء المتنورين سوف لايرضون بان يلقوا بانفسهم الى التهلكة والدمار دفاعاً عن الاقلية الاثيمة المسيطرة عليهم ويقيني انكم سوف لاتدعون ابناءكم يستهدفون لفتكات المعدات الحربية الحديثة الهائلة من برية وجوية سعياً وراء الحصول على نتيجة واحدة هي المحافظة على الخدمة العسكرية الاجبارية مهما تجسمت اضرارها وابقاء الضرائب الباهظة وسائر التكاليف الساحقة التي ترزحون تحت وقرها .

واني عملاً بما يوحيه الي الشعور الانساني الذي يدفع كل الفرنسويين بلا استثناء الى الشفقة قد صممت النية على ان لا استعمل الطيارات لمقاتلة الاهالي العزل مشترطاً في ذلك ان لايذبح فرنسوي ولا مسيحي واحد فان المذابح ان هي حدثت تتلوها انتقامات مريعة بواسطة الطيارات

وسيمتنع من الاشتراك في تلك الحرب وينضم الينا جميع الذين تخفق في صدورهم عواطف وطنية حرة صادقة ويرغبون في راحة بلادهم وانماء ثروتها فهؤلاء هم الذين اناشدهم باسم فرنسا وسوريا .

فلينهضوا وليتحدوا معتصمين بحقوقهم على الفئة المتغلبة التي لاقوة لها الا بضعفهم وليثقوا بنبالة المبادئ والاخلاص والنزاهة التي اتصفت بها فرنسا الكريمة الشفيقة نصيرة التمدن والحضارة .

وليبادروا آمنين مطمئنين الى احضان الفرنسويين كما تسارع اليهم قبلهم اللبنانيون البواسل وكثيرون غيرهم.

فلتحيي سوريا سعيدة حرة ! فلتحيي فرنسا !

الجنرال غورو

ANNEXE 3

PROCLAMATION (1)

ADRESSEE AUX POPULATIONS SYRIENNES
PAR LE GENERAL GOURAUD
COMMANDANT EN CHEF L'ARMEE DU LEVANT ET HAUT COMMISSAIRE EN SYRIE

Syriens,

Au moment où votre Gouvernement vous pousse dans la guerre et va en attirer les malheurs sur votre pays, je m'adresse à vous, pour vous dire pourquoi vous allez vous battre.

On vous a dit que la France voulait vous coloniser, vous asservir.

– Mensonge

La France a accepté de la Conférence de la Paix le mandat sur la Syrie

Elle a le désir et le devoir de remplir ce mandat, mais fidèle à son passé généreux, elle voit dans l'accomplissement du mandat, l'intérêt, la prospérité du pays, sous la garantie de l'Indépendance des populations Syriennes, déjà reconnue solennellement. Elle veut donner l'aide de ses techniciens pour mieux organiser les Services Généraux et de ses capitaux pour faire fructifier les richesses locales.

Respectueuse de toutes les libertés et en particulier de la liberté de conscience, la France la garantira à tous sans exception, mais ne permettra pas qu'une confession empiète sur les droits des autres.

Elle entend laisser les autorités locales exercer leurs pouvoirs, mais à la condition que ce pouvoir ne s'exerce pas contre elle au mépris des engagements contractés.

Or, vous n'ignorez pas, Syriens, que depuis six mois, le Gouvernement de Damas, poussé par une minorité extrêmiste, a dépassé toutes les bornes en poursuivant la politique la plus agressive contre les Français.

Il a refusé le Chemin de fer de Rayak à Alep aux troupes françaises qui combattent les Turcs depuis des mois, pour défendre la Syrie.

Il a inondé la zone française de bandes auxquelles il a fourni des Officiers, des armes, des munitions pour venir massacrer des villages sans défense.

En interdisant la nouvelle monnaie syrienne et l'exportation des céréales, en élevant une barrière économique entre Damas et la côte, il vous a porté le plus grand dommage ; enfin pour soutenir cette politique insensée, il vous a surchargés d'impôts et vous a imposé le service obligatoire, non pour la défense de votre indépendance et de vos libertés qui ne sont pas menacées, mais pour servir les intérêts de politiciens dont beaucoup n'appartiennent pas à votre pays.

La France a été patiente parce qu'Elle est forte, mais toute patience a une limite :

J'ai, de la part de mon Gouvernement, transmis au Gouvernement de Damas des propositions sages et modérées dont l'acceptation est la garantie du maintien de la Paix.

L'une d'entre elles est la suppression du Service Obligatoire.

Si, cédant aux insensés, le Gouvernement de Damas refuse la main que lui tend la France et décide la guerre, il en portera la responsabilité.

Mais j'espère encore que les Syriens sont trop intelligents et éclairés pour consentir à courir à la mort et à la ruine pour défendre la minorité coupable qui les domine. Pour le seul résultat de maintenir à tout prix le service obligatoire, les lourds impôts, toutes les charges écrasantes qui vous oppriment, vous ne laisserez pas vos enfants exposés aux terribles engins de guerre moderne terrestres et aériens.

Par un sentiment d'humanité commun à tous les Français, je n'ai pas l'intention d'employer les avions contre les populations sans armes, mais à la condition qu'aucun Français, aucun chrétien ne soit massacré. Des massacres, s'ils avaient lieu, seraient suivis de terribles représailles par la voie des airs.

Tous ceux qu'anime un patriotisme ardent et pur, qui veulent la paix et la richesse de leur pays, refuseront la lutte et seront avec nous. C'est à eux

tous que je fais appel au nom de la France et de la Syrie.

Forts de leur droit, qu'ils se lèvent et s'unissent contre la faction dominatrice dont la force ne serait faite que de leur faiblesse. Qu'ils aient confiance dans le libéralisme et le désintéressement de la FRANCE généreuse, active et civilisatrice.

Qu'ils viennent en toute confiance à leurs amis Français, comme l'ont déjà fait d'un si bel élan les vaillants Libanais et tant d'autres.

VIVE LA SYRIE LIBRE ET PROSPERE, VIVE LA FRANCE !

Général GOURAUD.

الملحق رقم (٤)

الرسالة التي بعث بها الجنرال غورو في ٢٤ تموز ١٩٢٠
إلى وزارة الحربية الفرنسية عن معركة ميسلون ومدى خسارة الفرنسيين فيها

(وثائق وزارة الحربية الفرنسية Ministre des Armèes)

هـذا اليوم خاض رتل الجنرال غيار الذي أعطيته رئيس هيئة أركاني لهذه العملية العقيد ريتكلا، معركة قاسية جدا بهدف الاستيلاء على الشعب البالغ طولها ثماني كيلومترات الذي يفصله عن خان ميسلون، المقر العام الشريفي.

لقد قامت القوات الشريفية تعززها (عصابات) بدوية يدعمها الرشاشات والمدافع بمقاومة عنيفة. إن حماس قواتنا (الكتيبة الخامسة عشر) مواجهة والثانية قناصة جزائريين والعاشرة والحادية عشرة قناصة سنغاليين، وقناصة أفريقية، وفوج السباهية المغاربة، وبطاريات المجموعات الإفريقية، وبطارية ١٥٥) انتصر بعد مقاومة شرسة استمرت ثماني ساعات.

في هذه الأرض البالغة الصعوبة حيث كان تحرك المدفعية مستحيلا تقريبا، قاتلت المدرعات والطيران بالقنابل والرشاشات كما في الحرب الكبرى نجاحا عظيما.

انتهت المعركة نحو الساعة الواحدة بعد الظهر بإخفاق العدو التام الذي كانت خسائره فادحة، وترك على أرضه تسعة مدافع، و٢٦ رشاشا، وكثير من الذخيرة والعتاد، وعدد من العربات.

وتوفي وزير الحربية (الشريفي) يوسف بك عظمة أثناء المعركة.

خسائرنا التي لم تحدد بدقة وصلت إلى نحو ١٥٠ رجلا.

يبدو أن هذا اليوم قد قضى على القوة (الشريفية).

بعـــد الظهـــر جاء إلى المعسكر العقيد كوس ضابط ارتباطنا بصحبة عقيد شريفي الذي صرح باســـم الحكومة (الشريفية) بأنه لن يكون هناك مقاومة بعد الآن حتى دمشق، وإن مدينة دمشق سوف تتولى أمر تزويد الرتل بالمؤن إلى أن يستأنف خط السكة الحديدية نشاطه.

سيدخل الرتل إلى الحي الأوروبي في دمشق غدا صباحا.

التوقيع

غورو

24 Juillet 1920

EN CLAIR

DIPLOMATIE PARIS

GUERRE PARIS

La colonne, sous le commandement du Général GOYBET, à qui j'avais donné pour cette opération mon Chef d'Etat-Major le Colonel PETTELAT, a livré aujourd'hui un combat très dur, pour enlever le défilé de huit klms qui la séparait de KHAN-MEISELOUN Quartier Général Chérifien.

Les troupes chérifiennes renforcées par des bandes de Bédouins ont opposé une très vive résistance appuyée par du canon et des mitrailleuses.

L'énergie de nos troupes [illegible] de Ligne, [illegible] Tirailleurs Algériens, IIème et [illegible] Tirailleurs Sénégalais, Chasseurs d'Afrique, Régiment de Spahis Marocains, Batteries des Troupes d'Afrique, Batterie [illegible] de 155, en a triomphé après une lutte acharnée de huit heures.

Dans ce terrain particulièrement difficile où le déploiement de l'artillerie était à peu près impossible, les Chars d'assaut et l'aviation ont combattu à coups de bombes et de mitrailleuses, comme dans les combats de la Grande Guerre et ont [illegible] très grande part dans le succès.

Le combat s'est terminé vers une heure de l'après-midi par la déroute complète de l'ennemi, qui a subi des pertes énormes, a laissé sur le terrain neuf canons 25 mitrailleuses, beaucoup de munitions, un nombre de voitures et un matériel considérable.

Le Ministre de la Guerre Chérifien YOUSSEF bey AZME a trouvé la mort dans le combat.

Nos pertes sans pouvoir être encore exactement fixées s'élèvent à 150 hommes environ.

Cette journée parait avoir abattu la puissance chérifienne.

Dans l'après-midi se sont présentés au camp le Colonel COUSSE notre agent de liaison, accompagné d'un Colonel Chérifien qui au nom du Gouvernement chérifien a déclaré qu'aucune résistance ne serait plus opposée jusqu'à DAMAS que la ville de DAMAS assumerait le ravitaillement de la colonne jusqu'à ce que la voie ferrée ait repris son fonctionnement.

La colonne entrera à DAMAS, quartier européen demain matin 25./.

GOURAUD

الملحق رقم (٥)

برقية من الجنرال غارنيه دوبليسي إلى الخارجية الفرنسية (الدبلوماسية) عن سير العمليات الثورية على جبهتي الساحل والشمال أواخر ١٩٢٠/١٢/١٠

برقية بالشفرة من الجنرال غارنيه دوبليسي إلى الدبلوماسية ـــ باريس

أجيب على برقية سعادتكم المتعلقة بالأحداث التي جرت في أرض (العلويين).

في مطلـــع شهر كانون الأول، كان الوضع في هذه الأرض هو التالي: في الوسط وفي الجنوب فـــإن إعـــادة السلام يمكن أن يعتبر تحصيل حاصل، وقد جرى نزع أسلحة الأهالي دون إشكال وذلك بمساهمة الوجهاء الذين وقعوا دون صعوبة هذا الشرط لخضوعهم.

وعلـــى العكس من ذلك، فإن وجهاء قضاء جبلة ومنطقة جنوب صهيون فمع أنهم استجابوا بمعظمهـــم لدعـــوة المحافظ، فقد رفضوا تسليم أسلحتهم، وابتعد زعماء منطقة شمال صهيون عن عملنا السياسي.

ومن أجل القيام بضغط على هذه القبائل، فقد سيرت المجموعة المتحركة التي يقودها الكولونيل دوزاك من جبلة في ٢ كانون الأول ومهمتها تلقي الخضوع والعمل على نزع السلاح، وأقامت في اليوم نفســـه في عـــين شـــرقية (على بعد ١٥كم جنوب شرق جبلة). وفي اليوم التالي نفذت باتجاه الشرق اســـتطلاعا بست فصائل مشاة وفصيلة مدفعية. وهذه المفرزة التي لم تتخذ احتياطات الأمن الضرورية بســـبب التأكـــيدات المـــتفائلة التي قدّمها لها ضابط الاستعلامات فوجئت في حفرة وقامت المجموعات

(المتمـــردة) بـــتطويقها بالكامل بينما هوجم جزء المجموعة الذي بقي في عين شرقية. وتابعت مجموعة الاستكشـــاف المعـــركة إلا أنها لم تستطع التخلص إلا في الليل. كذلك فإن جزءا شرد لدى عودتها إلى عـــين شـــرقية، وتحمل خسائر مرتفعة واصطر إلى التخلي عن مدفعية على أرض المعركة. وكان مجمل الخسائر ٢٣ قتيلا منهم ضابط و٤٥ جريحا بينهم أربعة ضباط وستة مفقودين.

هـــذه الحادثـــة، وكـــذلك تلك التي جرت في الوقت ذاته في دولة حلب، استجابت للدعاية الكمالية التي ازدادت في أطراف منطقة حلب كما لوحظ مرات عديدة خلال الأسابيع الأخيرة.

إنها تعتمد من جهة على الشيخ صالح وصلاته بالكماليين، وهي معروفة لدينا منذ زمن بعيد وتم تأكـــيدها لـــنا بالمراسلات التي تم اعتراضها منذ وقت قصير، ومن جهة أخرى تعتمد على أهم الزعماء ووجهـــاء المـــناطق الـــتي لم تخضع بعد في صهيون وإدلب وجسر الشغور، حيث أن عملنا العسكري وبسبب نقص الجاهزية، لم يستطع بعد إثبات وجوده. توسعت هذه الدعاية بالتدرج في منطقة عملها، وقد تسببت في كل مكان بدوام الاضطراب، وإثارة مقاومة الأهالي الذين تم وعدهم بوصول المجموعات الكمالية مستقبلا، وقد ظهر هؤلاء في جسر الشغور، وكان وصولهم علامة بدء الحركة.

إن الوضع في هذه المناطق ليس مقلقا على الإطلاق حتى إنه في الوقت الحالي في طريقه الصحيح للتحسن بفضل نجاحات مفارز الكولونيل جيبيوفر في منطقة كفرتخاريم وأهمل مجموعة دوزاك إلى الشرق من جبلة والتي استعادت المدفعين والمعدات التركوية.

تلقى الجنرال غوبو أمرا بمغادرة عنتاب حيث سيكفي الحصار في حل الأمر وذلك من أجل أن يـــتولى قيادة جميع القوات. أما الكولونيل دبيبوفر والكولونيل نييجر فإنهما ينسقان العمليات في سنجق الإسكندرون وأرض (العلويين) وإعادة النظام فيهما وذلك ما نأمل تحقيقه في وقت قصير.

يرجى نقل هذه البرقية إلى وزارة الحربية.

غارنييه دوبليسي



Télégramme Chiffré

(DÉPART)

Tapé

3536

é le 26/12/21 à 11 H 30

Adresse : Général GARNIER DUPLESSIX

à DIPLOMATIE - PARIS.-

2084 à 2087
N° du Télégr. 1/2

PRIORITE - URGENT.-

OBJET :

Vu
Strauss

Je réponds au télégramme de Votre Excellence relatif aux incidents survenus dans le territoire des Alaouites.

Au début Décembre, la situation dans ce territoire était la suivante: Dans le centre et au Sud la pacification pouvait être considérée comme acquise; désarmement populations s'était effectué sans incidents avec concours notables qui avaient souscrit sans difficulté à cette condition de leur soumission.

Par contre, notables du caza de Djeble et ceux de la région Sud du Sahioun bien qu'ayant répondu pour la plupart à une convocation de l'Administrateur, s'étaient refusés à verser leurs armes; les chefs de la région Nord du Sahioun se tenaient éloignés de notre action politique.

Pour faire pression sur ces tribus, groupe mobile commandé par Colonel d'AUZAC fut mis en route de Djeblé 2 Décembre avec mission recueillir soumissions et procéder désarmement. Il s'installa le même jour à Aïn-Charkié (15 klm.S-E.Djeble) et le lendemain exécuta vers l'Est reconnaissance avec six sections infanterie et une section artillerie. Ce détachement, qui n'avait pas pris mesures sécurité nécessaires en raison des assurances optimistes que lui avait données officier des renseignements fut surpris dans un ravin et complètement encerclé par bandes rebelles tandis que la fraction du groupe restée à Aïn-Charkié était elle-même attaquée. La reconnaissance soutint combat mais ne parvint à se dégager qu'à la nuit. En ralliant Aïn-Charkié, une fraction s'égara, subit pertes élevées et dut abandonner ses deux canons sur le terrain. Pertes totales ont été 23 tués dont 1 officier, 45 blessés dont 4 officiers, et 6 disparus.

Cet incident, de même que ceux qui se déroulaient simultanément dans l'État d'Alep, répondent à la propagande kémaliste dont les progrès dans l'arrière-pays d'Alep ont été à diverses reprises signalés au cours des dernières semaines.

S'appuyant d'une part sur le Cheikh Saleh dont les relations avec les kémalistes nous étaient depuis longtemps connues et nous ont été confirmées par des correspondances interceptées récemment, et, d'autre part, sur les principaux chefs et notables des régions encore insoumises du Sahioun, d'Idlib, de Djisr Ech Chogur où notre action militaire faute de disponibilités, n'avait pu

....

pièce du dossier

19 N°

Télégramme

(DÉPART)

Adresse :

\- SUITE -

№ du Télégr.

encore se faire sentir, cette propagande a progressivement étendu sa zone d'action, entretenant partout une agitation occulte et incitant à la résistance les populations auxquelles était promise l'arrivée prochaine de contingents kémalistes. Ceux-ci ayant fait leur apparition à Djisr Ech Chogur, leur arrivée a été le signal du mouvement.

La situation dans ces régions n'est nullement inquiètante et est même à l'heure actuelle en bonne voie d'amélioration grace auxsuccès des détachements du Colonel Debieuvre dans la région de Kefert-Harim et à l'action du Groupement d'Auzac à l'Est de Djeble qui a récupéré canons et matériel abandonnés.

Le Général Goubeau a reçu ordre de quitter Aïntab où blocus doit suffire à résoudre la question pour prendre commandement de toutes troupes, colonel Debieuvre et Colonel Nieger coordonnant ainsi opérations dans sandjak Alexandrette et territoire Alaouites et rétablir la situation, ce qu'on peut escompter devoir être réalisé à brève échéance ./.

Prière communiquer présent télégramme à Guerre./.

GARNIER DUPLESSIX

P.A. Le Chef d'Etat-Major,

[signature]

Dossier

№

الملحق رقم (٦)

وثيقة من أحد أقرباء أنيس أبو فرد تنقل ذكريات الأخير عن عمله كوسيط بين الشيخ صالح العلي وسلطات حكومة دمشق العربية واستمرار مهمته بعد ميسلون بين الشيخ والقوات التركية

الاسم الكامل : انيس ابراهيم المحرزي نسبا الى المعز لدين الله العلوي (فاطمي مصر).
مكان وتاريخ الولادة : طرابلس عام ١٨٩٣/ .
اسم الاب الكامل : ابراهيم سلامه المحرزي .
اسم الام : خديجة الدرويش .
محل الاقامة : اولا (طرابلس) ثانيا (طرطوس) حاليا (الشيخ بدر).
العمل الاول : خفارة السواحل من عام/ ١٩١١/ بامرة فخر الدين باشا مع كثيرين منهم جديد آغـــا بن [illegible] وعزيز افندي العابد (طرطوس) والشيخ رياح الطويل (اللاذقية) .
استمرت الخدمة حتى انهيار تركيـــا .

في بداية عام ١٩١٨/ وصل الى منزلنا في طرابلس رجل اسمه اسماعيل الدرويش من قرية ـــــ يحمل رسالة من الشيخ صالح العلي لالتحق بسماحة الشيخ بدر مع ما استطيع جلبه من بنادق حربيـــة فتمكنت من شراء عشر بنادق حربية الكليزية مع كمية من الذخيرة اتجهت بها نحو الشيخ - ولدى وصولـــي استقبلني مرحبا متهلل الوجه مسرورا بالعتاد الذي وصل وقال أن حاجتنا الى الذخيرة منه ضرورية .

كان الشيخ يعمل بوجهه الخاص فلم يعلم احد بتدبيره قبل المسألة ولم في ذلك حكمة عجيبة .
أوفدني الى طرابلس ثم دمشق برسالتين احداهما الى عبد الحميد كرامي في طرابلس والثانية لسمو الامير فيصـــل في دمشق وذلك من أجل السلاح اوصلت الاولى وسافرت بالثانية الى دمشق وبعد وصولي بقليل قابلنـــي الامير عادل ارسلان واستلم الرسالة واوصلها لسمو الامير فطلبني الى مقابلته فورا واستفسر مني عـــن الشيخ وعن الثورة فقلت السلاح السلاح فقدم مئتي بندقية حربية مع الذخيرة اللازمة ومبلغا من المال قائلا وبعدما يصلنا السلاح نزودكم بما تحتاجون ثم ودعته وخرجت وخرج معي وزير الحربية يوسف العظمة الى محطـــة القطار وحجز لي عربة اودع السلاح والذخيرة فيهـــا : ودعته واتجهت الى حمـــاه وقد أبرق وزيـــر الحربية لعبد الحميد بك قائد الموقع في حماه يأمره بملاقاتي الى المحطة واستقبالي فيها وفعلا لو وجدته في المحطة مع بعض الجنود ينتظرونني ولما نزلت عانقني بحرارة مرحبا وامر عناصـــره بانزال الاسلحة
بعد الاســـتراحة اتجهت مع بعض اهل قريـــة الربيعـــة بالسلاح الى مقر القائد الشيخ صالـــــح الرســـالة (الشيخ بدر) . في عام ١٩١٩/ خضنا مع العدو معركة قتل فيها العدو وترك قتلاه ومخلفاتـــه وراءه وكميـــة ... اوفدني الشيخ الى حمـــاه لمقابلة ســـمو الامير فيصل ومعي خمسة بغــــال

وعدة مدرعات حربية كدليل على الحصار الحربي. فأرسل معي سمو الأمير كميات من الأسلحة والذخيرة ومبالغ من المال كمعونة وهكذا كانت مهمتي نقل السلاح وتزويد الثورة بالذخيرة والعتاد وكوفد خاص للثائر الشيخ الذي كان يملأ قلوبنا ثقة وقوة وشجاعة ويوجهنا الوجهة الصحيحة السليمة.

وكانت انتشرت في طلائع التعديات الفرنسية الشكوى للأمير فيصل لذلك فاوفدني مع أخيه الأمير زيد الحسن القدس لشكاية ذلك للجنرال اللنبي قائد جيوش الحلفاء وبعد بسط الشكوى ارسل معنا الكولونيل سمرست على رأس كتيبة من / الهنود / الى مقر الشيخ صالح في الشيخ بدر. وكان معه ترجمانا اسمه حنا البستاني لكان يتوقف نهارا بأن يحمل الجبال سرا وليلا يوزع الاسلحة والذخيرة على الثائرين يشجعهم ويزيد من عزمهم. ولم تخف على القائد الشيخ هذه السياسة ولكنه قبل الاستفادة من السلاح ومن اختلاف الدولتين السياسة عن طريق لا بالمباشرة.

وبعد مغادرة فيصل سوريه واحتلال الداخل انعطف الشيخ نحو تركيا لتأمين المدد الحربي لوجهني برسالتين احداهما للزعيم الاناضولي محمد بك ديلان والثانية للقائد مصطفى كمال باشا وفور وصولي وإيصال الرسالة للزعيم المذكور اصطحبني الى القائد التركي معشوق بك قائد لواء اورفه وعنتاب وسلمته الرسالة فأوفد من يحملها للقائد مصطفى كمال وعود بالجواب. وهكذا عاد الوفد يحمل الرسالة والهدية للشيخ وأمرًا بالتوجه الى مرعش حيث اعطيت الاوامر للقائد علي شفيق باشا الملقب بازدمير للتوجه معي على رأس طابوره والعمل بامرة القائد الشيخ صالح العلي وتسليمه كافة المعدات والعتاد الحربي

الملحق رقم (٧)

وثيقة بخط يد الشيخ محمد ابراهيم أحد رفاق الشيخ صالح في الجهاد
تروي علاقة الشيخ صالح بالأتراك
وتنقل نص رسالة وجهها مصطفى كمال إلى الشيخ صالح

(دون تاريخ)

التعامل مع الاتراك

ما كانت المدة التي مرت بين شهداء ٦ ايار عام ١٩١٦
وقيام الملك حسين بثورته في العاشر من حزيران عام ١٩١٦
من نفس السنة كافية لتنسى العرب الحذر من التعامل مع
الاتراك عندما طلب الاتراك التعامل مع الشيخ صالح علي
بثورته في جبال العلويين عام ١٩١٨ عندما كتب مصطفى
كمال للشيخ صالح علي يعرض التعاون معه وحبال المشانق
لاحرار العرب لم تنزل عن اعوادها في دمشق وبيروت
وقد حشد لهم اربعين الف جندي تركي في أرض العرب لمواجهة
ثورة الملك حسين بينما حرب الحلفاء تحصد جنودهم في كل
بقاع الأرض وقد كان لوجود أربعين الف جندي تركي
محتشدين في ارض العرب احتمال ان تقلب كفة النصر لجانبهم
في الكثير من جبهة لذلك كان مصطفى كمال يحرص على ان يكون
التعامل مع الشيخ صالح علي وحده لا مع الشرفاء الذين وقفوا
مع الحلفاء ضد الاتراك.

وكان الشيخ صالح علي على اعلى مستويات الوعي والحنكة

ان يعرف مصطفى كمال ان الثورة عربية بحتة باشارته اليه

ان يكون التعامل السياسي مع الملك فيصل في دمشق وكان

طبيعيا ان يكون هذا من الشيخ صالح علي وطبيعيا ان يقطع

مصطفى كمال كل ما اراد اتصاله مع الشيخ صالح لانه قد علم ان

الحيلة لم تنطلي عليه ولا يضر الشيخ صالح بعد ذلك ان لا يقابل

مصطفى كمال بالاجابة وان لم تحقق الثورة هدفها فقد حققت

شرفها بان انطفت الثورات كلها وثورة الشيخ صالح على مشتعلة

رسالة مصطفى كمال للشيخ صالح علي ارسلها مع

اربعة ضباط اتراك وهذا نص الرسالة

الى حامي الدوحة العلوية وحافظ الشعائر الاسلامية

والمجاهد في سبيل الله والدين ضد الكفار المعتدين =

الشيخ الجليل صالح العلي لا زال الاسم لائقا بالعز والمجد آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته جلت

سبحانه وتعالى صفاته وسمت آياته وعظمت قدرته ونعمته

وبعد ايها الاخ الامجد والسيد السند الاوحد لقد بلغني

انكم اشعلتموها حربا ضروسا ضد المعتدين الغاشمين

اعداء الدنيا والدين وان النصر كان حليفكم والتوفيق رائدكم

وصدق الله ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم

ونحن نخوض هذه المعمعة مثلكم ونقاتل جحافل الاعداء

يا اخوانكم بالله ونكبدهم الخسائر الفادحة ونجعل اجسادهم

طعاما للغربان والحيتان وصدق الله العظيم: واقتلوا

الكفار حيث ثقفتموهم

وطالما ان غايتنا واحدة وسبيلنا الى الله واحدة ونحن

لا مطمح لنا الا تحرير بلادنا واجلاء الغاصبين ~~منها~~ اعداء الدنيا

والدين عنها فقد رأينا ان نتصل بكم لكي نتعاون معكم

ويشد بعضنا أزر بعض قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى

ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وليست حربنا عدوانا

وانما هي لمنع الاعتداء الى قوله

وانا ايها الاخ الأوحد والسيد المسدد مستعدون

لان نمدكم بكل مساعدة ولا نبتغي من وراء ذلك الا رضى الله

ورفع راية الاسلام ونرجو ان تكون صلاتنا معكم ~~شخصية~~ شخصية

لا علاقة لاحد بها داخل بلادكم وخارجها تمسكا بقول

سيد الانبياء محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم استعينوا

على قضاء حوائجكم بالكتمان وهذا اوفق وانجح واصلح

واعم للفائدة المطلوبة والغاية المنشودة

وقد اوفدنا لكم اربعة ضباط من خيرة ضباطنا وكان

سبق لهم ان حاربوا في بلادكم جيوش الحلفاء المعتدين وخدم

بعضهم فيها مدة طويلة فهم يعرفون طبيعة السكان وطبيعة

الأرض فنرجو ان تكونوا عند حسن ظنكم وثقتكم وان

تستشيروهم بالامور العسكرية كي يكونوا لكم عونا بخبرتهم

وحسن تجاربهم

واكتبوا لنا عن كل ما تحتاجون وتريدون اطلاعنا عليه

ويجب ان تكون بيننا كلمة السر زيادة على مكاتباتنا ولا

ان يفتحها او يفسدوها وكلمة السر سوف يذكرها لكم مندوبنا

لانه لا يجوز ان تكتب على ورق كما نرجو ان تعتمدوا من قبلكم

شخصا امينا او اشخاصا امناء تعطونهم كلمة السر كلما

او قد تموههم الينا وربما اضطررنا ان نغير هذه الكلمة ونستبدل
بها سواها من وقت [illegible] وقت وانتا ايها المجاهد الكبير
في سبيل الله والرجل المؤمن الصالح الطاهر لا تبتغي الا مرضاة الله تعالى

في حربنا ضد العدو المشترك وفي اتصالاتنا معكم والله ينصركم
بنصره ويؤيدكم بتأييده وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(نقل بالحرف) من اخيكم بالاسلام

مصطفى كمال

الملحق رقم (٨)

نداء (غير مؤرخ) وجهه الشيخ يوسف السعدون وهو رفيق هنانو في ثورته، إلى المجاهدين محذراً من الدسائس الكمالية

(دار الوثائق التاريخية في دمشق)

نداء من رفيق هنانو فى الجهاد

ايها المسلمون الكرام

انتبهوا وتيقظوا واحذروا من دسائس الكماليين فأنهم قد قرروا في مؤتمرهم الذي عقدوه في « درت يول » ان يغزوكم بالاغراء ولين القول والدعاية الكاذبة الملفقة حتى اذا توفقوا ونجحوا فانهم ولا شك سيقضون على مقدساتكم وعلى عقائدكم الدينية فاني اخبر الناس بنوايا القوم وصاحب الدار اخبر بما فيها اعيذكم بالله ان تقعوا فى اشراكهم وحبائلهم فتمسكوا بأصلكم وجنسكم العربي وعضوا عليه بالنواجز فقد (قال نبيكم صلى الله عليه وسلم) ان الله اختار خلقه فأختار بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب فأنتم خير خيرة من خيار وما يضر المسلم الذي يكون غير عربي اذا تمسك بدينه فأن جامعة الامم قد قبلت ان يقول الرجل المسلم بانه مسلم سني وكفى وان يخرجوا لهم رجلا منهم ينوب عنهم ومن حدثته نفسه خلاف ذلك فانه يخسر الدنيا والآخرة والعياذ بالله واسأله تعالى ان يعصمكم من كيدهم وخداعهم.

المجاهد الشيخ يوسف السعدون

الملحق رقم (٩)

استمرار الأعمال الثورية في منطقتي الساحل والشمال الغربي، ودوام الاتصال فيما بينهما (نيسان ١٩٢١)

(وثائق وزارة الخارجية البريطانية F.O.371 – 6/454)

رسالة من القنصل البريطاني العام في بيروت، إلى وزير الدولة للشؤون الخارجية في ١٤ أبريل/نيسان ١٩٢١.

سيدي،

لي الشرف أن أبلغكم أنه وفقا لخلاصة الاستخبارات الفرنسية المؤرخة في ٣٠ مارس/آذار لم تتوقف الأعمال الحربية في كيليكيا رغم اتفاقية لندن، ويبدو أنه قد اعتبر مؤكدا أن الأتراك مستمرون في استعداداتهم لمهاجمة حلب. الأعمال الحربية الفعلية قد استمرت على كل حال بشكل أقل كثافة ولكن النشاط الكبير قد لوحظ على خطوط مواصلات (العدو).

منطقة اللاذقية لا تزال مضطربة (بعصابات) غير نظامية الذي يزداد نشاطهم في الشمال حيث يميلون إلى الاتصال مع الثائرين في الجسر وجبل الزاوية. وفي حكومة حلب، فان القلاقل في المنطقة بين حلب والعاصي قد ازدادت وواجه الطابور الفرنسي قتالا قاسيا بين ٢٤ مارس/آذار و٢٩ منه. ومنطقة كفر حارم ــ إنطاكية ــ والقصير التي كانت هادئة منذ يناير هي الآن أكثر قلقا وهذا الاضطراب يعزى إلى الدعم والتحريض الكمالي.

(بقية الرسالة عن اضطرابات حوران والدعاية ضد الفرنسيين)

HIS BRITANNIC MAJESTY'S

CONSULATE GENERAL,

BEYROUT, SYRIA

April 14 [illegible].

My Lord,

I have the honour to report that according to the French Intelligence summary dated March 30th there has been no cessation of hostilities in Cilicia despite the London agreement and it seems regarded as certain that the Turks are continuing their prparations to attack Aleppo. The actual hostilities have,however,continued with less intensity ,but considerable activity has been noticeable on the Enemy's lines of communication.

The Latakia region is still troubled by irregular bands,whose activity is increasing in the north where they tend to join up with the insurgents of JISR and JEBEL ZAVIE. In the Aleppo government disturbances in the region between Aleppo and the Orontes have increased,and a French column had some stiff fighting between March [illegible]th and [illegible]th.The regions of Kafr Harem,Antioch and the Kosseir which have been quiet since January are now more disturbed.This unrest is attributed to Kemalist instigation and support.

In the Hauran and the South there is nothing to report save a certain amount of propaganda against the French which it is claimed emanates from the British Zone (Presumably Trans-Jordania).The Emir Abdallah is said to have sent letters to the Ajloum exhorting the population to revolt,threatening pillage in the event of their refusal.

I have the honour to be
With the highest respect,My Lord,
Your Lordship's most obedient
Humble servant

His Majesty's Secretaryof State for Foreign Affairs,
etc etc etc
London.

Copies to.
His Majesty's High Commissioner in Egypt
His Majesty's High Commissioner in Palestine
His Majesty's High Commissioner in Mesopotamia
His Majesty's Agent,Aden.

الملحق رقم (١٠)

استمرار القتال على الجبهة الساحلية وبدء المفاوضات مع هنانو وفشلها

(وثائق وزارة الخارجية البريطانية F.O. 3716/954)

رسالة من القنصل البريطاني العام في بيروت، سوريا ٣ مايو/أيار ١٩٢١

سيدي،

وفقا لخلاصة الاستخبارات الفرنسية للأسبوع المنتهي بـ ٢٠ أبريل/نيسان فان العمليات العسكرية هي في حالة توقف على جبهة كيليكيا... لم ترد أخبار جديدة من قبل القيادة التركية التي أخذت من تركيا بشأن تنفيذ اتفاقية لندن. القوات التركية التي تبلغ ٢٠٠٠ـ٣٠٠٠ رجلاً قد استبدلت.

الجنرال غوبو قد استمر في عملياته في المناطق المضطربة بين إنطاكية، جسر الشغور، وحلب، المفاوضات بدأت مع إبراهيم هنانو أكثر الزعماء الثوريين أهمية، ولكنها فشلت لأن الطلب الفرنسي لاحتلال جبل الزاوية ونزع سلاحه قد رفضت. لا يوجد أي تبدل في الوضع في منطقة (العلويين) إن توقف الأعمال الحربية على الجبهة الشمالية جعلت ممكنا للفرنسيين توظيف قوات أكبر في معالجة الحركة الثورية في المنطقة المضطربة.

HIS BRITANNIC MAJESTY'S

CONSULATE GENERAL,

BEYROUT, SYRIA.

No63.

May 3rd 1921.

My Lord,

According to the French Intelligence Summary for the week ended April 30th military operations are at a standstill on the Cilician front. It is however strongly held and within the line the Turkish regular forces have been active. No new communication has been made by the Turkish command as to the carrying out of the London agreement. The Turkish troops taken from Marash, who numbered 2-3000 men have been replaced.

General Goubeau has continued his operations in the disturbed area between Antioch, Jisr, Shogour and Aleppo. Negotiations were begun with Ibrahim Hanano, the most important of the insurgent leaders, but were broken off, the French demand for the occupation and disarmament of the Jebel Zavieh being rejected. There was no change in the situation in the Territory of the Alaouites. The cessation of hostilities on the Northern front has rendered it possible for the French to employ larger forces in dealing with the insurgent movement in the disturbed area.

I have the honour to be

With the higest respect, My Lord,

Your Lordship's most obedient

Humble Servant

H C Satow

His Majesty's

Secretary of State for Foreign Affairs,

etc etc etc

London.

الملحق رقم (١١)

الرسالة التي قيل أن الملك فيصل قد وجهها إلى الشيخ صالح العلي من جدة في حزيران ١٩٢١ قبل توجه فيصل إلى العراق

(وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الأسد، مجلد ٣٤، ص١٦٢)

من جدة في ٥ شوال ١٣٣٩

لمقام [illegible] المحترم الشيخ صالح العلي صاحب الرفعة والغيرة العربية دام [illegible]

[illegible]

الملحق رقم (١٢)

تعليق على الرسالة التي قيل أن الملك فيصل قد وجهها إلى الشيخ صالح العلي في حزيران ١٩٢١

(وثائق وزارة الخارجية البريطانية F.O. 371-6/455)

رسالة القنصلية العامة البريطانية في بيروت

الأول من أغسطس/آب ١٩٢١

إلى وزير الدولة للشؤون الخارجية

سيدي،

بالإشارة إلى برقيتي السرية ٢٩ يوليو/تموز لي الشرف أن أنقل لكم نسخة عن ملحق للرسالة التي يزعم أنها قد وجهت من قبل الأمير فيصل إلى الشيخ صالح الزعيم (العلوي) الثائر. وكما ذكر في تلك البرقية فإن السلطات الفرنسية مقتنعة أن الرسالة هي صحيحة وأن هذه الرسالة وحاملها قد أخذا من قبل إحدى الطوابير الفرنسية العاملة في منطقة العلويين.

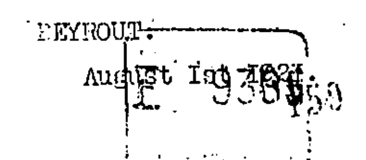
كنت أتعشى ليلة الأمس مع الجنرال غورو واعتقدت أنه قد ينتهز الفرصة للإشارة إلى الموضوع ولكنه لم يفعل ذلك، ولكني أتصور أن يكون هناك شك قليل بالنسبة لمشاعره. وكما تعلم سيادتك فهو يعارض بمرارة وهو لا يثق بكل من الأمير فيصل وسائر أفراد العائلة (الشريفية). وهو يشعر أنه خلال

تعيين الأمير فيصل وعبد الله إلى موقعي سلطة في العراق وشرق الأردن فان منطقة الانتداب الفرنسي في سورية قد أحيطت بعناصر معادية. هذه المشاعر هي بلاشك يشاركه بها كل الرسميين الفرنسيين.

وفي هذا السياق يجب أن أذكر أنه قد ظهرت مؤخرا عدة مقالات معادية (للشرفاء) في Reveil وهـــي جـــريدة يظن أنها موالية لسورية وبوجه خاص موالية للبنان والتي هي إلى الحد الذي يمكن قوله منغمسة أيضا في توجيه الانتقادات للفرنسيين.

No 102
Very Confidential.

BEYROUT.
August 1st 1921.



My Lord,

With reference to my confidential telegram of July 28th, I have the honour to transmit to you herewith a copy of the letter alleged to have been addressed by the Emir Faisal to Sheikh Saleh, the insurgent Alaouite leader. As stated in that telegram the French authorities are convinced that the letter is genuine. It and its bearer were taken by one of the French columns operating in the Alaouite territory.

I was dining last night with General Gouraud and I thought that he might take the opportunity of referring to the matter. He did not however do so, but I imagine that there can be little doubt as to his feelings. As Your Lordship is aware he is bitterly opposed to and distrustful of both the Emir Faisal and the other members of the Sherifian family, and he feels that through the appointment of the Emirs Faisal and Abdullah to positions of authority in Mesopotamia and Transjordania the French mandatory area in Syria is being hemmed in with actively hostile elements. These feelings are undoubtedly shared by all French officials.

In this connection I should state that there have recently appeared several anti-Sherifian articles in the "Reveil", a paper which is professedly pro-Syrian and especially pro-Lebanese and which therefore, as far as it can safely do so, also indulges in criticisms of the French

His Majesty's
Principal Secretary of State,
etc. etc. etc.
FOREIGN OFFICE.

الملحق رقم (١٣)

برقية غورو إلى الخارجية الفرنسية (على الأغلب آب ١٩٢١)
عن اعتقال السلطات البريطانية في القدس لإبراهيم هنانو
وعن تبادل العون بين الإنجليز والفرنسيين

(وثائق وزارة الخارجية الفرنسية Diplomatic-Paris 1101/6)

إشارة إلى برقيتي رقم ٦/١١٦٠

بما أنني طلبت من السيد هربرت صامويل تسليم ابراهيم هنانو، اعتقل هذا الأخير مؤخرا في القدس من قبل السلطات البريطانية.

أعدّ مجلس حرب حلب ملفا كاملا ومذكرة توقيف بخصوص زعيم العصابات هذا وسيرسل بأسرع ما يمكن إلى السلطات الإنجليزية.

سوف يكون لاعتقال هنانو وتسليمه افضل النتائج. سيبرهنان للسكان ان فرنسة وانجلترة ليستا أعداء في الشرق بل على العكس انهما يتبادلان العون لقمع أعمال التخريب واللصوصية.

التوقيع
غورو

DIPLOMATIE - PARIS -

Je me réfère à mon télégramme 1160/6.

Comme j'avais demandé à Sir Herbert SAMUEL, extradition d'Ibrahim HANANO, ce dernier vient d'être arrêté à Jérusalem autorités Britanniques.

Dossier complet et mandat d'amener concernant ce chef bandes sont préparés par Conseil de guerre Division d'ep et seront envoyés le plus tôt possible, aux autorités glaises.

L'arrestation et l'extradition d'Ibrahim HANANO produi-nt le meilleur effet. Elles montreront aux populations que FRANCE et l'ANGLETERRE, ne sont pas ennemies en Orient qu'elles se prêtent au contraire une aide mutuelle pour répression du brigandage./.

GOURAUD

Etat Général

الملحق رقم (١٤)

تقرير الجنرال غورو في ١٤ تشرين ثاني ١٩٢١
عن عملية إنهاء الثورة على الجبهة الساحلية

وثائق المفوضية العليا الفرنسية في سورية ولبنان

Haut Comissariat de la République Française en Syrie et au Liban

مـــن الجنـــرال غورو، المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان، والقائد الأعلى لجيش المشرق الى السيد وزير الحربية ــ هيئة الأركان ــ المكتب الثالث ــ قسم المشرق

١ــ يشرفني أن أحول إليكم طيا نسخة من التقرير الخاص بالعمليات التي قام بها العقيد نييجر في (بلاد العلويين) في الفترة ما بين ١٨ أيار/مايو ــ ٧ تموز/يوليو ١٩٢١.

٢ــ بتأثير الدعاية الكمالية والإسلامية حققت حركة العصيان بقيادة الشيخ صالح العلي اتساعا لدرجة أصبح التدخل معها أمرا ضروريا، ومن ثم فقد أوكل إلى العقيد نييجر مهمة نشر الأمن والسلام في بـــلاد (العلويين) بدءا من الشمال حتى الجنوب بحيث يستفيد من النتائج التي حققها الجنرال غوبو علـــى حـــدودها الشـــمالية ولا يلتقي بالعصابات (المعادية) في البلدات التي سبق أن نشرت الأمن والسلام فيها الفرقتان الثالثة والرابعة.

٣ــ في البداية كان تحت أمرة العقيد نييجر:

- ٧ كتائب
- بطاريتان عيار ٦٥
- سريتان خيالة
- سرب طائرات

بداية شكلت هذه القوات في ثلاثة أرتال:

— رتل موران

— رتل كليمان غراندكور

— فصيلة بولارديه

في ٢٨ مايو/أيار وضع رتل دوم الموجود على نهر العاصي تحت تصرف العقيد نييجر (كتيبتين + بطارية)

٤ـ جرت العمليات على ثلاث مراحل سبقتها عمليات تمهيدية:

أ ـ عمليات تمهيدية (من ١ إلى ١٨ مايو/أيار) في مطلع الشهر، وسعت القوات المرابطة على الشاطىء عملها حتى الجبل بحيث يتم حصر المنطقة (المتمردة) حصرا وثيقا ومنع (المتمردين) من دخول المدن الساحلية، وتوسيع قواعد انطلاقنا. في ٣ مايو/أيار استولت الكتيبة الهندوصينية في معركة باهرة على حصن كيرفيس الذي استخدم كقاعدة انطلاق بالنسبة لرتل كليمان غراندكور. في ١٢ مايو/أيار انتهى التمركز على العاصي، كان رتل دوم في محردة.

ب ـ المرحلة الأولى (١٧ أيار/مايو ـ ١٠ حزيران/يونيو) تضمن هذه المرحلة:

— إقامة سد شرق ـ غرب بين البحر ونهر العاصي استولى رتلا كليمان غراندكور وموران على كتف السيرة وكتف البير وممر الزندي وعين الكروم (معركة ٢٠ و٢٣ أيار/مايو).

— دعاية ناشطة إبان العمليات بهدف إخضاع القبائل.

أُرسل الزعماء الذين بقوا على إخلاصهم لنا أو خضعوا حديثا للبحث عن السكان الذين فروا. لدى وصولنا بدأت دعايتنا بقطف ثمارها عندما أوقفها النشاط الشخصي للشيخ صالح الأمر الذي اضطرنا إلى مواصلة العمليات.

بدأ رتل كليمان غراندكور، تعززه فصيلة بولارديه، السير نحو الجنوب على شكل مشط، في الوقت نفسه الذي كان رتلا موران ودوم، اللذان اندمجا، يعملان على احتلال الشفرة في منطقة الشيخ سليمان، وفخرو: معارك ٢٤ أيار/مايو في متوارا، وزاما سلهابي؛ ٢٨ أيار/مايو في ميزله، وفي ٣٠ أيار/مايو في راشيه، وفي ٥ و٧ حزيران/يونيو في مخرو وشيخ سليمان، وفي ٨ و٩ حزيران/يونيو في تاميزه، وفي ١٠ حزيران/يونيو في أبي كابس.

هذه الفترة من العمليات ليست إلا استمراراً للمعارك القاسية في ظروف مناخية سيئة، والعدو موطد العزم، جيد التسليح، ونفسيته لا تزال عالية، والعمل على أقسى ما يكون، ويشرف

قواتـــنا. أخـــيرا أن اجتياز الشعرة المشهورة يتعذر عبورها، من قبل رتل موران كان له صدى رنانا في البلد كله.

ت ــ المرحلة الثانية:

مـــتابعة الســـير نحـــو الجنوب وقد أثمر عملنا السياسي بما حدث من حالات خضوع، إلا أن عصـــابات الشـــيخ صالح واصلت صمودها أمامنا في منطقة بشراغي، وكلي وحمام وحوراني ومحمد جوفان.

لقـــد أغـــار عليها رتل موران وبحركة دائرية أجبرها رتل كليمان غراندكور من الغرب ورتل مانيان من الشرق على الانسحاب السريع. من الآن فصاعدا لن يقاوم (العدو) مقاومة جادة.

يتواصل السير نحو الجنوب الذي شهد معركتين بسيطتين فقط في ١٥ و١٨ حزيران/يونيو.

ث ــ المرحلة الثالثة:

وتمثلت بملاحقة الشيخ صالح العلي وجرت بلا معارك، وبسير مركز نحو (راست)، لكنها لسوء الحظ لم تتوج بالنجاح لأن الشيخ صالح نجح في الهرب مع بعض أنصاره.

HAUT COMMISSARIAT
DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
en SYRIE et au LIBAN
et Commandement en Chef
de L'ARMÉE du LEVANT

État-Major 3e Bureau
-*-
N° 1070/3/

OBJET
Transmission Rapport d'opérations.

le 14 Septembre 1921.

Le Général GOURAUD, Haut-Commissaire de la République Française en Syrie et au Liban, Commandant en Chef de l'Armée du Levant,

à Monsieur le Ministre de la Guerre-Etat-Major de l'Armée 3e Bureau-Section Orientale

I°- J'ai l'honneur de vous transmettre ci-joint, copie du rapport relatif aux opérations menées par le Colonel Nièger, sur le Territoire des Alaouites, du 18 mai au 7 juillet 1921.

II- Sous l'influence de la propagande kémaliste et arabe, le mouvement insurrectionnel dirigé par Cheikh Saleh, prenait au début de 1921, une extension telle qu'une intervention devenait nécessaire. Le Colonel Nièger recevait en conséquence mission de pacifier le Territoire des Alaouites en opérant du Nord au Sud, de façon à bénéficier des résultats déjà obtenus à ses confins Nord par le Général Goubeau et à ne pas rejeter les bandes ennemies sur les territoires déjà pacifiés des 3e et 4e Divisions.

III- Le Colonel Nièger disposait au début de:

- -7 Bataillons,
- -2 batteries de 65,
- -2 escadrons de cavalerie,
- -I escadrille.

Ces troupes furent tout d'abord constituées en trois colonnes:

- -Colonne MORAND
- -Colonne CLÉMENT-GRANDCOURT
- -Détachement de BOLLARDIERE.

Le 28 mai, la colonne DHOMME, qui se trouvait sur l'Oronte, fut mise à la disposition du Colonel Nièger (2 bataillons, I batterie I/2).

IV-Les opérations ont comporté trois phases, précédées d'opérations préliminaires:

a) Opérations préliminaires (du 1er au 18 mai). Au début de mai, les troupes stationnées sur la côte étendent leur action jusqu'à la montagne de façon à circonscrire plus étroitement la zone insurgée, interdire aux rebelles l'accès des villes de la côte, élargir nos bases de départ. Le 5 mai, le Sa-

bataillon Indo-Chinois,enlève dans un brillant combat, l'éperon de Kirfiss qui,le 12 juin,servira de base de départ à la colonne Clément-Grandcourt. Le 12 mai,la concentration est terminée. Sur l'Oronte,la colonne Dhomme est à Mahardi.

b) I° PHASE-(17 mai au 10 juin).

Elle comprend:

-L'établissement du barrage Est-Ouest entre la mer et l'Oronte;les colonnes Clément-Grandcourt et Morand s'emparent du Keft-el-Seirah,du Kétif-el-Bir,du col d'Azendi,d'Aïn-el-Kroum(combat des 20 et 23 mai).

-Une propagande active au cours même des opérations pour la soumission des tribus.

Les chefs restés fidèles ou nouvellement soumis, sont envoyés à la recherche des populations qui ont fui à notre arrivée. Notre propagande commence à porter ses fruits,lorsqu'elle est arrêtée par l'action personnelle du Cheikh Saleh,ce qui nous oblige à continuer les opérations.

Le commencement de la marche en rateau vers le Sud par la colonne Clément-Grandcourt renforcée du détachement de Bollardière,pendant que les colonnes Morand et Dhomme,qui ont effectué leur jonction,opèrent la conquête du Chaara dans la région Cheikh Suleiman,Fakrou:combats du 24 mai à Métouar,Zama,Seihabi;du 28 mai à Mezlé;du 30 mai à Rachié;des 5 et 7 juin à Fakrou et Cheikh Suleiman;des 8 et 9 juin à Temmisé;du 10 juin à Abou-Kabès.

Cette période d'opérations,n'est qu'une suite de combats sévères dans des conditions athmosphériques déplorables. L'ennemi est résolu,bien armé,son moral n'est pas encore sérieusement atteint. La tache est des plus rudes et fait le plus grand honneur à nos troupes. Enfin la traversée du Chaara,réputé infranchissable,par la colonne Morand,a un retentissement considérable dans tout le pays.

c) 2° PHASE.-

La marche vers le Sud continue,notre action politique porte ses fruits,de nombreuses soumissions se produisent. Mais les bandes du Cheikh Saleh continuent à tenir devant nous,dans la région de Bechragui,Killi,Hammam Djourani,Mohamed-Djoufin.

Elles sont enfoncées,le 12 juin, par une attaque de front de la colonne Morand,et,contraintes à une retraite précipitée,par un mouvement tournant de la colonne Clément-Grandcourt par l'Ouest,et de la colonne Maignan par l'Est.Désormais,l'ennemi n'opposera plus de résistance sérieuse. La marche au Sud continue,marquée seulement les 15 et 18 juin,par deux légers combats.

Les colonnes atteignent la ligne Banias-Kadmus-Masyaf. Les résultats acquis deviennent considérables. Les Sramtas font leur soumission,le versement des armes s'opère de la façon la plus satisfaisante.

d) 3° PHASE.-

C'est la poursuite du Cheikh Saleh. Elle s'opère sans combat,par une marche concentrique sur Rasté. Elle n'est malheureusement pas couronnée d'un plein succès,Cheikh Saleh ayant réussi à s'échapper avec quelques partisans.

الملحق رقم (١٥)

وثيقة فرنسية عن استسلام الشيخ صالح العلي في حزيران ١٩٢٢ وتقويم لثورته من (وجهة نظر فرنسية)

من وثائق جيش الشرق A.F.I

٥حزيران ١٩٢٢

من جيش المشرق الفرنسي إلى الحربية (قسم إفريقية الشرقية)

٢٩٤ــ٢٩٥ــ٢٩٦ ك

باريس

خضع الشيخ صالح باللاذقية في ٢ حزيران/يونيو مع سبعة أشخاص ثانويين.

منح الأمان مع الإقامة الجبرية في الشيخ بدر حيث سيكون تحت رقابة مركزنا العسكري.

ينهي هذا الخضوع فترة طويلة الأمد من الانشقاق بدأت في شهر نيسان ١٩١٩، التي كان الشيخ صالح على اتصال مباشر مع فيصل أولا، ثم مع الأتراك بعد ذلك، ويحظى بدعمهم. كان خلالها عدوا عنيدا وروح العصيان في بلاد (العلويين) والمناطق المجاورة لها. خلال العام ١٩٢١ عمليات طويلة وشاقة استُخدم فيها ما يزيد على ٧ كتائب سمحت أخيرا باحتلال النقاط الرئيسة في جبال (العلويين) لكن بدون الوصول إلى الشيخ صالح الذي كان يختبيء من قرية إلى اخرى. ولما لم يعد يحصل على أي دعم خارجي منذ عقد معاهدة أنقرة، وتخلت عنه جماهير (العلويين)؟ وشعر بتزايد صعوبة وضعه ووضع عائلته يوما بعد يوم، اضطر الشيخ صالح لاتباع مقترحات أقربائه. يحقق هذا الخضوع إحدى النتائج (السعيدة) التي أمكننا انتظارها في سورية الداخلية من إقامة السلام مع الأتراك، ويدل خاصة على التطور

الهـــام الـــذي حدث لدى (اللعويين) في بضعة أشهر الذين بعد أن أصبحت تحكمهم إدارة حازمة، لكنها عادلة؟ ولمسوا الحسنات الاقتصادية؟ أخذوا بالتقرب باضطراد من السلطات الفرنسية؟

يشـــكل هذا الخضوع مرحلة هامة على طريق خضوع هذا البلد خضوعا نهائيا حيث لا يزال للشيخ صالح نفوذ ديني عظيم ويعود الفضل في ذلك للعمل السياسي طويل الأمد ولحكمة إدارة الجنرال بيوت ومساعديه.

التوقيع

ب.أو

رئيس هيئة الأركان

5 Juin 2.

A.F.L.

à Guerre (Section Afrique Orient)

PARIS.

Cheikh SALEH a fait soumission LATTAQUIE deux Juin avec Sept comparses.

Aman lui a été accordé avec résidence obligatoire Cheikh BADER où sera sous surveillance notre poste.

Cette soumission met fin à longue période de dissidence, datant de Avril 1919, et au cours de laquelle Cheikh SALEH, en correspondance directe avec FAYCAL d'abord, puis avec Turcs et soutenu par eux, avait été adversaire irréductible et âme rebellion dans Territoire Alaouites et régions avoisinantes. Au cours 1921, opérations longues et difficiles mettant en jeu plus de sept Bataillons avaient enfin permis occuper points principaux montagne alaouites, mais sans atteindre Cheikh SALEH qui se cachait de village en village.

Ne recevant plus aucun appui extérieur depuis Accord ANGORA, abandonné par masse Alaouites, sentant chaque jour croître difficultés sa situation et celle de famille, Cheikh SALEH a fini par céder aux suggestions ses proches.

Cette soumission réalise l'une des conséquences heureuses que pouvions attendre en SYRIE intérieure de rétablissement paix avec Turcs; elle marque surtout évolution considérable produite en quelques mois chez Alaouites qui gagnés par Administration ferme, mais juste, et par bienfaits économiques se rapprochent de plus en plus Autorités Françaises.

Elle constitue étape importante vers soumission définitive ce territoire où Cheikh SALEH avait encore grande influence religieuse. Mérite en revient tout entier à travail politique longue haleine et à sage Administration du Général BILLOTTE et de ses collaborateurs.

P.O. Le Chef d'Etat-Major :

الملحق رقم (١٦)

وثيقة فرنسية عن الخسائر المتكبدة في القوات الفرنسية لجيش المشرق فيما بين ١٩١٩ــ١٩٢٨

قتلى، موتى أو مفقودون

(من دراسة الجنرال دوهاي، ص٤٥٤)

الفترات	ضباط فرنسيون	رجال من القوات				ملاحظات
		فرنسيون	أفارقة شماليون	من أهالي المستعمرات	مساعدون من الفرقة السورية	
١ت٢ ١٩١٩ حتى ٣٠ حزيران ١٩٢٢	١٣٧	١٩٨٤	٢١٠٦	١٤٢١	١٣٣	إقامة الانتداب ــ عمليات ضد الأتراك وحلفائهم
١ تموز ١٩٢٢ حتى ١٥ تموز ١٩٢٥	٢٨	٣٤١	١٦٦	٢٢٦	١١٧	نشر السلام والأمن وعمليات بوليسية
١ تموز ١٩٢٥ حتى ٣١ ك١ ١٩٢٦	٧٩	٩٢٧	٦٩٢	٤٣٩	٢٠٢	عصيان الدروز وقمع
١٩٢٧	٩	١٤٨	١٣٤	٥٥	٦٦	نشر السلام والأمن وعمليات بوليسية
١٩٢٨	–	٥	٥	٥	–	عمليات بوليسية
المجموع	**٢٥٣**	**٣٤٠٥**	**٣١٠٣**	**٢١٤٦**	**٥١٨**	

du 1er Novembre 1919 à 1928 (Janvier)

(Tués - Décédés - Disparus)

PERIODES	Officiers	Hommes de Troupe				OBSERVATIONS
	Français	Français	Nord-Africains	Indigènes Coloniaux	Auxiliaires Syriens	
1er Novembre 1919 au 30 Juin 1922	137	1984	2108	1421	133	Etablissement du Mandat. Opérations contre les Turcs leurs alliés
1er Juillet 1922 au 15 Juillet 1925	28	341	166	226	117	Pacification et opérations de police
1er Juillet 1925 au 31 Décembre 1926	79	927	692	439	802	Soulèvement Druse et répression
1927	9	148	134	85	66	Pacification et opérations de police
1928	0	5	3	5	0	Opérations de police
TOTAUX.	253	3405	3.103	2.176	518	
TOTAL.	253	8.684			518	

الفهرس



مطابع ألف باء - الأديب
دمشق

بحث عن الثورتين العظيمتين اللتين قاد أولاهما الشيخ صالح العلي في جبال اللاذقية وقاد الثانية ابراهيم هنانو في حلب. وقد أكد الباحث على حقيقتين هامتين أولاهما: أن هاتين الثورتين كانتا في الواقع ثورة واحدة بقيادتين متعاونتين و متكاملتين.

و هذه الثورة إنما هي امتداد للثورة العربية التي حاولت الامبريالية البريطانية و الفرنسية إجهاضها، وقد تجلى ذلك بالاتصال والتنسيق المستمرين بين قيادتي الثورتين وبينهما وبين قيادة الثورة العربية في دمشق.

و الحقيقة الثانية أنهما كانتا رداً بليغاً وحاسماً على محاولة الجنرال غورو إكمال تمزيق سورية الذي بدأه من قبل سايكس وبيكو وبلفور، وذلك لترسيخ الروح الإقليمية والطائفية.

اعتمد الباحث على وثائق وزارتي الخارجية والدفاع الفرنسيتين، وعلى وثائق سورية معاصرة لشهود عيان شارك بعضهم في الثورتين أو كان قريباً ممن شاركوا فيهما.

د. محمد خير فارس